١٥٨٦

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
المكتبات المدرسية

البناء القبلي والتحضر
في المملكة العربية السعودية

دراسة انثروبولوجية لقبيلة بني كبير

تأليف

سعيد فالح الغامدي
المحاضر بجامعة الملك عبد العزيز - جدة

الطبعة الاولى
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

ملتزم التوزيع
دار الشروق - جدة

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
المكتبات المدرسية

البناء القبلي والتحضر
في المملكة العربية السعودية
دراسة انثروبولوجية لقبيلة بني كبير

تأليف
سعيد فالح الغامدي
المحاضر بجامعة الملك عبد العزيز - جدة

الطبعة الاولى
١٤٠١هـ - ١٩٨١م

ملتزم التوزيع
دار الشروق - جدة

ملتزم التوزيع : دار الشروق للنشر والتوزيع
جدة ـــ المملكة العربية السعودية
تليفـــون : ٦٤٢٦٦١٠ (٠٢)
ص. ب. : ٤١٤٦
برقيـــــا : مشكاتنا
تلكس : SHORCO SJ ٤٠١٢٠٩

فهرس المحتـــويات

الفصل الثالث : دراسة للبناء القبلى فى المملكة العربية السعودية

الموضـــــوع	رقم الصفحة

نظـــام الملكية :

الباب الثالث

الخـــــاتمة

قائمة الوثائق والصور

« أستدراك »

نظراً للأخطاء التى وقعت فى قائمة الوثائق والصور ، فى نهاية الكتاب ، والتى وردت اشارات متفرقة اليها فى المتن ، نرجو ملاحظة أن ترتيبها جاء وفقا للصفحات التى وردت فيها والتى تبدأ من صفحة ٣٥١ الى ٤٠٥ ...

مقـــــدمة

لابد أن نشـــير فى البداية الى أن التحضر ، وإن كانت له أبعاده المستقبلية فى حيـــاة الأمم ــ على اعتبار أنه يحقق للشعوب الرفاهية والعدالة الاجتماعية ــ الا أنه فى نفس الوقت لابد أن تتعرض الشعوب وهى تسير نحو التحضر لآثار تمس بناءها الاجتماعى ، وأن تبرز مشكلات طارئة كنتيجة حتمية للوصول الى مرحلة التحضر ..

وعملية تحديث أو تنمية المجتمعات ، ليست مشـــكلة سياسية ، أو اجتماعية ، أو ثقافية ، أو تربوية أو اقتصادية ، فحسب ، بل اننـــا نعتقد أنها (جزء من هـــذا الكل) ... فلابد للقـــائمين على التخطيط وبرامج التنمية ، أن يدركو أن مشكلتهم تمثل جزءا من تلك المشكلات ، وأن يسيروا وفق خطة تضمن تلافى ظهور مشكلات التحضر أو الحـــد من انتشارها على الأقل .. فلا يجوز مثلا أن نهتم بالجانب الاقتصادى ونغفل الاجتماعى ، أو أن نهتم بالاثنين على حساب الجـــانب الثقافى وهكذا ...

اذا لابد للعملية من نظرة متكاملة الى كل الظروف ونحن نســـير نحو مرحلة التحضر .

وهذه الدراســـة جاءت كواجب وطنى رأيت أنه لابـــد من أدائه لكشف الايجابيات والسلبيات . التى تتعرض لها المجتمعات القبلية فى بلادنا ونحن نسير بخطى سريعه نحو التقدم وتحديث المجتمعات المحلية .

وتوصلنا من خلال هذه الدراسة (الميدانية) الى مجمـــوعة من الحقائق لعل من أبرزها ــ أن المفهوم الســـائد لـــدى المهتمين بميدان الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع ينطوى على فهم مؤداه .. أن المجتمعات

القبلية مجتمعات بدوية ، وستكشف هذه الدراسة (بطلان هذا المفهوم) على الأقل بالنسبة للمجتمع العربى السعودى وبقول أكثر دقة فى (مجتمع قبيلة بنى كبـــير) ٠

ثم توصلنا الى حقيقة أخرى مؤداها : أن أساس البناء الاجتماعى للقبيلة يرتبط ارتباطا وثيقا بالأرض وبنظام الملكية الذى يحدد اطار هذا الارتباط ، وتدخل مجمـــوعة من العوامل لتزيد هـــذا الارتبـــاط قوة أو ضعفا ٠ كما حددنا ذلك برسم توضيحى على (ص ٢١٥) من هـــذه الدراســـة ٠

ولقد حاولنا أيضا أن يكون الجزء النظرى هو الأقل نصيبا فى هذه الدراسة ٠ ايمانا منا بأن الدراسة الانثروبولوجية لابد أن تبتعـــد عن تكرار القول ، وأن يهتم الدارس بالجزء الميدانى منها ، اذا أراد لدراسته هذه أن تحقق الهدف الذى من أجله يسعى ٠

ولم نرتبط فى هذه الدراسة بمنهج معين ، أو نحدد اطـــارا نظريا واحدا نسير بموجبه ، بل لجأنا عوضا عن ذلك الى (المنهج التكاملى) الذى يتيح أمامنا فرص اختيـــار المنهج والوســـيلة فى البحث حسب مقتضـــياته وظـــروفه ٠

وقد ضمنا (خلاصـــة) أو ما أســـميناه بخاتمـــة البحث بعض ما توصلنا اليه من نتائج ، وقدمنا (نقدا ذاتيا) لهذه الدراسة ٠ وأوردنا بعض نقـــاط وأغفلنا أخـــرى ، قلنا أنهـــا قد تكون خلف ما سيلاحظه البعض من تقصـــير ٠

ولا أزال أكرر التأكيد بأن مجتمعاتنا العربية فى حاجة الى مزيـــد من جهد أبنائها ، ولايزال القائمون على برامج التخطيط والتنميـــة فى حاجة الى ادراك حقيقة مفادها : أنه اذا أردنا لبرامج التخطيط النجاح فلابد من معرفة المجتمع الذى سوف تنفذ فيه هذه البرامج والتعامل معه وفق خطة واضحة ، تستند الى خلفية علمية عن هذا المجتمع وإلمـــام

تام بثقافته التى تحكم اتجاهات وسلوك أفراده ، والا فقدت هذه البرامج أهم عناصر نجاحها ومن بينها عدم اقبال أو تعـاون الأفراد من أجـل انجـاح هذه البرامج •

ولعل عدم اقتناع هؤلاء بهذا من بين الأسباب التى جعلت المجتمعات العربية لاتزال فى عداد (المجتمعات النامية) حتى الآن على الرغم من مرور سنوات طويلة على بدء عمليات التحديث والتنمية • وأملى أن أكون قد حققت بعض الواجب الذى كنت أطمع فى تحقيقه وأتشرف بالقيام به من أجل وطنى وأبناء أمتى •

وما توفيقى الا بالله •

سعيد فالح الغامدى

جدة فى ١٠ من جمادى الأولى سنة ١٤٠١هـ

الموافق ١٦ مارس ١٩٨١

الباب الأول

مفهوم القبيلة والبناء القبلى

الفصل الأول : التجمع القبلى واسبابه

الفصل الثانى : أهم الدراسات السابقة عن القبيلة

الفصل الثالث : دراسة للبناء القبـلى فى المملكة العربيـة السـعودية
(بنى كبير)

الباب الأول

مفهوم القبيلة والبناء القبلى

الفصل الأول

التجمع القبلى وأسبابه

مادامت الطبيعة غير مستقرة وغير مأمونة ، وطالما أن أسباب المعيشة غير متوفرة بما فيه الكفاية فلا أقل من أن تتوحد الجماعات البدوية فى تجمع قبلى . تشكل الأسرة فيه أصغر الوحدات ويمتد هذا التجمع أو التنظيم حتى القبيلة الأم . ومع مرور الزمن ربما ضم معها عددا من القبائل الأخرى بفضل روابط الدم والمصاهرة وروابط التحالف والجوار [(١)] .

ويرى ابن خلدون أن التجمع القبلى فى أماكن معينة ، انما هو أمر فرضته الحاجة الى الاستمرار فى الحياة وأن اجتماعهم هذا لم يكن الا من أجل التعاون لتحصيل القوت والضروريات من أجل البقاء ، كما أن اعتمادهم على الحيوانات ومنتجاتها هو الذى حدا بهم الى سكنى البرارى والقفار ، حيث يقيمون فى بيوت من الشعر يسهل عليهم نقلها عندما يحل الجدب فى مكان فيرحلون الى مكان آخر . كما أن الحياة فى ظروف طبيعية قاسية قد وحدت بينهم ودعت الى نشأة علاقات وصلات قوية فيما بينهم تتمثل فى دفع الخطر الذى قد يتعرضون له وصد المعتدى . أو القيام بغارات على مناطق أخرى لتأمين سبل العيش وتوفيره [(٢)] .

---

(١) جورج بالانديه . علم الاجتماع . ترجمة احمد الخشاب . المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية . القاهرة . مركز مطبوعات اليونسكو . العدد الثالث عشر . السنة الرابعة ١٩٧٣ ص ١٧٤ .

(٢) عبد الرحمن بن خلدون — المقدمة — الباب الثانى — الفصل الأول (تحقيق على عبد الواحد وافى) « دار الشعب » القاهرة . ص ١١٠ .

مستمرة • والقبيلة نموذج واضح لهذا المجتمع حيث أنها فى أبسط أشكالها تعنى جماعة من الناس على هيئة وحدات تحتل منطقة أو مناطق متجاورة وتحس بشعور الوحدة ، هذه الوحدة التى تنشأ عن وجود أوجه عديدة للتشابه فى الثقافة والاتصالات الودية المتكررة • وكذا لوجود عدد من المصالح المشتركة فيما بينها ، ويشملها تنظيم قبلى يتفاوت فى تفصيلاته ومدى اتقانه • (١)

ويرى • ج و • بييج • أن القبيلة عبارة عن تجمع عدد من الناس ينتمون الى أصل مشترك ويشتركون فى ملكية منطقة معينة من الأرض ، وتقوم بينهم صلات قرابية ويتكلمون لغة واحدة أو لهجة واحدة • (٢)

ويرى آخرون بأن القبيلة عبارة عن وحدة اجتماعية تجمع عدة معاشر أو مجتمعات محلية ولا يشترط فى هذه العشائر أن تكون ذات علاقة نسب واحد • بل قد يحدث أن تندمج عائلة أو عشيرة فى قبيلة أخرى تبعا لظروف محلية مختلفة ، كأن تحل بها هزيمة على يد قبيلة آخرى أقوى منها فيتعرض أفرادها للسبى وينفرط عقدها • ومنها أن تفتقر الى وسائل القوة المادية مما يؤدى الى اعاقة استقلالها القبلى كأن تجدب مراعيها وتتناقص مواشيها فتشتت عشائرها وتنضوى تحت ولاية قبيلة أخرى تمتاز بالقوة والغنى والمنعة فتصبح تحت حمايتها وقد تنتقل زعامة القبيلة من عائلة الى آخرى ويصحب ذلك تغيير فى

---

(١) رالف لنتون ــ دراسة الانسان ــ ترجمة عبد الملك الناشف : منشورات المكتبة العصرية . بيروت ١٩٦٤ . ص ٣٠٩ .

(٢) ج و . بييج ــ الشعوب البدائية ــ ترجمة ــ محمود محمد مرسى . الالف كتاب ــ مكتبة النهضة العربية ــ القاهرة .

اسم القبيلة ذاتها[١] .

ويمكن أن نتعرف على القبيلة وأسباب التجمع القبلى اذا حددنا أهم السمات القبيلة وهى :

(أ) لابد لقيام القبيلة من توافر ثلاث مكونات رئيسية تتمثل فى المكان المحدد واللغة الواحدة والحضارة المشتركة . فاذا فقد واحد من هذه المكونات فقدت القبيلة شرطا أساسيا من شروط وجودها .

(ب) يحدث نتيجة لاحتلال كل أعضاء القبيلة لمكان واحد . واشتراكهم جميعا فى لغة واحدة . وخضوعهم لنمط حضارى موحد أو لأنماط حضارية مشتركة أن تسود بينهم مظاهر التعاون والود والتماسك الاجتماعى ، ويقوى شعورهم بالانتماء الى المجتمع الواحد . ومنأبرز سمات هذا التماسك الاشتراك فىالطقوس الدينية التى يشارك فيها ممثلون عن مختلف الوحدات الاجتماعية الفرعية — الاسرة — البطن — العشيرة — ، كما يتجلى ذلك ساعات الخطر .

(جـ) تضم القبيلة عدة تنظيمات شكلية تعمل على تأكيد وحدتها وتماسكها الاجتماعى وبالتالى تحافظ على كيانها واستمرار وجودها ، وأهم تلك التنظيمات — التنظيم السياسى — حيث يمثل القبيلة رئيس يحظى باحترام الجميع وان كان يشاركه فى ادارة ورعاية شؤون القبيلة مجلس يسمى « مجلس القبيلة »[٢] .

(د) أن الشكل القبلى من الناحية « المورفولوجية » يتميز ببساطة التركيب سواء كان ذلك من حيث عدد السكان أو كثافتهم أو بالنسبة لحركة الهجرة الداخلية والخارجية ، أو عدد المؤسسات الاجتماعية .

---

(١) صلاح مصطفى الفوال — علم الاجتماع البدوى — الكتاب الأول — دار النهضة العربية — القاهرة ط ١ ١٩٧٤ .

(٢) عاطف وصفى . الأنثروبولوجيا الاجتماعية — دار المعارف . القاهرة . ١٩٦٧ ص ١٦٨ — ١٦٩ .

وعلى الرغم من بساطة هذا الشكل المورفولوجى فانه يتضمن أشـــكالا أخرى بسيطة أيضا ولكنها تتدرج فى نطـــاق هذه البســـاطة مثل — المعشر — العشيرة — البطن — الفخذ ، وهى كلها فروع للقبيلة(١) .

(هـ) أن القبيلة تؤلف وحدة اجتمـــاعية وسياسية واقتصـــادية متكاملة تميل الى أن تكون مجتمعا مغلقا على نفسه ولا يتصل اتصالا وثيقا بالخارج من الناحية الثقافية حتى بالنسبة للقبـــائل المجـــاورة الا فى حـــدود ضيقة .

وهذا ما يؤكد تميز القبيلة بالمكان واللغة والحضـــارة الواحدة بل أنه فى أغلب الأحيـــــان تتميز القبيـــلة بملبس خاص وبعـــادات وتقـــاليد خاصـــة(٢) .

التنظيم السياسى والاجتماعى والقرابى فى القبيلة :

فى ظل ظروف طبيعية قاسية وفى ســـبيل تأمين الموارد الغذائية تضطر القبائل الى الدخول فى « أحلاف » كأن تتحد قبيلة مع أخرى أو أكثر اما اتحادا يرضاه الطرفان نتيجة للخوف من عـــدو مشـــترك والى ادراك للمنافع الناجمة عن القيام بعمـــل موحد . أو أن تقـــوم جماعة قوية باخضاع أخـــرى أضعف منهـــا وتجريدها من استقلالها السياسى وحقها فى حكم نفسها واخضاعها لسلطتها . ولعل تشـــكيل الاحلاف فى أول الأمر ظاهرة تميزت بها القبائل التى تتخـــذ مواقف دفاعية أكثر من تلك التى تتبع السياسة الهجومية . اذ أنه ليس هناك قبيلة تتنازل بمحض ارادتها عن استقلالها السياسى ما لم تدرك أنها

---

(١) أحمد الخشاب . دراسات انثروبولوجية . دار المعارف بمصر . ١٩٧٠ ص ٤٥٣ .

(٢) عاطف وصفي — الانثروبولوجيا الاجتماعية مرجع سابق .
وانظر أيضا رالف لنتون — المرجع السابق ص ٢٦٥ . وانظر ايضا الفصل الثانى دراسة السويدى عن مجتمع الطوارق .

ستجنى من وراء ذلك مردودا هاما مقابل هذا التنازل .[١]

وأساس العلاقة فى المجتمعات القبلية تقوم على الترابط الآلى الميكانيكى القائم على التشابه . ذلك لأنها تمتاز بالشكل البسيط الذى يتميز بضيق نطاق العلاقات الاجتماعية بوجه عام ثم تجانس الجماعة وتماثل أفرادها ، ويحكم هذه العلاقة عوامل اقتصادية هى ضرورة المشاركة فى تحصيل الرزق والغذاء اللازم وتدبير الحاجيات المادية المختلفة .

لكن هذا النوع من الأشكال رغم بساطته يتطلب وجود سلطة فى أيد ذات سيادة وقوة نفوذ فكان منصب « شيخ القبيلة » ومجلس شيوخها حيث تكون لأحكامهم قوة خاصة لازمة التنفيذ . نظرا لارتباط هذه الأحكام بالمصلحة العامة .

ومن ناحية أخرى فان جميع الأفراد فى القبيلة يشتركون فى كل شىء ولأى غرض فالجميع يشتركون فى أداء وظيفة معينة بما يجعل المظهر الجماعى هو الشائع فى الزراعة والانتاج وحتى فى الفنون أيضا .

ويغلف هذا النظام كله قانون المحافظة على التراث والتقاليد والأحكام والقواعد . مما يعطى لهذا الترابط الآلى جذورا زمنية تجعل للماضى فى القبيلة قيمة كبيرة يستمدون منها قيمة الحاضر وقوته .

والى جانب ذلك يقوم العامل المكانى بدور هام فى اعطاء الشكل الاجتماعى قوته من الثبات مما يجعل الفرد فى الجماعة يحس بأهمية توطنه فى المكان وضرورته كمصدر لاستغلاله فى جلب الرزق وضرورة المحافظة على كيانه[٢] .

---

(١) رالف لنتون . مرجع سابق ص ٣٢٢ .

(٢) احمد الخشاب دراسات انثروبولوجية . مرجع سابق ص ٤٥٧ ، ٤٥٨ .

بينهما فى الحقــوق والواجبات [١] .

ومن هنا كان لكل قبيلة شيخ أو رئيس تم اسناد السلطة اليــه لتحقيق المصلحة العامة ويعاونه مجلس « شيوخ القبيلة » ويشترط فى هذا الشيخ أن يكون أحــد أفراد القبيلة وأن يمتاز بصفات منها الشجاعة والجود والثراء وسداد الرأى وكمــال التجربة وان يكون من أقوى بطون القبيلة وأعلاها شرفا وأكثرها عصبة . وقد أشار ابن خلدون الى ذلك عندما أكد أن الرئاسة عند القبــائل لا تكون الا فى العصبة الكبيرة القوية القادرة على التغلب على العصبات الأخرى . وقد يحدث أن تتغلب عصبة على أخرى فتفوز بالرئاسة بل أن قبائل قد تغير على أخرى وتستولى على أرضها ويصبح أفراد القبيلة المغلوبة تابعين لها . ذلك لأن عصــبة القبيلة المغــيرة أقوى وتتمتع بقــوة رئاســـية خاصة[٢] .

ومن مهام شيخ القبيلة القيادة فى الحرب وتقسيم الغنائم بعدها وتوجيه القبيلة للمراعى والظعن والتدخل لحل الخلافات والمنازعــات بين الأفراد بمعاونة مجلس شيوخ القبيلة . وعقد الصلح والدخــول فى احلاف مع آخرين والقيام بواجب الضيافة . ذلك لأن له جــزءا مقابل هذه الضيافة يحصل عليه عند توزيع الغنائم[٣] .

---

(١) أحمد ابراهيم الشريف . مكة المكرمة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول — دار الفكر العربى . القاهرة . ١٩٦٥ ص ٢٤ .

(٢) ابن خلدون — المقدمة — مرجع سابق ص ١١٩ — ١٢٠ .
انظر ايضا — أحمد ابراهيم الشريف . مرجع سابق ص ٣٠ .

(٣) أحمد ابراهيم الشريف . مرجع سابق ص ٢٥ .

ولقد كانت « القبيلة العربية » على سبيل المثال وحدة الحياة الاجتماعية والسياسية وكانت كل قبيلة تؤمن بوجود رابطة تجمع بين أفرادها على أساس من وحدة الدم ووحدة الجماعة — كما أسلفنا — وفى ظل هذه الرابطة وفى ظل القانون العرفى الذى نشأ على أساسها انقسم المجتمع القبلى الى ثلاث طبقات اجتماعية هى :

(أ) طبقة الأحرار أبناء القبلة الصرحاء وهم الذين يجمع بينهم الدم الواحد والنسب المشترك [١] .

وأبناء هذه الطبقة هم الذين يشكلون البناء القبلى ولم يلحق بأنسابهم أى دخيل ويتمتعون بحقوق مدنية كثيرة يقابلها كثير من الواجبات التى نظمها العرف على أساس من التضامن التام بين الفرد والجماعة فالأحرار يتمتعون بحماية القبيلة فهى المسؤولة عن أية جريرة يرتكبها أحد منهم وعليها واجب الانتصار له مظلوما والوقوف معه ظالما .

كما أن للفرد من أبناء هذه الطبقة حق « الاجارة » وتعنى قبول مستجير من قبيلة أخرى لاذ بحماه ويتحمل تبعات اجارته وما على القبيلة الا أن تقبل هذا المستجير وأن تقر هذا التصرف وتدافع عن هذا الجار . بل ان هذا الجار يتمتع بما للقبيلة من حقوق ويتحمل معها ما عليها من واجبات .

ومقابل هذه الحقوق للفرد من طبقة الأحرار فان عليه واجبات تتمثل فى التضامن مع القبيلة والعمل المتفانى من أجلها والعمل فى داخل حدود الجماعة بما يحفظ لها وحدتها وعدم الخروج على اجماعها ويضحى لها ومن أجلها بالنفس والمال .

(ب) طبقة الموالى : —

المقصود بها الجار والحليف [٢] وهم أولئك الذين طلبوا حق

---

(١) ابن عبد ربه . العقد الفريد — المجلد الخامس . ص ٢٢٩ .
(٢) أحمد ابراهيم الشريف . مرجع سابق ص ٤٠ .

الجوار لسبب ما الى قبيلة أخرى وتم قبولهم من قبل طبقة الأحرار فى القبيلة وعندها يصبح لهذه الطبقة حقوقا وعليها واجبات . ومن ضمن هذه الحقوق تمتعه بالحماية الكاملة والانتصار له فى حالة الاعتداء عليه، كما أن من واجباته أن يلتزم بحدود اللياقة داخل القبيلة فلا يمارس أى عمل يسىء الى سمعتها . ورابطة الجوار هذه مؤقتة وليست دائمة . أى أنها لا ترقى الى ما يتمتع به الأحرار .. اذ أنه فى حالة خروج الجار من القبيلة أو فى حالة ارتكابه لأمر يسىء الى سمعة القبيلة أو يعتدى على حرماتها . يطرد من القبيلة وتسقط عنه حمايتها .

(جـ) طبقة الأرقاء : (١)

وهم الذين تم ادخالهم الى القبيلة عن طريق الشراء أو تم أسرهم فى الحروب . وكل قبيلة لا تخلو من هؤلاء سواءا الرجال منهم والنساء وكانت هذه الطبقة فى وضع اجتماعى سيىء ودائما عليها واجبات وليس لها حقوق فليس لأحد من هذه الطبقة حق الاجارة أو ابداء الرأى والمشورة أو المشاركة فى أعمال الحروب والغزوات . بل أن عليهم فقط السمع والطاعة والقيام بالأعمال والتى يحتقرها الاحرار ويستنكفون القيام بها . كرعى الأغنام وحلب المواشى وادارة الأعمال المنزلية ومباشرة الزراعة الى غير ذلك .. (٢)

وهكذا نجد أن القبيلة العربية كانت تشكل نظاما طبقيا تفصل بين طبقاته حدود واضحة المعالم . تبدأ بطبقة الأحرار التى لها المكانة الاجتماعية العليا ثم طبقة الموالى ويقبع فى أسفل السلم الاجتماعى طبقة الأرقاء المغلوبين على أمرهم .

وقد تنبه ابن خلدون الى ذلك عندما أشار فى مقدمته فى معرض

---

(١) احمد ابراهيم الشريف مرجع سابق ص ٣١ .

(٢) لمزيد من التفاصيل أنظر « النظام الطبقى » فى الفصل الثانى من هذا البحث عن الطوارقَ دراسة محمد عبد القادر السويدى عن مجتمع الطـــــوارقَ .

حديثه عن القبـائل [١] الى أن القبـائل البدوية أقوام يقتصرون فى حياتهم على الضروريات دون الكماليات وأن حياتهم فى ظـل ظروف طبيعية قاسية قد وحدت بينهم وأدت الى نشؤ علاقات وصلات قوية فيما بينهم تتمثل فى دفع الخطر الذى قد يتعرضون له وصد المعتدى أو القيام بغارات على مناطق أخرى لتأمين سبل العيش •

ويؤكد ابن خلدون على الناحية القرابية للقبيلة حيث يقول • أن كل قبيلة لابد أن تكون من عصبة واحدة وتعود الى نسب واحد مما يؤدى بالتالى الى زيادة التعاون بين الأفراد والتفانى والاخلاص فى سبيل الدفاع عن القبيلة ومصالحها وصد العدوان الذى قد يقـع عليها •

وذلك على العكس من القبائل المختلطة الأنساب ، التى يوجد بها دخلاء كالموالى والأرقاء وهؤلاء لا يهتمون كثيرا بمصالح القبيلة العامة • بل ربما هربوا الى خارج القبيلة فى ساعات الخطر •

ويؤكد ابن خلدون على أن النسب المتصل هو الأساس فى الوحدة والالتحام بين أفراد القبيلة الواحدة اذ يشعر كل هؤلاء الأفراد بأن أى عدوان يقع على أحد منهم انما هو عدوان على القبيلة كلها واعتداء على المجموع فتهب القبيلة لنصرة هذا الفرد والدفاع عنه واسترداد حقوقه والثـأر له •

ويشير ابن خلدون الى أن القبائل ذات الأنساب « الصريحة » وهى التى لم يختلط بها أفراد آخرون من قبائل أخرى لا تكون الا فى القبائل التى تميل الى حياة العزلة والانطواء [٢] بعيدة عن الاتصـال بالقبائل الأخرى • وذلك نظرا للظروف الطبيعية القاسية التى أملت عليهم ذلك • ويخص ابن خلدون — رعاة الابل — بهذا حيث أن رعى الابل

---

(١) ابن خلدون — المقدمة ص ١١١ الى ص ١١٨ •
(٢) ابن خلدون المقدمة ص ١١٨ • مرجع سابق •
وانظر أيضا • العقد الفريد — المجلد الخامس ص ٢٢٩ وما بعدها — مرجع سابق •

يتطلب الضرب فى القفار بحثا عن الغذاء الرئيسى للابل وهو — الأشجار — ونظرا لتوغلهم هذا فلا ينزع اليهم أحد من القبائل الأخرى المجـاورة .

وبصفة عامة فان التقسيم الطبقى المشار اليه والذى كان سائدا لدى المجتمعات القبلية فى الجزيرة العربية ، لاتزال جذوره قائمة حتى الآن ، لكنها تبدو بصورة أقل وضوحا عما كانت عليه فى السابق . ذلك لأن فئة الموالى التى أشرنا اليها فى الفقرة (ب) لم تعد معروفة الآن ، أو بالأصح لم تعد الظروف الاجتماعية مهيأة لوجـود مثل هذه الفئة ، فلم يعد الشخص بحاجة الى أن يلجأ الى قبيلة أخرى تمنحه الحماية وحق الجوار أو استرداد حق مغتصب ، لأنه منذ ظهور الحكم السعودى وقيام الدولة السعودية كفلت للمواطن حـق الحيـاة الآمنة وأصبح المواطن يلجأ الى الدولة طلبا للحماية أو استرداد حق مغتصب .

بينما من ناحية أخرى لا تزال بعض ملامح هذا التقسيم قائمة حتى الآن ، فالأفراد الذين انضموا الى القبيلة كعناصر من خارجها وخاصة أصحاب الحرف كصانعى الحديد والفخار ، لم يسـتطيعوا حتى الآن الاندماج كلية فى القبيلة عن طريق المصاهرة وتكوين علاقات خاصة مع أفراد الفئات الأخرى لأن النظرة نحوهم لاتزال كما هى ، وسوف نشير الى ذلك فى الفصل الثانى من الباب الثانى .

أما بالنسبة للفئة التى أشرنا اليها فى الفقرة (جـ) وهى الأرقاء . فلم يعد لها وجود الآن من الناحية الواقعية لأنه صدر أمر ملكى فى عهد الملك فيصل بن عبد العزيز فى عام ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م يقضى بالغاء الرق فى المملكة العربية السـعودية ، وقد تم تحرير الرق ودفع أثمان الأرقاء من خزينة الدولة الى ملاكهم ، وبدأ الرقيق منذ ذلك التاريخ يتمتع بحـريته .

والعلاقات الاجتماعية بين فئة (أ) وكل من (ب ، جـ) لا تتعدى كونها علاقات محدودة ، لا ترقى الى نفس مستوى العلاقة بين أفراد الفئة الأولى .

والمجتمع القبلى فى المملكة العربية السعودية لا يعرف العناصر الدخيلة والمهاجرة من الخارج اليه ، كما هو الحال بالنسبة للمدن وخاصة مدن الحجـــاز — ونعنى بالمجتمع القبلى مجتمع قبيلة بنى كبير — وقد ينسحب ذلك أيضا على القبائل الأخرى •

فعلى الرغم من أن نظام المملكة العربية السعودية ليست به تفرقة بين المواطنين الأصليين والمواطنين بالتجنس الذين حصلوا على الجنسية اما بالاقامة الطويلة فى البلاد أو بأية طريقة أخرى — الا أن المجتمعات القبلية تقيم هذه التفرقة بين أبنائها وغيرهم من العناصر المهاجرة فلا تقبل أن ينتسب اليها أى شخص غريب أو حتى أن يقيم داخل أراضيها ولعل عدم قبول المجتمع القبلى لهذه الفكرة بالاضافة الى عدم وجود عوامل جذب للمهاجرين هو الذى قضى بألا يكون داخل المجتمع القبلى أى دخيل عليها — عدا أولئك المهاجرون من صانعى الحديد والفخار — والذى يعود تاريخ هجرتهم الى زمن طويل فقد عينت لهم القبيلة أماكن لسكناهم وقبلت بوجودهم حتى يؤدون الخدمات الضرورية للقبيلة •

ويفرق المجتمع القبلى بين أبنائه والمهاجرين بأن ينسب ابن القبيلة اليها ويعيد نسب الثانى الى وطنه الأصلى قبل الهجرة • فيقال أن هذا فلان بن فلان ثم يلحق بآخر اسمه « اسم قبيلته » بينما يقال للمهاجر بأنه فلان بن فلان ثم يرد نسبه الى وطنه الأصلى قبل هجرته •

بينما لا نجد مثل هذه التفرقة لدى ســكان المدن الا لدى من كان من سكانها يعــود الى أصول قبلية •

وهذا يوضح لنا أن العصبية القبلية من حيث الأنســاب لا تزال قائمة حتى يومنا هذا وان كانت بصورة أقل بكثير عما كانت عليه فى السابق الا أنها لم تنته تماما •

نماذج صور التنظيم لدى قبائل افريقية :

عبر « ايفانز برتشــارد » عن مفهوم القبيلة وتصوره للتنظيم

السياسى والاجتماعى والقرابى فيها من خلال دراسته لهذه المنطقة .[١] (انظر الفصل الثانى من هذه الدراسة) بقـوله :

النوير شعب من رعاة الماشية يعيشون فى السودان الجنوبى فى اقليم تغطيه حشائش السافانا والمستنقعات . ويتألفون من عدة قبائل لا يجمعها معا أى شـكل من أشكال الرئاسة أو نظام قانونى . وبساطة ثقافتهم المادية أضطرتهم الى الاعتماد على بيئتهم الطبيعية هذه اعتمادا كليا . كما أن حياة الرعى فى مثل هذه الظروف القاسية استلزمت وجود نوع من النظام السياسى وذلك من أجل تمكينهم من الاحتفاظ بأسلوب حياتهم ، ويقوم بين جماعات من الأفراد علاقات خاصة وهؤلاء الأفراد يرتبطون بروابط (العصبة) أى أنهم ينحدرون من جد واحد يردون نسبهم اليه فى خط الذكور (دون الاناث) . ويختلف حجم هذه الوحدة القرابية (العاصبة) باختلاف المواقف . فالأعمال اليومية العادية تقوم بها وحدات قرابية صغيرة الحجم ، يتألف كل منها فى الغالب من الأفراد والعائلات التى تسكن فى أكواخ متقاربة ، بينما يشترك فى الأعمال الكبيرة وعمليات طلب الثأر الناجم عن ارتكاب حادث قتل والمطالبة بالقصاص أو التعويض كل أفراد البدنه الكبرى الذين يعيشون فى عدد من القرى المتناثرة . والفارق فى حجم هذه الجماعات أو فى مدى توزيعها أو تمركزها الجغرافى وفى نوع الأعمال التى تشترك فيها ، يعبر فى الحقيقة عن مدى (قرب أو بعد) الجد الذى يلتقى عنده فى النسب أفراد كل جماعة منها .

فأفراد العائلات الذين يسكنون فى أكواخ متقاربة ويتعاونون معا فى الحياة اليومية منحدرون جميعا من جد واحد يرجع فى الغـالب الى الجد الثالث أو الرابع للصاعد ، وذلك بعكس أفراد البدنه الكبرى الذين يتوزعون بين القرى المختلفة ولا يتعاونون الا فى المهم من الأعمال الخطيرة فان هؤلاء يرددن نسبهم وأصلهم الى جد يرجع الى الجيل

---

(١) ايفانز برنتشارد « الانثروبولوجيا الاجتماعية » ترجمة / احمد أبو زيد . الهيئة المصرية العامة للكتاب — الطبعة الخامسة ١٩٧٥ من ص ١٣٥ — ص ١٣٨ .

العاشر أو الثانى عشر الصاعد ، بمعنى أن وحدة القرابة يتلازم مع انتشارها فى المكان ومع عمقها فى الزمان ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان النوير لا يحددون وقوع الحوادث بتواريخ معينة وانما يؤرخون لها فى ألفاظ بنائهم الاجتماعى ، بمعنى أنهم يقولون أن حادثا وقع حين كانت طبقات العمر المســماه thur مثلا تشكل مرتبة الابطال . وهكذا ...[1] والقبيلة فى النوير تمتاز بوحدتها الاقليمية . بحيث أن كل قبيلة لها مراعيها ومياهها الخاصة[2] ولها مناطق صيد أسماكها بحيث لا يجوز لغيرها أن تمارس ذلك فى منطقتها ، كما أن كل قبيلة يوجد بها عشيرة مسيطرة وهدف يجعل للوحدة السياسية معنى قرابيا . والقبيلة هناك تنقسم الى أقسام أصغر غير أن الأقســـام الأصغر تذوب فى الوحدة القبلية الكبرى . ولهذا فان الخلافات التى تقع فى القبيلة يعتبرونها شؤونا داخلية يجرى حلها والبت فيها عن طريق التحكيم والطرق السلمية ، وفى نفس الوقت يتم اتحاد الأقسام الصغرى مع القبيلة الأم ضد الخصوم الخارجيين من أية قبائل أخرى ، ولهذا جاز أن نقول أو أن نعتبر القبيلة أكبر جمـــاعة سياسية . وأن الوحدات أو الأقســــــام الأخرى انما هى أقسام ووحدات داخل القبيلة الكبرى . ولهذا نجد أن هناك نظاما لفض المنازعات الداخلية ، فعندما يحدث أن يقتل شخص شخصا آخر من نفس قبيلته فانه فى أحيان كثيرة — ونادرا ما يحدث خلاف هذا — انهـــاء الخلاف بدفع (الدية) لذوى القتيل بأعداد من الماشية . وبالتالى يتم تجنب وقوع حالة طلب الثأر أو (عداوة الدم) بينما يستحيل أن يتم الأمر بهذه الطريقة فى حالة كون القاتل من خارج قبيلة المقتول . بل ان الحرب واقعة لا محالة .

وليس كل نزاع من هذا النوع يمكن حله بسهولة بل ان الأمــر

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى الفصل الثانى ص ٤١ .

(٢) E. E, Evans-pritchard, the Nuer : A Description of the modes of livelihood and political Institutions of a Nilotic People (Oxford 1940) p. 275-276.

يختلف باختلاف قبيلة أو قرية القاتل والمقتول • فكلما كان القاتل والمقتول من قرية واحدة كلما كانت الأمور مهيأة لأن تسوى بسهولة • وكلما كبرت الوحدة الاقليمية أو الأقسام القبلية كلما كانت الأمور فى تسوية النزاع أكثر تعقيدا • وذلك معناه أن للقانون القبلى فاعلية تختلف باختلاف (البعد البنائى) الذى يقوم ويفصل بين الأطراف المتنازعة ، ومهما يكن الأمر فان القبيلة على هذا الأساس تبدو وحدة متماسكة • فاما أن يتم تسوية الخلاف بالطرق السلمية وذلك مدعاة الى المحافظة على وحدة القبيلة ، واما أن يطول النزاع وعندها تنقسم القبيلة الى شطرين مستقل الواحد عن الآخر •

وحرية الحركة ميسرة لدى النوير فبامكان شخص أن ينتقل من مكان الى آخر ، ويمكنه أن يتزوج من خارج القبيلة • وهذا يؤدى الى وجود علاقات مع الآخرين عن طريق المصاهرة ، وعلى الرغم من كل ذلك فان للنويريين لغة خاصة وثقافة موحدة • وهذا ما يفسر لنا سرعة الاتحاد بين أقسام القبيلة المختلفة فى حالات الحروب بغرض الهجوم أو الدفاع على القبائل المجاورة •

القبيلة فى بيورى اللاماب[١] :

الوحدة السياسية والقرابية فى (بيورى اللاماب) هى القرية • وقد أوضح المؤلف أن « بيورى اللاماب » عبارة عن اتحاد عدد من المهاجرين الى هذه المنطقة ، هذه الهجرة تمت اما لوجود أقارب فيها للمهاجرين أو عن طريق الزواج والمصاهرة وهم فى الأصل ينتمون الى عدد من القبائل • هذه القبائل اما عربية فى أصلها واما نوبية ، وكلمة (لاماب)[٢] تعنى سلالة أولئك الذين تجمعوا فى هذه المنطقة وتقوم بينهم روابط قرابية كبيرة • ويسود بين أعضاء القبيلة الود والتفاهم ،

(١) Harold, B. Barclay. A suburban Village in the Sudan. Cornell University Press, 1964 p. 46-97.

(٢) Ibid. p. 10.

ويتم حل الخلافات فيما بينهم عن طريق تدخل المشائخ لحلها •

و (بيورى اللاماب) جزء من عمودية البرارى (والعمودية) وحدة سياسية داخل السودان تضم عدد من القرى الصغيرة ، يحكمها عمدة ويساعده عدد من الشيوخ •

وليست للمشائخ هناك أهمية كبرى حيث أن وظائفهم لا تتعدى حل المنازعات والمحافظة على النظام المحلى ، بمعنى أنهم يقومون بمساعدة العمدة فقط اضافة الى أن الشيخ يعد قائمة بالضرائب على الأفراد ويجمعها مباشرة منهم ويسلمها بدوره الى العمدة الذى يعطيه نسبة معينة منها لقاء خدماته وقد كان لتدخل الحكومة المركزية فى السودان أثره الفعال فى الغاء النظام القبلى فى هذه المنطقة •

ويرى «Mitchell» [(١)] أن الوضع الاجتماعى والحياة القبلية فى أفريقيا تتناقض تناقضا شديدا مع ما هو واقع فى المدينة • فالافريقى « القبلى » يشعر بالاحترام الشديد الى درجة التقديس لقبيلته ، ويعتمد الأفراد فى القبيلة اعتمادا كبيرا على السلطة السياسية التى يمثلها (الشيوخ) لحل قضاياهم ومشكلاتهم والدفاع عن حقوقهم واستردادها فى حالة اغتصابها من أفراد آخرين وتربط بينهم روابط قرابة معقدة ، ويشعرون بالولاء لموطنهم الأصلى ويظلون يذكرونه ويحنون اليه وهم فى هجرتهم الى المدن القريبة من مواطنهم الأصلية للعمل وتحسين مستواهم الاقتصادى، وكثيرا ما يتعرض القبلى المهاجر لاحباطات عديدة نتيجة لعدم اندماجه الكلى فى مجتمع المدينة ولعدم مطابقة سلوكه لسلوك المدينين فيها ، وقد ذكر أن ثقافة القبليين تشبه ثقافة (العصر الحجرى) فى نظمها وطرائقها ، فالمؤسسات القبلية التى تقام لمواجهة الاحتياجات فى النظم الاجتماعية القبلية تختلف اختلافا شديدا عن مثيلاتها فى مجتمع المدينة • وهذه الأنماط فى سلوك القبلى انما هى أنماط الأصول القبلية

---

(١) G, Clyde. Mitchell., In Michaell Banton. The Social Antrhopology of Complex of Societies p. 37-60.

التى ينتمى اليها ، والقبلى ان استطاع أن يعدل فى سلوكه فانما هو تعديل مكانى سرعان ما يزول بعودته الى موطنه الأصلى حيث يمارس سلوكه السابق • والعلاقات بين الأفراد فى القبيلة تقوم على أساس العلاقات العائلية والقرابية والولاء للزعماء والرؤساء والامتنـاع عن ممارسة محرمات القبيلة والتمسك بعقائدها وكل هذه أنماط متأصلة فى نفوس الأفراد وعقولهم •

وقد تحدث « شابيرا Schapera »[1] عن قبائل « البوشمن » الذين يعتبرون من الشعوب الشديدة البساطة ، ولا يعيشون فى دولة ، فذكر أنهم بعيدون عن حياة الفوضى التى لا ضابط لها • فهم يعترفون بحقوق الأفراد من ناحية الملكية وكذا •• الزوجات « ولهم وسائلهم المقررة فى عقاب الأشخاص الذين لا يحترمون هذه الحقـوق حيث توقع عليهم العقوبات المختلفة التى قد تتخذ الشكل الجماعى • وبخاصة على الأفراد الذين يشكلون تهديدا للأمن العام • ويتعاون الأفراد فى كثير من المناشط مثل القنص ، أو عند الانتقال من مكان الى آخر ، والدفاع عن الأرض ، ومهاجمة الأعداء ، ومع أن أفراد الجماعة من الرجال يشتركون معا فى اتخاذ القرارات الا أن (الشيوخ) عندهم يتمتعون بنفوذ كبير ويقومون بأدوار قيادية • بالاضافة الى الاشراف على الشعائر الدينية ومراسيم الاحتفالات ، وهذا يعنى أن الجماعة عند (البوشمن) وحدة منظمة الى حد كبير ، لها وسائلها الخاصة فى اقرار التماسك والنظام والاستقلال وعلى هذا يرى (شابيرا) بأنها وحدة سياسية لأن الجماعة عندهم تخضع لنسق معين من الضوابط[2] •

هذه النماذج التى عرضناها عن صور التنظيم القبلى لدى مجتمعات قبلية فى افريقيا توضح لنا أن صور التنظيم مع اختلافها فى الشـكل

---

(١) أحمد أبو زيد — البناء الاجتماعى — مدخل لدراسة المجتمع . الجزء الثانى — الأنساق . الهيئة المصرية العامة للكتا ب١٩٧٢ الطبعة الثانية ص ٤٧٢ .

(٢) أحمد أبو زيد — المرجع السابق — ص ٤٧٣ .

والمضمون تسعى لخدمة هدف واحد • وهو المحافظة على بناء القبيلة واستمرارية هذا البناء ، والسلطة التى يتمتع بها شيخ القبيلة أو زعيمها أو الوحدة الاجتماعية التى فيها الزعامة • انما هى سلطة تمثل مصلحة القبيلة ككل ، فعندما يأمر شيخ القبيلة بعقاب شخص ما خرج على القانون القبلى • فانه بذلك لا يقصد عقاب هذا الشخص مجردا وانما يعنى الردع لمن تسول له نفسه القيام بعمل مماثل ويعلن أن القانون القبلى شىء هام لا يمكن السماح بالخروج عليه ، ولذلك يوافق كل الأفراد على مثل هذا العقاب لأن فى ذلك مصلحتهم ومصلحة القبيلة •

ولا تختلف صور التنظيم هذه التى عرضناها عن صورة التنظيم القبلى فى مجتمع بنى كبير ، فالشيخ يتمتع بسلطة كبيرة ومجلس القبيلة يعاونه فى ادارة هذه السلطة بما يتفق ومصلحة القبيلة •• ولا تقبل القبيلة فى بنى كبير من أحد أن يخرج على القانون القبلى حتى ولو كان شيخ القبيلة نفسه •

وقد روى الاخباريون واقعة تقــول أنه فى فترة تعود الى ما قبل (٨٠) عاما كان هناك شيخ لقبيلة بنى كبير انتخبه مجلس القبيلة لشغل هذا المنصب واستمر فيه عدة سنوات ، لكن هذا الشيخ عاقب أحــد الأفراد بأن استولى على متاع يخص هذا الفرد نكالا له لانه أولم وليمة ولم يبعث بنصيب الشيخ من هذه الوليمة ، فكان أن غضب الشيخ وبعث بأحد معاونيه ليستولى على متاع هذا الفرد • فأشتكى الرجل لمجلس القبيلة ظلم الشيخ وجوره • فأجتمع المجلس ونظر فى تصرف هذا الشيخ • وقرر أنه تصرف غير لائق فذهب أفراد من المجلس الى الشيخ وطلبوا رد متاع الرجل فوافق الشيخ على ذلك وقرر المجلس بعدها خلع الشيخ وتنصيب آخر مكانه •

هذه الواقعة تبين لنا أن منصب شيخ القبيلة يكسبه الاحترام والتقدير ، ويفرض على أفراد القبيلة السمع والطاعة لتحقيق الضبط الاجتماعى فى القبيلة ، لكن الاحترام والتقدير يسقط ويخرج الأفراد عن

الولاء للشيخ اذا صدر عنه سلوك يخالف المصلحة ويعتدى به على حقوق الآخرين وحريتهم ويستغل سلطته لتنفيذ مطامعه الخاصة والشخصية • فاستبدال الشيخ نظرا للسلوك الذى ذكرناه يؤكد أن الشيخ ليس فوق القانون وانما أعطى سلطة لتنفيذ القانون بوجهة سليمة • هذا النموذج قد لا يكون واضحا لدى مجتمع النوير أو البوشمن ، ذلك لان الشيخ أو الزعيم هناك يتمتع بسلطته بناءا على عوامل منها قدرته فى نظرهم على القيام بأعمال خارقة تتعلق بالسحر وما شابه ذلك • فى حين أن الشيخ فى قبيلة بنى كبير لا يدخل فى الاعتبار أثناء اختياره مثل هذه الأمور وانما يتركز اختياره أيضا على عدة عوامل منها تطبيقه للقانون بطريقة موضوعية كما سنتحدث عن ذلك فى فصل البناء السياسى لقبيلة بنى كبير •

نظم القرابة والزواج :

تميل بعض المجتمعات القبلية وغير القبلية الى تحبيذ فكرة الزواج من الداخل «Endogamy» أى نظام الزواج من داخل الوحدة القرابية الدموية كأن يتزوج الفرد من أبنة عمه[1] « وهذا النوع من الزواج منتشر بين القبائل العربية ، بغرض حصر الأرض فى نطاق العائلة الممتدة وتقوية الروابط القرابية • ذلك لأن الأولاد الناتجين عن هذا الزواج سيبقون فى نطاق « البدنه » مما يكسبها منعة وقوة فى وجه أعدائها[2] أما فى قبائل الهند الشمالية حيث يبدو ذلك بوضوح فى القرى الواقعة هناك فتوجد علاقات قرابية عن طريق الزواج واسعة الانتشار اذ يحبذ القرويون فكرة الزواج من خارج مجتمعهم ، ففى « البنجاب » على سبيل المثال

---

(١) روبرت ردفيلد ، المجتمع القروى وثقافته — ترجمة ، فاروق محمد العادلى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب — فرع اسكندرية ١٩٧٣ ص ١١٠ •

(٢) لم يحبذ الدين الاسلامى فكرة الزواج من ذوى القربى ، بل كره هذا النوع من الزواج وجاء فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزوجوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا » ومن الحكم المشهورة عند العربى « اغتربوا لا تضووا » .

يقال أن كل قرية لها مجموعة تقليدية من القرى تتزوج من فتياتها ، ومجموعة أخرى تزوج فتياتها اليها[1] . وهو ما يطلق عليه اسم الزواج الخارجي «Exogamy» أى نظام الزواج من خارج الوحدة الاجتماعية » والأصل فى هذا النظام يقوم على أساس الاعتقاد بأن أعضاء العشيرة الواحدة أو القبيلة أقارب منحدرين من نسل جد مشـــترك ، وبناء على ذلك يحرم الزواج بين أعضاء تلك العشائر أو القبائل ، وعلى العضو أن يتزوج من خارج عشيرته أو قبيلته .

ويعلق — مالينوفسكى على ذلك ، بأنهـــا وظيفة هامة تهدف الى تأكيد تماسك العشيرة عن طريق توجيه اشباع الدافع الجنسى نحـــو أفراد من خارج العشـــيرة حيث لا تحدث مشاجرات بين أعضاء العشيرة الواحدة بسبب التنافس على الزواج من « الفتيات الجميلات » .

وتؤدى قاعدة الزواج من الخارج دورا هاما فى توفير علاقات الود والتعاون بين العشائر التى يجمع الزواج بين بعض أفرادها ، لذلك كانت الخاصية الغالبة عند معظم الجماعات القرابية الدموية هى « تطبيق قاعدة الزواج من الخارج ، وذلك لاعتقادهم بأن الروابط القائمة بينهم تصل الى درجة روابط الأخوة والأبوة ولهذا يمتد نظام المحارم ليشمل كل أعضاء الجماعة القرابية الدموية الواحدة .

ويمكن أن نخلص من هذا الى القول بأن لكل مجتمع ثقافته فيما يختص بموضوع الزواج[2] فبينما نجد أحد المجتمعات يحبذ فكرة الزواج الداخلى نجد أن ثقافة مجتمع آخر ترفض هذه الفكرة ، اما للاعتقاد بأن كل الأفراد تربطهم روابط الدم بالأخوة والأبوة واما من الخوف بأن مثل هذا الزواج قد يؤدى الى تعكير صفو الانسجام واساءة الى العلاقات القائمة ولهذا قامت وسائل وأساليب يطلق عليها اسم (قواعد تحريم

---

(١) روبرت ردفيلد — مرجع سابق . ص ١١٣ ، ١١٤ .
(٢) علياء شكرى . الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الأسرة . دار المعارف . الطبعة الاولى ١٩٧٩ ص ١١٤ .

الزنا بالمحارم) وهى تعنى تحريم قيام علاقة زوجية بين بعض فئات الأقارب الدمويين •

ويمكن أن نضيف الى ذلك بأن هذه القاعدة ليست منبثقة أصلا عن طبيعة ثقافية خالصة نستبعد العامل البيولوجي والاعتبارات البيولوجية فى هذا الصدد وفى هذا أيضا لا يمكن الجزم بأن العامل البيولوجى وحده هو الذى أدى الى وجود مثل هذا النظام ذلك أننا نجد أنه لدى بعض الشعوب التى تأخذ بقاعدة تحريم الزنا بالمحارم • تحرم الزواج بين أفراد جماعات قرابية معينة فى حين تسمح بزواج أفراد هذه الجماعة القرابية من جماعات قرابية أخرى وهى جماعات قرابية تجمعها نفس رابطة الدم القرابية البيولوجية التى تجمع أفراد الجماعة الأولى •

وقد أوردت (علياء شكرى) فى كتابها السابق الاشارة اليه مثالا على ذلك فى ص ١١٥ كدليل على صحة هذه الملاحظة الأخيرة فى قواعد تحريم الزنا بالمحارم عند شعب (الكاريرا) وهو أحد الشعوب الاسترالية الأصلية فى غرب القارة الاسترالية فذكرت أن هذا الشعب لا يسمح بالزواج الا من أحد أبناء العمومة أو الخؤولة المتقاطعة • فى حين يحظر تماما الزواج بين أبناء وبنات العمومة والخؤولة المتوازية أو الأفراد الذين ينتمون الى الأجيال السابقة أو اللاحقة على جيل الفرد نفسه ، ويعنى كل هذا أن الشاب فى « الكاريرا » يستطيع أن يتزوج ابنة عمته أو ابنة خالة أى أبناء العمومة والخؤولة المباشرين • وفى نفس الوقت لا يستطيع الزواج بابنة عمه أو ابنة خالته وهن بنات العمومة والخؤولة المباشرين أيضا فهؤلاء القريبات يربطهن بالفرد نفس الدرجة القرابية من الناحية البيولوجية ، لكنهن من الناحيةالاجتماعية من وجهة نظر (الثقافة لدى شعب الكاريرا) ينتمين الى عالمين مختلفين على الأقل فيما يتعلق بالزواج •

وقد سبقت الاشارة الى تعليق (مالينوفسكى) على قاعدة الزواج من الخارج واتفق معه فى ذلك (بيلز وهويجر) فى القول بأن الدافع الجنسى يعتبر عامل تخريب وهدم بصفة عامة • ومن ثم يؤدى الى تفكك

البناء الأسرى ، وهم يرون أن المجتمع الذى يبيح الزنا بالمحارم يعجز عن الحفاظ على استقرار النظام الأسرى[1] .

ويجب أن نلاحظ أيضا أنه بالاضافة الى ذلك فان الزواج الخارجى يخلق نوعا من الروابط الجديدة بين الجماعات المختلفة ومن ثم التأليف بينها فى كيان كلى متعاون أكبر . وهو أيضا وسيلة لتحقيق نوع من التبادل لخلق جو من الهدوء والود بعد الكراهية والحرب .

أما عن نظام القرابة والزواج فى المجتمعات العربية قبل الاسلام فى الجزيرة العربية فانه يمكن القول بصفة عامة بأن القرابة عند العرب قبل ظهور الاسلام لم تكن واضحة المعالم ومحددة كما هو الحال بعد ظهور الاسلام . فالقرابة آنذاك كانت قائمة على الادعاء وليس على صلات الدم . فكان الولد نفسه لا يلحق نسبه بأبيه الا اذا رضى الأب بذلك . فان لم يعترف الأب بأبوته له فانه يصبح عضوا غريبا عن الأسرة ، وفى نفس الوقت كان النظام يسمح لرب الأسرة ألا يلتزم بهذا الاعتراف بصفة دائمة . بل كان لرب الأسرة الحق فى أن يخلع من أسرته من يشاء من أفراد اذا دعت الحاجة الى ذلك كان يقوم أحد الأفراد بارتكاب عمل مشين يستحق عليه الخلع من الأسرة . ويقطع صلته بها يصبح بذلك أجنبيا عن الأسرة لا تثأر له اذا أعتدى عليه أو قتل ولا تؤخذ بجرائر أعماله .

كما عرفت هذه المجتمعات نظام التبنى حتى لو كان هذا الابن ليس من صلب الأب فيحدث أحيانا أن يتبنى رجل أى طفل يشاء وينسبه اليه ويدعى اليه بدلا من أبيه الأصلى ولما ظهر الدين الاسلامى حارب هذا النظام وألغاه حيث يقول تعالى : « وما جعل ادعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » ويقول تعالى : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » .

---

(١) علياء شكرى . مرجع سابق ص ١٢١ .

وهكذا حاربت الشريعة الاسلامية وألغت نظـام الادعاء والتبنى وأقرت فقط بـ « ابن الفراش » الذى يأتى نتيجة لفراش صحيح قائم على عقد زواج شرعى ليلتحـق نسبه بأبيه وأمه من غـير حاجة الى الاعتراف به من قبل الأب .

وقد شاع فى المجتمع العربى قبل ظهور الاسلام أشكال عدة للزواج هى :

١ — زواج المهر أو زواج البعولة :

وهذا الشكل من الزواج لا يتيح للمرأة حق الاعتراض عليه أو ابداء الرأى فكان يدفع الرجل المهر لولى أمر المرأة التى لا تأخذ من هذا المهر شيئا وليس أمامها سوى القبول بالأمر الواقع والا فان أهلها سيمنعونها من الزواج بعد ذلك .

٢ — زواج المتعـــة :

وهو عبارة عن عقد شخص بين الرجل والمرأة لمدة معينة وبمبلغ محدد وينتهى الزواج بانتهاء المدة المتفق عليها ، وفى هذا الزواج يصبح للأبناء حق الانتساب الى الأب والارث منه .

٣ — زواج السـبى :

وكان هذا الشكل من الزواج يتم بعد الحروب والغارات ، فالمنتصر يأخذ مجموعة من نساء المهزوم سبايا تم الاستيلاء عليها بقوة السلاح ويمكنه أن يضاجع واحدة أو أكثر ويوزعن على الرجال المحـاربين ولا يشترط أن تكون السبية راضية أو أن يقدم لها مهر .

٤ — زواج الامـــاء :

وذلك أن يشترى الرجل أمة فيطؤها فاذا أنجبت منه أطفالا أن شاء حررها من الرق وأولادها وان شاء أبقاها وأولادها عبيدا وبناتها اماء .

٥ ــ زواج المقـــت :

ويسمى هذا الشكل أيضا بزواج الارث فقد كان هؤلاء قبل الاسلام يرثون زوجات آبائهم وغير الأباء كما يرثون المواشى والأموال • ولكن الرجل كان لا يرث أمه التى ولدته ويرث ماعداها •

٦ ــ الجمع بين الأختين:

كان المجتمع العربى فى الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام يجيز أن يجمع الرجل بين الأخت وأختها فى بيت الزوجية وتصبحان زوجتان لرجل واحد فى آن واحد ولكن هذا الشكل كان مستقبحا على الرغم من أنه كان قائما •

٧ ــ تعـــدد الأزواج :

وكان يشيع فى الجاهلية تعدد الأزواج • دون التقيد برابطة القرابة فيما بينهم ، وقد ورد فى الأثر عن السـيدة عائشة رضى الله عنها • أنها قالت : (كان يجتمع الرهط من الرجال ــ وهم دون العشرة ــ فيدخلون على المرأة فيصيبونها ، فاذا حملت ووضعت ترسل اليهم فلا يستطيع واحد منهم أن يمتنع عن الحضور ، فاذا اجتمعوا عندها تقول لهم : قد عرفتم ما كان من أمركم • « وقد ولدت » فهو ابنك يا « فلان » وتسمى من أحبت باسمه فيلحق به ولدها • ولا يستطيع أن يمتنع عنه الرجل • يتضح من ذلك أنه كان للمرأة معاشرة أقل من عشرة من الرجال • لكنهم كانوا يرون أن التى تزيد عن التسعة انما هى امرأة (بغيه) ولا يشترط وجود روابط قرابة بين الرهط ، وكانت معاشرتهم للمرأة غير دائمة ، ولم تكن لهذه المعاشرة مقومات الحياة الأسرية فى الحقـــوق والواجبات سوى أنها تلزم من أرادت ببعض القيود فيما يتعلق بالأولاد •

٨ ــ زواج الاستبضـــــاع :

وقد كان عندهم أيضا هذا النوع من الزواج وهو زواج الاستبضاع وهو يعنى أن يكون للمرأة زوج واحد ، لكن يباح لغير زوجها أن يتصل

بها فى فترات محددة قبل زفافها أو بعده فى فترة معينة وبقيود خاصة ، دون أن يكون لهذا الرجل حق الزواج بها • فالرجل يترك زوجته تتصل جنسيا بأحد الرجال العظماء علها تنجب له من يحمل صفات العظمة ، وكان الزوج فى تلك الفترة لا يقترب من زوجته حتى يتأكد من حملها من هذا العظيم •

٩ — زواج الشـــغار :

وكانت بعض قبائل العرب فى الجاهلية تبيح الاختلاط بين الخطيبين دون قيود قبل الزواج ، فيحق للرجل الاتصال جنسيا بخطيبته ، فاذا قبل كل منهما الآخر تم العقد واذا لم يقع القبول بين الطرفين أمكنهما العدول عن الزواج • ويسمى عندهم هذا (نكاح السفاح) أما زواج الشغار فهو يعنى أن يتم التبادل بين رجلين كل منهما من كان وليا لأمرها للآخر فى عملية تبادل دون أن يدفع أحدهما لزوجته مهرا •

١٠ — تعـــدد الزوجات :

تعدد الزوجات لم يكن له حدود فى الجاهلية بمعنى أن للرجل الحق فى أن يتزوج أى عدد من النساء طالما كانت لديه المقدرة على ذلك • وقد ورد فى الأثر عن عبد الله بن عمر رضى عنهما قال : « اسلم غيلان الثقفى وتحته عشر من النساء ، واسلمن معه ، فأمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يختـــار منهن أربعا ويدع خمســـا » •

وعن نوفل بن معاوية قال : « أسلمت وتحتى خمسا من النساء[١] فسألت الرسول صلى الله عليه وسلم فقال « فارق واحدة وامسك أربعا »•

وبعد ظهور الاسلام استقرت الأوضاع الاجتماعية فيما يتعلق

---

(١) اعتمدنا فى كتابة أشكال الزواج فى الجاهلية على كتاب (فتح البارى بشرح صحيح الامام ابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى) للامام الحافظ . أحمد بن حجر العسقلانى « منشورات المكتبة السلفية » القاهرة ص ١١٣ ص ١٦٢ .

بالزواج ووضع الاسلام قيودا وضوابطا تكفل استمرار الحياة الاجتماعية واستقرار الأسرة والحياة الزوجية داخل الأسرة نفسها وبالتالى فى المجتمع الاسلامى كله • ورفع مكانة المرأة الاجتماعية ورد لها حقوقها التى كانت سلبية ، بأن حرم تلك الأشكال السابقة للزواج ، واعطى للمرأة الحق أن تختار الرجل الذى تشاركه الحياة ضمن اطار الشريعة الاسلامية • وأن يكون لها مهر وأن يتم العقد الشرعى فى الزواج• وأتاح الاسلام للمرأة الفرصة فى أن تطلب الانفصال عن زوجها اذا كرهت معاشرته نتيجة لسوء خلق أو خلق ، أو تضررت من استمرارية الحياة معه • بأن تتنازل للزوج عن بقية صداقها أو بعض أثاثها •

وباختصار فان الاسلام أتى بتنظيم جديد للحياة الزوجية ووضع القيود والروابط التى تعود بالطمأنينة والاستقرار على الحياة الزوجية والاسرة ابتداء من مرحلة الخطوبة وانتهاءا بمرحلة الطلاق •

الضبط الاجتماعى فى القبيلة :

رأينا فى أول هذا الفصل صورا للتجمع القبلى وأسبابه وعرفنا بعد ذلك التنظيم السياسى والاجتماعى والقرابى ثم نظم الزواج ، وكنا قد أشرنا اشارات متفرقة الى أن المجتمع القبلى يمتاز بالترابط والشعور بالوحدة والمصير المشترك وأشرنا من الناحية المورفولوجية الى أن القبلية نظام يمتاز بالبساطة فى التركيب سواءا من حيث عدد السكان وكثافتهم أو عدد المؤسسات الاجتماعية فيه وأنه يمتاز بضيق نطاق العلاقات الى آخر ذلك ••• ولكى تسير الأمور فى مجراها الطبيعى مما يحقق للقبيلة البقاء والاستمرار لابد من وجود وسائل وأساليب للضبط الاجتماعى ، وكان (شيخ القبيلة) ومجلس الشيوخ فيها يمثلون السلطة السياسية العليا لتنفيذ وتحقيق الضبط الاجتماعى ، بالاضافة الى سلطات الأب المطلقة على أسرته • « وتحريا للدقة » لابد أن نقول أن سلطات شيخ القبيلة تختلف باختلاف القبائل نفسها واختلاف ثقافتها • لكنه بوجه

عام يمكن أن نشير الى أن أهم أعمال شيخ القبيلة[1] هى تحديد مناطق الرعى للقبيلة بالاتفاق مع شيوخ القبائل الآخرين ثم تحديد مواعيد الظعن اليها ، وهو القائد فى القبيلة لاعلان الحرب أو اقرار السلم • وهو الذى يصدر الأوامر بالنسبة الى عمليات السلب والاغارة ويمثل القبيلة وينوب عنها فى عقد الاتفاقيات واللقاءات مع شيوخ القبائل الأخرى وعملية الضبط الاجتماعى فى المجتمعات القبلية تستند فى الأصل الى العرف القائم لدى كل قبيلة وشيخ القبيلة يطبق قوانين العرف هذه بصرامة تامة ويرجع ذلك الى عزلة مثل هذه المجتمعات بالاضافة الى انها فى صراع دائم مع البيئة من أجل البقـــاء • والأعمـــال التى تمارس بسببها عمليات الضبط الاجتماعى تختلف بين جرائم كبرى وصغرى فالكبرى على سبيل المثال تتمثل فى القتل وتشويه أعضاء الجسم أو تعطيلها والخطف و (قطع الجيرة) وهى تعنى الاعتداء على شخص مستجير بحمى القبيلة وسرقته أو استغلاله • أما الجرائم الصغرى فهى مثل الطعن الذى يترتب عليه جرح والضرب • وجذب شعر اللحية • والشتائم •

وتختلف العقوبات باختلاف الجرائم وأنواعها فعند وقوع جريمة القتل يقوم أهل القتيل بالثأر له أو تقـــوم القبيلة بهذه العملية نيابة عن ذويه ان كانت الجريمة وقعت من شخص خارج القبيلة ، وفى العرف القبلى قد يتعرض الزانى لعقوبة الاعدام • وهنا ملاحظة نذكرها وهى أن القبلى شديد الانتماء الى قبيلته ، ولهذا فان عقوبة « الخلع » من القبيلة تعتبر من أشد العقوبات التى قد يتعرض لها الأفراد فى هذه المجتمعات •

ومن أجل المحافظة على وحدة القبيلة وترابطها وبقائها كوحـــــدة متماســـكة فانه فى أغلب الأحيان يقوم شيخ القبيلة أو الزعيم فيها بحل الخلافات والقضاء على النزاع وبدون شك فان أى من الطرفين المتنازعين سيشعر بالظلم لكنه يرضى بما يحـــكم به هذا الشيخ تقديرا له ولمصلحة القبيلة العليا •

---

(١) عاطف وصفى . الانثروبولوجيا الاجتماعية . مرجع سابق .

ويمارس هؤلاء الشيوخ أو الزعماء الى جانب ذلك دورا قياديا فى المجـال الدينى فهم الذين يحددون أماكن ومواعيد الطقوس الدينية وتحديد أنواعها كما هو الحال لدى الزعماء عند قبائل النوير(١) .

وفى مجتمع بنى كبير يمثل شيخ القبيلة السلطة العليا لتحقيق الضبط الاجتماعى فى القبيلة شريطة أن يرعى مصلحة القبيلة عند استخدام هذه السلطة . وقد كان من وسائل الضبط الاجتماعى . الدية أو القصاص فى حالات القتل ، أو اهدار دم الجانى فى حالة هربه أو التشـهير به فى الأسواق وهجاؤه بالأشعار والذم أو طرده من القبيلة وخلعه منها أو ضربه على مشهد من الناس (وحلق لحيته) أو ايقاع عقوبة مالية عليه ، وذلك تبعا للجرم الذى اقترفه فى حق شخص أو أشخاص فى القبيلة أو خروجه على القانون القبلى . أما المهاجرون الى القبيلة أو الحلفاء الذين استقروا فى أراضيها فكانت توقع عليهم عقوبة الطرد فقط مع التشهير بهم ماعدا فى حالة القتل فان القصاص هو العقوبة الوحيدة لهؤلاء طبقا للشريعة الاسلامية (٢) .

وهكذا نلاحظ قسوة وسائل الضبط الاجتمـاعى ، لكن الضرورة

---

(١) انظر الفصل الثانى من هذه الدراسة ص ٣٩ .

(٢) وقد نظم الدين الاسلامى العقوبات ، واوضح الجزاء الذى لابد أن يوقع على الجناة لقاء الافعال التى ارتكبوها فى حق الافراد والجماعات ويهدف بذلك الى حفظ النفس الانسانية وصون كرامتها ، وعدم انتشار الجريمة فى المجتمع . والدين الاسلامى بذلك حدد العقوبة التى تنتظر الجانى قبل أن يقدم على جريمته ، كما ورد فى قوله تعالى :

« وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » سورة المائدة آية ٤٥ .

وكما فى قوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم » .

وقال تعالى : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب » .

سورة البقرة آية رقم ١٧٨ ، ١٧٩ .

هى التى أملت هذه القسوة ، فطبيعة الحياة القبلية القاسية ووجـــود الفرص الكثيرة للخروج على القانون هى التى دعت الى هذه القسوة محافظة على وحدة القبيلة واستمرارها •

تعـريف القبيـلة :

فى ضوء العرض السابق لمفهوم القبيـــلة فى منـــاطق مختلفة من العالم التى قال بها عدد من المهتمين بالقبيلة والبناء القبلى • وعلى ضوء ما توفر لدينا من فهم للقبيلة والبناء القبلى نتيجة لدراستنا الميدانية ، واطلاعنا بقـــدر الامكان على آراء مختلفة أشرنا الى عـــدد منهـــا فى الصفحات السابقة فانه يمكن أن نقول بأن مفهوم القبيلة فى المجتمع العـــربى السعودى يعني : ـــ

« أن القبيلة عبارة عن اتحاد يمتاز من الناحية المورفولوجية بالقدرة على الاستمرار وعلى المحافظـــة على استمرار صـــلات وروابط الدم القائمة بين أفراد القبيلة التى أوجدت هذا الاتحاد أو هذه الوحـــدة بين الأفراد والجماعات داخل القبيلة • وأن هذا الشعور القوى بالوحدة يرتبط فى أساسه بالاضافة الى روابط الدم » بالأرض « التى تعيش عليها القبيلة • وبوحدة الهدف والمصير والمعيشة المشـــتركة ، والتاريخ والحضارة اللغة والدين الواحد » •

ومما يميز القبيلة فى المجتمع العربى السعودى ما يلى :

(١) ليس شرطا أن يرتبط مفهـــوم القبيلة بالبـــدو والحيـــاة البدوية ، كما هى الفكرة السائدة لدى الكثير من الدارسين فى ميادين الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع • ذلك لان معظم القبائل لا تعيش حياة البادية التى من سماتها الرئيسية الاعتمـــاد على الماشية أو ممارســـة الرعى والترحال وغيرها من الخصائص البدوية بل أن هذه القبـــائل عرفت حياة الاســـتقرار • ومارست الزراعة وهو ما يجعلهـــا تعيش حيـــاة ريفية وليست بدويه •

(٢) أن القانون والعرف القبلي — على الأقل بعد ظهور الاسلام يستمد فى اصوله من تعاليم الدين الاسلامى ، فالقانون والعرف جيىء بهما من أجل المحافظة على الحقوق والواجبات بالنسبة لأفراد القبيلة . والدين قد نظم هذه الحقوق وبين هذه الواجبات .

(٣) أن استمرار القبيلة أو استمرار قوتها وتطبيق قوانينها ليس مرتبطا فى الأصل بمنصب شيخ القبيلة . صحيح أن شيخ القبيلة هو السلطة السياسية المنفذه للقانون القبلى بدعم من مجلس القبيلة ، ولكن للقبيلة ممثلة فى مجلسها أن تسحب لقب مشيخةالقبيلة منأى شيخ ترى أنه غير كفؤ للقيادة أو ليست لديه القدرة على الاستمرار فيها . بدليل أنه تعاقب على هذا المنصب فى المائة سنة الاستمرار فيها . بدليل أنه تعاقب على هـذا المنصب فى المائة سـنة الماضية أربعة شيوخ كل منهما ينتمى الى عائلة لا تمت بصلة الى الأولى وسنشير الى ذلك فى صفحات لاحقة .

(٤) أن القبيلة على الأقل فى « بنى كبير » تمتاز بنسب صريح يعود الى مئات السنين وحتى الى قبل البعثة النبوية وظهور الاسلام ، بمعنى أنهم يعتقدون أن الأنساب فيها لم تختلط بعناصر وافدة من خارج الجزيرة العربية كما هو الحال فى مـدن المملكة ، أما بالنسبة للأفراد المتواجدين بها من صانعى الفخار ، فان القبيلة لم تلحق هؤلاء بنسـبها ، ولا زالت تميز بينهم وبين الأفراد ذوى النسب الصريـح فتنسبهم الى جدهم الـذى وفد على القبيلة ليمارس هـذه المهنة . فلا يقال مثلا (فلان الكبيرى) نسبة الى بنى كبير وانمـا ينسب الى جده المعروف أو الى مهنته المعروفة . فيقولون مثلا (فلان الصانع) .

(٥) أن القبيلة لم تعرف نظام الانتسـاب الى الأم . كما هو الحال لدى معظم القبائل خارج المملكة ، كما أنها من ناحية أخـرى لا تغير اسمها تبعا لاسم شـيخ القبيلة ، فقـد ورد اسم بنى كبير كما أسلفنا قبل ظهور الاسلام . ولم يتغير حتى الآن على الرغم من

تعاقب الكثير من الشـيوخ الذين ينتمـون الى عائلات مختلفة على منصب شيخ القبيلة •

٦ — أن القبيلة ليست لها شعارات تميزها عن غـيرها كما هـو الحال لدى معظم القبائل خارج المملكة العربية السعودية ، بل ان السمة الوحيدة المميزة هى الانتساب كأن يقال هذا كبيرى أو هذا ظبيانى نسبة الى قبيلة بن ظبيان وهكذا •

٧ — أن القبيلة لم تعرف نظما وضعية للمحارم كنظام المحـارم التوتمية التى تعتبر المنتسبين الى توتم واحد أخوة يحرم زواجهم من بعضهم البعض ، أو نظام المحارم بين طبقات العمر لدى مجتمع النوير ، الذى يعتبر أصحاب طبقة العمر الواحدة اخوة لا يصح زواج بعضهم من بعض ، بل ان نظام المحارم الوحيد هو ما ورد فى الشريعة الاسـلامية فقط •

تلك فى رأينا أهم مميزات القبيلة فى المجتمع العربى السعودى ، ولسنا على أى حال نقول بأن هذه السمات تشمل جميع القبائل فى المملكة العربية السعودية لأن فى ذلك تعميم قد يكون خاطئا ، وانما يمكننا التأكيد على أن هذه السمات تنطبق تماما على القبيلة موضوع الدراسة •

الفصل الثانى

أهم الدراسات السابقة عن القبيلة

أولا : دراسة ايفانز برتشارد عن (النوير)

أقام ايفانز برتشارد حوالى عاما كاملا فى منطقة البحث قضاها على فترات متفرقة فى الفترة ما بين عام ١٩٣٠ الى عام ١٩٣٦ ، وقد قـــدر عدد سكان قبائل النوير وقت اجراء البحث بحوالى مائتى ألف نســـمة ٢٠٠,٠٠٠[1] .

وقدم ايفانز برتشـــارد لكتابة عن (النوير) بلمحة عن المنطقـــة الجغرافية لمجتمع النوير . فأشار الى أن البيئة الطبيعية تلعب دورا هاما فى حياة السكان . فمثلا الأمطار تبدأ بغزارة فى شهر « مايو » من كل عام حيث يؤدى ذلك الى فيضان الأنهار وما أن يأتى شهر يونيو حتى تكون كل المنطقة تقريبا قد تحولت الى مستنقعات . وقد تنبه النويريون الى ذلك فقاموا ببناء منازلهم فى قرى تقع على روابى مرتفعة كى تحميهم من مياه الأمطار وفى هذا الفصل الممطر يشتغلون بزراعة الذرة الى جانب رعى الماشية وبعد نهاية فصل الامطار يخرجون مع ماشيتهم يتنقلون بها من مكان خصب الى آخر وينصـــبون مخيماتهم فى كل مكان حلوا به . ويستمرون هكذا حتى يبدأ سقوط الامطار من جديد وعندها يعودون الى قراهم مرة أخرى وهكذا ..

والماشية لديهم تلعب دورا هاما فى الحياة الاجتماعية ، حيث يقول « برتشارد » فى هذا أن أحسن نصيحة تقدم للباحث عندما يريد فهم

---

(١) E, E., Evans-pritchard, the nuer : A description of the mods of livelihood and political institutions of a Nilotic People-Oxford 1948.

السلوك الاجتماعى للنوير هى عبـــارة (فتش عن البقرة) [١] فالغذاء الاساسى وخاصة للاطفال هو حليب الماشية ولهذا كانت البقرة لديهم ذات شأن كبير خصوصا اذا كانت تدر حليبا كثيرا • ومن ناحية أخـــرى فهم يحبون كثيرا أكل لحوم الماشية وليست لديهم حرمة فى أكل لحم الميتة أو الدم • فاذا مات ثور أو خروف مثلا ميتة « طبيعية » فانهم يأكلون لحم أى منهما • والنوير يأكلون دم الماشية ويشاركهم فى ذلك كثير من قبائل شرق أفريقيا المشتغلون برعى الماشية ، حيث يتم استخراج الـــدم من « رقاب الماشية » ثم يؤكل فى فصل الجفاف • وتتلخص طريقة استخراج الدم هذه بأن يتم ربط عنق البقرة ربطا قويا حتى تبرز عروق الرقبـــة فتطعن بسكين حيث يسيل الدم منها فى اناء أعد لهذا الغرض حتى يمتلىء ثم تطلق البقرة ويفك الرباط ولكى يلتئم الجرح يضعون عليه قليلا من روث الماشية • ثم تقوم النساء بوضع الدم باناثه على نار حتى يتجمد ثم يؤكل بعد ذلك أو بعد أن يتجمد الدم فى الاناء يشوى على « الجمر » ويؤكل [٢] •

ولأهمية الماشية عندهم فأنه كثير ما يقع بسببها القتال بل وتغـــير بعض القبائل على الاخرى فهى وسيلتهم فى دفع المهـــور عنـــد الزواج والديات عند القتل وحتى تقديم القرابين للارواح ، وليس لديهم حديثا أهم من الحديث عن العجول والثيران والبقرة •••

وأرض النوير غنية بالحيوانات والطيور ولكنهم على الرغم من ذلك لا يأكلون لحوم الطيور على اعتبار انها أكلات خاصة بالاطفال والفقراء الذين لا يجدون الماشية التى تغنيهم عنها • ولا يأكلون أيضـــا لحـــوم الدجاج أو بيضه ولا يربونة فى منازلهم• وعلى الرغم من كثرة الحيوانات فى منطقتهم فأنهم لا يخرجون للصيد بل ويحتقرون هذا العمل حيث ان

---

(١) Ibid, p. 16.

(٢) Ibid, p. 27-28.

هذا عمل يختص بمن ليس لديهم ماشـــية فيضطر الى الخروج لصـــيد الحيوانات(٢) •

ثم يصف برتشارد منازلهم بعد ذلك فيقول : أن منزل الاسرة يتكون من كوخ واحد أو عدة أكواخ وحظيرة للماشية وهذه الحظيرة لها أهميـــة خاصة لديهم ذلك لان الماشية تأوى اليها أثناء موسم الامطار الى جانب بعض شباب الاسرة ويوقدون فى وسطها نارا فى المساء وحتى فى النهار أيضا لتحميها من لدغات البعوض •

وللحظيرة أهمية من الناحية الاجتماعية فى القرية فهى التى يقضون فيها وقت فراغهم ويستقبلون فيها ضيوفهم • والبيت الذى لا تجاوره حظيرة تنتقص مكانة اصحابه الاجتماعية اذ ربما لم تكن لديهم ماشـــية كثيرة ولا يملكون منها الا القليل ثم ايداعها عند أقاربهم فى حظيرة أخرى وهذه صفة تنم عن الفقر بالنسبة للاسرة التى لا تملك حظيرة •

أما كوخ الزوجة فيوجد بجوار « حظيرة الماشية » وله ستار واقى للريح حيث توجد الزوجة تطهو الطعام والستار مركز الحياة الاجتماعية بالنسبة للمرأة المتزوجة فعنده تستقبل صديقاتها وجاراتها أثناء العمل أو فى فترة المساء حيث يتبادلن أطراف الحديث •

أما اذا كان الرجل له عدة زوجات فأن لكل زوجة كوخا مســـتقلا تعيش فيه مع أطفالها حيث ينام الزوج فى كل كوخ وليس له كوخ خاص به • كما أن بعض الاسر الموسرة والكبيرة تقيم كوخا خاصا بالشبان وآخر بالفتيات من أبنائها وكل زوجة أيضا لها حديقة خاصة وصومعة للغلال • والزوج هو مالك الماشية لكنه يقوم بتوزيع هذه الماشـــية على زوجاته للانتفاع بلبنها فقط دون التصرف فيها •

والناحية الاقتصادية لديهم هى مجرد انتاج للاستهلاك لدى الغالبية

---

(١) Ibid, p. 73.

منهم فالاسرة تنتج ما تحتاج لتستهلكه ورغم ذلك فتوجد أعمال اقتصادية تحتاج الى التعاون بين الأقارب والأصدقاء مثل صـيد الاسماك ورعى الماشية أو فى حالة حاجة أحد الافراد الى حفر قناة لحديقته فانه يحتاج الى مساعدة أقاربه وأصدقائه دون أجر لكنه يقدم لهم ثريدا وبيرة فقط. أما ملابسهم فأنهم يسيرون عراة أو شبه عراة وقد يضع الرجل قطعـة جلد على كتفه كما ان المرأة المتزوجة أحيانا تضع على خصرها قطعة من جلد الخروف أو الماعز .

النسق السياسى فى مجتمع النوير :

وحدات البناء السياسى فى مجتمع النوير تتـداخل حتى يبـدو للملاحظ الذى ينظر الى المجتمع فى مواقف معينة مثل حروب الاغارة كأن النوير يكونون بناءا هرميا للسلطة والتى جعلت أصغر الوحدات الاقليمية تذوب وتتحد فى الجماعة الكلية المحـاربة . كمـا أن النـوير أنفسهم يشعرون بهذه الوحدة التى تميزهم عن القبائل والشعوب المجاورة هذا بالاضافة الى أن قيم النسق السياسى تفرض أنواعا من الالتزام يتعدى حدود القبيلة الواحدة داخل النوير ليربط بين عدد من القبائل فى وحدات اجتماعية مؤقتة .

وأبسط ما يميز الوحدة السياسية لدى النوير تمتعها بالاسـم « المميز » وشعورها بالانتماء وهو شـعور مشترك بين أعضـاء القبيلة الذين يقيمون فى اقليم خاص .

والنوير جميعا يميزهم اسـم يجمع بينهم ويستقطب أفرادهم[1] حتى اذا هاجر أحدهم خارج المجتمع ليستقر لدى أصهاره مثلا أو أقاربه فى قبائل مجاورة أو هاجر من أجل مصالحه الخاصة . وهم يشـعرون

---

(1) Evans-pritchard, E. E.; The Nuer, A Description of The modes of livelihood and political institutions of a nilotic people Oxford. 1948, p. 142.

بالانتماء الى مجتمع معين يضمهم فى وحدة سياسية لها حـــدود اقليمية تعتبر حراما على غير « النوير » الا فى حدود العرف وطبقا لقواعده •

والقبيلة فى النوير اذا تتمتع بخصائص معينة من حيث انها وحدة يميزها اسم خاص ويشترك أعضاؤها فى الشعور بالانتماء والارتبـاط باقليم معين ويلتزمون بالاتحاد فى الحروب •

كما أن القبيلة تكون وحدة انقسامية يعكس كل قسم منها نوعا من التناظر فى علاقته بالاقسام الاخرى المماثلة ، وترتبط هذه الاقسام خلال التوزع الانقسامى للعشيرة المسيطرة فى القبيلة بحيث يتـوازى توزع الوحـدات الاقليمية للقبيلة مع التوزيع الانقسامى لبدنات العشـــيرة المسيطرة وبحيث يتوحد كل قسم اقليمى فى النسق ببدنة ذات عمق معين من بدنات العشيرة المسيطرة• وهذا التوحد بين التوزع الاقليمى والتوزع الانقسامى للعشيرة المسيطرة يكون نقطة الأساس فى فهم الأنشطة والعلاقات السياسية فى النوير • ويعتبر أيضا أساس فهم العمليــة الانقســامية نفسها •

هذه الخصائص التى تميز القبيلة لدى النوير تميز أيضا أصــغر الوحدات التى تنقسم اليها القبيلة خلال ديناميات التفاعل الاجتمــاعى الذى يعرض الوحدة الكلية للقبيلة للانقسام أو يفرض على وحداتهــا الصغرى الالتحام فى مواقف معينة •

والوحدة السياسية فى النوير هى « القرية » حيث تتكون القرية من جماعة تربطها وحدة الاقامة المشتركة كما ينتظمها نسق من روابط القرابة ويكون أعضاؤها معسكرا مشتركا ويتعاونون فى مناشط اجتماعية مختلفة ويشعر أعضاء القرية بوحدتهم وارتباطهم العــاطفى بوطنهم الاقليمى الذين يتمنون دائما العودة اليه اذا أقاموا بعيدا عنه لعدة سنوات ، كما يحارب أعضاء القرية جنبا الى جنب ويعضــد كل منهم الآخــر فى طلب الثــأر •

والقرية باعتبارها الوحدة السياسية تكون جماعة قرابية حيث تقوم

بين كل البدنات والجماعات القرابية من ناحية والبدنة المسيطرة من ناحية أخرى روابط القرابة الحقيقية أو المتخيلة بحيث تـكون القرية ككل .. وليس الاطار القرابى للقرية محددا فقط لوحدتها السياسية بل انه يجعل من القرية وحدة اجتماعية تحكمها قيم معينة وبخاصة فيما يتعلق بنمط الزواج الذى تفرضه قواعد الاكسوجامية Exogamus (وهو الزواج من خارج أعضاء الجماعة) على أعضاء القـرية الذين تربط بينهم أنـواع ودرجات مختلفة من القرابة حيث يعتبر نساء القرية جميعا بالنسـبة للشبان فيها أما أخوات أو بنات أخوات وليس للشخص فى النـوير أن يمارس العلاقات الجنسية مع أمه أو أخته بالمعنى الاجتماعى لأن ذلك يعتبر زنا بالمحارم .

وهذه القواعد بطبيعة الحال التى أدت بشباب القرية الى البحث عن زوجات من خارجها قد أوجدت نسيجا من علاقة المصاهرة التى تربط بين الجماعات السياسية المتناظرة والمتقابلة .

على ان الذى يحدد مدى الوحـدة السياسية فى مواقف الثأر أو الحرب هى العلاقة التى تفصل بين الاطراف المتمايزة ومراكزهم النسبية فى البناء القبلى[1] وبمعنى آخر فان الموقف المثالى لتطبيق القيم السياسية تحكم عملية الانقسام والتحام السياسى هو موقف الثأر أو عداوة الدم Blood Fued وهذا الموقف ينشأ من وقوع حادثة القتل التى تكتسب صفة الجريمة بدرجاتها المتفاوتة طبقا للعلاقة بين القاتل والقتيل فالمسافة البنائية التى تفصل بين الجماعة الثأرية التى ينتمى اليها القاتل والقتيل تحدد أنواع ردود الفعل التى تستتبعها هذه الجريمة فقد ينتهى الامر فقط بمرور القاتل بشعائر التكفير أو التطهير دون دفع الدية (اذا كانت حالة القتل قد وقعت فى حدود الجماعة الثأرية الواحدة التى تشترك فى

---

(١) محمد عبده محجوب : الانثروبولوجيا السياسية . مقدمة لدراسـة النظم السياسية فى المجتمعات القبلية ١٩٧٦ — الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١١٥ وما بعدها .

دفع الدية وقبولها • وقد تمتد الى حالة الحرب بين القرى والاقسام القبلية بمستوياتها المختلفة •

والاقسام القبلية من الدرجة الأولى حتى الثالثة تعكس نفس الخصائص التى تتميز بها القبيلة ككل ، واذا قلنا بنسبية البناء السياسى فى النوير فهذا يرجع الى أن وحدة الجماعة السياسية لا تظهر بوضوح وفاعلية الا بالنسبة لموقف أو نزاع معين حيث يحدد مركز طرفى النزاع فى بناء القبيلة حجم كل من الجماعتين السياسيتين اللتين يجب عليهما أن يعضدا طرفى النزاع ، فأذا اشتبك عضو من أعضاء احدى وحدات القسم القبلى من الدرجة الثالثة مع عضو من أعضاء وحدة أخرى فى نفس القسم فلن يظهر على مسرح النزاع سوى القريتين اللتين ينتمى اليهما كل من طرفى النزاع لكن اذا كان أحد الطرفين عضوا فى قسم قبلى آخر على مدى مستويات الانقسام فى القبيلة حتى وحدات القسم القبلى من الدرجة الاولى فأن الجماعات الفرعية فى القسمين القبليين من نفس الدرجة تتحد دائما فى مواقف الدفاع والهجوم •

ويقول ايفانز برتشارد فى هذا الصدد • اننا فى دراستنا للبناء السياسى للنوير كان من الضرورى أن ننظر مع أعدائهم اليهم كما لو كانوا يكونون نسقا سياسيا منفردا • لأن السمة البنائية البارزة التى تتميز بها الجماعة السياسية فى النوير هى « نسبيتها » فالقسم القبلى يكون جماعة سياسية بالنسبة للاقسام الاخرى من نفس الدرجة لكن هذه الاقسام تتحد لتكون القبيلة كوحدة سياسية كبرى فقط بالنسبة للقبائل الاخرى النويرية أو الأجنبية المجاورة والتى تدخل فى اطار نسقهم السياسى ، وبدون هذه العلاقات لا يستقيم معنى مصالح القبيلة أو القسم القبلى لأن التميز والفردية التى تتمتع بها الجماعات السياسية فى النوير تبرزان فى علاقاتها بالجماعات الاخرى من نفس الدرجة وهذا يصدق على كل الجماعات المحلية فى النوير من أكبرها الى أصغرها[1] •

---

(١) Evans-Pritchard, E. E. The Nuer, p. 119-122.

والنويريون ليست لديهم حكومة بيروقراطية سواء على مستوى مجتمع النوير أو على مستوى القبيلة أو الاقسام القبلية بدرجاتها المتفاوتة حتى مستوى القرية (كوحدة سياسية) حيث لا تتمركز السلطة فيها فى شخص معين وليست هناك شخصيات سياسية تمثل الجماعات القرابية المكونة للوحدة السياسية ككل متعاون ومتضامن ومتماسك ، ولكن الانقسام والنسبية كعملية وخاصية تميز « البناء السياسى » للنوير الذى يعكس نوعا من الثبات النسبى أيضا خلال العلاقة المتوازية بين التوزيع الجينيالوجى[1] العشيرةالمسيطرة والبناءالاقليمى القبلى. وهذا الانقسام وتلك النسبية قامت بدور السلطة المركزية البيروقراطية فى اضفاء الوحدة السياسية على مجتمع النوير مع أن اقليم هذا التوزيع القبلى يترك الفرصة مواتية لكل وحدة من الوحدات فى التعبير عن تمايزها فى مقابل الجماعات الموازية من نفس الدرجة دون الخضوع لسيطرة هيئة عليا أو جماعة ذات تنظيم معين تقف على رأس البناء الانقسامى . وعلى هذا يمكن تصوير البناء السياسى للنوير باختصار فيما يأتى :

أولا : هناك النسق الاقليمى الذى يقسم القبيلة الى أقسام من الدرجة الاولى والثانية والثالثة وتنقسم هذه الاخيرة الى قرى تعتبر الواحدة منها الوحدة السياسية للنواة فى البناء السياسى للنوير . وتكشف العلاقة الوظيفية بين البناء الاقليمى السياسى والانساق الاجتماعية الاخرى عن نسق يجمع بين هذه الاقسام القبيلية الاقليمية فى علاقة تتميز بالقابلية النسبية للانقسام والالتحام فى الاحداث والمواقف الاجتماعية التى تفرض على الوحدات المتصارعة ان ترتفع فوق خلافاتها ومنازعاتها وتتحد أو تتوحد أحيانا فى وحدة أكبر يصل مداها الى مستوى القبيلة ككل لتقابل اعتداء وقع على جماعة من وحداتها من شأنه أن ينال من قوة وهيبة الجماعة عامة .

ويتطابق مع البناء القبلى الاقليمى بناء للعشيرة التى تجمع بين

---

(١) شجرة النسب أو سلسلة النسب . (Genealogy)

أفرادها روابط القرابة الجينالوجية بحيث تميل كل وحدة سياسية اقليمية الى أن تكون وحدة جينيالوجية • وفى نفس الوقت ليس هناك حدود اقليمية للوحدات الجينيالوجية التى ينتقل أعضاؤها للعيش اينما أرادوا بين مجتمع النوير الذى يمكن لكل وحدة من وحداته أن تقبل بسهولة أفرادا من جماعات تنتمى الى قبائل نويرية أخرى أو مجتمعا مجاورا مثل « الدنكا » وترجع أهمية النسق العشائرى الى دوره فى عملية الانقسام والالتحام حينما يقوم النسق القرابى لبدنات العشيرة المسيطرة بالربط بين الوحدات السياسية المتمايزة ، بناءا على الوحدة الجينيالوجية التى تربط بين البدنات المسيطرة فى الوحدات السياسية هذه البدنات التى تكون وحدات النسق الانقسامى الكلى للعشيرة(١) •

والنوير يشعرون بوحدتهم كشعب تربط بينه لغة وثقافة مشتركة فهم يميزون أنفسهم عن المجتمعات الاخرى المجاورة ويشعر كل منهم نحو أى فرد ينتمى الى احدى قبائل النوير مهما بعدت المسافة البنائية بينهما بأنه قريب له فهو نويرى مثله •

ويتضح ذلك الشعور العاطفى عندما يهاجر الفرد من النوير الى خارج مجتمعه ويلتقى بشركائه فى وحدة اللغة والثقافة من المهاجرين خارج المجتمع أمثاله •

لكن الامر يختلف عندما يتقابل أفراد من قبائل نويرية متجاورة أو متباعدة فعندها يشعر النويرى انه مرتبط بأفراد القبائل المجاورة أكثر من ارتباطه بأعضاء القبائل المتباعدة أو البعيدة التى تفصل بينه وبينهم مسافات طويلة تجعل فرص الاتصال والتفاعل نادرة أو منعدمة تقريبا • لكن أفراد القبيلة الواحدة يشعرون بالارتباط العاطفى وبالوحدة فيما بينهم •

وتتمثل نسبية الانتماء السياسى فى النوير فى معانى كلمة Cieng

---

(١) محمد عبده محجوب الانتروبولوجيا السياسية مرجع سابق .

التى تقابل (الوطن) مـع افتراض نسبية معنـاها ، بحيث تنطبق على الحى الصغير من أحياء القرية أو القرية ككل ، أو الاقسـام الاقليميـة المتفاوتة حتى اقليم القبلية ككل ، فالنويرى تصور تصرفاته ومعاملاته مع غيره عن قيم الارتباط لوطن معين يضيق مداه ويتسع طبقا للمسافة البنائية التى تفصل بينه وبين من يتعامل معه ، فهو نويرى حين يتعامل مع نويرى من قبيلة أخرى — كما انه ينتمى الى قسم قبلى أو قبيلة معينـة حين يتعامل مع نويرى من قبيلة أخرى ، كما انه ينتمى الى قسم قبلى معين فى علاقاته مع أشخاص ينتمون الى أقسام قبلية أخرى من نفس القبيـلة التى تضمهم جميعا • وبمعنى آخر فان النويرى فى ابرازه لانتمائه الى قرية أو قسم قبلى أو قبيلة معينة انما هو مرتبط بتلك المسافة التى تربط أو تفصل بينه وبين من يتعامل معه •

وهذه النسبة التى تميز الانتماء السياسى ومدى حجم الجمـاعة السياسية فى مجتمع النوير تعبر عن نفسها فى خاصيتى الانقسـام والالتحام اللتين تميزان الوحدة السياسية والبناء القبلى فى هذا المجتمع، فأفراد العائلات المختلفة الذين ينتمون الى قرية واحدة والذين ينقسمون نتيجة لنزاع داخلى فيما بينهم يلتحمون ليكونوا كلا سياسيا يمثل القرية فى مواقف النزاع التى تتعلق بجماعة تنتمى الى قرية أخـرى مجـاورة وهكذا ••

وترجع هذه النسبية السياسية فى مجتمع النـوير الى ديناميكية الحركة والنشاط السياسى الذى يعنى بين الجماعات المختلفة بالنسـبة لمستويات مختلفة من التضامن الثأرى على مدى اتساع دائرة وحدود نشاط القسم القبلى أو الوحدة السياسية ، فالافراد والجماعات يدخلون فى دائرة أوسع وأكثر كثافة من النشاط والتفاعل كلما ضاقت المسـافة البنائية التى تفصل بينهم • وبالمثل يضيق مدى النشاط وتقل كثافته كلما اتسعت المسافة البنائية التى تحـدد العـلاقة بين الافراد والجماعات الداخلة فى التفاعل •

وهكذا نجد أن المبدأ الثانى الذى يحكم البناء السياسى فى مجتمع النوير بالاضافة الى مبدأ النسبية يتلخص فى أنه كلما كبرت الجماعة الاقليمية لتتعدى حدود القرية والاقسام القبلية من الدرجة الثالثة كلما قل مدى وعمق هذه العلاقات وصور التفاعل • وكلما صغرت الجماعة الاقليمية كلما ازداد مدى وعمق العلاقات والتفاعل بين أعضائها وبمعنى آخر فانه كلما اتسع مجال النشاط الاجتماعى والتفاعل الاجتماعى المشترك كلما شعرت الجماعة بترابطها وتماسكها وحاولت هذه الوحدات أن تختزل المسافة البنائية التى تفصل بينها • ومن ناحية أخرى كلما قلت فرص التفاعل والاشتراك فى أنماط معينة من السلوك أو المناشط المشتركة كلما مالت وحدات الجماعة الى تأكيد تمايزها • وبذلك تتسع المسافة البنائية التى تفصل بين كل منها والاخريات • مثال ذلك : أن معسكرات الصيف فى النوير وهى تحوى على عدد من الجماعات التى تنتمى الى قرى أو مناطق اقليمية سياسية مختلفة تكون وحدة كلية (وان كانت مؤقتة) تخضع لقيم معينة تحكم أنواع التفاعل التى تقوم بين أعضاء هذه الوحدة الذين ما كانت لتجمعهم فى الظروف الاخرى أية رابطة سياسية وبالتالى فهذه الجماعات السياسية تتنازل مؤقتا عن تمايزها واستقلالها وتختزل المسافة البنائية التى تفصل بينها للتغلب على الظروف الايكولوجية الصعبة •

أما المبدأ الثالث الذى يحكم البناء السياسى عند النوير فهو مبدأ التناقض أو الصراع فالحقائق السياسية يشوبها الخلط لانها ليست دائما وحتى فى مستواها السياسى الخالص — مرتبطة بقيم سياسية فقط •

لان علاقات الجوار والمصاهرة والظروف الايكولوجية كلها عوامل تحدد مدى الوحدة السياسية • كما أن هذه الحقائق السياسية متصارعة أيضا لان القيم التى تحددها طبقا لمبدأ نسبية البناء السياسى •

ومن ثم فان مدى التوافق بين الحقائق السياسية فى النوير لا يبدو لنا بصورة واضحة الا اذا فهمنا الديناميكية والنسبية التى تميز البناء

السياسى والانساق الاجتماعية الاخرى فى النوير[١] .

السلطة القرابية والدينية لدى النوير :

يعرف النويريون أنماطا متعددة للزعامة والقيادة فلديهم مثلا رجال العرافة أو الكهنة المتنبئون «Prophets» ورجال الماشية ، والسحرة الذين يمارسون الطب والمعالجة من الاصابة بالعين الشريرة والزعماء ذوى جلد الفهد . بالاضافة الى أنماط القيادة أو الزعامة فى نظام طبقات العمر [٢] .

فالكهنة لديهم يحتلون مركزيا دينيا ممتازا ، لانهم يعتقدون أنهم أبناء الآلهة التى فى السماء ، ولهذا فهم يحترمونهم ويخافون منهم ويخضعون لهم لانم يعتقدون ان الكهنة يستطيعون التأثير فى حياتهم . وقد ظهر الكهنة فى وقت متأخر من تاريخ النوير ويلعبون دورا أشبه بدور الانبياء ، وربما نشأت فكرة النبوة من جراء تأثير المذهب المهدى فى جنوب السودان [٣] .

ولعب هؤلاء الكهنة المتنبؤن دورا سياسيا واضحا عندما تمركزت حول شخصياتهم وحدة وتضامن النوير كشعب متميز عن الشعوب الاخرى — وعندما تصدوا لمحاولات الحكومة بالتدخل فى شئون النوير وكذا فقد نجحوا فى الوصول الى اتفاق على قبول الدية التى تدفع كتعويض لاهل القتيل — بين القبائل المختلفة وقاموا أيضا بوظائف اجتماعية وسياسية ودينية خاصة عند حروب النوير ضد « الدنكا » وعندما يقومون بتقديم أضحيات تضمن عودة المحاربين سالمين غانمين . والحرب لا تبدأ فى الغالب الا بعد أن يأذنوا ببدئها .

كما يوجد فى النوير « رجل الماشية » وهو شخص ينتمى الى بدنه

---

(١) محمد عبده محجوب الانثروبولوجيا السياسية مرجع سابق .
(٢) محمد عبده محجوب الانثروبولوجيا السياسية مرجع سابق .
(٣) Evans-Pritchard., E. E. : The Nuer, Op. Cit. p. 176-177.

معينة تتمتع بقوة روحية فيما يختص بالماشية ، وله شهرة بالتخصص فى علاج الماشية من الامراض والقدرة على اخصاب العقيم منها • ويهاب النوير رجل الماشية هذا لاعتقادهم ان لديه القدرة لأن يصب سخطه ولعنته على مواشيهم • ولهذا لا يسيئون اليه •

ويؤخذ رأى رجل الماشية عندما يريد النويريون الهجرة الى مراع جديدة •

وأيضا من ضمن أنماط الزعامة الاخرى هناك المتخصصون فىاقامة الشعائر الخاصة « بالطوطم » [1] وهؤلاء المتخصصون يستطيعون التأثير فى سلوك الكائنات الطموطمية كالأسد والتمساح والطير ••• وهم يقيمون الشعائر الخاصة بالطواطم لكنهم لا يلعبون دورا أساسيا ولا يمارسون تأثير اجتماعيا فى عمليات الضبط الاجتماعى فى النوير •

ويوجد أيضا السحرة المطببون الذين يتخصص البعض منهم فى معالجة من يتعرضون للاصابة بالعين الشريرة ، وأصحاب « الفتش » الذين يخافهم النويريون لقوتهم الشعائرية وهؤلاء من أكبر الشخصيات تأثيرا ومهابة فى القرية — ولقد دهش آيفانز برتشارد •• لمظاهر الاحترام والخوف التى يعامل بها النويريون هؤلاء الرجال من بقية أعضاء القرية مع انهم لا يتمتعون بسلطة محدودة فى ضبط وتقنين الرقابة على العلاقات الاجتماعية فضلا عن أنهم لا يقومون بتمثيل القرية فى علاقاتها بالجماعات المجاورة •

---

(١) الطوطمية نظام دينى فى اصله اجتماعى فى وظائفه ، وهو مرتبط بمظاهر نشاط القبيلة الاقتصادى (Totemism) والسياسى والعائلى ويجمع النظام الطموطمى جميع الافراد على مذهب واحد هو الايمان بأصلهم الطموطمى هذا . واداء طقوس طوطمية ، فهم يعتقدون انهم من أصل واحد جماد كان أو حيوان او نبات أو أحد الاجرام السماوية ويعتبر ذلك شعارا يميزهم . وينظر اليه على انه رمز للسيادة والعزة ، ويعتبر كل فرد فى القبيلة أنه ممثل لهذا الكبير فهو ذئب ان كان الطوطم ذئبا وتتمثل فيه الخصائص العامة للذئب .. وهكذا ..

أما الشخصية الوحيدة التى تلعب دورها فى النسق السياسى لدى النوير فهى شخصية الزعيم « ذى جلد الفهد » فهو الشخصية القيادية فى الوحدة السياسية فى مجتمع النوير حيث يرتبط ارتباطا مقدسا بالارض وسمى بهذا الاسم لانه يلبس جلد الفهد على كتفيه كرمز لمركزه الاجتماعى • ويقوم هذا الزعيم بوظائفه السياسية اعتمادا على مركزه فى المجتمع ، فهو يقوم بدور الوساطة مع كبار السن من الجانبين المشتركين فى النزاع ، حيث يجتمع مجلس الصلح ويعرض المجنى عليه شكواه ثم يحاول الجانى تبرير عملة • وتعطى الفرصة لكل الحاضرين للتعبير عن أرائهم — ثم يخرج الزعماء للمداولة ليعودا بتوصياتهم التى يقبلها الجانبان المتنازعان وذلك احتراما للمكانة الشعائرية والدينية التى يمثلها الزعيم ولرغبتهم المشتركة فى الوصول الى تسوية •

والدور السياسى الهام الذى يلعبه الزعيم ذى جلد الفهد يتمثل فى قيامة بالوساطة فى تسوية حالات عداوة الدم (Blood fued) من أجل اعادة التوازن وعلاقات السلام فى الجماعة المحلية التى ترغب فى المحافظة على وحدتها بانهاء عداوة الدم التى تفصل بين جماعاتها لتجعل منهم فريقين يعضد كل منهما الآخر • وهم غالبا ما تربط بينهم روابط قرابية ومصالح مشتركة ولهذا فهم ليسوا على استعداد لاستمرار عداوة الدم وفى نفس الوقت لا يرغبون فى تسوية النزاع عن طريق القصاص من القاتل أو أحد أعضاء الجماعة الثأرية التى ينتمى اليها لأن ذلك يؤدى الى زيادة نقصان القوة السياسية للقرية • وهنا تلجأ القرية الى الزعيم ذى جلد الفهد ليقوم بدوره السياسى والشعائرى للضغط على أهل القتيل بقبول « الدية » دون خدش لكرامتها •• فالجماعة الثأرية الموتورة أو التى حدث العدوان عليها ترى أن الحل الأمثل أو التسوية المثلى لحالة الثأر يكون بالقصاص من القاتل • ولهذا فلا ينبغى لها أن تقبل الدية أو التعويض المادى ولكن اصرار الزعيم وتهديده المستمر بالسخط واستنزال اللعنات عليهم يضطرهم لقبول الدية احتراما لمركز الزعيم ••

وهذا الرئيس ذى جلد الفهد لا يحتل مرتبة اجتماعية معينة فى نسق

التفاضل الطبقى • وان كان يعامل باحترام فائق عند قيامه بوظيفته فى مساعدة الفريقين المتنازعين للوصول الى تسوية سلمية لعداوة الدم •

لكن المسافة البنائية التى تفصل بين الجمـاعتين الثأريتين هى التى تحدد امكانية نجاحه فى هذه المهمة • فضـلا على انه لا يعـامل بنفس الاحترام فى أوقات السلم حيث لا يميزه عن غيره من أعضاء الجمـاعة الا الجلد الذى يضعه على كتفيه ••

وهو حين يقوم بوظيفة فى تسوية حالات الثأر أو عداوة الدم عن طريق قبول الدية فهو لا يفرض ذلك قسرا • لانه لا يملك سلطة الالزام ولا تسنده قوة تستطيع تنفيذ قراراته ، ولكنه فقط يقوم بدور الوساطة التى ترغب الاطراف المتنازعة فيها والتى لا يمكن أن تنجح الا اذا توفرت هذه الرغبة •

ومن هنا كان اطلاق كلمة « زعيم » عليه لا تبدو دقيقة ، وربما كان لقب « شيخ » الذى كان سائدا قبل قيام برتشارد بدراسته للنوير أكثر دقة فى التعبير عن وظائف ذلك الرجل وامتيازاته[1] •

نظام طبقات العمر عند النوير : The Age Set System

كل فرد « ذكر » فى مجتمع النوير عليه أن يمر بعملية قاسية وهو ينتقل من مرحلة الصبا الى مرحلة الرجولة وذلك بين السن من الرابعـة عشرة الى السادسة عشرة هذه العملية تتمثل فى « قطع الجبهة » بواسطة سكين صغيرة ست قطعـات أفقية بحيث تبدأ من الاذن اليمنى وصـولا الى اليسرى • ويظل أثر هذا القطع واضحا مدى الحياة حتى أن الاهالى يرون أثار هذه الجروج على عظام الجماجم بعد وفاة أصحابها[2] •

---

(١) محمد عبده محجوب الانثروبولوجيا السياسية مرجع سابق ص ٢٩٧ •

(٢) Evans-pritchard, the Nuer, p. 249.

كما أن كل قرية تقوم بهذه العملية على حدة • والشخص الذى يقوم بهذه العملية لديه خبرة جيدة فيها ويأخذ مقابل هذا العمل « حربة لصيد الاسماك » نظير كل صبى وتجرى العملية لعدد من الصبية فى وقت واحد ، اذ أن هناك اعتقاد بأن اجراء هذه العملية لفرد واحد فقط سوف تجعله وحيدا ويهلك لا محالة ويتراوح عدد من تجرى لهم هذه العملية بين أربعة الى اثنى عشر صبيا • ويفضل أهالى النوير اجراء هذهالعملية فى فصل الامطار حتى تكون لديهم المؤونة والطعام الكافى فضلا عن أنهم يعتقدون ان الرياح الشمالية التى تهب فى هذا الفصل تساعد على اندمال الجروح • ويعيش هؤلاء الصبية بعد اجراء العملية لهم معزولين لفترة تبلغ الشهرين تقريبا • وبعد انتهاء فترة العزل تقام الحفلات سرورا بهذه المناسبة • فتذبح القرابين وتقدم « البيرة » للحضور ويقدم الاب لابنه « حربة وثورا » •

ويتم تكوين طبقة العمر تدريجيا وربما استغرق ذلك أعواما قبل أن تتبلور الطبقة كوحدة اجتماعية وكل طبقة من طبقات العمر لها اسم معين وغالبا ما تسمى الطبقة بأسماء الاحداث الهامة التى تقع أثناء موسم « التكريس » (فمثلا سميت احدى الطبقات باسم «Piloal» — أى الماء الاحمر ذلك ان البيرة التى قدمت للفتيان كان لونها يميل الى الاحمرار[1]) •

وقد أورد « برتشارد » أن عدد طبقات العمر وقت اجراء البحث كان ستة فقط •

وقد تميزت طبقة العمر العليا بقلة تعدادها نظرا لوفاة غالبية أعضائها • والواقع ان نظام طبقات العمر عند النوير يؤثر تأثيرا كبيرا فى العلاقات الاجتماعية عندهم • فعندما يصل الفتى الى مرحلة الرجولة تتغير واجباته العائلية كثيرا « فيحرم عليه حلب الماشية طوال حياته » كما

---

(١) C. G Seligman, Pagan Tribes of the Nilotic p. 225.

يتحدد سلوكه تجاه زملائه أفراد الطبقــة ، وكذا نحو غــيره من أفراد الطبقات الاخرى ويمكن تلخيص ذلك فى النقاط الآتية :

(أ) يحرم على الفتى أن يتزوج احدى بنات أحد زملائه فى طبقة العمر أو أن يتصل بها جنسيا حيث انها بمثابة ابنته ويعتبر هو أبا لها •

(ب) يتعامل أفراد الطبقة الواحدة على قدم المساواة ويساعدون بعضهم فى السعى لكسب الرزق وفى الحروب أيضا • كما أن وقت فراغهم يقضونه سويا حيث انهم يؤمنون بوجود رابطة قوية تجمع بينهم وتوحد مصيرهم تلك الرابطة كانت عن طريق اراقة دمائهم جميعا فى وقت واحد •

(جـ) يبدى أفراد طبقة العمر الواحدة احتراما لاعضاء طبقة العمر التى سبقتهم فهم أكبر منهم سنا ، يتضح ذلك أثناء مناقشتهم مع بعضهم وكذا فى آداب المعاشرة والسلوك •

هذا ويعتبر الفتى الذى مر بشعائر التكريس • قد أصبح رجلا فله حق الاشتراك فى الحروب ورعى الماشية وله حق مغازلة الفتيات وارتياد حفلات الرقص والزواج من الفتاة التى يريد شرط ألا تكون احدى بنات طبقته •

الزواج عند النوير :

عندما تبلغ الفتاة سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمرها فأن الفتيان الذين مروا بحفلات التكريس «Initiated Boys» يبدؤن التودد اليها ومطارحتها الغرام • حتى اذا بلغت سن السادسة عشرة يكون لديها عشيقا واحدا على الاقل • وعلى هذا يمكن القول بأن مرحلة ما قبل الزواج تتسم بانتشار الانحلال الخلقى بين الفتيات[1] •

---

(١) Evans-pritchard, Kinship and marriage the Nuer (Oxford) 1951, p. 49.

وتتراوح سن الزواج لدى الفتيات بين السابعة عشرة والثامنة عشرة ، وأما الفتى فزواجه يخضع لعوامل عدة منها حجم الاسرة وترتيب الفتى بين أفرادها الذكور وكذا حجم قطيع الماشية التى تمتلكها الاسرة . ولابد أن توافق أسرة الفتاة على الفتى المتقدم بطلب الزواج . لكن أسرة الفتاة فى نفس الوقت لا تستطيع ارغام فتاتها على الزواج من شاب لا تحبه .

وعلى أسرة الفتى تقديم المهر ثم تقام عدة حفلات منها حفلة الخطوبة ثم حفلة الزواج وغالبا ما تكون فى فصل الامطار حيث يتوفر « التريد والبيرة » ويشترك الاهالى من كل مكان فى هذه الاحتفالات .

وليس مهما أو يدعو الى القلق ان وجد العريس عروسته ليست عذراء وفى صباح يوم الدخلة يقوم أحد أفراد أسرة الزوج بحلق شعر رأس العروس وعندها يعتقد الاهالى بأنها أصبحت زوجة فعلا . أما أسرة الفتاة التى تقيم ابنتهم لديهم فى كوخ خاص أعد لها والتى يزورها الزوج ليلا فيه فهم يعتبرون الزواج تم كليه فى حالة انجاب ابنتهم طفلا. وعندها يعتبرون أن العريس أصبحت تربطهم به روابط القرابة . وتظل الزوجة فى منزل والديها حتى يتم فطام الطفل وبعدها يقيم الزوج لزوجته كوخا مستقلا بجوار كوخ أهله ويحضرها من مسكن أهلها اليه .

ثانيا — دراسة محمد عبد القادر السويدى عن مجتمع الطوارق[1] :

يعود أصل الطوارق الى (الصنهاجيين) الذين يعود أصلهم وموطنهم الاصلى الى جنوب شبه الجزيرة العربية . وهم قوم ورد ذكرهم فى القرون العاشر والرابع عشر والخامس عشر قبل الميلاد على التوالى حيث أشار اليهم المؤرخون ابن حقل والبكرى وليون الافريقى .

---

(١) محمد عبد القادر السويدى . التخطيط والتغير الاجتماعى فى مجتمع الطوارق بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة فى علم الاجتماع بكلية الاداب جامعة القاهرة ١٩٧٧ ، بحث غير منشور .

كما تحدث عنهم فيما بعد عبد الرحمن بن خلدون فى كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر) وأيضا ذكرهم ابن بطوطة فى كتابه (نزهة المشـــتاق فى اختراق الآفاق) .

وأعاد الأخيران أصل الطوارق الى صنهاجة النازحون من جنوب الجزيرة كما ذكر آنفا وان كان لم يعد أحد يذكر صنهاجة اليوم وانمـــا أصبح اسم الطوارق هو المقرون بالصحراء [١] .

والطوارق مجتمع يقع فى صحراء الجـــزائر وهم الذين تمت عليهم هذه الدراسة بينما يوجد « طوارق جبـــال أدوار — ن — أفوغاس — فى جمهورية مالى . وطوارق — الهجار — بالصحراء الجزائرية هم أكثر عددا وهم الذين لا يزالون يحتفظون بكثير من سمات الطوارق الاجداد ، ولعل السبب فى ذلك راجع الى كونهم أقل اختلاطا بالعناصر الاجنبية واتباعهم لنظام الزواج الداخلى .

النظام القبلى فى الطوارق :

نظرا للعزلة التى يعيشها مجتمع الطوارق فقد كان لهذا أثره على التنظيم السياسى وعلى العلاقات بين المجموعة التى بيـــدها الســـــلطة والمجموعات الاخرى [٢] . فلكل قبيلة عندهم « شـــيخ » يمتد نفـــوذه الرسمى على كل العشائر التابعة له . ثم تتقسم القبائل الى نظام طبقى أو طائفى بين الحكام والاتباع ، وأصحاب الحرف اليدوية والجمـــاعات الدينية ، والعبيد ، وهذا نوع من « التنظيم الاقطاعى » . والطارقى كثير التنقل لمسافات بعيدة قد تستغرق شهورا عديدة . ولهذا السبب أوجـــد فئة من الخدم تقوم مقامة فى الاسرة ، كما أوجد الاتباع ليقوموا بتربية

---

(١) السويدى . نفس المرجع ص ٥٧ .
(٢) السويدى . نفس المرجع ص ٦٢ .

الماشية من الابل والماعز وتنظيم القوافل ، وطبقة الحرفيين لاشـــباع حاجاته من الثقافة المادية كما أوجد مؤخرا مع بداية القرن العشرين طائفة المزارعين ، بعد ان ضعفت تجارة القوافل • وعلى هذا الاســاس قامت فكرة التفاوت الطبقى لاخضاع فئة لخدمة أخرى •

أما السلطة لديهم فتنتقل « فى خط الاناث » حيث يتركها الشـــيخ لاحد أبناء أخته الكبرى أى من — الخال الى ابن الاخت — وذلك حسب النظام المتبع فى المجتمعات القبلية التى تتبع نظام القرابة الاموى ، ومع هذا فان الزعماء دائما من الرجال دون النساء • بمعنى ان حكومة القبيلة تقوم على أساس النظام الابوى وهو يشبه النظام الســائد بين القبائل العربية[1] والزعيم الاكبر الذى يرأس الاتحاد (مجموع قبائل الهجار) يحمل اسم « امينو أكال » «Amino-Akal» وتعنى المالك أو أمير البلاد • وتتكون هذه من مقطعين الاول « امينوا » ومعناه أمير أو ســلطان • ، « آكال » معناها البلاد أو الوطن لتكون الكلمة فى مجملها تعنى « أمــير البلاد » وذلك حسب اللغة « التمهاقية » •

ولكل قبيلة زعيم يسمى « امرار » Amrar أى المحتــرم وهى تقابل كلمة « شيخ » لدى القبائل العربية[2] •

وتتحدد وظيفة السلطان فى اشرافه على أراضى الطوارق فى منطقة الهجار التى تعتبر ملكية جماعية كما يجمع أفراد القبائل للاعداد للحرب اذا هددت احدى قبائل الحلف فى أرضها أو ثروتها • كمــا يقرر رحيــل

---

(١) تعميم خاطىء ، فليست كل القبائل العربية تتبع هذا النظام ، اذ ليس مهما الاطار الذى تتخذه القبيلة ليكون الرجل هو الزعيم . فهذا معناه انتقــال الزعامة من أسرة الى أخرى وقد تنتقل الى ثالثة ورابعة فى جيل واحد . بينما الزعامة فى القبائل العربية تنتقل فى خط الذكور فى الاسرة لزعيم « بالوراثة » حيث يرثها أكبر أبنائه وهذا ما سوف نوضحه فى الفصل الثالث من هذه الدراســة .

(٢) السويدى . نفس المرجع ص ٦٤ .

الثروة الحيوانية الى المناطق المجاورة وقت الجفاف • ومع هـذا فهـو لا ينفرد بالسلطة اذ بامكان مجلس القبيلة أن يخلعه من منصبه ، لكنه فى الظروف العادية يبقى فى منصبه لاداء وظائفه مدى الحياة •

ويقوم « أمير البلاد » بجمع الجزية من الاتباع بمساعدة شـيوخ القبائل وتتضمن الجزية أشياء عينية مثل التمر ، والـذرة ، والسـمن ، والابل والماعز، وحتىالأشياء المصنعة التى تستوردها القبائل منالواحات أو من البلاد المجاورة •

بالاضافة الى الارباح والضرائب التى تفرضها العشيرة أو القبيلة على القوافل التى تمر بأراضيها كما يحصل « أمير البلاد » على نصـف الغنائم التى يجمعها الاتباع فى غاراتهم المستقلة عن تنظيمه •

وفى مقابل هذا تقوم القبيلة بحماية الاتباع والمزارعين من أى خطر خارجى وبقوة السلاح •

وقبيلة « الايموهار » تحتل مكانة سياسية واجتماعية فى مجتمـع الطوارق اذ تعتبر صاحبة الحـكم والتوجيه فى المنطقـة ، فمنهـا يعين الطوارق رئيسهم[١] •

وقد سبقت الاشارة الى أن النظام القبلى عند الطوارق يقوم على الانتساب الى الام • فى نفس الوقت الذى تأثروا فيه بالاسلام وبالعرب وفيما يتعلق بنظام الانتساب الى الاب فى بعض المسـائل • وهى ظاهرة يساعد فهمها على تحليل النظام القبلى والطبقات الاجتماعية فى مجتمـع الطوارق • وبالتالى فهم العلاقات ومناشط السلوك التى تحكم حياتهم •

وتسمى الوحدة القبلية عند الطوارق باسم « تاوسيت » «Tawsit»

---

(١) لعل مرد ذلك الى ان عصبية هذه القبيلة اقوى العصبيات راجع فى ذلك الفصل الاول ص ٤ وما بعدها .

وتعنى القبيلة «Tribe» و « أحيانا » العشـيرة «Clan» كمـا يعنى «Tawsit» النسيج ويشير الى قوة الصـلات التى تربط بين أفـراد الجماعة • اذ كثير ما يعبر الطوارق عن الصلة الدموية القوية التى تربط بين شخص وآخر على أنها رابطة أصلية أو جذرية «EKE» نسبة الى جذر الشجرة •

واذا كانت القبيلة هى أكبر وحدة قرابية فى مجتمع الطـوارق فان الوحدات القرابية التى تتدرج تحتها كالتالى :

(أسرة نووية ، أسرة ممتدة ، بدنة ، بطن أو عشيرة ، القبيلة) •

الطبقات الاجتماعية :

من دراسة البناء الاجتماعى لمجتمع الطوارق يتضح ان النظـام الاجتماعى لديهم يتميز بتنظيم خاص لا يوجد له شبيه فى القبائل العربية الموجودة فى المغرب العربى أو فى شبه الجزيرة العربية[1] • فالنظـام الاجتماعى عند الطوارق يتكون أساسا من خمس طبقـات رئيسية تكاد تكون فى معظمها مغلقة ووراثية لا يمكن تغيـيرها وهى حسـب الترتيب التنازلى فى السلم الاجتماعى •

١ ـ طبقة النبلاء •
٢ ـ طبقة الاتباع •
٣ ـ طبقة العبيـد •
٤ ـ طبقة الحرفيين •
٥ ـ طبقة الحرطانيين (المزارعين) •

فالطبقة الاولى تقع فى قمة السلم الاجتماعى • ذلك بسبب نقـاوة انسابهم والتزامهم بنظام الزواج الداخلى • وهذا التقسيم الطبقى أمر

---

(١) السويدى . نفس المرجع ص ٦٩ .

قديم قدم تراث البداوة وهم الذين — أى طبقة النبلاء — تتركز فى ايديهم السلطة والزعامة كما أسلفنا .

والطبقة الثانية : هى طبقة الاتباع وهم الذين يدفعون الجزية ، وهم فى الاصل « طوارق » لكنهم ينتسبون الى خادمة كانت لدى (جد طبقة النبلاء) ولهذا كانوا أقل منزلة فى السلم الاجتماعى من النبلاء . وهم بشكل عام أكثر ثروة من النبلاء من حيث عدد رؤوس الحيوانات التى يمتلكونها . وتتمثل الجزية التى يدفعها هؤلاء لطبقة النبلاء خاصة « لامير البلاد » فى السنة ١٢ مزودا من التمر « وثمان » — عكك — من السمن . والعكة هى الاناء الذى يوضع فيه السمن وتصنع من الجلد. « واثنتى عشرة » شاه حلوبا « واثنى عشر رأسا من الماعز » .

والطبقة الثالثة : هى طبقة الحرفيين ويطلق عليهم « المعلمين » ويمارسون أعمالا مثل تصنيع المعادن والاخشاب والحلاقة والحجامة . وهؤلاء يؤدون الاعمال التى من هذا النوع والتى يحتاج اليها طبقة النبلاء أو الاتباع .

أما نساءهم فيمارسن الصناعات الجلدية والتطريز وهؤلاء من حيث المكانة الاجتماعية فى السلم الاجتماعى يصنفهم بعض الطوارق فى منزلة أقل من الاتباع بينما يصنفهم فريق آخر بين طبقتى النبلاء والاتباع[1].

أما طبقة الحرطانيون والعبيد — أو الخدم — فهى تعنى طبقة الفلاحين أو المزارعين فهم الذين يشكلون العنصر البشرى المستقر فى الارض .

وهم فى أسفل السلم الاجتماعى بعد الخدم .

وهم فى أصلهم اما عبيد قدماء للطوارق من « مالى والنيجر » تم

---

(١) السويدى . نفس المرجع ص ٧٤ .

ورغم زوال الرق كنظام اجتماعى فى مجتمع الطـوارق التقليـدى الا أن رواسبه قد بقيت ألى سنوات قليلة قبل الاستقلال حيث كان عدد العبيد (الخدم) فى عدة قبائل يفوق أعداد القبيلة نفسها •

وهناك طبقة أخرى على جانب من الاهمية هى طبقـة « المرابطين ورجال الدين » وهم يمثلون الجماعة الدينية أو الروحية التى يحمـل أفرادها « البركة » التى توارثها أبا عن جد •

ويقوم رجال الدين بتعليم القرآن الكريم واللغة العربية لجماعات صغيرة من تلاميـذهم الذين ينتقلون معهم من مضرب الى آخـر برفقة قبائل الطوارق • ويعلمون صغارهم المعارف الابتدائية التى تدرس عادة فى الكتاتيب •

كما يقومون بكتابة الاحجبة ومعالجة المرضى • ويؤمون النـاس فى الصلاة ويفسرون النصـوص الشرعية فيما يتعلق بالاحـوال الشخصية كالزواج والميراث وما شابه ذلك وكذا يقومون بدور فعال فى حل الخلافات التى تظهر بين الاحلاف من قبائل الطوارق • حيث يسـارع هؤلاء الى خيام الزعماء ومجالس القبيلة للوساطة وتقديم النصح للاطراف المتنازعة•

النشاط الاقتصادى فى مجتمع الطوارق التقليدى :

مجتمع الطوارق مجتمع بدوى قبلى يقـوم نظامه الاجتماعى على أساس روابط القرابة التى تتمثل فى انقسام الجمـاعات التقليـدية الى وحدات قرابية ، والتى ترتبط كل منها ارتباطا تقليديا بمنطقة معينة بالذات تعتبر هى موطنها الاصلى الذى يحق لها دون غيرها من الوحدات القرابية

الاخرى ان تستغل موارده الاقتصادية من ماء ونبات لصالح أعضائها كما تقيم فيه مخيماتها الدائمة وتزاول فيه نشاطها الزراعى والرعوى ٠

غير ان هذا الارتباط التقليدى بالموطن الاصلى لا يمنع الجماعات القرابية للطوارق من الانتشار فى موسم الرعى خارج حدود وطنها الاصلى وان تنقسم الى جماعات رعوية صغيرة تتألف فى معظم الاحيان من أفراد قلائل من الرجال حتى يمكنها الانتقال بسهولة من مكان الى آخر ٠ فى حين تترك مخيماتها بما فيها من شيوخ ونساء وأطفال وخدم فى موطنها الاصلى : وبالقرب من المراكز الزراعية لتسهر على قطعان الماعز والاغنام التى لا تحتمل التنقل لمسافات كبيرة فى قلب الصحراء الكبرى[1] ٠

وهكذا تخضع الجماعات القرابية فى مجتمع الطوارق لنوعين من التنظيم الاجتماعى تحت تأثير العامل الايكلوجى ٠ يتمثلان فى « انقسام مؤقت فى موسم الرعى ، الذى يستمر عدة أشهر » ثم التجمع بعد انتهاء موسم الرعى والاستقرار فى المخيمات التى لم تغادر حدود الوطن الاصلى ٠ حيث تمارس الجماعة القرابية كوحدة اجتماعية نشاطها فى جمع المحصول من المراكز الزراعية التى يباشرها المزارعون وهكذا نجد أن « النسق الايكلوجى » يلعب دورا فى التنظيم الاجتماعى القبلى للطوارق وتنظيم الحياة الاقتصادية ، ولهذا نجد أن نظام الملكية للاراضى فى المنطقة مرتبط ارتباطا قويا بالنظام القبلى فى الطوارق ٠ وبصرف النظر عن بعض المناطق الزراعية التى تقع حول مراكز العمران الرئيسية ٠ والتى تتبع فى تقسيمها نظام الملكية الفردية ٠ الا ان مناطق الرعى مقسمة بين عدد من القبائل بحيث تمتلك كل قبيلة أو وحدة قرابية منطقة واسعة محددة تحديدا تقريبيا بواسطة علامات أرضية معروفة ٠ ومن حق جميع أفراد القبيلة التنقل داخل هذه المنطقة للرعى أو للزراعة بالقرب من مصادر المياه ، ولا يحق لاى فرد من خارج القبيلة أن يرعى حيوانات فى أرضها

---

(١) السويدى — نفس المرجع ص ٢١٩ ٠

أو يستفيد من مياه آبارها ، أو عبورها بالماشية والابل دون أخذ اذن من شيخها بعد ان يدفع له مقابلا عينيا عوضا عن ذلك .

ومن أهم النتائج التى ترتبت على نظام الملكية هذا ان كثيرا من المراكز الزراعية قد تركت دون زراعة ، بينما تكررت زراعة مناطق أخرى فى عدة مواسم متتالية بشكل قد يؤدى الى فقدان خصوبتها ، وكذلك الامر بالنسبة للمراعى التى قد تبقى مهملة لمدة طويلة مما يشكل خسارة اقتصادية لهذا الاقتصاد الذى يعتمد على الزراعة وتربية الحيوانات والذى لا يكاد يسد حاجة سكان المنطقة الا فى حدود ضيقة .

وبالاضافة الى النشاط الزراعى والاقتصادى كانت هناك عدة مناشط اقتصادية فى مجتمع الطوارق التقليدى منها « الاغارة والسلب » حيث تمثل الاغارة عند أغلب قبائل الطوارق جزءا من الحياة الاقتصادية اليدوية . وهى الغارات التى يشنها المحاربون على قبائل بعيدة عن موطنهم الاصلى خصوصا فى أوقات القحط والمجاعات التى تتعرض لها الصحراء .

والاغارة على نوعين اما على مستوى « الافراد » واما على مستوى « القبيلة » فالاغارة على مستوى الافراد تتمثل فى ترصد عدد محدود من الافراد لقافلة تعبر طريقا ما وسلبها جميع ما تملك واما الغارة الثانية التى تحتل مكانا فى النظام الاجتماعى القبلى الطارقى ، فهى التى تنظم بمعرفة القبيلة ويشترك فيها عدد قد يزيد عن الخمسين من المحاربين وتتم على مناطق بعيدة وتعتمد على السرعة والمفاجأة ثم النهب والفرار حتى يتعذر على الجماعات التى تعرضت للسلب والنهب اللحاق بهم ، ويرى « السويدى » بأن أقرب منطقة للاغارة على مستوى القبيلة لا تقل عن « ٧٠٠ كيلو متر[١] » .

ومع بداية القرن العشرين وتأسيس الادارة الفرنسية فى وسط الصحراء واخضاع قبائل الطوارق لها سنة ١٩٠٥ أصبحت الغارات ممنوعة

---

(١) السويدى — نفس المرجع ص ٨٢ .

بل نادرة مما يوضح أهمية دور السلطة السياسية وسيطرتها على تحركات البدو .

ويمارس الطوارق أيضا التجارة ويتبادل القوافل نتيجة لاتصالهم بالحضارة الغربية واكتساب كثير من ملامح النظام الاقتصادى الحديث ، فعرفوا فكرة السوق والتعامل بالنقود ، الأمر الذى أدى الى احداث تغييرات عميقة فى حياتهم الاقتصادية وخاصة فى انماط التبادل التقليدية وتجارة القوافل فهم يصدرون الفائض ويستوردون الضرورى من المناطق المجاورة عن طريق قوافل الجمال والتى تنتقل فى رحلة الاستيراد والتصدير لمسافات طويلة .

ويخلص الباحث الى أن النظام الاقتصادى التقليدى لمجتمع الطوارق حتى سنة ١٩٦٢ ظل محافظا على الخصائص التالية :

١ — سيطرة « المقايضة » كنظام للتبادل فىالاقتصاد التقليدى .

٢ — الاعتماد الكلى للسكان فى غذائهم على « التمر والذرة » وهى موارد لا تنتجها منطقة « الهجار » وانما يستوردها الطوارق من المناطق المجاورة عن طريق المقايضة .

٣ — نتيجة لذلك فقد تطلب هذا النوع من التنظيم الاقتصادى التقليدى تربية اعداد كبيرة من الابل لضمان تجارة القوافل والتبادل .

٤ — بقاء اعتماد الطارقى وارتباطه بنظام الخدم فى الخيمة . وبالحرطانيين « المزارعين » فى الميدان الزراعى .[1]

المرأة والأسرة فى مجتمع الطوارق :

تحدث كثير من الرحالة وعلى رأسهم « ابن بطوطة » عن المرأة الطارقية وعن الحرية التى تتمتع بها فى علاقاتها مع الآخرين حتى أنه

---

(١) السويدى — نفس المرجع ص ٩٤ .

علاقه « شريفة » للعين والقلب وليست « للفراش » (١) .

وحرية المرأة فى الطوارق مكفولة عن طريق المجتمع قبل الزواج ، فالطارقى لا تسيطر عليه فكرة التفوق على المرأة قبل زواجه كما أن موقفة تجاهها لا يتغير بعد الزواج منها فالفتاة تتمتع بجميع المزايا التى يتمتع بها الشاب عادة ، ولهذا يلاحظ أن مستوى تعليمها متقدم عن الشاب ، اذ أنه منذ الصغر تهتم بها والدتها بحيث تعلمها تفصيل الملابس وترقيعها وتصنيع شعر الماعز والجلود وطريقة اقامة « الخيمة » وفكها وطريقة التزين للنساء كما تعلمها كيف تلقى الشعر وتعزف على آلة « الامزاد » الموسيقية وهى آلة تشبه الربابة العربية ، ويرى الباحث فى ايجاز أن المرأة الطارقية « أمينة الثقافة » فى هذا المجتمع .

وتلعب المرأة هنا دورا هاما فى النظام الاجتماعى . فالطارقى يرث الطبقة التى تكون عليها أمة ، بصرف النظر عن الطبقة التى ينتمى اليها الأب . كما أن الرجل الذى يتزوج سيدة أعلى طبقة من طبقته الاجتماعية فانه « عمليا » ينال مكانة أعلى ، حتى ولو ظلت مكانته من الناحية النظرية هى مكانة « قبيلته » ويمكن للمرأة الطارقية أن تتزوج برجل أقل منها « منزلة » اجتماعية ولا يفقدن مكانتهن أيضا . لكن الرجل اذا أراد أن يحافظ على مكانته الاجتماعية فعليه فى هذه الحالة أن يتزوج من أمرأة من نفس طبقته أو أعلى منها « ويحمل الأبناء عموما اسم أبائهم دون الانتساب لامهاتهم .

غير أن الطوارق يرون أن الأم هى التى « تحمل » أبناءها قبل الولادة لهذا فهم أبناؤها وليسوا أبناء للرجل فأذا تزوجت المرأة من قبيلتها فأولادها يرجعون الى نفس القبيلة ، واذا تزوجت من خارج

---

(١) السويدى ــ نفس المرجع ص ٩٧ .

قبيلتها فالأولاد لها وليسوا لأبيهم أو قبيلته . واذا توفى الزوج فأن الأولاد وأمهم يرجعون الى قبيلة الأم معها . واذا كان على قيد الحياة ووقع انفصال بين الزوجين فأن الأولاد يبقون مدة معينة مع أبيهم ثم يرحلون بعدها الى قبيلة الأم » .

الزواج وتنظيم الأسرة :

من سلطات رئيس القبيلة فى مجتمع الطوارق انه يستطيع أن يأمر الأفراد اما بزيادة النسل أو الحد منه أو ايقافه ، اذا رأى نموا فى موارد القبيلة أو نقصا فيها أو وجود قحط يؤدى الى انعدام الموارد الطبيعية وعلى هذا فقد توصل « الهجار » فى اطار التوازن الايكلوجى « الى ايجاد العدد الأمثل الذى يمكن توفير الغذاء المناسب له حيث أن هذه المنطقة لا تكاد تسد حاجة السكان الى الغذاء ، وبهذا نستدل على أن الطوارق قد عرفوا تنظيم الأسرة . [1]

أما الزواج فأن الطارقى لا يقدم عليه الا فى « سن متأخرة » بمعنى أنه نادرا ما يتزوج قبل سن الثلاثين والمرأة قبل الخامسة والعشرين . على عكس المجتمعات القبلية والبدوية فى المجتمعات العربية الأخرى .

ومراسم الزواج تبدأ فى العادة بأن يذهب عدد من أصدقاء العريس أو أقاربه أو اسرته لخطبة الفتاة التى يرغبها واذا حصلت موافقة والد العروس بدأ التفاوض حول المهر والهدايا حسب العرف المتبع فى كل قبيلة فمثلا طبقة « النبلاء » يتكون مهر فتاتهم من « سبع نياق » اماالاتباع فثلاث نياق ، وأما طبقة العبيد والخدم فالمهر عندهم « ناقة واحدة » وبضع رؤوس شياه .

---

(١) السويدى — نفس المرجع ص ١٠١ ، ١٠٢ .

وليلة الدخلة يوضع فى « خيمـة العروسين » كمية من الرمـل تفصل بينهمـا وتبقى ثلاثة أيام لا يقترب العروسـان خلالهـا من بعضهما ، لأن وراء ذلك فلسفة تقوم على أساس انه فى « الليلة الأولى » تكون العـروس « اختك » وفى الثانية تكون « امك » وفى الثالثة تكون « حماتك » أما فى الليلة الرابعة فهى « زوجتك » وبعـدها تزال كمية الرمـل هذه . (١)

وتتم مراسم الزواج فى بيت الزوجة حيث تقيم العروس فى بيت أهلها لمدة عام على الأقل وقد تمتد الى سنوات خمس وهى الفترة التى تعد العروس فيها جهازها ثم يأتى الزوج لأخذها فى حفلة خاصة الى منزلة وقد يصحبه معها طفل أو أكثر ثم انجابهم خـلال هـذه الفترة حيث أنه كان يتردد عليها ويعاشرها فى دار أهلها ثم يعود للاقامة فى مخيم والديه .

وهناك فلسفة أخرى وراء اقامة العروس هذه المدة بمنزل والديها وهى اعطاء الزوجين الفرصة الكافية للتعرف على طبـاع كل منهمـا كما يلمسان فى نفس الوقت المسئولية العائلية حتى لا ينفصلان أو لا يقدران الحياة الزوجية .

وتعدد الزوجات عندهم موجود اكنه نادر على الرغم من معرفتهم باباحة الشريعة الاسلامية لهذا التعدد . ومن ضمن الشروط التى يؤكدون عليها للخاطب قبل الزواج هو عدم « التعدد » وعدم الهجـرة للاقامة خارج أرض القبيلة .

مراحل العمر فى مجتمع الطوارق :

اذا كانت التنشئة الاجتمـاعية تهدف الى اكتساب الفرد (طفلا

---

(١) السويدى — نفس المرجع ص ١٠٣ ويذكر الباحث بأن هذه العادة زالت بزوال المجتمع التقليد ىوتحديثه .

فمراهقا ثم راشد وشيخا) سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تكسبه الطابع الاجتماعى ، وتمكنه من الاندماج فى الحياة أو البلوغ الآن . الطابع الاجتماعى ، وتمكنه من الاندماج فى الحيـاة الاجتماعية ، فأن من أهم العوامل فى التنشيئة الاجتماعية تحديد الجماعة لأدوار أفرادها التى تطلب منهم القيام بها وذلك تبعا لجنس الفـرد ومرحلته العمرية .(1)

وفى مجتمع الطوارق يمر الفرد بعدة مراحل اجتماعية تحـددها الجماعة خلال مراحل نموه العديدة من الطفولة وحتى الشيخوخة .

ويطـلق « الهجـار » على الصغير اسم « آرا »
وهو اسم يطلق على أى خلفة كانت من ذكر أو أنثى أو حيوان . ذلك لأن الطفل عند الطوارق فى هذه المرحلة لا يتمتع بأية أهمية اجتماعية . كما أن عاداتهم فى تسمية الأطفال تشبه الى حد كبير عادات « الهنود الحمر » الذين يعتقدون فى كثير من المظاهر والحوادث الطبيعية التى توافق حدوث الولادة فكثير من أبناء الطوارق يسمون بأسماء المظاهر الطبيعية أو الحيوانات حسب تصادف ولادة الطفل مع هذه الظواهر . فهناك أسماء « البرد » لأن الطفل ولد فى موسم البرد والأمطار وهناك من تدعى أو يدعى « الغزال أو النمـر أو الجريوع » لانه تصـادف مرور هذا الحيوان أثناء الولادة .(2)

وفى سن « ست سنوات » يبدأ الطفل فى لباس « السروال » الذى يسمونه « عرجاج » وتقام له فى هذه المناسبة حفلة خاصـة يحضرها أقاربه واعتبارا من هذه المرحلة يصبح من حقه أن يشارك فى حراسـة قطيع الماعز أو مرافقة الراعى فقط دون المشاركة وذلك عند « طبقـة

---

(١) حامد عبد السلام زهران — علم النفس الاجتماعى — عالم الكتب — القاهرة ط ٣ ١٩٧٤ ص ٢٠١ .

(٢) ويشير الباحث الى اختفاء هذه الاسماء تحت تأثير الثقافة الاسلامية والعربية واستبدلت بالصديق والمصطفى واحمد ولد أحمد وهكذا ..

ونظرا لأهمية هذه المرحلة فى نظر الطوارق فى حياة الطفل واثرها فى تكوين شخصيته فأن الطوارق يعارضون بشدة العقـاب القاسى فى حق الأطفال لان شدة العقاب على حد تعبيرهم ــ تجعل الطفل صاحب مزاج حـادولذا يقتصر العقـاب فى هذه السنة بالزامه بالبقـاء فى الخيمـة . أى بحرمانه المؤقت من « الحرية » .

أما فى بقية مراحل العمر فتطلق عليهم ألقاب معينة تبعـا للدور الذى يستطيعون القيام به وهم بين العاشرة والثانية عشرة يبـدؤون السفر الى جهات أخرى ، وعند سن البلوغ بالنسبة للفتى يبدأ فى وضع اللثام ثم ينزعه ليظهر للآخرين انه قد وصل الى سن البلوغ وأما الفتاة فبعد ظهور « الحيض » تبدأ فى وضع « الرداء » على جسمها .

وترى « روث بند يكت » R. Benedict ان معظم الجمـاعات التقليدية تحدد المراهقة من الناحية الاجتماعية ذلك لأن الاحتفـالات التى تقام بهذه المناسبة الغرض منها الاعتراف ــ بشكل من الأشكال ــ بأن الطفل قد بلغ مرحلة جديدة تنسب اليه فيها مسئوليات لم يعهدها من قبل وهى عملية ذات مظاهر متنوعة لكى نفهمها علينا أن نهتم بهذه الفترة التى تسمى « مرحلة الانتقال »[١] .

ومجتمع الطوارق كمجتمع تقليدى يحدد لأفراده فترة الانتقال من مرحلة الطفولة الى مرحلة المراهنة الى البلوغ فلكى يتبوأ المراهق مكانته الاجتماعية الجديدة يبدأ فى وضع اللثام بصفة دائمة ، ويتم هذا فى مناسبة خاصة يحضرها أقاربه وتتقدم له فيها الهدايا أهمها « الخنجر »

---

(١) بنديكت روث ــ الوان من ثقافات الشعوب ــ ترجمة محمد الدسوقى وآخرون لجنة البيان العربى ــ القاهرة ص ٤٧ .

« ولثام أزرق » وبعدها يصبح من حقه أن يحضر الحفلات والندوات ومجالس الرجـــال •

وأما الفتاة فتتلقى عند بلوغها هدايا من الملابس وتقام لها مناسبة مثـــل الفتى •

وغالبا ما تقام مثل هذه المناسبات بمناسبة « صيام » الشـــاب لشهر رمضان أول مرة ويطلق على الشاب فى هذه الفترة لقب • أما واد AMawad والفتاة « تماواد » Tamwad وتعنى من بلغ سن «الرشد» أو البلوغ الآن •

وعند بلوغ الطارقى سن الخامسة والعشرين يبدأ والده فى التفكير لايجاد زوجة له وهى عملية فى العادة تستمر من سنة الى ثلاث سنوات فى المتوسط وعندما يستقر الرأى على العروس يبعثان من يقوم بمهمة الخطـــوبة •

وبعد الزواج يحصلان على القاب أخرى وكذا فى سن الشيخوخة والارتكاز على العصـــا •

روابط القرابة لدى مجتمع الطوارق :

أكد « فالزن » Valsen ، على أهمية التنظيم القرابى وصلته بثبات نظام العائلة فى المجتمع الأصلى ، وذلك فى دراسة عن المهاجرين الى المدينة • وذكر أن هذا الثبات من شأنه أن يربط المهاجرين بأقاربهم فى المجتمع الجديد ، حيث يعلمون أن هذا هو الضـــمان الاجتمـــاعى الوحيد الذى يعتمدون عليه فى حالة عجزهم عن العمل أو تقدمهم فى السن ، وأن أصبح البدوى المهاجر « ظاهريا » مواطنا حضريا فأنه فى سلوكه الاجتماعى وتقاليده قد يثبت عكس ذلك ، اذ غالبـــا ما يعكس فى سلوكه كثيرا من القيم الاجتماعية القبلية ، وهذا ما عبر عنه « أرثر » Arthur. B بقوله « تستطيع أن تنتزع رجـــلا من الريف ولكنـــك

لا تستطيع أن تنتزع الريف من عقلية رجل » .[١]

والمجتمع البدوى الذى كان يرفض العمل اليدوى ويحتقر كل مهنة ماعدا مهنة الرعى تراجع أمام الظروف والمواقف الجديدة ، وقبل فكرة العمل بأجر وفكرة السماح لبعض أفراده بالهجرة من موطن القبيلة الأصلى والاقامة فى المراكز الحضرية وفكرة الاستقلال الاقتصادى للأسرة المكونة من الأبوين والأولاد على نطاق الاسرة الممتدة أو البدنة . وهذه كلها أمور لم تكن متوقعة فى أول الأمر » ، ولهذا يحاول المجتمع أن يجد وسائل للتغلب على المشكلات الجديدة التى أصبحت تواجهه بعد هذه التغييرات ، وذلك بادخال تغييرات جديدة على أنماط حياته[٢] .

وفى مجتمع الطوارق بدأ الشباب ينصرف عن العمل فى تربية الابل طلبا للعمل بأجر فى المراكز الحضرية وقد أوجد هذا نوعا من التنظيم الجديد يتمثل فى هجرة فرد أو فردين من الجماعة القرابية للعمل لفترة معينة ثم يأخذ مكانه فرد آخر وهكذا بالتناوب[٣] .

وقد لاحظ الباحث أن الجماعات القرابية فى الاقامة والهجرة تمثل نوعا من التضامن القوى بين أفرادها .

وقد أدت الهجرة هذه الى تغيير شكل الأسرة فى مجتمع الطوارق من الأسرة الممتدة الى الأسرة « النووية » مما أدى الى استقلال اقتصادى للأفراد واستقلال بكثير من المسئوليات . مما جعل الفرد أكثر تحررا عن القادة التقليدين للقبيلة .

وليس معنى ذلك تخليه نهائيا عن مجتمعه بدليل أنه لايزال يلجأ الى كبار السن ورجال الدين لحل نزاعه مع أقاربه وأفراد اسرته .

---

(١) فاروق العادلى الاتجاهات المعاصرة فى الانثروبولوجيا الاجتماعية . مرجع سابق ص ص٢٩٢ ، ٢٤٣ وأنظر أيضا :

Michael. Banton, The Social Antropology of complex Societies. p. 41-57.

(٢) احمد ابو زيد البناء الاجتماعى — المفهومات — مرجع سابق .

(٣) السويدى نفس المرجع ص ١٢٠ .

أما فى حالة وقوع النزاع مع رجل غريب فانه كثيرا ما يلجأ الى رجال الشرطة والأمن لحل هذا النزاع •

ويشير الباحث الى أن مجتمع الطوارق — كمجتمع تقليدى — لا توجد به هيئات مميزة تختص بالنظر فى المنازعات التى تنشب بين أعضاء القبيلة أو تتولى الفصل فى المنازعات ، وانما يشرف على هذه الأمور كبار السن ورجال الدين دون أن يكون هناك أشخاص مختصين أو منقطعين لهذه المهمة ولهذا كانت الأحكام تتخذ شكل نصائح قد تقبل بها الأطراف المتنازعة أو ترفضها ، وان كانت تقبلها فى معظم الأحيان لأسباب اجتماعية أو دينية تتعلق بمكانة هؤلاء الشيوخ ورجال الدين •

ويتبع المجتمع الطارقى نظام الزواج من الداخل ومن الخارج حيث نجد أنهم يقومون بتزويج بناتهم لرجال من خارج القبيلة بنسبة تبلغ (٤٠ ٪) ذلك من أجل تدعيم القبيلة بأفراد جدد خاصة ونحن نعلم أن الانتساب لخط الاناث هو السائد لديهم • فالفرد ينسب الى أمه ويعود ليعيش معها داخل قبيلتها « كما تمت الاشارة الى ذلك من قبل » •

أما حجم الأسرة المفضلة لديهم فهى التى يتراوح الأطفال فيها بين خمسة الى عشرة أطفال • والأسرة التى يقل عدد الأطفال فيها عن خمسة فهى فى نظرهم أسرة صغيرة أو قليلة العدد •

القيم المرتبطة بارتداء اللثام لدى الطوارق :

يرى «رالف لنتون » «R. Linton» انه حينما يعترف المجتمع بالعشيرة نجد وسائل للابقاء على صلة القرابة ماثلة أمام عين الفرد وللتشديد على أهميتها فأن الوحدة العشائرية يكون لها اسم « خاص » وكثيرا ما تتخذ لنفسها رمزا كحيوان أو شىء معين ينظر اليه أعضاؤها نظرة ملؤها الاحترام ، بل وكثيرا ما يحدث أن تتخذ لنفسها شعارات

يمثل ارتداء اللثام المظهر العام بين الذكور البالغين ، فالشاب عند سن السادسة عشرة أو السابعة عشرة يبدأ فى ارتداء (اللثام) وحمل « السيف » أى يصبح رجلا كامل العضوية فى قبيلته . وترتبط عملية ارتداء اللثام فى المجتمع التقليدى للطوارق بمظهرين أساسيين هما : —

(أ) مرحلة العمر التى يصل اليها الطارقى لكى يصبح من حقه ارتداء اللثام .

(ب) الطقوس المصاحبة لعملية ارتداء اللثام . (٢)

ويسمى اللثام فى « انتمهاقية » (الثاجلموست) وهو عبارة عن قطعة من القماش الأزرق اللامع (عند النبلاء) المصنوع فى السودان (مالى والنيجر) أو الأبيض عند « الاتباع » وتتألف أحسن أنواعه (اللون الأزرق) من أشرطة طويلة عرض كل شريط منها حوالى ثلاثة سنتيمترات . يخاط بعضها الى بعض . بحيث يترك فراغ بين كل شريط وآخر يتيح لصاحب اللثام التنفس وعادة يصل طول اللثام « أربعة أمتار ونصف المتر » . وتعود أهمية اللثام الأزرق الى أنهم يرون أنه يساعد على تكوين طبقة من الشحم أو الدهن على وجه صاحبة تجنبه « التشقق » الذى قد يحدث لشدة جفاف الصحراء ، ولهذا لا يغسل الا بعد استعماله مدة طويلة .

أما اللثام الأبيض فتشير بعض الروايات الى أنه انتشر بين الطوارق عن طريق «العرب» وهو الذى يستعمله « الأتباع » والملاحظ

(١) رالف لنتون — دراسة الانسان — ترجمة عبد الملك الناشف مرجع سابق .

(٢) السويدى : نفس المرجع ص ١٢٢ .

أن طريقة ارتداء اللثام تشير الى القبيلة التى ينتمى اليها الفرد • ولذا فمن الصعب التعرف على قبيلة الشخص التى ينتمى اليها اذا نزع اللثام لانه يشكل جزءا من شخصيته ولهذا لا يمكن التنازل عنه أو التساهل فى نزعه • ومن ينزع لثام طارقى فى المجتمع التقليدى معناه « الموت » والعلامة التى تميز الطارقى « السيد » عن بقية الفئات الأخرى فى المجتمع التقليدى هو « اللثام » فالعبيد القدماء والخدم والمزارعون لا يرتدون اللثام •

وللثام قيم اجتماعية خاصة اذ لا يمكن لطارقى أن يتكلم مع طارقى آخر أكبر منه سنا وقد نزل ممثلا الى أرنبة آنفه • فمثل هذا الموقف يحتم عليه أن يرفعه بحيث لا يظهر الا عيناه ، وذلك احتراما لمحدثه ، كما أن الطارقى لا ينزع لثامه حتى أثناء النوم أو الأكل أو حين العمل •

ومن جانب آخر فأن المرأة لا ترتدى اللثام مهما بلغت من السن متزوجة كانت أو غير ذلك ، وهى تفتخر بزوجها الذى لا ينزع اللثام أمامها • وقد تمتدحه عند النساء بقولها (عشت مع زوجى عشرين سنة دون أن أرى فمه) • [1]

أى • أنه فى نظرها كان طوال هذه الفترة زوجا محترما ، طاهرا نظيفا •

وقد أرتبطت بظاهرة ارتداء اللثام عدة « فروض » لبعض الرحالة الانثروبولوجيين اختلفت فى تفسيرها سبب تمسك الطوارق باللثام تلخص أهمها فيما يلى : —

١ — سهولة التخفى أثناء الحرب وعند القيام بعمليات الغزو على القبائل الأخرى والقوافل •

---

(١) السويدى : نفس المرجع ص ٣٤٦ •

٢ — تجنيب الوجه رمال الصحراء وحرارة شمسها المحرقة •

٣ — اخفاء الجروح الناتجة عن الحرب التى يشترك فيها الطارقى ، حتى لا تحتقره زوجته عند العودة وبالتالى فلن تعزف له موسيقى « الامزاد » •

٤ — الخوف من اتصال الأرواح الشريرة بنفس الانسان عن طريق الفم والأنف •

ويرى « السويدى » بأنه نتيجة للأسئلة التى وجهها الى كبار السن فى الطوارق الذين ينتمون لعدة قبائل التقت اجاباتهم حول تفسير واحد مؤداه أن روايات الاسلام تتفق على أن ارتداء اللثام يراد منه تغطية الفم بشكل أساس لانه بواسطة الفم قد يورط الانسان نفسه وبالتالى عشيرته ، ولأن كل كلمة يقولها البدوى لها مدلولها ومغزاها « كما أوضح آخرون بأن اللثام » ستر للفم الذى يعتبر عورة والمتلثم رجل طاهر وتقى • [1]

ولكن عندما سئلوا عن سبب عدم ارتداء المرأة اللثام أجابوا بأن مكان المرأة هو المخيم ، فهى لا تتفاوض مع الغير ، ولا ترحل من منطقة الى أخرى • ولا تعطى عهدا ، ولا تعقد اتفاقية ولهذا فلا ضرورة لارتدائها اللثام ومع هذا يبقى لغز اللثام تتضارب حوله أقوال الاخباريين وكبار السن •

وفى مجتمع الواحة « المتغير » أصبح اللثام يشكل عقبة فى طريق الطارقى نحو التكيف للحياة الجديدة ، خصوصا فى ميدان « العمل الحديث » فقد تسبب صمود الطارقى على عدم نزع اللثام فى حدوث مشكلات عديدة للطارقى نفسه وللمؤسسات التى يعمل بها ، فشركات

---

(١) السويدى : نفس المرجع ص ٣٤٧ .

التنقيب عن البترول والمعادن عانت منـذ بداية الخمسينات من ظاهرة (الرجل الملتم) الذى يلتحق بها ليعمل أسبوعا أو أسبوعين ، ثم ينقطع عن عمله ، أو عندما تريد المؤسسة دفع أجره يصعب عليها التعرف على شخصية لانه لا يحمل بطاقة شخصية ؛ ولانه ملتم لا تظهر ملامحـه الكافية للاستدلال على شخصية •

ولم تتغلب هذه الشركات على مثل هذه المشـكلات الا بعد أن عينت رؤوساء العمال من الطوارق أنفسهم بعـد تدريبهم . ومع ذلك بقيت مشكلة الرجل المجهول تتحدى العمل الحديث •

وهناك حاليا اتجاه للتخلى عن اللثام تدريجيا أثناء العمـل عنـد (البعض) منالشباب ، وفى المنزل عند (البعض) من الكهول ••

ويورد الباحث عند حديثه عن العلاقة بين فئات السن ومناسبات نزع اللثام قوله (بأن فئات السن فوق (٦٠) سنة لا ينزعون اللثـام أبدا ؛ بينما تزيد نسبة الذين لا يرتدون اللثام الا فى مناسـبات هامة كحفلات الزواج ومناسبة البلوغ والأعياد (٢٦ ٪) وهذه النسبة تتركز فى فئات الشباب الذين يرون أن اللثام أصبح يضايقهم أثناء العمل ، وأنه لم يعد يتناسب مع الحياة الحديثة فى الواحـة • وأن الهـدف الأساسى من اللثام زال بعد زوال الترحال والتنقل فى الصحراء •

تعـليق ••

أقر الباحث بوجود تضارب فى الأقوال حول سبب ارتداء اللثام وفى البـداية أورد عـدة أراء وفروض لعـدد من الباحثين ، فسرت الظاهرة بأراء مختلفة ولم يقل الباحث رأيه أو تفسيره لهذه الظـاهرة على اعتبار أنه مواطن جزائرى أقرب الى معرفة الحقيقة من غيره ••

وأود أن أنفى ما أورده الباحث حول سبب ارتداء اللثام عنـدما قال (ان روايات الاسلاف •• الخ) اذ أنه فى اعتقادى أن اللثام لا يمنع صاحبه من النطق بل أنه يستطيع أن ينطق ما يشاء من خلف اللثام •

والذى يمنع الانسان من التورط فى مثل هذه الأمور هى (القيم والمثل التى تعلمها فى مجتمعه وليس اللثام) • واذا علمنا أن الرجل هو الذى يضع اللثام على وجهه بخلاف المرأة لدى مجتمع الطوارق ، نميل عند ذلك الى الرأى الذى يقول بأن السبب فى وضع اللثام على الوجه انما هو لوقاية الوجه من الأتربة التى تثيرها الرياح فى الصحراء وللوقاية من حرارة الشمس المحرقة ، ذلك بالنسبة للرجل الدائم التجوال عكس المرأة الطارقية التى تقيم دائما فى دارها ولا تتعرض للاتربة وحرارة الشمس ، ولذا فلا ضرورة لأن ترتدى اللثام •

ومع مرور الزمن أصبح وضع اللثام على وجه الرجل الطارقى عادة وتقليدا توارثه الخلف عن السلف ، وأصبح شعارا لعدد من القبائل يميزها عن غيرها •• وفى هذا المعنى تحدث (رالف لنتون) فى كتابة (دراسة الانسان) على صـ ٢٦٥ الذى سبقت الاشارة اليه فى هذه الدراسة •• ومما يزيد تأكيد ما ذهبنا اليه هو اختلاف حجم اللثام ولونه بين طبقتى الاتباع والنبلاء فى مجتمع الطوارق ••

واما عن قول السويدى بأن سبب ارتداء اللثام يعود الى أنهم يعتبرون الفم (عورة) يجب سترها ، فهو قول غير دقيق ، واذا سلمنا بذلك قبل ظهور الاسلام اعتناق سكان المنطقة للدين الاسلامى بعد ظهوره فانه لا يجوز التسليم بذلك لأن الاسلام أوضح بأن فم المرأة أو أن العورة هى المرأة بدليل أنه أمرها بالحجاب • وليس الرجل هو العورة أو هو المطلوب منه أن يتحجب •• وعلى هذا نرى أن هناك قيمة أخرى للثام فى المجتمعات البدوية فى الجزيرة العربية تختلف اختلافا بينا عما ذهب اليه السويدى وحيث يلازم الحجاب المرأة دون الرجل كما سنوضح ذلك فى الفصل الثالث من هذه الدراسة •

الفصل الثالث

دراسة للبناء القبلى فى المملكة العربية السعودية

(بنى كبـــير)

نبــذة تاريخيــة :

تقول المصادر التاريخية فيما يختص بأصل قبائل غامد بأن أصل هذه القبائل يعود الى [1] عبد الله بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر الملقب ب • شنودة بن الأزد عمر وهو غامد الأب الاكبر لقبائل غامد • وغامد هذا ولد له سعد مناة وظبيــان ومالك ومحميه • وولد سعد مناة • (مناة الدؤل) (وثعلبه) وولد « الدؤل » سعد بن مناه (مازن — وكبير — وواليه) ومن مازن عبد الرحمن بن مخنف بن سليمان ابن الحارث بن عوف بن ثعلبه بن عامر بن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبه بن الدؤل بن سعد بن منــاه بن غامد وهم بيت الأزد بالكوفه • ومن غامد أبو ظبيان الأعرج وهو عبد شمس بن الحارث بن كبير بن جشم بن سبيع بن مالك بن أهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبه بن الدؤل بن سعد مناة بن غامد وفد على رســول الله صلى الله عليه وسلم • وهو صاحب راية قومه يوم القادسية ، وابنـــه طارق وكان من الأشراف ، وابن أخيه جندب بن زهير بن الحارث بن الكبير كان على الرجالة يوم صفين مع على بن أبى طالب كرم الله وجهه وبها قتل • ومنهم أبو زينب زهير بن عوف بن الحارث بن الكبير الذى شـــهد على الوليد بن عقبة بشرب الخمر ، قتل يوم صفين • ومنهم عبد الرحمن بن نعيم بن زهير بن شهر ابن رزيق بن غامد بن ذهل بن التؤم بن بكر بن ثعلبة بن الدؤل

---

(١) أبو عباس احمد القلقشندى . نهاية الأرب فى معرفة انساب العرب : تحقيق ابراهيم الابيارى الطبعة الاولى ١٩٥٩ القاهرة . الشركة العربية للطباعة ص ١٠٨ ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .

سعد مناة بن غامد والى خراسان • ومنهم عبد الله بن عائد بن الهبه[١] ابن عوف بن قريع بن بكر بن ثعلبه كان معـاوية بن أبى سـفيان • ومنهم الحجن بن المرقـع بن سـعد بن عبد الحـارث بن الحـارث ابن عبد الرحمن بن مازن بن الدؤل بن سعد مناه بن غامد من أصـحاب على رضى الله عنه وله رواية فى الحديث • ومنهم الحارث بن لفظ بن مهنة بن عامر بن كبير ابن الدؤل بن سعد مناة كان مـع الامام على كرم الله وجهه يوم موقعة (الجمـل) فلقى عمرو بن الأشرف الفنكى والد مسعود وزياد وكان مع أم المؤمنين عائشة رضى الله عنهـا فقتل كل منهما الآخر • وسفيان بن عوف[٢] بن مغفل بن عوف بن عجير بن كليب بن ذهل بن سيار بن واليه بن الدؤل بن سعد مناة بن غامد صاحب الصوايف الى أرض الروم •ومنهم قيس وزهير ويزيد والحـكم بن المغفل أعمام سفيان الذكور وقتل قيس وزهير يوم القادسية وقتل يزيد والحكم يوم النخيلة • ومن غامد أيضا جندب ابن كعب بن عبد الله بن جـزاء بن عامر بن مالك بن عامر بن ذهل الملقب « بجندب الخـير » وهو الذى ينسب اليه قتل الساحر بن يدى الوليد ابن عتبة • ومنهم الشعراء أمثال • عبد شمس بن الحارث بن كبير والشـاعر عبد الله ابن سـلمة •

بطـون غامد القديمـة :

بطون غامد القديمة ذكر منها ابن حزم فى كتاب الانسـاب وكذا أبو العباس فى كتاب نهاية الآرب ما يلى : —

بنو ظبيان • بنو مالك • بنو محمية بن الدؤل ثعلبة بن مازن • بنو كبير ولم يبق من هذه الأسماء من هذه البطون القـديمة سـوى بنو ثعلبة وبنو كبير وبنو ظبيان •

---

(١) من بطون غامد بتهامة .
(٢) مدرسة سفيان بن عوف المتوسطة سمت بذلك نسبة اليه . وهى المتوسطة الوحيدة فى بنى كبير .

ومن البطون القديمة أيضا بنى واليه التى تعتبر الآن داخلة ضمن بنى كبير وأصبحت قرية من قرى هذهالقبيلة وفيها رئاسة القبيلة حاليا •

بطـون غامد الحاليـة :

أصبحت بطون غامد حاليا تتكون من القبائل الآتية : بنو ثعلبـة ومنهم (بنو عبد الله وبنو خثيم والزهران فى البـادية) وبنو كبير • (وقد دخلت اليهم بطن واليه وشكر فى البادية) وبالجرشى • وآل الرهوة والبشهم وغامد الزناد فى تهامة • ثم آل عطوه وبنو هلال وآل مسوده • والبادية رفاعة والقناعة والزهران • ويبلغ تعداد السـكان حاليا مائة وخمسة وعشرين ألف نسمة [1] •

قبيـلة بنى كبـير :

نلاحظ من النبذة التاريخية السابقة أن اسم « بنى كبير » ورد ذكره مرات عديدة ، وأن مصادر التاريخ تقول أنها بطن من البطـون الباقية من قبائل غامد بعد أن أنقرض معظم البطـون عبر التاريخ • ولم تعد بنى كبير بطنا بالمفهوم الاجتماعى الذى يعنى تبعيتهـا لقبيلة أخـرى تتبع نظامها وقانونها وتخضع لسلطة شيخها وتدخل أراضيها ضمن أراضى أخرى • بل انها أصبحت قبيلة لها نظمها الخاصة وحدودها الاقليمية وتتميز عن غيرها من القبائل الأخرى •

ونلاحظ أنه يطلق على هذه القبيلة اسم (قبائل بنى كبير) ونرجح أن هذه التسمية جاءت بعد انضمام (بنى واليه وشـكر) الى قبيـله بنى كبير الأصلية فعرفت بقبائل بنى كبير •

والاسم الرسمى المعتمد لدى أمارة المنطقة هو قبائل بنى كبـير وشيخها يطلق عليه (شيخ قبائل بنى كبير) •• والمتداول بين النـاس هو أسم (بنى كبير أو بنى قابوس) •

---

(١) هذه الاحصائية استقيناها من امارة منطقة الباحة حيث تم تعداد السكان عام ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م •

الموقـــع وأقسام القبيلة :

تقع أراضي بني كبير جنوب (الباحة) وهي العاصـــمة الادارية لقبائل غامد وزهران • ومدينة البــاحة تقع جنوب الطــائف على بعد (٢٥٠) كم على امتداد سلسلة جبال السروات أو ما يسمى بالحجاز ، وهي المنطقة الحاجزة بين البحر الأحمر في غرب المملكة العربية السعودية ومنطقة نجد في الشرق • وتبعـــد أراضي بني كبير عن مدينة البــاحة (٢٠) كم الى جنوبها • وتمتد أراضي القبيلة على امتداد وادي بني كبير من الشمال الى الجنوب وتتوزع القرى التي تشكل قبيلة بني كبير على ضفتي الوادي من الشرق والغرب •

وتنقسم بني كبير الى قسمين رئيسيين هما (الحاضرة والبادية) وعدد السكان فيهما (٢٦ ألف نسمة) منهم ثمانيـــة عشر ألف نســـمة يسكنون أراضي بني كبير الحاضرة ، وثمانية آلاف سكان البادية •

ويحد قبيلة بني كبير من الشمال الحلة وبني ظبيان • ومن الغرب بني ظبيـــان ومن الشرق وادي ثراز ووادي بيشـــة والعقيق ، ومن الجنوب بني خثيم وبلاد خشعم • (أنظر الملاحق) ص (١) •

وتتراوح التضاريس في بني كبير ما بين ســـهول خصبة وجبـــال مرتفعة يخترقها وادي بني كبير الذي يلتقي مع وادي بيشة في نهايته •

بني كبـــير الحاضـــرة

قلنا أن قبيلة بني كبير تنقسم الى قسمين هما الحاضرة والبادية • والحاضرة تطلق على المنطقة الواقعة على ضفتي الوادي وتتكون من ثمان عشرة قرية هي : الغـــير العليا ، والغير الســـفلى ، والحبيس ، والحدب ، والظفير ، والعبادل ، والقليته ، والدهامشـــة ، وبني الية ، والزرقاء ، الكدفة ، والسيار ، والفلاح ، وآل ســـالم ، وآل سرور ، والنعيم ، وميسان ، المرزوق •

واطلاق اسم الحاضرة على هذه القرى جاء نتيجة لان السكان فيها عرفوا حياة الاستقرار بدل الترحال ، وزاولوا مهنة الزراعة ، وسكنوا المنازل • وزاولوا أيضا أنشطة اقتصادية مختلفة • كالصناعات اليدوية بالاضافة الى رعى الأغنام • على عكس البادية الذين لم يعرفوا حياة الاستقرار بعد • ولعل مصدر هذه التسمية جاء من سكان البادية أنفسهم الذى رأوا أن سكان القرى أصبحوا حضريين بمجرد استقرارهم فى منازل وممارستهم لأنشطة مختلفة •

هذه القرى الثمان عشرة تشكل بدنات ثلاث وهى البدنات التى تشكل قبيلة بنى كبير • هى :

بدنة بالحارث وبدنة الجابر وبدنة العلى ويرجع هذا التقسيم انى النسق القرابى • فحارث وجابر وعلى كل منهم الجد الأكبر لأبناء ابدنة واليه ينتسب كل أفرادها ثم يلتقى هؤلاء الثلاثة عند جد واحد هو الذى سميت قبيلة بنى كبير باسمه •

وتشمل كل بدنة على مجموعة من القرى فى الحاضرة وفخوذ فى البادية فبالحارث تتشكل من ثلاث قرى فى الحاضرة هى : العبادل والحبيس ، والفلاح وفخذهم فى البادية يسمى (العطا) •

أما الجابر فتتكون حاضرتهم من عشر قرى هى الغبر العليا والغبر السفلى والظفير ، وبن والية ، والزرقاء ، وآل سالم وآل سرور ، والنعيم ، وميسان ، وآل مرزوق • وتتبع آل جابر أربعة فخوذ أخرى فى البادية ليس لهم اسم خاص •

بينما آل على تتكون حاضرتهم من خمس قرى هى : الحدب انكدفة ، الدهامشة ، السيار ، والقرية الخامسة تقع وسطا بين الحاضرة والبادية وهى المزرعة • ويتبع هؤلاء أربعة فخوذ فى البادية أيضا •

وكل بدنة من هذه البدنات الثلاث الرئيسية التى تتفرع الى فخوذ

تتفرع بعد ذلك الى مجموعة من « اللحام » وهو ما يعرف لدى الكتاب الاجتماعيين بالعائلات الكبيرة الممتدة •• ويزداد النسق القرابى تعقيدا اذا علمنا أن لكل (لحمة) فى الحاضرة • لحمة أخرى فى البادية ؛ يدخلون مع بعضهم البعض فى علاقات مباشرة ويؤلفون وحدة اجتماعية متماسكة (أنظر تفصيل ذلك فى فصل الانساق ص ١٣٦) •

والبدنة فى بنى كبير وحدة متماسكة فجماعة البدنة الأكسوجامية «Lineage group» لديهم خاصية الانتماء الى شخص واحد سميت البدنة باسمه وهذا عامل أولى من عوامل التماسك والوحدة بين الأفراد •

بنى كبير البادية :

يحتل سكان بنى كبير البادية مساحة جغرافية أوسع ويسكنها ثمانية آلاف نسمة تقريبا ، لهم حرية الحركة والتنقل بماشيتهم خلف المرعى والماء • دون الخروج عن أراضى القبيلة •• وهؤلاء يشكلون فخوذ بنى كبير الحاضرة لبدناتها الثلاث فبدنة بالحارث لها فى البادية فخذ العطا الذى ينقسم الى ست لحام هى ، النواعمة ، الرشدة ، الحنونة ، آل مشحن ، وآل عائض ، وآل جمعان •

أما بدنة الجابر فيتبعها الخنافرة ، السلاليب الطلحات ، شكر وأخيرا آل على ويتبعهم أربع لحام هى الثمرة ، والصنادلة ، والمتاعبة ، والمداهشة •

والملاحظة البارزة لدى سكان البادية هى التلاحم القوى بين اللحام التى تشكل الفخذ الواحد ، فالمراعى الخاصة بكل فخذ يمكن أن ترعى فيها اللحام التى تشكل هذا الفخذ ، كما أن منازلها متجاورة باستمرار ، وعندما ترحل احدى اللحام فان البقية ترحل معها بمعنى أنه فى حالة الترحال لا تتخلف احدى اللحام أو تخرج عن رأى

المجموعة • وكما هو الحال أيضا لدى اللحام فى الحاضرة التى تنتهى الى عائلات أصغر فان البادية كذلك •

والملاحظة العامة أن العلاقات الاجتماعية تقوى كلما زادت البدنات واللحام والأسر تفرعا واستقلالا ، فتصبح كالهرم قاعدته تمثل قوة فى العلاقات الاجتماعية ، وكلما صعدنا نحو القمة كلما لاحظنا ضعفا فى هذه العلاقات بصرف النظر عن التلاحم القوى الذى كان يحدث فور شعور القبيلة بخطر عام ، والذى يمكن أيضا أن نرجعه الى تلاحم يبدأ من القاعدة وينتهى الى القبيلة كلها •

البناء السياسى لقبيلة بنى كبير :

كانت القبائل فى الجزيرة العربية تعيش حالة مستمرة من النزاع على الأرض والماء والكلأ وحوادث القتل والثأر والخطف • وكأنهـا أمور عادية لابد أن تعيشها ، ولايزال كبار السن يروون لنا كيف كانت حياتهم تعتمد على « القوة » ويكتنفها الصراع • وكيف كانت تنشب الحروب بين القبائل بل أنه فى أحيان كثيرة كانت تنشب معارك بين البدنات المختلفة داخل القبيلة الواحدة اما لصراع على أرض ، واما لحادث قتل وطلب الثأر • والاعتداء على الأرض من قبل طرف آخر جريمة تستحق العقاب والاعتداء على فرد من أية وحدة اجتماعية يستلزم من وحدته الاجتماعية أن تطلب الثأر •• وهكذا •

ونتيجة لهذا الصراع المستمر والخوف على القبيلة من الفناء عن طريق التفكك الذى يأتى نتيجة للنزاع والتناحر المستمر • لابد من ايجاد طريقة تحفظ التوازن داخل القبيلة وترعى مصالحها • فكان منصب شيخ القبيلة هو أخطر المناصب وأهمها • ويعاونه فى تطبيق القانون وتحقيق الضبط الاجتماعى فى القبيلة عدد من عرفاء القرى يشكلون (مجلس القبيلة) • فعندما تحدث مشكلة طارئة يجمعهم الشيخ فى داره ويعرض عليهم الأمر • وبعد مشارات بين أعضاء

المجلس يبلغون شيخ القبيلة برأيهم فاذا استحسنه بدأ تنفيذه على الفور .

سلطات الشيخ ومجلس القبيلة : (١)

لابد أن يستعين شيخ القبيلة بأهل الحكمة والرأى لمساعدته فى حل المشكلات والقضايا ، ولابداء المشورة والرأى فى أى أمر طارىء ، وكان مجلس القبيلة يتألف من عرفاء القرى وكبار السن فيها المشهود لهم بالحكمة وسداد الرأى ويشترط فى أعضاء المجلس التواجد فور طلب الشيخ . ومساعدته أيضا فى فرض الأحكام وتطبيق القوانين على الأفراد الذين يصدر المجلس بحقهم العقوبات بمعنى أن هذا المجلس كان يسن القوانين ويساعد على تطبيقها ، لأن أعضاء المجلس يتم انتخابهم من القرى وهم أقدر على تطبيق العقوبة على الجانى مباشرة أو تحويله الى الشيخ لتطبيقها . وكانت العقوبات تتراوح حسب الجرم تبدأ من الاعدام وتنتهى بالتشهير والغرامة المادية .

فعندما تقع جريمة قتل فانها اذا كانت داخل الوحدة الاجتماعية بمعنى أن يكون القاتل والقتيل من وحدة اجتماعية واحدة فانها غالبا ما تنتهى بالعفو والسماح وفى أحيان قليلة بقبول الدية لكن الأمر يختلف عندما يقع الحادث بين وحدتين متباعدتين . الأمر الذى يستدعى من شيخ القبيلة ومجلسها القيام بنشاط أكبر من أجل تقريب وجهات النظر . وغالبا مايسوى الأمر بالقصاص وفى أحيان قليلة كان يتم قبول الدية .

(واللحية) لديهم كانت لها قيمة اجتماعية كبيرة ، فحلق اللحية من العقوبات الشديدة التى تطبق على الجناة ، فكان الرجل الذى يشهد

---

(١) نعنى بهذه السلطة تلك التى كان يمارسها شيخ القبيلة فى غياب الحكومة المركزية ، أما بعد وجود هذه الحكومة بدخول المنطقة فى الحكم السعودى ووجود النظام الذى يسير دفة الامور وينظم الحياة الاجتماعية وفقا لاحكام الشرع فقد تلاشت هذه السلطات .

زورا أو يتهم امرأة فى عرضها وشرفها أو يسرق ، أو يتلفظ على أحد المشايخ بألفاظ نابية يعاقب بحلق لحيته ، وفى ذلك تشهير به واهدار لكرامته وقد حث الاسلام على مخالفة المشركين وعدم حلق اللحية حيث جاء فى الخبر عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« خالفوا المشركين وفروا اللحى واحفوا الشوارب » متفق عليه .

وفى رواية (أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى) .. ومعنى احفوا الشوارب خذوا مازاد عن الحافة فيها ، أما حلق الشوارب كاملة فهى بدعة لم تكن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم .

وهكذا نلاحظ أن تكريم اللحية واحترامها يرجع الى أن الدين الاسلامى حث على بقائها وعدم الاستهانة بها . ولأن اللحية لديهم تمثل الشرف والكرامة والرجولة ، كانت من السمات التى كانت تميز الرجال فالمثل الشعبى يقول (سبحان من زين الجبال بحياها والرجال بلحاها) والحيا هنا المقصود به العشب الذى ينبت على سفوح الجبال فيعطى للجبال منظرا جميلا ، وكثير ما كان يشتم الرجل ويهزأ بالقول (أزلق الدقن) بمعنى حليق أو عديم الدقن . وأقل العقوبات فى القانون القبلى هى (الغرامة)التى كانت توقع من أجل المخالفات الصغيرة كالاعتداء على منطقة رعى أو أرض زراعية بماشية ترعى فيها . (أنظر تفصيل ذلك فى فصل الانساق ـ نظام الملكية ص ١٥٣).

وليست سلطات شيخ القبيلة محصورة فقط فى اصدار الأحكام بالعقوبات لكنه كان صاحب الرأى النهائى فى الأحكام التى يصدرها مجلس القبيلة وله حق الاعتراض عليها اما بزيادتها أو التخفيف منها حسب ما تمليه المصلحة العامة . كما أنه هو الذى كان يصدر أوامره باعلان الحرب أو السلم ، وهو الذى يتحدث باسم القبيلة لدى القبائل الأخرى . وهو الذى كان يقر أو يرفض الحلف مع قبائل أخرى ..

وبمعرفة الشيخ كان يتم اختيار الشباب وتدريبهم للحروب ، وكان منزله هو الوحيد الذى تعقد فيه الاجتماعات الخاصة بالقبيلة أو عندما يفد أحد من خارج القبيلة لابرام صلح أو التفاهم حول أمر من الأمور ، وكان من سلطته أنه هو الذى يوزع المراعى بين الوحدات الاجتماعية المختلفة فى القبيلة ، وكان من حقه أيضا أن يسمح لأى قبيلة أخرى بالرعى فى أراضى قبيلة فى حالة اصابة أرض الأولى بالجدب •

ويقول الاخباريون أنه كان لدى شيخ القبيلة السجن الخاص للجناة والخارجين على القانون يقوم عليه مجموعة من العبيد كسجانين ومنفذين للعقوبات التى يصدرها مجلس القبيلة وشيخها •• ولذلك فقد كان الفرد الذى تسول له نفسه بارتكاب جرم يخرج به على القانون يتراجع عندما يتذكر بأن سجن الشيخ ينتظره وبأن العقوبة ستنفذ بصرامة متناهية •

وكانت تحال الى شيخ القبيلة كل مشكلات الطلاق والفقه والميراث وتوزيع التركات والديات ويستعين الشيخ فيما خفى عليه من هذه الأمور بـ (الفقيه) وهو الرجل الذى عنده المام بأمور الدين فيستشير الفقيه فى ذلك وينفذ الشيخ ما يحكم به الفقيه • ويشترط فى الفقيه هذا أن يكون على قدر من الصلاح والعلم والعدالة وهو الدور الذى يقوم به القاضى اليوم وتنفذه السلطة الادارية الرسمية فى الحكومة •

وليست قاصرة سلطات شيخ القبيلة على الأمور الداخلية اذ ربما اقترف شخص من قبيلته جريمة وقع ضررها على شخص من قبيلة أخرى وعندها فان الواجب يقضى على الشيخ بأن يلقى القبض على الجانى ويسلمه الى القبيلة الاخرى للقصاص منه وبعد أن يقوم بهذا الواجب يبذل وساطته الى نظيره الآخر للتخفيف عن الجانى ، لكن الامور فى بعض الاحيان ليست سهلة اذ ربما قامت الوحدة الاجتماعية التى ينتمى اليها الجانى باخفائه والتستر عليه والتمرد على أوامر الشيخ بتسليمه وعندها يرسل الشيخ عبيده لاحضار الجانى فتدور معركة بين أفراد الوحدة

الاجتماعية وبين مندوبى الشيخ • لكن الشيخ فى النهاية يصل الى الجانى وذلك عن طريق القاء القبض على أحد أقاربه والاحتفاظ به « كرهينة » لحين تسلم الجانى الحقيقى ، وعلى الرغم من كل ذلك ، فان الامور كانت تسوى غالبا خاصة اذا أدرك أفراد الوحدة الاجتماعية أن تسليم الجانى يعود عليهم بالهدوء والطمأنينة والا أصبحوا تحت طائلة التهديد باختطاف أحد منهم وانزال العقوبة عليه •

وكان الشيخ — أحيانا — يحاول التستر على الجانى خاصة اذا كان الجانى من الرجال الذين يمارسون أدوارا هامة فى القبيلة كأن يكون محاربا شجاعا فيختار رجلا آخر أقل منه شأنا ويسلمه للوحدة الاجتماعية المعتدى عليها على أساس أنه هو الجانى الحقيقى ويطلب ايقاع العقاب عليه • ويمر هذا التصرف على القبيلة الاخرى التى لا تكون على يقين من شخصية الجانى الحقيقى ••

ولهذا الدور الهام الذى يلعبه شيخ القبيلة كان لابد أن يخضع منصب المشيخة لعدة اعتبارات هى :

١ — أن يكون الشيخ من عصبة أقوى من غيرها فى القبيلة وغالبا كان هذا الأمر يؤخذ فى الاعتبار اذا كانت القبيلة فى حالة حرب أو فى انتظار وقوع حرب جديدة مع قبائل أخرى ، ذلك لأن هذه العصبة القوية لديها أكبر عدد من الافراد الذين سيشاركون فى الحرب بحماس شديد اذا كان الشيخ من عصبتهم •

٢ — أن يكون الشيخ من أفضل أفراد القبيلة حكمة وحسن قول وبعدا عن التهور ، خاصة وأنه هو الذى ينوب عن القبيلة لدى القبائل الاخرى للتفاوض فى الشؤون العامة وحل المشكلات الطارئة • حيث كان يستدعى شيخ القبيلة من طرف شيوخ القبائل الاخرى ليشارك بالاسهام بالرأى فى حل مشكلات تخص تلك القبيلة ، وبما انه يمثل القبيلة كلها ، فان الواقع يفرض اختياره أن يكون على قدر كبير من المعرفة وأن يحسن التحدث بطلاقة وأن يكون ملما بأمور الدين والقانون القبلى •

٣ — أن يكون شيخ القبيلة ممن لديهم فائضا ماديا ، ذلك لان منصبه يحتم عليه القيام بأدوار معينة ، منها أن يستقبل الوفود من القبائل الاخرى لاى غرض كان ، فلابد أن يكرم هؤلاء الضيوف . والا اتهمت القبيلة بالبخل والتقصير .

على أن هذه الاعتبارات ان توفرت فى شخص وانتخب لشغل منصب شيخ القبيلة فان ذلك لا يكون مبررا له أمام مجلس القبيلة لارتكاب أعمال مخالفة ضد أى فرد . قام بعمل غير لائق فان للمجلس الحق فى تنحيته واختيار البديل كما أشرنا الى هذه الحادثة عند الحديث عن الضبط الاجتماعى فى الفصل الثانى من الباب الاول .

وحدات البناء السياسى فى بنى كبير :

تعرفنا فى الصفحات السابقة الى الدور الذى يمارسه شيخ القبيلة ، وعلينا الانتقال الى دراسة البناء السياسى نفسه الذى يقودنا بالتالى الى فهم طبيعة النسق السياسى .. ومن غير شك فان الدراسات السابقة عن النسق السياسى أفادتنى الى حد كبير ، عندما تعرفت على الآراء المتضاربة سواء فى تعريف النسق السياسى نفسه أو أشكاله وصوره المختلفة ..

ولست بحاجة الى ترديد تلك الأقوال التى تزخر بها كتب الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع .. وفى اعتقادى بأن هؤلاء لم يتوصلوا بعد الى اتفاق على رأى محدد فى هذا المجال ، وان كنت اعتقد بأن التركيز على الدراسات الحقلية هو الذى سيقود فى النهاية الى الرأى المنشود فى النسق السياسى . غير أنه تبقى هناك مشكلة أخرى لاتزال قائمة وهى « اختلاف المجتمعات الانسانية نفسها ، واختلاف نظمها الاجتماعية ووسائل الضبط الاجتماعى فيها ، والديانة السائدة فى كل منها وحاجة كل مجتمع من هذه المجتمعات الى وجود تنظيم سياسى أو نسق للتحكم فى العلاقات بين الجماعات المختلفة وتوجيه علاقات أعضاء كل جماعة من تلك الجماعات التى تؤلف المجتمع الكبير .

ومجتمع بنى كبير • مجتمع « انقسامى » تتعدد فيه الوحدات الاجتماعية وتتفرع الى فروع أصغر كلما اتجهنا نحو القاعدة • ويرتبط بذلك انقسام مكانى أيضا •

وتيسيرا للدراسة والفهم اخترت (بدنة بالحارث) لتفصيل هـذا البناء •• فقد سبق أن بدنة بالحارث احدى البدنات الثلاث التى تشكل قبيلة بنى كبير ، وقلنا أنها تتشـكل من ثلاث قرى فى بنى كبير الحاضرة هى « العبادل — الحبيس — الفلاح » فاذا بدأنا بالفرد فى القرية نجد أنه يحتل مكانة هامة ذلك لأن الاهتمام بالأفراد انما هو اهتمام بوحدة القبيلة وتماسكها •• فعلى الرغم من الانقسام الذى سنشير اليه ، ووجود الصراع بين الوحدات الاجتماعية فان فكرة الاسرة والعائلة تتضمن فى الوقت نفسه فكرة التضامن والتعاون • وهما أمران يحتمان على الافراد السرعة فى تسوية الخلافات • والقضاء على أسباب الصراع • دون تدخل طرف خارجى •

وليس من الصعب الى درجة كبيرة التفريق بين دائرة القرابة والسياسة فى مجتمع بنى كبير ، وذلك على الرغم من أن العلاقات القرابية تميل الى الامتداد والتشعب بطريقة معقدة •

فاذا حددنا موقع هذه البدنه على خارطة بنى كبيرة (انظر الملاحق ص ١) نجد أن القرى الثلاث التى تشكل هذه البدنه تقع على مسافات متباعدة قياسا الى خارطة بنى كبير الكلية فقريتى الحبيس والفلاح تبعد عن قرية العبادل التى تقع بينهما بمسافة تتراوح بين ٢ : ٣ كم مما يؤكد حدوث انقسام مكانى بهذه البدنه بعد أن تكاثر أفرادها عبر التـاريخ فاقتضت المصلحة أن يحدث ذلك الانقسام •

هذه القرى الثلاث تقوم بين الافراد فيها علاقات اجتماعية قوية اذا قيست بالعلاقات بينها وبين القرى الاخرى • التى تشكل بدنتى العلى والجابر •

وتزداد هذه العلاقات قوة داخل القرية نفسها ، ثم تزيد قوة أيضا داخل اللحام نفسها ، ثم داخل العائلات الأصغر فالأصغر .. واذا أمعنا النظر نجد أن العلاقات الاجتماعية تقوى وتضعف تبعا لقرب أو بعد الانتساب لجد واحد ، فقرية العبادل تنقسم داخليا الى (أربع لحام) تنتسب كل لحمة الى جد واحد وهذه اللحام هى « العطا — المعلى بن عبادل — العاقيب — الشعبه » ويقوم بين اللحام الأربع علاقات قوية تتمثل فى التعاون المطلق بين أفرادها .

ولو أخذنا بعد ذلك « لحمة العطا » لنتعرف الى تقسيمها الداخلى نجد أنها تتكون من وحدات قرابية ترجع الى جد واحد هو الجد الخامس أو السادس ، بمعنى أن هذا التقسيم لا يتجاوز الخمس الى ست طبقات عمرية . وهم « آل أحمد — آل صالح — آل مسفر — آل هيال — آل هندى » . ثم تنقسم بعد ذلك هذه الوحدات الى عائلات أصغر نسبيا فاذا أخذنا « آل أحمد » كمثال نجد انهم ينقسمون الى عائلات فرعية ينتمون الى الجد الثانى أو الثالث وهم « القذران — المسفر — المعلى — المارق المليحه — آل عبيد الله » .

ثم انقسمت هذه العائلات مكانيا كل منها الى قسمين ماعدا الأولى فقد انقسمت الى أسر ثلاث ليصبح التقسيم على التوالى : آل فالح . آل صالح . آل ابراهيم . ثم آل سعد وآل حترى ، ثم آل ناصر وآل سالم . ثم آل أحمد وآل سعد ، ثم آل عبد الغنى وآل عبد الرحمن ، وأخيرا آل ابراهيم وآل عبد الله ، وهنا ملاحظة هامة وهى أن التقسيم الأخير معدل أفراد الأسرة الواحدة فيه يزيد عن خمسة أفراد يعيشون عيشة مشتركة .. وأتبع هذا التقسيم خروج عن نطاق العائلة المركبة الممتدة الأكبر الى عائلات ممتدة أيضا ولكنها أصغر نسبيا من سابقاتها . وتبعا لذلك فقد حدث استقلال بالارض واستقلال اقتصادى .. ومن عند هذه العائلات أو الاسر الأصغر تبدأ القاعدة فى العلاقات الاجتماعية وهى التى وصفناها بالقوة وكلما صعدنا الى أعلى كلما قلت شدة وقوة هذه العلاقات . وهكذا ..

وما ينطبق على قرية المبادل من تقسيم ينسحب على القرى الاخرى من بدنه بالحارث ، بل تزداد العلاقات الاجتماعية تعقيدا اذا علمنا ان لكل وحدة من هذه الوحدات وحدة قرابيه آخرى فى قريتى المفلاح والحبيس تلتقى معها فى الجد السابع أو الثامن • وهذا التطابق ينسحب على البدنتين الاخريين العلى والجابر ، وبطبيعة الحال فان هذا التقسيم يمتد الى بنى كبير البادية •

ونخلص من كل هذا الى القول بأن البناء السياسى فى بنى كبير يبدأ من الفرد الى الأسرة الى العائلة •• الى كل الاشكال والصور التى اوردناها حتى ينتهى الى القبيلة الأم •

بمعنى أن الأجزاء تكون التنظيم الكلى ضمن اطار اقليمى محدد أو بعبارة اخرى يمكن أن نقول « بأن البناء السياسى لقبيلة بنى كبير يرتبط فى أساسه بثلاث مقومات رئيسية هى النظام القرابى ، والاطار الاقليمى ، والمصالح المشتركة » هذه المقومات بطبيعة الحال استدعت ترتيب الأدوار التى يقوم بها الأفراد ، فلكل وحدة قرابية كبير أو رئيس يرجع اليه الأفراد عند حدوث أى طارىء ليفصل فى المشكلات ويقدم الحلول • وهو الذى يتم اختياره من قبل رؤساء العائلات لينوب عن القرية فى مجلس شيخ القبيلة الذى أشرنا اليه فى بداية هذا الفصـــل •

والعائلة تقوم بدور هام فى فض المنازعات التى تقوم بين الأفراد قبل أن يتدخل أحد من (اللحمة) أو القرية أو الفخذ أو البدنة أو شيخ القبيلة • وهكذا نلاحظ ترتيبا فى التدخل فى حل المنازعات تبعا لترتيب دور الأفراد •

وعلى الرغم من هذا فان العائلة نفسها نعتبرها جزءا من النسق القرابى وليست جزءا من النسق السياسى نفسه هذا النسق الذى يهدف الى المحافظة على نظام المجتمع بالتعاون مع الانساق والنظم الاخرى •

وهذا النسق لايمكن أن يقوم من فراغ فلابد من وجود حدود أقليمية ويرتبط بالأفراد الذين يعيشون فى هذا الاقليم « الوطن » وبنى كبير تعرف حدودها الاقليمية منذ تاريخ قديم . واما المصالح المشتركة فانها تقتضى فى أحيان كثيرة استخدام « القوة » للدفاع عنها أو لتحقيقها ، هذه القوة تستمد من البناء نفسه الذى يتألف من هيئات ومجموعة ووحـدات سياسية متخصصة ، وليس معنى القوة هنا القوة الفيزيقية بل قد تتخذ أشكالا مادية أو معنوية أو أدبية يمارسها الرؤوساء بهدف المحافظة على النظام الاجتماعى ككل . اما عن طريق القانون أو العرف القبلى أو عن طريق الحرب فى حالة الاحساس بالخطر وقد تضطر القبيلة كما هو الحال فى المجتمعات الانسانية الى اللجوء الى القوة للمحافظة على هذا النظام وخاصة اذا تكرر خرق القانون . وقد رأينا كيف أن شيخ القبيلة قد يدخل فى صراع مع بعض الوحدات الاجتماعية عندما يريد أن يطبق القانون ويقتص من المعتدى .

وبما أن منصب الشيخ فى بنى كبير لم يؤخذ عنوة وقهرا . وانما يتم اختيار الشيخ ، ويمكن تنحيته ، فهو كما أسلفنا سلطة سياسية مختارة لتنفيذ القانون والمحافظة على النظام الاجتماعى وعلى كيان القبيلة واستمراريته . وذلك على الأقل فى المائة سنة الماضية التى استطاع الاخباريون تأكيد عملية انتخاب شيخ القبيلة .

فاننا نرى أن النسق السياسى فى بنى كبير ليس مستقلا عن البناء الاجتماعى للقبيلة نفسها ، بل أنه نسق متفاعل مع الانساق الاجتماعية الاخرى وهذه الانساق كلها لها دور سياسى الى جانب الوظائف التى تمارسها والمتعلقة بطبيعة العلاقات القائمة .

الفئات الاجتماعية فى بنى كبير :

قلنا فى بداية الفصل الثانى من هذه الدراسة بأن مجتمع بنى كبير يعرف نوعا من الفوارق الطبقية بين فئاته المختلفة . وقد أشرنا الى شىء

من ذلك فى حينه • واذا قارنا هذا المجتمع بغيره من المجتمعات الاخرى التى درسناها كالنوير والطوارق نجد أن الفـــروق الطبقية هنا شىء لا يذكر ـــ لكن ذلك لا يعنى عدم وجود فوارق بين الفئات المختلفة داخل المجتمع •• وقد ذكرنا فى أول هذا الفصل بأن مجتمع قبيلة بنى كبير يتكون من قسمين رئيسيين هما بنى كبير الحاضرة وبنى كبير البادية ، والبدو جميعا يمارسون مهنة واحدة هى (الرعى) بينما نجد أن الحاضرة يعرفون عدة مناشط اقتصادية كالتجارة والزراعة ودباغة الجلود وصناعة الفخار بالاضافة الى حرف أخرى (انظر تفصيل ذلك فى الفصل الثانى من هذا الباب ـــ النسق الاقتصادى) •

والتقسيم الطبقى فى مجتمع بنى كبير جاء بناءا على هذه المناشط فأصبح فى المجتمع أربع فئات بالاضافة الى فئة العبيد التى كانت معروفة وقائمة حتى وقت ليس ببعيد وهذه الفئات هى :

(أ) فئة التجار والمزارعين •

(ب) فئة دابغى الجلود •

(جـ) فئة صناع الحديد •

(د) فئة صانعى الفخار •

(هـ) فئة العبيــــــــد •

والفئة الأولى التى تضم التجار والمزارعين تأتى فى أعلى مرتبة فى السلم الاجتماعى ، ولم يخرج منصب شيخ القبيلة عن هاتين الفئتين الى احدى الفئات الاخرى • ولهؤلاء نظرة خاصة الى الفئات جـ . د . هـ •

أما فئة دابغى الجلود فتأتى فى المرتبة الثانية بعد التجار والمزارعين والنظرة اليهم ليست كالنظرة الى الفئات الثلاث جـ . د . هـ • وتقوم علاقات المصاهرة بين أفراد هذه الفئة الأولى أى أنه يمكن أن يتزوج أفراد من أ ، ب كأن يتزوج الفتى من الفئة (أ) من فتاة من الفئة (ب)

والعكس • وتفسير ذلك يرجع الى أن أفراد الفئة (ب) ليسوا مهاجرين أو دخلاء على القبيلة بل ان نسبهم يلتقى مع نسب أفراد الفئة (أ) وتتركز مهنة الدباغة بشكل أكثر فى قرية (الحدب) وهى احدى القرى التابعة لبدنة العلى •

فئة الصناع • وتأتى فى المرتبة الثالثة فى السلم الاجتماعى ، ويمارس أفراد هذه الفئة صناعة الحديد كالسكاكين والآلات التى تستخدم لتكسير الصخور وكل ما يستخدمه أفراد القبيلة فى حياتهم اليومية من أدوات حديدية • وأفراد هذه الفئة لا تنشأ بينهم وبين أفراد الفئة أ ، ب أية علاقة مصاهرة فلا يتزوج أفراد أ ، ب من بنات (جـ) كما أن بنات أ ، ب لا يتزوجن من أفراد من (جـ) وتتوزع منازل أفراد هذه الفئة فى عدد من قرى القبيلة ولا تزيد عن عشرين منزلا فى القبيلة كلها ، ويميل لونهم الى السواد ولهم ملامح خاصة •

فئة صانعى الفخار : يقول الاخباريون عن هذه الفئة أنهم أصلا ليسوا من أبناء القبيلة ولا ينتمون اليها من حيث أنسابهم ، ويتركز هؤلاء فى قرية تقع فى منتصف وادى بنى كبير اسمها (المشاطيه) ولهم أسرة واحدة فى قرية (الحدب) • ويمارس أفراد هذه الفئة وخاصة النساء صناعة الفخار بالطرق التقليدية • وينتجون الانية التى يطهى فيها الطعام والتى كانت شائعة الاستخدام فى القبيلة حتى عهد قريب ، حين عرف السكان آنية الطعام الحديثة قبل حوالى خمس عشرة سنة ، وقبل هذا التاريخ كان من النادر جدا أن نجد (حلة) فى بيت فى القبيلة ماعدا القدور الكبيرة التى تطهى فيها الذبائح فى أوقات المناسبات التى تحتاج الى ولائم كالاعراس والختان وما شابه ذلك • وينتج هؤلاء آنية مختلفة الأحجام متعددة الأغراض (أنظر شرح ذلك فى فصل الانساق — النسق الاقتصادى) •

ولا تقوم بين هذه الفئة وفئتى أ ، ب أية روابط مصاهرة •

فئة العبيد : كان تملك العبيد أمرا ميسورا لمن يمتلك المال وكانت

ظاهرة الرق منتشرة حتى عهد قريب الى أن كان العام ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م ، حين اصدرت حكومة المملكة العربية السعودية فى عهد الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود أمرا بتحرير الرق والغـــائه من المجتمع العربى السعودى ، وكانت بعض الأسر فى مجتمع بنى كبير تمتلك أعداد من العبيد يؤدون الخدمات العامة كالزراعة والرعى واعداد الأطعمة وجلب المياه والحطب الى غير ذلك من الخدمات التى تأنف الفئات أ ، ب من القيام بها ، ويأتى هؤلاء فى أدنى مرتبة فى السلم الاجتماعى •

ويمكن أن نقول بصفة عامة أن الفرد فى البناء الاجتماعى القبلى يحتل مكانة هامة يستمدها من الدور الذى يمارسه فى البناء القبلى ، وهذا لا يعنى أننا نقول بأهمية الفرد فى البناء القبلى ونغفل أهمية الجماعة • أو أن أهمية الفرد تأتى على حساب أهمية الجماعة ، بل أننا نرى أن الاهتمام بالفرد انما هو اهتمام بالجماعة نفسها وبالتالى بالقبيلة كلها •

والأهمية التى يكتسبها الفرد تعود فى الأصـــل الى قدرته على المساهمة بشكل أو بآخر فى المحافظة على استمرارية بناء ووحدة القبيلة والدفاع عنها •

فبقدر ما يمارسه الفرد من أدوار ، وما يحتله من مكانة اجتماعية تبعا لهذه الأدوار ، بالاضافة الى الفئة التى ينتمى اليها بقدر ما يكتسب أهمية • وبالمقابلفان الفرد الذى لا يمارس دورا هاما ، وبالتالى لا يحتل مكانة اجتماعية ، ولا ينتمى الى فئة قوية تتمتع بمركز اجتماعى جيد ، لا يتمتع بأهمية تذكر فى البناء القبلى • اذن فالاهتمام بالفرد أو عدمه يتعلق بالدور والوضع والمكانة والانتماء لوحدة أو لجماعة معينة • ذلك أن اهتمام القبيلة ينصب بالدرجة الأولى على بقائها وحدة متماسكة قوية ، ولا يحقق لها هذا المطمع الا الأفراد الذين يشكلون الجماعات وهذه الجماعات هى التى تشكل البناء القبلى كله •

دراسة مقـــــــارنة :

اذا قارنا البناء القبلى فى بنى كبير بنظيره فى كل من (النوير) و (الطوارق) نجد نقاط التقاء ونقاط خلاف شـديدة بين المجتمعات الثلاثة ، فأما نقاط الالتقاء فتتضح فى أن كل من القبائل الثلاث يميزها اسم يجمع بين أفراد كل منها ، ويشعرون بالانتماء الى مجتمع معين كما أنه يجمع كل قبيلة اسم خاص • أما السلطة السياسية فهى تبدو للملاحظ الذى ينظر الى المجتمع فى مواقف معينة وكأنهم يكونون بناءا هرميا للسلطة بحيث أن هذا البناء جعل أصغر الوحدات تذوب وتتحد فى الجماعة • وكما هو الحال فى مجتمع النوير وكذا الطوارق فان الوحدة السياسية فى بنى كبير هى (القرية) هذه القرية التى كما أسلفنا تتكون من وحدات أو جماعات تربطها وحدة الاقامة المشتركة كما ينتظمها نسق من روابط القرابة ويكون الأعضاء فيها كلا مشتركا يتعاونون فى مناشط اجتماعية مختلفة وبينهم وحدة وشعور عاطفى بالانتماء الاقليمى • والشىء الذى يحكم أو يحدد مدى الوحدة السياسية عند التعرض لمواقف الحرب مثلا هو العلاقة التى تفصـل بين الأطراف المتمايزة والمراكز النسبية لهم فى البناء القبلى • فلو نشأ موقف نتيجة لوقوع حادثة قتل فان ردود الفعل تتحدد نحو هذه الحادثة تبعا للعلاقة بين القاتل والقتيل والمسافة (البنائية) التى تفصل بين الجماعة التى ينتمى اليها كل من القاتل والقتيل • فقد ينتهى الأمر مثلا بالتنازل أو أخذ الدية أو قد يستدعى الأمر القصاص اذا كانت المسافة البنائية بينهما واسعة • كما أشرنا الى ذلك من قبل •

ويمكن القول بأن نسبية الانتماء السياسى فى بنى كبير تتحدد فى معانى كلمة (الوطن) أو الديره أو الحمى كما يسمونه مع افتراض نسبية هذا المعنى أيضا • بحيث تنطبق على (اللحمة) فى القرية أو الأقسام القبلية الثلاثة التى ذكرناها وصولا الى الاقليم القبلى ككل ، فالكبرى تصدر معاملاته وتصرفاته مع غيره عن قيم الارتباط بوطن معين• يضيق مداه ويتسع طبقا للمسافة البنائية الفاصلة بينه وبين الذى يتعامل

ينتمى الى قريه معينة عندما يتعامل مع فرد من قرية آخرى بل هو من لحمة معينة عندما يتعامل مع آخر ينتمى للحمة أخرى ولو من نفس القرية وذاك هو ما يميز الوحدة السياسية والبناء القبلى فى هذا المجتمع .

فأفراد العائلات المختلفة الذين ينتمون الى قرية واحدة والذين ينقسمون نتيجة لنزاع داخلى يحدث بينهم يلتحمون ليكونوا كلا سياسيا يمثل القرية فى مواقف النزاع التى تتعلق بجماعة تنتمى الى قرية أخرى وهكذا . وهذا ما يمكن أن نسميه أو هى تعبر عن نفسها بخاصيتى الانقسام والالتحام وهما خاصيتان تميزان الوحدة السياسية والبناء القبلى .

وأما أبرز نقاط الاختلاف فأولها يتعلق بالقانون والعرف القبلى ذلك أنه القانون والعرف فى مجتمع بنى كبير مستمد فى أساسه من الدين الاسلامى على العكس من القانون فى المجتمعين المشار اليهما وبهذا يختلف النظام الاجتماعى بين هذه المجتمعات وبعضها ، ويقوم الزعيم « ذى جلد الفهد » فى مجتمع النوير بدور يشبه الدور الذى يقوم به (الفقيه) فى مجتمع بنى كبير كما يشبه أيضا الدور الذى يلعبه شيخ القبيلة الا أن وجه الاختلاف هنا بين الزعيم ذى جلد الفهد وبين الفقية وشيخ القبيلة يرجع الى أن الأول يرجع سبب الاحترام والتقدير له الى فكرة ارتباطه بالأرض وهو ارتباط مقدس لدى مجتمع النوير . وفى نفس الوقت فان للقبيلة فى مجتمع بنى كبير شيخ واحد ولكن فى مجتمع النوير يكثر الزعماء ويتعددون مما قد يسبب اختلافات كثيرة فى الرأى بين هؤلاء الزعماء ، واما الفقيه فى مجتمع بنى كبير فيعود أهمية المركز الذى يحتله الى الناحية الدينية التى يتمتع بها وقدرته على فهم الأحكام الشرعية وسرعة البت فى المشكلات التى تطرأ فى ضوء هذا الفهم وفى حدود هذه المعرفة . ومن ناحية أخرى فان الفقيه لا علاقة له بالوظائف

السياسية التى يمارسها الزعيم ذى جلد الفهد ويعرف مجتمع النوير وكذا الى حد بعيد مجتمع الطوارق مراكز أخرى كالمركز الذى يحتله « الكاهن » وكذا رجل الماشية ولهذين المجتمعين اعتقادات مختلفة الصور فى الرجلين الذين يشغلان هذين المركزين • فى حين أنه لا وجود أصلا لمثل هذين المركزين فى مجتمع بنى كبير •

واذا أردنا المقارنة بن شيخ القبيلة والزعيم ذى جلد الفهد نجد أن الأول يتمتع باحترام وتقدير فى أوقات السلم والحرب فى حين أن الزعيم ذى جلد الفهد يفقد مكانته هذه فى أوقات السلم ولا يتنبه الناس اليه الا عند الحاجة والضرورة كأن تقع حادثة قتل أو نشوب حرب فى المجتمع •

ويعرف النويريون كذلك نظام (طبقات العمر) وتقوم بين هذه الطبقات علاقات وروابط • لا يوجد نظير لها فى مجتمع بنى كبير حيث أنه يحرم على الفتى فى مجتمع النوير الزواج بفتاة من نفس طبقة عمره • أو أن يتصل بها جنسيا ، ذلك لأن هذه الفتاة من وجهة نظر النويريين (ابنة لهذا الفتى) • ومن ناحية أخرى فان سبب قوة الروابط والعلاقات بين الذكور فى الطبقة الواحدة فى النوير ترجع الى أنه أريقت دماء هذه المجموعة فى وقت واحد عندما أجريت لهم (عملية قطع الجبهة) وهى العلامات المميزة فى الحياة لدى مجتمع النوير •

أما فى مجتمع بنى كبير فان طبقا تالعمر بالمفهوم السائد لدى مجتمع النوير ليست معروفة •

لكن ذلك لا ينفى وجود هذه الطبقات ، فأول تميـــيز بين هذه الطبقات هو ما تعلق بالنوع والتفرقة بين الذكور والاناث ، ذلك أنه اذا ولد لأحدهم مولود ذكر حان البشرى تعم الجميع على عكس المولودة الانثى التى لا تلقى منهم نفس الاهتمام • وفى اليوم السابع من تاريخ ولادة الذكر تذبح الأغنام احتفالا بهذه المناسبة السعيدة • وتجرى للمولود عملية (الطهارة أو الختان) ويحضر « أخواله » وهم أهل أمه

للمشاركة فى هذه الفرحة ويقدمون الهدايا المكونة من رؤوس الماشية والحبوب والأقمشة والنقود ، وبما أنهم لم يكونوا يهتمون كثيرا بتاريخ الأيام والشهور فان تاريخ ولادة أحدهم كانت ترتبط باحدى المناسبات الهامة كأن يلد فرد أو مجموعة من الأفراد أثناء وقوع حرب بين القبيلة وقبيلة أخرى أو فى حالة هطول أمطار غزيرة أحدثت أضرارا بالغة بأراضى القبيلة وممتلكاتها • أو فى حالة حدوث قحط أو أعقبته مجاعة وأكل الناس أصنافا معينة من الحبوب • فيقال مثلا أن فلانا وفلان (فرد أو جماعة) ولدوا أثناء حرب (العوقة) وهى حرب مشهورة وقعت بين قبيلة بنى كبير وقبيلة مجاورة واستمرت مدة طويلة وذهب ضحيتها مجموعات كبيرة من الطرفين ، فأصبح تاريخ ميلاد هؤلاء محدده بالحرب أما أثناءها أوقبلها بقليل أو بعد توقفها بفترة قصيرة •

وبالمثل فانه يقال أن هذا أو ذاك ولد زمن (سيل الأربعاء) لأنه هطلت أمطار غزيرة وبشكل غير مألوف أحدثت أضرارا كبيرة فى يوم أربعاء فى احد ىالسنوات • فأصبحت هذه الحادثة تاريخا لديهم • أو أن يقال أن هؤلاء ولدوا زمن (الحمرية) وهى صنف رديىء من الحبوب أكله الناس بعد أن أصاب الارض قحط شديد قضى على المحصولات الزراعية ولم يكن للأرض من انتاج محصولات جديدة فاضطروا الى استيراد هذا الصنف من الحبوب من أماكن أخرى كقوت لهم فأصبح لهذا الصنف الرديىء من الحبوب تاريخه المشهور •

ولا تقوم بين المشتركين فى زمن واحد للميلاد أية علاقة خاصة أو ينشأ بينهم نظاما للمحارم كتلك التى يعرفها النويريون وانما كل الذى يجمعهم هو الذكرى فقط أو مرحلة الطفولة أو زمن الشباب وهكذا ••

وان حدثث ان قامت علاقة خاصة بين فرد وآخر فانما تعود الى أن تساوى عمريهما بالاضافة الى مكان اقامتهما المشترك أتاح لكل منهما (أن يرضع من ثدى أم الآخر) فيصبح كل منهما أخا للاخر • وهنا يخضعان لنظام المحارم فى الاسلام ولا شىء خلاف هذا ••

وأما مراحل العمر التالية وهى مرحلة الطفولة والشباب والشيخوخة فهى تتميز بعلاقة اجتماعية تتضح فى جماعات اللعب فى مرحلة الطفولة . فأبناء طبقة العمر الواحدة يشتركون فى جماعة لعب واحـــدة ويقومون أيضا بنشاط متشابه كأن يساعدوا أسرهم فى سقيا الحيوانات أو رعى صغار الأغنام كما سنوضح ذلك عند الحديث عن النشاط الاقتصادى . أما مرحلة الشباب فهى التى تتميز بعلاقة أكثر وضوحا ذلك أنه فى زمن الشباب كان أبناء طبقة العمر الواحدة يحملون السلاح ويشاركون فى الدفاع عن القبيلة وأرضها . وربما سقط أحدهم قتيلا فى احدى المعارك وفى موته ضرر للجماعة ونقص فى عدد المحاربين ولهذا فان العلاقة بين هؤلاء فى مرحلة الشباب تكون علاقة مصير مشترك فيدافع كل منهم عن الآخر ويترتب على ذلك نشوء علاقة قوية .

أما فى المرحلة المتقدمة من العمر فان الذكرى تجمع أفراد هذه الطبقة . وبما أنهم أدوا واجبهم فى مرحلة الشباب وقاموا بالدفاع عن القبيلة وأرضها فان مكانتهم الاجتماعية محفوظة ويتمتعون باحترام وتقدير الجميع . اذ أضفنا الى ذلك أن العمر الطويل قد أكسبهم الكثير من التجارب والخبرات التى يقدمونها بدورهم للأفراد الأصغر منهم سنا . وهم الذين يشكلون مجلس شيخ القبيلة الذى كثيرا ما يأخذ بآرائهم ومقترحاتهم ويسير على ضوئها فى تسيير دفة أمور القبيلة ..

ويعرف كل من مجتمع النوير ومجتمع الطوارق نظام (الانتساب الى الأم) بل انه فى مجتمع الطوارق تنتقل السلطة السياسية لديهم فى خط الاناث فى حين أنه لا وجود لمثل هذا النظام فى مجتمع بنى كبير ، ولم نجد أيضا (على قدر جهدنا) فى كتب التاريخ القديمة والحديثة ما يشير الى وجود نظام الانتساب الى الأم فى مجتمع بنى كبير ..

ولعل سبب وجود هذا النظام فى كل من النوير والطوارق يعود الى وجود نظام الزواج من الخارج تبعا لنظم المحارم هناك . فى حين أنه لا وجود لمثل هذا النظام الالزامى فى مجتمع بنى كبير ، فالرجل فى

مجتمع بنى كبير يستطيع الزواج من أى امرأة يشاء من داخل وحدته الاجتماعية ماعدا — المحرمات شرعا — وهن الأم والخالة والعمة والأخت والبنت وبنات الأخ وبنات الأخت والأخت فى الرضاع وزوجة الأب وزوجة الابن الى غير ذلك من المحرمات فى الشريعة الاسلامية .

وعرف مجتمع النوير ومجتمع الطوارق كذلك (شعارا) يميزهم عن غيرهم من المجتمعات منها ما تعلق بالملبس كما هو الحال فى مجتمع الطوارق أو ما تعلق بالعلامات المميزة على الجبين والخدين كما هو فى مجتمع النوير .

وفى مجتمع بنى كبير لا وجود لمثل هذه العلامات المميزة ولا لأى شكل آخر من أشكال علامات التمييز وما يميز أبناء القبيلة عن الآخرين هو الانتماء الى الأرض والنسب الواحد المشترك فقط .

ويمتاز مجتمع بنى كبير عن غيره من المجتمعات التى أشرنا اليها فى بداية الفصل الثانى من الباب الأول من هذه الدراسة ، من حيث أن المجتمعات القبلية فى النوير والطوارق مجتمعات بدوية رعوية تعتمد فى المقام الأول فى حياتها الاقتصادية على الرعى وتربية الماشية والقنص ، ولاتمارس الزراعة الا على نطاق ضيق فى مجتمع الطوارق ، بينما نجد أن مجتمع بنى كبير مجتمع قبلى لكنه ليس مجتمعا بدويا بالمفهوم الاجتماعى ، لان قسما من هذا المجتمع وهو بنى كبير الحاضرة يمارسون الزراعة وأنشطة أخرى مختلفة بالاضافة الى ممارسة مهنة الرعى وتربية الماشية . اذن فليس شرطا أن يكون المجتمع القبلى مجتمع بدوى كما هو السائد فى الكتابات الانثروبولوجية والاجتماعية (انظر خاتمة هذه الدراسة) والنقطة الثانية المميزة لمجتمع بنى كبير عن غيره من المجتمعات المشار اليهـــا أن منصب شيخ القبيلة ليس له علاقة بالارتباط بالأرض أو بالقدسية المعروفة لدى مجتمع النوير ، فالشيخ هناك أو الزعيم ذى جلد الفهد لم تسجل الدراسات حادثة واحدة لخلع أى منهما من منصبه لأى

ظرف دان • فى حين أن منصب شيخ القبيله فى بنى كبير متعلق بالبناء الاجتماعى نفسه وبتحقيق الضبط الاجتماعى فى القبيلة ، وحادثة خلع الشيخ التى سبقت الاشارة اليها تؤكد هذا الاتجاه وتتفق معه تماما •

ونقطه أخرى تبين عمق الاختلاف بين مجتمع بنى كبير ومجتمع الطوارق على وجه الخصوص ، وهى أن للمرأة فى مجتمع الطوارق مكانه خاصة لدرجه أن انتساب اولادها يعود الى قبيلتها الأصلية مع الغاء الانتساب الى وحدة الأب الاجتماعية • وهذا ما جعل منصب الشيخ لديهم ينتقل فى خط الاناث دون الرجال ، على عكس مجتمع بنى كبير • وهذه الأهمية للمرأة فى الطوارق تعود الى أن للمرأة فى مجتمع الطوارق وضع خاص ليس معروفا لدى مجتمع بنى كبير من ذلك مثلا أنه لا مانع لدى الطارقى أن يرى زوجته تجلس فى خلوة مع آخر وتطارحه ما تشاء من الحديث • دون أن يثير ذلك شيئا لدى الرجل الطارقى •

والحيوانات لدى مجتمعى النوير والطوارق لها أهمية خاصة • خاصه الأبقار لدى مجتمع النوير ، فهى أساس الحياة الاجتماعية هناك وهى المهر الذى يقدم للفتاة وهى مقياس للمكانة الاجتماعية لدى النوير • فى حين أنه فى مجتمع بنى كبير توجد أهمية خاصة للحيوانات ولكنها لا ترقى الى نفس مستوى الأهمية لدى المجتمعين السابقين ، فالأهمية الخاصة للحيوانات تتمثل فى أهميتها لاكرام الضيف ، وتقديم المساعدات للآخرين الى غير ذلك من الأمور ذات العلاقة الاقتصادية •

وأخيرا فان نظم القرابة فى مجتمع بنى كبير تختلف عن مثيلاتها فى هذين المجتمعين وربما فى مجتمعات أخرى كثيرة فالقبيلة فى بنى كبير تبدأ أقسامها على الشكل التالى :

القبيلة ← البدنات ← الفخوذ ← اللحام ← العائلات الكبيرة الممتدة ← العائلات الممتدة الأصغر نسبيا ← ثم الأسر .

وينضوى تحت هذه التقسيمات تقسيمات أخرى فرعية (انظر بداية هذا الفصل وانظر أيضا النسق القرابى فى الفصل الثانى من هذا الباب).

هذه أهم نقاط التمييز بين مجتمع بنى كبير والمجتمعات الأخرى التى أشرنا اليها . بالاضافة الى نقاط اختلاف أخرى تمتاز بها المجتمعات القبلية داخل المملكة العربية السعودية عن غيرها من المجتمعات المحلية الأخـــــرى .

الباب الثانى

البناء القبلى : تحليل بنائى وظيفى

الفصل الأول : دراسة التغير البنائى فى القبيلة من سنة ١٩٣٠ ــ ١٩٧٨

الفصل الثانى : الأنســــــــــــاق

الباب الثانى

البناء القبلى

تحليل بنائى وظيفى

الفصل الاول

دراسة التغير البنائى فى القبيلة من ١٩٣٠ — ١٩٧٨

تمهيد : التغير الاجتماعى والتغير البنائى :

قال « هيرقلطيس » الفيلسوف (٥٤٠ — ٤٧٥ ق.م) ان التغير قانون الوجود وأن الاستقرار « موت وعدم » ومثل لفكرة التغير بجريان الماء فقال :

« انك لا تنزل النهر الواحد مرتين ، فان مياه جديدة تجرى من حولك أبدا » وهذا يعنى أن التغير ظاهرة طبيعية تخضع لها جميع مظاهر الكون ، والمجتمعات الانسانية بجميع ظواهرها خاضعة للتغير المستمر . أما الجمود فأمر لا يمكن التسليم به أو الموافقة عليه . غير أنه يمكن القول بأن هناك ظواهر أسرع فى تغيرها من ظواهر أخرى .

ولابد لأى مجتمع أن يصيبه نوعا من التغير الاجتماعى جيلا بعد جيل ذلك لان أعضاء المجتمع دائبون على البحث عن أفكار وطرق جديدة يطبقونها فى حياتهم وهذا يعنى أنه ليس هناك مجتمعا يظل ساكنا أو جامدا[1] .

---

(١) هيرسكوفنتز ملفيل ج .Herskovits, Melvill J عمليات التغير الثقافى ، بحث فى « لنتون ، رالف » الانتروبولوجيا وازمة العالم الحديث . ترجمة . عبد الملك الناشف . المكتبة العصرية . ١٩٦٧ بيروت ص ٢٥٣ .

ومع هذا فقد تصور كثير من الباحثين فى ميدان التغير الاجتماعى فى الدول النامية أن التغير الاجتماعى ظاهرة حديثه تعود الى نهاية الحرب العالمية الثانية والنظر الى المجتمع الريفى — فيما قبل عملية التحديث «Modernization» — كما لو كان مجتمعا ساكنا أو تقليديا [١] .

لكن التخلف شأنه شأن التقدم « عملية تاريخية كلية وشاملة ، تترتب عليها حقيقة أساسية هى أن الدول المتخلفة التى ظلت خاضعة لقوى أجنبية قد تعرضت لتغيرات عميقة برغم حالة التخلف التى عاشتها ، والتى امتدت لقرون عديدة من التبعية والخضوع ، ومن الطبيعى أن يكون القطاع الريفى والبدوى فى الدول الناميه أول من تأثر بهذا الخضوع . ولقد ظهرت المجتمعات البدوية والريفية فى الدول النامية وكانها مجتمعات جزئية » غير مرتبطة بالمجتمع الكلى من خلال أساليب الاتصال والاسواق وبناء القوة ، واذا ما استثنينا بعض القطاعات القبلية والبدوية — المنعزلة — نسبيا فسوف يتضح أن الغالبية من سكان الريف فى الدول النامية مرتبطة بعلاقات خضوع واضحة فى المراكز الحضرية . ويصعب فهم التغيرات الاجتماعية فى الدول النامية وعلى الخصوص فى قطاعاتها الريفيه والبدويه . ما لم يؤخذ فى الاعتبار فهم التطورات التاريخية التى ساهمت فى تشكيل البناء الطبقى والثقافى داخل المجتمع الكلى [٢] .

التغير الاجتماعى :

يرى بعض الباحثين أن التغير الاجتماعى يشير الى « نمط من العلاقات الاجتماعية فى وضع اجتماعى معين يظهر عليه التغير خلال فترة

---

(١) السيد محمد الحسينى « القرية فى الدول النامية ، تحليل نقدى بنائى لبعض اتجاهات التغير الاجتماعى » بحث فى السيد الحسينى وآخرون « دراسات فى التنمية الاجتماعية » . دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧٧ ط ١ ص ٣٨٧ .

(٢) لسيد الحسينى . نفس المرجع ص ٣٨٤ .

محددة من الزمان [١] بينما يرى عالم الاجتماعي الفرنسي « جي روشيه » بأن التغير الاجتماعي هو بالضرورة ظاهرة جمعية ، أي هو الذي يحدث في البناء الاجتماعي في فترة زمنية ، لكنه يتميز في الوقت نفسه بالاستمرارية والنسبية .

وعرفه « سلفادور جيني » على أساس أن أبعاد التغير الاجتماعي تتمثل في تحولات بنائية عبر التاريخ . ويرى أنه اذا نظرنا الى التغير في سياقه التاريخي فاننا نجد أنفسنا أمام سياق يمكن أن نطلق عليه مفهوم التغير الاجتماعي . ومن هنا يمكن لمفهوم التغير الاجتماعي أن ينطبق على مفهوم « التطور الاجتماعي » أي التغير التدريجي للمجتمع . كما ينطبق أيضا على مفهوم « الثورة » أي التغير السريع .

ومن ناحية أخرى لا يوافق عدد من رواد علم الاجتماع على تطابق مفهوم التغير الاجتماعي مع التطور الاجتماعي أو التقدم الاجتماعي ، ذلك لأن التغير الاجتماعي قد يكون ارتقاءا وتقدما وقد يكون نكوصا وتخلفا لان المجتمعات تشهد التحسن والارتقاء في بعض مظاهر حياتها وتأخرا وتخلفا في البعض الآخر ، أما كلمة تقدم «Progress» فهي تشير الى جانب واحد من جوانب التغير الاجتماعي هو الارتقائي فقط .

كما أن « كنجسلي ديفيز » Kingsley Davis قد عرفه بأنه عبارة عن التحول الذي يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في تركيبه أو بنائه أو في وظائفه [٢] ومما سبق يتضح لنا أن التغير الاجتماعي عملية شاملة في المجتمع تؤدي الى حدوث تغيرات بطيئة أو سريعة في تركيب المجتمع وفي بنائه ووظائفه . ولكي نفهم «التغير البنائي» لابد أن نلم أولا بمفهوم البناء الاجتماعي بعد أن رأينا شمولية التغير الاجتماعي وحتميته.

---

(١) محمد عاطف غيث . « التغير الاجتماعي والتخطيط » .. ص ١٧ مرجع سابق .
(٢) انظر : محيي الدين صابر . التغير الحضاري وتنمية المجتمع ، سرس الليان . مركز تنمية المجتمع في العالم العربي . ١٩٦٢ ص ٧٣ .

مفهوم البناء الاجتماعى :

يرى « راد كليف براون » أن كلمة « بناء » تشــير بالضرورة الى نوع من التنسيق أو الترتيب بين « الاجزاء » التى تدخـل فى « الكل » الذى نسميه « بناء » وعلى هذا الاساس يكون للمقطوعة الموسيقية بناء وللجملة أيضا ، ذلك لان هناك علاقات وروابط معينة تقــوم بين هــذه الاجزاء التى تؤلف الكل وتجعل منه « بناءا » متماسكا ومتميزا • ويقتضى هذا المفهوم تكون الوحدات الجزئية الداخلة فى تكوين البناء الاجتماعى هى « الاشخاص » أى أعضاء المجتمع الذى يحتل كل منهم مركزا معينا ويؤدى دورا محددا فى الحياة الاجتماعية ، أما الانسان « كفرد » فانه لا يعتبر جزءا مكونا فى البناء الاجتماعى ، اذ ان المهم هم أعضاء المجتمع من حيث هــم أشــــخاص «Persons» وليس من حيث هــم أفــراد Individuals والتفرقة هنا نعنى أن الانسان « كشخص » هو عبارة عن مجموعة من العلاقات والسلوك داخل المجتمع أما من حيث هو «فرد» فهو كائن بيولوجى يتخذ وحدة للدراسة البيولوجية •

وسواء كان البناء الاجتماعى يتألف من وحدات هى الاشخاص أو الجماعات الاجتماعية Social groups وهى التى تتــألف بدورها من أشخاص فالشىء المهم فى دراسة البناء الاجتماعى هو «العلاقات والروابط الاجتماعية المتبادلة بين هؤلاء الاشخاص أو تلك الجماعات الاجتماعية »•

فالعلاقات التى تقــوم بين « الوحــدات » هى الشىء الذى يمكن دراسته عن طريق الملاحظة المباشرة ، ويصدق ذلك على العلاقات القائمة بين الزمر الاجتماعية كما يصدق على علاقات الاشخاص أحدهم بالآخر أو العلاقات الثنائية Dyadic relationships كما يسميها « براون »•

اذا فهذه الشبكة الكلية المعقدة من العلاقات « التى ترتكز أصلا على العلاقات الثنائية » هى موضــوع « البنــاء الاجتمــاعى » فى نظــر

« راد كليف براون[١] » .

أما « ايفانز برتشارد » فيرى أن البناء الاجتماعى عبارة عن « نسق اجتماعى يتميز بدرجة معينة من الثبات والاستمرار ، ويتألف من جماعات وزمر مثل العشائر والقبائل والامم التى تقوم بتنظيم علاقات الافراد ببعضهم داخل نطاقها ، كما يسمح بالتكيف الخارجى مع البيئة الطبيعية وبالتكيف الداخلى بين الافراد أو الجماعات[٢] » .

وقد لخص « راد كليف براون » تصوره الشامل للبناء الاجتماعى فى النقاط الرئيسية التالية :

١ — أن البناء الاجتماعى يشمل الجماعات المستمرة فى الوجود لفترة كافية من الزمن وهذه الاشكال تعرف بالاشكال المورفولوجية للمجتمع الانسانى وهى عبارة عن تكتل انسانى فى وحدات اجتماعية مختلفة فى الحجم والوظيفة .

٢ — أن البناء الاجتماعى يشمل كل العلاقات بين فرد وآخر من أعضاء مجتمع معين .

٣ — ظواهر التنوع بين أفراد وجماعات مجتمع ما هذه الظواهر هى التى تحدد الادوار الاجتماعية التى يقوم بها الافراد والجماعات فى المجتمع الواحد . بحيث تنتمى كل مجموعة من الادوار الاجتماعية الى مراكز اجتماعية يحددها المجتمع مثل تحديد المراكز الاجتماعية التى يشغلها الرجال وكذلك الادوار التى تشغلها النساء وكذا الاطفال والشباب والشيوخ[١] .

---

(١) احمد ابو زيد ، البناء الاجتماعى — المفهومات ، مرجع سابق ص ٢٤ — ص ٢٦ .

(٢) عاطف وصفى — الانثروبولوجيا الاجتماعية — مرجع سابق ص ٨٠ .

(١) انظر تفصيل ذلك فى Radcliffe. Brown. Structure and Function In primitive Society, Cohen and west, 1953 p. 188-204.

أما « ايميليو وليمز » فيرى أن مفهوم البناء الاجتماعى يتضمن السيطرة والتبعية ، والطبقة والتدرج والسلطة والدولة . حيث يرى أن البناء الاجتماعى عبارة عن مجموعة من المراكز التى تربط بين الافراد والجماعات فى مجتمع معين . كما أنه يمثل المظهر السكونى للنظام الاجتماعى الذى يشمل جميع العلاقات الأساسية ، والتى تنتقل عبر الانماط بين أفراد الجماعة الواحدة وبين الطبقات الاجتماعية فى نفس المجتمع وهى علاقات تتضمن الواجبات والحقوق المقررة اجتماعيا والتى تحدد مركز الفرد فى مختلف الجماعات المتكامل فيها ، كما تحدد مراكز الجماعات فى نفس المجتمع الواحد .

ويرى عالم الاجتماع الانجليزى ت.ب بوتومور «T. B. Bottmor» أن أكثر التصورات أهمية للبناء الاجتماعى هى تلك التى تتصوره بوصفه كلا مركبا يشمل النظم الاساسية السائدة فى المجتمع والجماعات المختلفة التى يتألف منها ذلك أن للمجتمع « متطلبات وظيفية » سواء ما كان منها يتعلق بالاتصال أو بالنشاط الاقتصادى أو ما يتعلق منها بأجهزة التنشئة الاجتماعية والسلطة وغيرها [١] .

وهكذا نرى أنه قد حدث بين المهتمين بعلم الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع اتفاق حول مفهوم البناء الاجتماعى العام على أساس أنه يتضمن فكرة الاستمرار والبقاء لمدة طويلة جدا من الزمن بينما نلاحظ الخلاف من الناحية الاخرى حول العناصر المحددة التى تدخل ضمن مكونات البناء الاجتماعى . ومهما يكن من اختلاف فى « وجهات النظر » بين المتخصصين فى الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع حول تعريف البناء الاجتماعى . فانه يمكن القول بأن « مفهوم البناء الاجتماعى » يتضمن وجود مبدأين أساسيين ومتكاملين [٢] .

---

(١) بوتومور ت.ب ، تمهيد فى علم الاجتماع ، ترجمة وتعليق . محمد الجوهرى وآخرون . دار الكتب الجامعية الاسكندرية ١٩٧٢ ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢) أحمد ابو زيد ، البناء الاجتماعى ، مرجع سابق ص ٦٧ ، ص ٦٨ .

الاول هو : **مبدأ الاستمرار فى الزمن** ، ويصدق ذلك على الجماعات وعلى العلاقات الاجتماعية التى تؤلف البناء الاجتماعى • فالجماعات الكبيرة التى تحتفظ لعدة أجيال بكيانها وبهيكلها العام ونظام تقسيماتها الداخلية ونمط علاقاتها بعضها ببعض تعتبر « وحدات بنائية » فى نظر كل علماء الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع دون استثناء ، وذلك بعكس الزمر الاجتماعية المؤقتة أو السريعة الزوال التى يتفق معظم العلماء على اخراجها من البناء الاجتماعى •

وبالمثل تعتبر العلاقات الدائمة التى تقوم بين هذه الجماعات علاقات بنائية وتعبر عن مواقف بنائية • بعكس العلاقات التى تقوم بين الافراد والتى يمكن وصفها بأنها علاقات اجتماعية فحسب •

ومع أن راد كليف براون ، يعتبر العلاقات الثنائية جزءا من البناء الاجتماعى فالذى لا شك فيه أنه لم يكن يقصد بذلك العلاقات العرضية ، وانما كان يقصد على وجه الخصوص العلاقات التى تقوم بين أفراد الاسرة ، كالعلاقة الزوجية وعلاقة الاب والابن ، وهى علاقة تمثل فى حقيقة الامر أنماطا أساسية لا يمكن اغفالها فى دراسة البناء الاجتماعى • فالعلاقة الاولى تمثل نمط العلاقة بين الجنسين ، والعلاقة الثانية تمثل نمط العلاقة بين الجيلين المتتاليين وهكذا •

والمبدأ الثانى : هو أن العلاقات الثابتة المستمرة التى تقوم بالضرورة بين الجماعات المتماسكة التى ينقسم اليها المجتمع تتخذ شكل أنساق ونظم تلعب دورا هاما فى الحياة الاجتماعية ، أو بقول آخر تؤدى وظيفة اجتماعية معينة كما هو الحال فى علاقات القرابة والعلاقات الاقتصادية •

وهذا معناه أن الدراسة البنائية لا يمكن أن تقف عند حد الاهتمام بالظواهر الاجتماعية من حيث هى كذلك ، وانما لابد لها من أن تدرس النظم والانساق التى تتألف بدورها من ظواهر وعلاقات مشخصة

وملموسة[١] .

التغير البنائى :

المقصود من التغير البنائى أنه نـوع من التغير يؤدى الى ظهور تنظيمات وأدوار اجتماعية جديدة تختلف اختلافا نوعيا عن تلك الادوار والتنظيمات القائمة فى المجتمع ، ويصاحب حدوث هذا النوع من التغير حدوث تحول كبير فى الظواهر والنظم والعلاقات الاجتماعية .

وقـد عرف عالم الاجتمـاع البريطـانى « موريس جينز برج » «Morris Ginsberg» التغير البنائى بأنه : التغير الذى يحدث فى بناء المجتمع ، أو فى حجمه وتركيب أجزائه وشكل تنظيمه الاجتماعى . وعندما يحدث هذا التغير فى المجتمـع يبدأ أفراده فى ممارسـة أدوار اجتماعية مختلفة عن تلك التى كانوا يقومون بها خلال الفترة السابقة للتغير[٢] .

واذا كان التغير الاجتماعى يعنى أساسا «التغير فى البناء الاجتماعى» فانه يمكن تحديد التغيرات البنائية فى الآتى :

١ — التغير فى القيم الاجتمـاعية :

ذلك أن أكثر التغيرات البنائية أهمية هو التغير فى القيم والتى تؤثر بدورها فى مضمون الادوار الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى . وأحسـن مثال على هذا مرحـلة الانتقال من النمط الاقطاعى للمجتمع الى النمط التجارى — الصناعى . لأن التغيرات هنا لا تحدث خلال فترة قصيرة من الزمن وانما تستغرق أجيالا[٣] .

---

(١) انظر توضيح ذلك بالتفصيل . فى الفصل الثانى من الباب الثانى من هذه الدراسة .

(٢) عبد الباسط محمد حسن « التنمية الاجتماعية » معهـد البحـوث والدراسات العربية . القاهرة ١٩٧٠ ص ١١١ .

(٣) محمد عاطف غيث : التغير الاجتماعى والتخطيط . مرجع سـابق ص ٢٢ ، ٢٣ .

٢ — تغير النظــــام :

ومعنا التغيير فى الأبنية المحدودة مثل صور التنظيم ، والأدوار ، ومضمون الدور كالتغير من نظام « تعدد الزوجات » الى نظــام آحادية الزوج الزوجة •

٣ — التغير فى مراكز الأشخاص :

قد يحدث التغير بواسطة أشخاص يقومون بأدوار فى النســق الاجتماعى ذلك أنه خلال فترة طويلة من الزمن تصبح هذه التغــيرات لا مفر منها لان أفراد المجتمع يتقدمون فى السن ويحالون « على المعاش أو يموتون » ولعل أهمية مثل هذه التغيرات تختلف • ومع ذلك فانه من المهم ادراك أهمية الدور الذى يقوم به الاشخاص الذين يشغلون مراكز اجتماعية معينة ، لانهم بحكم مراكزهم هــذه يستطيعون التــأثير على الاحداث الجارية فى المجتمع وبالتالى يتسببون فى احداث تغير بنائى •

هذا وقد ميز بعض علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية بين نوعين من التغير هما التغــير « التنظيمى » « والتغــير البنائى » وفى مقــدمتهم Raymond Firth الذى يرى بأن التغــــــير التنظيمى لا يؤدى الى تغير فى العلاقات الاساسية بين الاعضـــاء فى المجتمع أو بين الجمـــاعات والزمر الداخلة فى تكوين البناء الاجتماعى ، وذلك بعكس التغير البنائى الذى يتطلب ضرورة حدوث تحول واســـع وعميق فى انماط العـــلاقات السائدة فى المجتمع ، وعلى هذا تكون التغيرات البنائية أعمق وأقوى • بينما لا يعنى ذلك زوال البناء الاجتماعى القديم وانما يظل محتفظا ببعض خصائصه الاســـاسية ، لكنه اذا اختفت بعض الانشـــطة والعـــلاقات الاجتماعية تظهر بدلا منها انماط جديدة من الانشطة والعلاقات[٢] •

---

(١) احمد السويدى — مرجع سابق ص ٣١ .

(٢) Raymond Firth Elements of Social Organization, Boton, Reacon Press 1963 p. 28-40.

كل البناء الاجتماعى ، وقد أدى ذلك الى هجرة عدد غير قليل من القبائل والبادية الى مراكز البترول والمدن حيث تركوا أعمالهم التقليــدية التى كانت تنصب على الماشية والرعى والترحال وتجارة القوافل ، وبدأوا مثلا فى ممارسة مناشط جديدة كقيادة السيارات عوضا عن ركوب الابل وكذا الاشتغال بحراسة المنشآت عوضا عن حراسة القبيلة وممتلكاتها وهكذا نجد تغيرا فى الانشطة الاجتماعية وهو تغير حدث مع حداثة الظــروف الجديدة التى وجد البدوى والقبلى نفسه أمامها • مما أدى الى تغير أيضا فى النواحى الاقتصادية ، وكذلك فقد أدت الهجرة الى مناطق جديدة الى تغير فى العلاقات القرابية التقليدية التى كانت ترتكز على الصلات القرابية للعائلة « الممتدة » وتركزت فى الاسرة النووية المستقلة اقتصاديا ، وأدى ذلك أيضا الى حدوث تغيرات واضحة فى سلطة رؤساء القبائل التقليديين والى تغير القيم الاجتماعية التقليدية مثل نظرة المجتمع الى العمـــل اليدوى والى أهمية الماشية •• الخ[1] •

ودون الدخول فى تفصيلات أنواع التغــير وعوامله ومقدماته الى آخر ذلك ـــ فما يهمنا فى هذه الدراسة هو « التغير البنائى » وسوف نشير الى هذه النقاط عند الحديث عن التغير فى « بنى كبير » ـــ الا أنه لابد من التسليم بوجود « التعارض » فى المجتمع قبل وأثناء عملية التغير • الا أن هذا التعارض لا يؤدى بالمجتمع الى التمزق • وعلينا أن نــلاحظ أن كل فرد من أفراد المجتمع له اهتماماته الخاصة التى يحاول بمقتضاها أن يستغل الموقف كما يتصوره • ويترتب على هذه الافعال التى تصدر عن مجموع أعضاء المجتمع تغير البناء الاجتماعى ذاته[2] • وعلى هــذا فان أية محاولة جديدة لدراسة وتحليل التغير فى المجتمع لابد أن تعطى

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى الفصــل الثانى من الباب الثالث فى هــذه الدراسة .

(٢) انظر احمد ابو زيد . البناء الاجتماعى . المفهومات . مرجع سابق ص ٣٠٣ ـــ ص ٣٠٨ .

كثيرا من الاهتمام لما يحدث فى البناء الاجتماعى ، ولكن لكى تكون هذه الدراسة دراسة دينامية حقا — كما يقول فيرث — فلابد أن تأخذ فى اعتبارها أيضا أفعال وتصرفات الافراد • فكل فرد من أعضاء المجتمع يحاول بطريقته الخاصة أن يحقق أهدافا شخصية معينة ، فانه لن يتسنى له ذلك الا عن طريق الاتصال بغيره من الناس ، أى عن طريق التفاعل مع أعضاء المجتمع الآخرين • وهذا التفاعل محكوم بلا شك بالعلاقات الاساسية التى تدخل فى تكوين البناء الاجتماعى ذاته • لكن استجابات الافراد تختلف داخل هذا الاطار المعقد ، ويظهر هذا بشكل واضح أمام التجديدات التى تطرأ على المجتمع ، اذ تتطلب هذه التجديدات من الافراد أن يكيفوا أنفسهم ويعدلوا فى مواقفهم ومناشطهم فى الوقت الذى يحتفظ فيه كل منهم ببعض القيم القديمة التقليدية التى كانت توجهه وتحكم سلوكه ، كما أن عليه فى نفس الوقت أن يأخذ فى اعتباره استجابات أعضاء المجتمع الآخرين لهذا الموقف الجديد وكل هذا يؤدى الى نوع من التغير التنظيمى «Organizational change» طالما أن كل عضو من أعضاء المجتمع يراعى فى استجاباته للموقف الجديد سلوك غيره من الاعضاء واستجاباتهم ، ويحاول التوفيق بين موقفه ومواقفهم والتغير التنظيمى على أى حال لا يتبعه بالضرورة « تغير بنائى » فالتغير البنائى لا يتم الا اذا حدث تعديل فى العلاقات الاساسية بين أعضاء المجتمع • ويجب أن نضع فى الاعتبار ونحن نتحدث عن « التغير البنائى » أن ذلك لا يعنى أن البناء الاجتماعى يهدم تماما من أساسه ليحل محله بناء اجتماعى جديد ، فمع أن ذلك أمر جائز من الناحية النظرية ، فان الذى يحدث فى الواقع أن البناء التقليدى يظل محتفظا ببعض مقوماته الاساسية وربما كان ذلك واضحا فيما يتعلق بالقيم التى تستعصى على التغير السريع المفاجىء • بل والتى يظل المجتمع محتفظا بها بعد أن يتغير جانب كبير من ثقافته ونظمه وأنماط السلوك التى يتبعها أعضاؤه ، فان أهم خاصية من خصائص البناء هى كما ذكرنا من قبل (القدرة على الاستمرار فى الوجود) •

واذا كان التنظيم الاجتماعى «Social organization»

يتضمن فكرة التغير الاجتماعى ، فان مفهوم البناء الاجتماعى يتضمن على العكس من ذلك فكرة الاستمرار الاجتماعى •

ولن يمكن فهم التغير البنائى الا اذا وضعنا فى اعتبارنا فى ذات الوقت هاتين الخاصيتين الاساسيتين اللتين يحب بعض العلماء تسميتها بـ « الجمود والمرونة » بينما يطلق عليها البعض « التكامل والتفكك » أو « الاستمرار والتحول » . وما يقوم بين هاتين الخاصيتين من شد وجذب • اذ أنه مهما يكن من قوة عناصر التغيير والتجديد فان « مبدأ الاستمرار الاجتماعى أو البنائى يعارض دائما قوى التغير ويبطل كثيرا من مفعولها »• وليست عمية التغير سوى شراع بين هذين المبدأين كما أن شدة التغير تتوقف على مدى التفوق النسبى الذى يحرزه أحد المبدأين على الآخر وما يتبع ذلك من التوفيق بين الاوضاع الجديدة والاوضاع التقليدية الذى يتوقف عليه اعادة تكامل المجتمع وتماسكه •

واذا نحن تجاوزنا الآراء النظرية وانتقلنا الى ما هو واقع بالفعل بالنسبة للمجتمعات العربية — على الاقل — فيما يخص التغير الاجتماعى والبنائى — لوجدنا أن المجتمعات التقليدية فى البلاد العربية تمر بمرحلة تغير عميقة ، تناولت كثيرا من نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية التقليدية ، مما أثر بالتالى على بنائها الاجتماعى حيث بدأت بعض أنماط الحياة التقليدية فى التراجع بالتدريج لتحل محلها أنماط أخرى تتلاءم مع ظروف الحياة الجديدة التى تمر بها هذه المجتمعات •

غير أن بعض هذه التحولات والتغيرات تمت بواسطة الانتشار الثقافى للحضارة التكنولوجية الحديثة ، فى حين تم البعض الآخر نتيجة لتخطيط مقصود وسياسة موضوعة استهدفت تعديل بعض أوجه الحياة وتوجيهها نحو غايات محدودة •

حتى أنه فى الوقت الحالى قد أصبحت البداوة نمطا « شاذا » فى المجتمع الحديث وأصبح يعتبر قطاعا متخلفا فى ضوء الظروف السياسية

والاقتصادية والاجتماعية المعاصرة ، فالجماعات البدوية وجدت نفسها « داخل أوطان سياسية وقوميات متعددة • وأصبحت « القبيلة » بالتالى موزعة بين عدد من الوحدات السياسية ذات الحدود الدولية — كما حدث بين جمهوريات الجزائر ومالى والنيجر وليبيا — وبين المجموعات السياسية فى الجزيرة العربية »[١] فقد وجد البدو أنفسهم داخل حدود لم تعد فيها وحدتهم القبيلة ومسارحهم الجغرافية تمثل الاطار الاجتماعى والسياسى المميز •

وهكذا فان فكرة القوميات وطبيعة تكوين الدولة ذات النفوذ الادارى • كانت من أهم عوامل التغير الاجتماعى فى المجتمع البدوى • ذلك لان الدولة الحديثة بما تملكه من قوة وفرتها لها التكنولوجيا الحديثة قضت بها على عزلة البدوى وقدرته على الافلات من سلطانها ، كما قضت على وظيفته فى حراسة الصحراء[٢] •

ومن هنا فقد وجد المجتمع البدوى « جزءا من كل » هو المجتمع الكلى مثله مثل بقية المواطنين تتقاضى منه الدولة الضرائب المقررة بعد أن كان هو الذى يفرضها على سكان الصحراء وعلى القوافل العابرة . كما أجبرته على الامتثال للاجراءات الادارية المحددة ، الى غير ذلك من الواجبات والحقوق التى حملها المجتمع السياسى القوى الى المجتمع البدوى والتى تناولت كل الجانب فى حياته[٣] •

ولقد زاد الاتجاه نحو التغير المخطط فى السنوات الاخيرة فى البلدان

---

(١) محبى الدين صابر ، لويس كامل مليكه — البدو والبداوة — سرس الليان ١٩٦٦ ص ٦٦ .

(٢) نفس المرجع ص ٦٧ .
وانظر ايضا (بيرجرمورو — العالم العربى اليوم) ترجمة محيى الدين صابر . دار مجلة شعر ١٩٦٣ بيروت ص ٦٥ .

(٣) محيى الدين صابر « عوامل التغير الحضارى فى نمط الحياة البدوية » رعاية البدو وتحضيرهم وتوطينهم . جامعة الدول العربية . القاهرة ١٩٦٥ ص ٣١٨ .

النامية ، كى تتمكن من تنمية قطاعاتها الاقتصادية والاجتماعية بشكل عام وقطاعاتها المتخلفة بشكل خاص . ذلك لان معظم هذه القطاعات ظلت بعيدة لسنوات طويلة عن خطط التنمية الوطنية ، مما جعل سكان هذه القطاعات فى عزلة اجتماعية واقتصادية وثقافية عن المجتمع الكلى (١) .

فالوطن بالنسبة لجماعات هذه الاقاليم يتحدد فى نطاق القبيلة وفى السلطة السياسية « لشيخها » ولهذا فان انعزال هذه الجماعات يعتبر من أهم المعوقات التى تحول دون نجاح خطط التنمية فى كلا المجتمعين الكلى والمحلى . سواء كانت تلك الخطط فى الميدان الاقتصادى أو الصحى أو حتى التعليمى الى غير ذلك .

وعلى هذا الاساس يتحدد هدف الخطط والمشروعات التى توضع بغرض تنمية المجتمعات المحلية القروية منها والبدوية فى العمل على تكامل تلك المجتمعات الصغيرة المنعزلة فى الاقتصاد الوطنى وفى الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية للمجتمع الكلى .

ولا شك أن أهداف المشروعات المخططة تنعكس فى التغيرات التى تطرأ على النظم والقيم الاجتماعية ونظرة الافراد الى الحياة وموقفهم التقليدى منها ، بل وحتى فى طرق تفكيرهم وسلوكهم الاجتماعى . بمعنى أن المشروعات التى يراد بها تحقيق أهداف اقتصادية أو صحية أو تعليمية كثيرا ما تترتب عليها تغيرات عميقة فى البناء الاجتماعى . لم تكن متوقعة فى أول الامر ويرجع هذا الى أن المجتمع التقليدى يشكل وحدة عضوية متكاملة ومتماسكة وأن أى تغير فى أى نظام من نظمه قد يؤدى الى تغير فى النظم الاخرى التى يقوم عليها البناء الاجتماعى كله .

وعلى هذا نرى أن أية دراسة تهدف الى الوصول لنتائج مقبولة

---

(١) أحمد أبو زيد « التنمية الاقتصادية والتغير الاجتماعى » المجلة الاجتماعية القومية المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية . المجلد الاول. العدد الثالث . ص ٤٥ سبتمبر ١٩٦٤ القاهرة .

لابد أن يتم خلالها معالجة النظم الاجتماعية فى اطارها العام ذلك لان كل النظم مرتبطة ببعضها البعض • ويؤثر كل منها فى الآخر ، أما النظر الى هذه النظم على أن كل نظام مستقل عن الآخر وبالتالى فصلها وتجزئتها فانه يقود الى الخطأ ، ذلك أن النظم الاجتماعية كلا متماسكا ولا يمكن لأى نظام أن يبقى فى أى مجتمع مستقلا بذاته عن النظم الاخرى •

التغير البنائى فى بنى كبير :

صحيح أن مجتمع بنى كبير القبلى شأنه شأن المجتمعات الانسانية قد تعرض لتغيرات اجتماعية سواء كانت تغيرات تنظيمية أو تغيرات فى البناء نفسه •

لكن الذى حدث أنه بعد دخول المنطقة كلها فى الحكم السعودى طرأت تغيرات كثيرة فى هذا المجتمع • يمكن أن نسميها تغيرات مفاجئة أربكت النظم التى كانت قائمة بل وقضت اما فجأة واما بالتدريج على الوظائف التى كانت تمارسها هذه النظم •

فقبل أن تخضع المنطقة للحكم السعودى كان شيخ القبيلة يمثل دور الحاكم المطلق فيها لا ينازعه أحد فى هذا الحكم • وكان هو المسئول أولا وأخيرا عن شؤون القبيلة صغيرها وكبيرها • واستمر الامر كذلك حتى كان عام ١٣٣٥ هـ — ١٩١٥ م عندما تمت السيطرة لآل سعود على قبائل غامد وتأسيس امارة لهم فى منطقة بيشبه كان أول أمير لها — عبد الرحمن بن ثنيان • وكان ذلك فى زمن الشيخ سعيد بن سويعد • الذى سافر الى هناك وأعلن ولاءه رسميا للحكم الجديد •

ولعل أول التغير الذى طرأ أن شيخ القبيلة لم يعد له الصلاحيات المطلقة ولم يعد يستطيع أن يبت فى كل شىء بل أصبح لابد له من عرض الامور الهامة على الأمير الجديد فى بيشة وتلقى الأوامر منه فيما يتعلق بالبت فى هذه الامور • وبدأ سجن المجرمين وأصحاب الجنح فى بيت شيخ

القبيلة لا يستقبل هؤلاء الا لفترة محدودة ثم يتم ترحيلهم بعدها الى امارة بيشه .

وقلنا فى الفصل السابق لهذا أن شيخ القبيلة كان يجمع الاموال من أفراد القبيلة سواء ما كان منها كهدايا أو زكاة كزكاة البدن التى تخرج فى رمضان أو زكاة رؤوس الاموال والماشية . وقلنا أنه كان ينفق جزءا منها فى اقامة الولائم لضيوف القبيلة أو كمساهمات لحل نزاعات بين الوحدات الاجتماعية فى القبيلة .

ولكن يبدو أنه بعد استقرار المذكور بدأ الشيخ يفقد هذه الاموال أو جزء منها ذلك أن الحكومة الجديدة بدأت تفرض ما يسمى « بالجهاد والخدمة » وكانت تفرض هذه الضريبة على كل بيت فى القبيلة ووسيلتها فى ذلك شيخ القبيلة الذى كان يتولى بنفسه مع مندوبين عن الحكومة جمع هذه الاموال . وعلى سبيل المثال تم تسليم مبلغ سبعة وعشرين ألف ومائتين وثمانين قرشا سعوديا لا غير (لمالية الحكومة العربية الحجازيه) وهذا المبلغ يساوى .. ثلاثين جنيها أفرنجيا « وألف وثمانمائة وثمانين ريال لا غير » مناولة من الشيخ سعيد بن سويعد لاول مالية تأسست فى المنطقة فى (الظفير) . انظر الملاحق ص ٣ . واستتبع ظهور ادارة محلية « للحكم المنظم » انشاء المحاكم الشرعية التى يحتكم اليها الناس بعد أن كانت الاحكام تصدر عن شيخ القبيلة ومجلس القبيلة فى ضوء العرف والتقاليد وعلى سبيل المثال كان فى القبيلة ما يعرف بـ (النقا) والنقا هذا يعنى تسديد حقوق الغير المعنوية باسالة الدم من رأس أحد أفراد القبيلة .. ومضمونه أنه اذا اعتدى رجل من وحدة اجتماعية على فرد من وحدة أخرى دون القتل ، فان ذلك يستدعى رد الاعتبار . وكانوا يحتكمون الى شيخ القبيلة الذى يطلب من الوحدة الاجتماعية أن تقوم بالواجب نحو الوحدة المعتدى عليها فتدفع ما عليها من استحقاقات عينية ومعها اسالة الدم من أحد الافراد الذى يرشح نفسه أو تختاره الوحدة الاجتماعية المعتدية فيقف فى أعلى مكان فى السوق المحلى ويعلن عن خطأ قريبه واعترافه بالعدوان على الوحدة الاخرى . وفى يده اليمنى

(خنجر) يضرب بها رأسه المكشوف عدة ضربات حتى تسيل دماؤه على ملابسه وعندها ترضى الوحدة الاجتماعية المعتدى عليها ويعود الوئام بين هذه الوحدات .

ومثال آخر فان القبيلة فى حالة قتل أحد الافراد كان القصاص وطلب الثأر واجبا خصوصا اذا كانت الوحدة الاجتماعية لكل من القاتل والقتيل متباعدتان . وتبدأ القبيلة فى التحقيق فى هذه الحادثة فان لم تتأكد القبيلة من صحة ما تدعيه الاخرى وأن المتهم مظلوم أو نفذ عملية القتل خطأ يبرز من الوحدة التى ينتمى اليها المتهم (خمسة وعشرون رجلا) ويحلف هؤلاء أغلظ الايمان بأن القاتل ليس منهم أو بأن القتل تم خطأ . وفى حادثة وقعت فى القبيلة المجاورة لبنى كبير لجأت الوحدة الاجتماعية للقاتل الى رجال الحكمة والمعرفة فى بنى كبير لشرح ظروف حادثة القتل وانها تمت عن طريق الخطأ حيث صوب القاتل ببندقيته نحو (غراب) ينوى قتله فأصابت الرصاصة غلاما كان يقف بالقرب من مكان الغراب فأردته قتيلا . وأصرت الوحدة الاجتماعية للغلام على طلب الثأر وأحضر القاتل الى ساحة الاعدام ليضرب بالرصاص فوصلت فرقة من قبيلة بنى كبير برئاسة الشاعر والحكيم فيها (عبيد الله بن سفر) الذى طلب عند وصوله أن تقرع طبول الحرب (للعرضه) فاصطف الناس لتأدية رقصة الحرب على الطبول فقال قصيدته المشهورة بين القبائل الى اليوم :

عوج الرقاب	مايحكم فيها الحاكم الكذاب
الا بنص من الكتاب	وحلل وايمان وافيه
رمى وصاب	صاب الولد وأخطأ من الغراب
والله يعلم نية الضراب	هى مقديه والا مواتيه

ويقصد هذا الرجل الحكيم بأنه لا يجوز أن نحكم على رقاب الرجال بالزور والبهتان والكذب بل لابد أن يستند هذا الحكم الى نص شرعى من القرآن الكريم أو السنة الشريفة وهى تفيد فى هذا الشأن اما بالاعتراف أو بوجود شهود على الحادثة فان لم فيحلف الجانى بأنه

لم يرتكب هذه الجريمة ويتضامن معه فى أداء اليمين خمسة وعشرون رجلا آخر بأنه لم يقتل أو ان القتل وقع خطأ وعندها تدفع الدية أو يتنازل عنها أهل القتيل ان أرادوا • ويمضى فى الشطر الثانى من القصيدة ليقول بأن الرامى أراد أن يرمى الغراب فأصاب الغلام وأخطأ الغراب والله وحده يعلم بنية الرامى هل هو اصابه عن عمد أم أن قدر الغلام أراد للقاتل أن يخطىء الغراب ويصيبه عن غير عمد •

ويقول الاخباريون أنه بعد قوله هذا قبل أهل القتيل اليمين وتنازلوا عن الدية وأقاموا حفلا بهذه المناسبة •

وبدأ المجتمع بعد ظهور الحكم السعودى يعرف المحاكم الشرعيـــة التى بدأت تتولى الفصل فى أمور الناس ، وهكذا تقلصت وظائف شـــيخ القبيلة وكذا ضعف دور الحكماء فيها ••

وهذا لا يعنى أنهم لم يكونوا على علم بأمور الشرع بـــل انهم فى أحيان كثيرة كانوا يعودون اليها للاحتكام الى جانب اللجوء الى العرف والقانون فى أحيان كثيرة •

كتب أحد الفقهاء الى وجيه سأله فى موضوع وقال :

« من عبد العزيز بن محمد الى الاخ المكرم الفاضل عمر بن عزم الله سلمه الله آمين • السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد •

خطك المكرم وصل أوصلك الله رضاه • فأما المخطوط المشهود المثبوت بالاقلام المعتبرة فهى تلزم على قوانين أهل البلاد والمعاملات والامراء • وأما بحكم الشرع فلا يلزم الا شـــاهدان أو امرأتان ممن ترضـــون من الشهود بدليل القرآن الكريم • فان كان هـــذا الامر قد وقـــع فينبغى حضوره عند قاضى • عسى يتبرهن الحق ويخذل الله صاحب المخادعة وان كان الامر مفرغ فمن قصر فى باب من أبواب الشريعة ألجأه الله اليه وان تواجهنا يوم السبت تناظرنا فيما يصلح ان شاء الله وبلغ سلامنا الاولاد•

والسلام عليكم[1] » .

وهذه الرسالة يعود تاريخها الى سنة ١٣٢٨ هجرية ومعنى هذا أنهم كانوا يلتزمون بالامور الشرعية وكانت تسير جنبا الى جنب مع القانون القبلى فى الامور المتعلقة بالحقوق والواجبات .

على أن المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل مؤسس الحكومة السعودية الحديثة كان يتعامل مباشرة مع شيوخ القبائل ويقدر لهم الدور الذى يؤدونه وهذا خطاب من الملك عبد العزيز الى شيخ قبيلة بنى كبير نصه :

« من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب المكرم سعيد ابن سويعد سلمه الله تعالى . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . بعد ذلك بارك الله فيك . لنا فيك بعض اللازم لابد من المراجعة بيننا وبينكم . فأنت حالا تؤكل على الله ان شاء الله وتقبل وتلتقى فى الطائف وتعرفنا بذلك هذا ما لزم تعريفه » توقيع عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل .

ويعود تاريخ هذا الخطاب الى ما بعد سنة ١٣٣٥ هجرية .

وخطاب آخر يعود تاريخه الى ١٨ من شهر محرم عام ١٣٥٤ هجرية انظر نص الخطابين فى الملاحق ص ٤ ، ٥ .

واستتبع ضعف مركز شيخ القبيلة ضعف فى دور مجلس العرفاء . فلم تعد واجباتهم كما كانت بل اقتصرت على التشاور فيما يختص بالاصلاح بين الأفراد اذا حدث نزاع على أرض أو نقود أو مواشى . وكان هؤلاء يحاولون الاصلاح ما استطاعوا فان لم يتيسر الصلح أحيل الطالب والمطلوب الى المحكمة الشرعية . غير أن التغير فى الوظائف السابقة تحول الى القيام بوظائف جديدة تمثلت فى التضامن الاجتماعى ولعل أبرز مظاهرة الاسراع بتقديم العون والمساعدات الى من تعرض لكارثة فى مال أو حكم

---

(١) انظر الملاحق ص ٣ .

عليه بدفع دية نتيجة للقتل الخطأ • وبدأ الجميع يتعاونون فى شق الطرق وتعبيدها ويتعاونون فى بناء المنازل كاحضار الحجارة اللازمة للبناء والاخشاب وبدأ شيخ القبيلة يجمع أعيانها ليشاورهم فى مثل هذه الامور وهؤلاء بدورهم ينقلون ما اتفق عليه الرأى فى مجلس الشيخ الى سكان القرى • وبطبيعة الحال يستجيب هؤلاء للنداء ويؤدون الواجب المطلوب تأديته • بعد أن كانت هذه المجالس تخصص فى معظمها لقرارات الحرب والسلم •

وتوفى فى سنة ١٣٥٥ . الشيخ سعيد بن سويعد وخلفه ابنه محمد ابن سعيد بن سويعد الذى كان أكثر مرونة من والده وأثناء توليه منصب الشيخ بدأت التغيرات فى مجتمع بنى كبير تبدو أكثر وضوحا • ولعل أبرزها مطالبته المستمرة بانشاء مدرسة فى بنى كبير وتحقق له هذا الطلب فى سنة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٧ م • حيث تأسست أول مدرسة ابتدائية فى ذلك التاريخ وكانت فى قرية العبادل • ولم تكن لدى الناس رغبة شديدة فى ادخال أبنائهم الى هذه المدرسة نظرا لانهم كانوا يفضلون مشاركتهم فى العمل أكثر من الرغبة فى التعليم ، كما هو الحال فى القبيلة كلها وفى المجتمعات البدوية والريفية فى المجتمعات العربية ، ومن غير شك فان ذهاب الاولاد الى المدرسة أخل بالنظام الاقتصادى ذلك أن هؤلاء كانوا يشاركون عائلاتهم فى الزراعة ورعى الاغنام فى كثير من أمور حياتهم اليومية • وقد كان الصراع على أشده بين هؤلاء الصبيان الذين كانت لديهم رغبة فى الذهاب الى المدرسة اما رغبة فى التعليم واما للهرب من القيام بالاعمال المنوطة بهم • وكانت نتيجة هذا الصراع وعدم الاتفاق فى الرأى ان هاجر منهم عدد كبير الى خارج المنطقة وكان أكثر هؤلاء يهاجرون الى المدن القريبة كالطائف ومكة المكرمة وجدة • وكانوا يقطعون المسافة التى لا تزيد عن منطقتهم بأكثر من ٢٥٠ كم فى سبعة أيام ووسيلتهم فى المواصلات اما الحمير أو الجمال فى أحسن الاحوال •• وهذه أول بادرة تمثلت فى خروج الابن عن أمر أبيه والسفر بدون علمه أو استئذانه • على أن ٩٥ ٪ من هؤلاء عندما وصلوا الى المدينة لم يحاولوا

اكمال دراستهم بل اكتفوا بالعمل هناك بهدف الحصول على المال • وعندما عاد هؤلاء بعد غياب عام أو أكثر أخذوا يقصـــون على رفاقهم مغامرات السفر الى المدينة ومحاسن المدن وفرص العمل المتوفرة فيها • مما حـــدا بأعداد كبيرة من شباب المنطقة الى أن يحذوا حذو زملائهم فكانت هجرة جماعية للشباب واضرار بالناحية الاقتصادية ولو الى حين • حيث كان بعض هؤلاء يعود ومعه الهدايا الكثيرة والنقود ••

ان التعليم والهجرة والاتصال بالمجتمع الخارجى أحدثت تغـــيرات واضحة فى القيم والنظام ومراكز الاشخاص فى القبيلة • لكن التغير فى القيم كان أقل نصيبا من غيره • فمثلا كان هؤلاء الشباب يمارسون الزراعة فقط وقليلا من التجارة فى مجتمعهم لكنهم بعـــد الهجرة بدأوا العمـــل كمستخدمين فى المتاجر والبيوت وكان أهلهم ينظرون الى عملهم هـــــذا بازدراء شديد ، بينما يحاول هؤلاء اخفاء عملهم الحقيقى ويدعون أنهم يمارسون أعمالا مكتبية أو تجارية • وتعلم المهاجرون هناك (حلق اللحية) وشرب الدخان وهما أمران كانت القبيلة تعتبرهما شيئا مكروها لا يجوز الاقدام عليه ولهذا فقد وقف كبار السن ضد هاتين الظاهرتين لمحاربتها لكنها مع مرور الزمن وبسرعة انتشرت بين الشباب ••

ولعل الأهم من ذلك أن هؤلاء بدأوا يصطحبون عائلاتهم الى أماكن العمل وبهذا حدث نقص فى أعداد الاسر وازداد النشاط الاقتصادى ضعفا خصوصا اذا علمنا أن المرأة كانت تلعب دورا بارزا فى هذا النشاط[١] ثم ان سفر المرأة بالنسبة اليهم كان أمرا غير مستحب •••

وأما التغير فى النظام فنعنى به التغير فى صور التنظيم ويشـــمل تنظيم الادوار ومضمون الدور • فمثلا كان الرجل يقبل على الزواج من أكثر من واحدة لغرض اقتصادى فالزوجات يقمن بأعمال الزراعة ويساعدن الزوج فى كثير من المناشط وهن بالتالى يلدن أعدادا كبيرة هذه الاعـــداد

---

(١) راجع الفصل الثانى من الباب الثانى (النسق الاقتصادى) .

بطبيعة الحال ستصبح أيدى عاملة فيما بعد وقد بدأت هذه الظاهرة تختفى بالتدريج خصوصا لدى الشباب فلم نعد نسمع بأن شابا تزوج أكثر من واحدة الا نادرا ويقابل مثل هذا الفعل بالازدراء لانهم بدأوا يدركون أن تعدد الزوجات وكثرة الانجاب تعنى المزيد من المتاعب الاقتصادية وتعنى المزيد من ضعف العلاقات بين الابناء .. الى غير ذلك .

وأما التغير فى مراكز الاشخاص فذاك أمر لا مفر من حدوثه ذلك أن عددا من الاشخاص الذين كانوا يمارسون التأثير فى المجتمع قد وصلوا الى مرحلة من العمر لم يعد فى استطاعتهم القيام بهذا التأثير أو (ماتوا)، فمثلا توفى الحكماء ولم يظهر البديل واختفى الفقهاء وحل محلهم الشباب المثقف المتعلم حتى شيخ القبيلة نفسه شمله هذا التغير فمشيخة القبيلة فى الاونة الاخيرة قد انتقلت الى شاب مثقف سعى فى ضوء ثقافته الى تطوير المجتمع وسار به من حسن الى أحسن فانتشرت مدارس البنين والبنات ودخلت الى المنطقة خدمات كثيرة سوف نذكرها فى فصل لاحق .

على أن الشىء الذى أحدث تغيرا عميقا سواء كان تغيرا تنظيميا أو تغيرا فى البناء نفسه هو ظهور البترول فى المملكة العربية السعودية . فقد ضاعف ذلك من الهجرة الى مناطق البترول حيث أصبحت هذه مناطق جذب للاخرين . وأدى ذلك بطبيعة الحال الى ترك هؤلاء لاعمالهم التقليدية التى كانت تتركز على تربية الماشية والرعى وتجارة القوافل والترحال . وبدأ هؤلاء فى ممارسة مناشط جديدة كقيادة السيارات وحراسة المنشآت وهما وظيفتان جديدتان بدلا من ركوب الابل وحراسة القبيلة وممتلكاتها وكل هذا التغير فى الانشطة الاجتماعية هو تغير حدث مع تغير الظروف التى وجد القبلى نفسه أمامها وجها لوجه — وذلك بطبيعة الحال أدى الى تغير فى النواحى الاقتصادية والى تغير فى العلاقات الاجتماعية . فبعد أن كانت الاسرة الممتدة هى المسئولة عن الناحية الاقتصادية لافرادها وهى المهيمنة على هذا النشاط ، حيث كان رب الاسرة هو المسئول عن توزيع الادوار وملاحظة النشاط فقدت الاسرة هذه السيطرة وقل هذا النشاط بسبب هجرة أفراد من الاسرة الى المناطق الجديدة وبطبيعة

الحال فلم تعد العلاقات الاجتماعية قوية متينة كما كانت تتسم بروح التعاون والصلات القرابية التقليدية لهذه العائلة الممتدة • ذلك أن العائلة الممتدة انقسمت الى عدة أقسام كل منها أسرة نووية مستقلة اقتصاديا بل أصبح من حق هذه الاسر الجديدة أن تكون علاقات وصلات وروابط جديدة مع أسر أخرى بعد أن كانت تتحدد هذه الامور فى نطاق الاسرة السابقة • وبالتالى فقد رب العائلة الكبير سلطته على الاسر وبالتالى حدثت تغيرات مماثلة فى سلطة شيخ القبيلة وتغير فى القيم • فلم يعد المهاجرون مثلا يتحرجون من القيام بالاعمال اليدوية وتقاضى الاجر من الآخرين •

ولا نستطيع أن ننكر وجود عملية (صراع أو تعارض) فى المجتمع أثناء هذه التغيرات لكنها على أى حال لم تؤد الى تمزق المجتمع كما قد يخيل الى البعض من النظرة الاولى ، ثم ان التجديدات التى طرأت على المجتمع حتمت على الافراد فيه أن يكيفوا أنفسهم فى النهاية بالتعديل فى مواقفهم ومناشطهم وفى نفس الوقت احتفظوا ببعض القيم التقليدية التى كانت توجه السلوك وتحكمه أما المهاجرون الى مجتمعات جديدة فقد وجدوا لزاما عليهم أن يأخذوا فى الاعتبار أنهم لابد أن يستجيبوا للمواقف الجديدة ازاء سلوك الآخرين ويحاولوا التوفيق بين مواقفهم ومواقف الآخرين بمعنى أنه لابد لهؤلاء أن يتفاعلوا مع أعضاء المجتمع الجديد •

اذاً فالتعليم والاتصال بالمجتمعات الاخرى والهجرة الجماعية الى مناطق البترول وزيادة الاموال لدى الناس أدت الى تغيرات كما أسلفنا فى القيم والاتجاهات والسلوك • وأصبح الفرد منهم لا يجد حرجا فى أن يخرج عن مشورة الوالد أو الكبير وصولا الى شيخ القبيلة بل ان الشباب بدأوا ينظرون الى آراء كبار السن على أنها كلام يصدر عن « كبير السن المخرف » والذى لم يعد يعى ما يقول •

وقد أوردنا فى الفصل السابق بأن شيخ القبيلة قبل ظهور الحكم

السعودى كانت له السيطرة المطلقة على الناس وأن كل بدنة من البدنات كانت تجتمع على قلب رجل واحد للوقوف فى وجه أى بدنة أو وحدة أخرى تعتدى على جزء أو وحدة من هذا البدنة ٠ لكن هذه الامور لم تعد ذات أهمية كبرى فى المجتمع بل أصبحت كل قرية تلتزم بالدفاع عن مصالحها دون انتظار مساعدة من الآخرين ٠ هذا الدفاع لم يعد يتخذ المظهر المسلح كما كان فى السابق بل أصبح دفاعا عن طريق الشكوى للسلطات الرسمية فقد أراد شيخ القبيلة (محمد بن سعيد آل سويعد) أن يفتتح طريقا للسيارات يمر من مجرى السيل فى وادى بنى كبير لتستفيد القرى الواقعة على ضفتى الوادى من هذا الطريق الا أن هذه الرغبة وجدت معارضة كبيرة من ملاك الارض الواقعة على طرفى الطريق وكانت أولى هذه الاملاك تعرضا للضرر أملاك أهالى قرية « العبادل » الذين أبدوا اعتراضهم لشيخ القبيلة وكان ذلك فى عام ١٣٨٧ — ١٩٦٧ ٠ ولما لم تجد هذه المعارضة صدى لدى شيخ القبيلة أضطر هؤلاء الى التقدم بشكوى لامارة المنطقة والامارة بدورها أحالتها الى الحاكم الشرعى وطال أمد النزاع بين القرية وشيخ القبيلة وأنصاره ٠ ولم تنضم قريتى « الفلاح والحبيس » الى قرية العبادل وهى القرى التى تشكل بدنة (بالحارث) لمناصرتها والوقوف الى جانبها بل وقفتا موقفا حياديا حتى عندما تطلب موضوع الشكوى والمرافعات مصاريف مادية لم تساهم القريتان فى ذلك ٠ ولم ينته النزاع الا بعد سنوات عندما رفع الامر الى المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز الذى بت فيه وأنهى هذا النزاع ٠

هذه الحادثة تبين لنا مدى التغير الذى حدث فى العلاقات الاجتماعية سواء بين الشيخ وأفراد القبيلة أو بين قرى البدنة الواحدة ٠ ويبدو أن السبب فى ذلك هو شعور أفراد المجتمع بأنهم لم يعودوا فى حاجة الى التضامن السابق وهو التضامن الذى قام على أساس المصلحة العامة بعد أن كفلت لهم الحكومة المركزية الحقوق والواجبات وحققت لهم الامن والامان والاستقرار ٠

الفصل الثانى

الأنساق

أ ـــ النسق القرابى والعائلى :

يرى « راد كليف براون » بأن تـــوزع الناس الى جماعات قـــرابية (العائلات بأشكالها المختلفة) يعتبر عاملا من عوامل البناء الاجتماعى ، وهو يرى على هذا الأساس أن القرابة نوع مز الترتيب • هذا الترتيب يمكن أعضاء المجتمع من العيش معا بحيث تتضح صورة التعاون فيما بينهم على مستوى الأفراد والجماعات فيعاون كل منهم الآخر فى نطاق حياة اجتماعية منظمة [1] •

ويمكن تعريف القرابة بأنها عبارة عن « العلاقات المبـــاشرة التى تنشأ بين شخصين نتيجة لانحدار أحدها من صلب الآخر ، كالحفيد الذى ينحدر من الجد عن طريق الأب أو نتيجة لانحدار الاثنين من سلف مشترك كما هو الحال بالنسبة للعلاقة بين أبناء العمومة التى تعود الى الجد عن طريق الأعمام » [2] •

والقرابة من ناحية أخرى كمـــا يرى « رالف بيلز » [3] ظـــاهرة سوسيولوجية ترتبط بالظواهر البيولوجية لكنها لا تتطابق معها بحال من الأحال • فالمجتمعات المختلفة تتباين فى فهم طبيعة القرابة • كما هو لدى بعض المجتمعات التى تتبنى أطفالا لم ينجبهم الزوجان ، وفى

---

(١) Radcliffe. Brown. Introduction to African Systems of Kinship and Marrige, London, 1950. p. 3.

(٢) Ibid. p. 4.

(٣) رالف . ل . بيلز . مقدمة فى الانثروبولوجيا العامة . ترجمة محمد الجوهرى . والسيد الحسينى . دار مصر للطبع والنشر ١٩٧٦ . الجزء الاول ص ٤٦١ ـــ ٤٦٨ .

مجتمعات أخرى نجد أن روابط القرابة تمتد لتشمل الأفراد الذين لا تربطهم علاقة بيولوجية كما هو متبع فى مجتمعنا حيث نطلق لقب العم والعمة والخال عندما نشيرالى أزواج أو زوجات أعمامنا وخالتنا الفعليين، بل أننا نطلق صفة العم والعمة على أصدقاء الاسرة الكبار فى السن والذين لا تربطنا بهم علاقات بيولوجية • وهكذا نلاحظ أن كل مجتمع قد اعتاد على مصطلحات قرابية بحيث يصبح خطأ أن نفترض أن مصطلحات مثل الأب أو الأم ، والابن ، والبنت تعنى دائما نفس المدلول عند جميع الشعوب •

وقد قدم « الفرد كروبر » أساسا للتصنيف القرابى فى مقال فى سنة ١٩٣٩ بعنوان «Classificatory systems of relationship» فى جريدة معهد الانثروبولوجيا الملكى فى بريطانيا حيث حدد هذه الأسس بثمانية هى :

١ — القرابة على أساس الجيل • فنلاحظ مثلا فى المجتمعات الغربية أن جميع مصطلحات القرابة فيما عدا مصطلح ابن أو بنت العم Cousin تقتصر على جيل واحد فقط ، فمصطلحات الأب ، والأم ، والعمة ، أو الخالة والعم أو الخال تنصب على جيل الوالدين أما مصطلح الأخ والأخت فينصبان على جيل الشخص نفسه ، ومصطلحات الأبن والبنت وابن الأخ « أو أبن الأخت » بنت الأخ « أو بنت الأخت » فتقتصر على الجيل الثانى لجيل الشخص نفسه •

٢ — الأساس الثانى هو الذى يصنف الأقارب من نفس الجيل تبعا لفروق العمر ، حيث نجد فى بعض المجتمعات أن الشخص يخاطب اخوته الكبار بمصطلح معين ويخاطب اخوته الصغار بمصطلح مختلف تمام الاختلاف • كذلك يميز الشخص عندهم بين أخواته تبعا للسن الى أخوات كبار وأخوات صغار ، هذا يتضح تماما لدى شعب «النافاهو»•

٣ — وأساس التصنيف الثالث يتضمن الفرق بين الأقارب الخطيين

« المباشرين » Lineal والأقارب المجانبين « غير المباشرين » Collateral فالأقارب الخطيين هم أولئك الذين يرتبطون ببعضهم فى خط واحـــد ، وهكذا يعتبر الأباء والأبناء أقارب خطيين • أما الأقارب المجانبون فهم أولئك الذين يرتبطون بشكل غير مباشر من خلال أحـــد الأقارب الذى يصل بين الخطيين ولهذا يعتبر العم أو « الخال » قريبا مجانبا لدى بعض المجتمعات لأنه اما أن يكون أخا للأب أو أخا للأم • وكذلك يعتبر أبناء العم أو « الخال » أقارب مجانبين لانهم يرتبطون بالشخص بصلة قرابة غير مباشرة لأنهم أبناء أخوة الأب أو أبناء اخوة الأم •

وهناك مجتمعات أخرى لا تعـــرف التمييز بين الأقـــارب الخطيين والأقارب المجانبين كما هو الحال عند شعب « الشيريكاهو الاباتشى » حيث تستخدم المصطلحات الدالة على اخوة الشخص نفسه على جميع أبناء أو بنات العم أو « الخال » بغض النظر عن مدى قرابتهم للشخص•

وكذلك لا يميز السكان الأصليون لجزر « هاواى » فى مصطلحات القرابـــة بين الأب واخوته الذكور • فالجميـــع يطلق عليهم مصطلحا واحـــدا •

٤ — أما الأساس الرابع عند « كروبر » فيرتبط بنوع القريب « ذكرا أو أنثى » ويبدو هذا الفرق واضحا فى نظام القرابة فى مجتمعنا فى التمييز بين الأب والأم والعمة والعم (والخالة والخال) والأخ والأخت وابن الأخ وبنت الأخ • والمصطلح الوحيد الذى لا يبدو فيه هذا الأســـاس واضحا هو ابن أو بنت العم (وابن أو بنت الخال) الذى ينطبق على كافة الأقارب المجانبين من جيل الشخص نفسه ، بصرف النظر عن نوع القريب ذكرا أو أنثى •

٥ — ويتضمن خامس أساس للتصنيف عند « كروبر » الفروق فى نوع المتكلم نفسه (الـــذى يخـــاطب أقاربه) ففى نظـــام القرابة فى مجتمعنا مثلا يستخدم الذكور والاناث نفس مصطلحات القرابة ولكن

هناك نظما قرابية أخرى عديدة تختلف فيها المصطلحات بالنسبة للمتكلم الذكر والأنثى . من هذا مثلا أنه عند « النافاهو » يخاطب الشخص ابنه بمصطلح يختلف عن ذلك الذى تخاطب به المرأة ابنها ، كما أن هناك مصطلحين للبنت أحدهما يستخدمه المتكلم الذكر، والآخر تستخدمه الأنثى.

٦ — وينصب الأساس السادس للتصنيف عند كروبر على الفروق فى نوع القريب الذى يمثل همزة الوصل فى القرابة . وقد لاحظنا من قبل أن الأقارب المجانبين هم أولئك الذين يرتبطون بالشخص من خلال قريب معين.

والملاحظ على نظام القرابة فى المجتمعات الغربية — وفى مجتمعات أخرى — أن نوع القريب الذى يمثل همزة الوصل لا تترتب عليه أية نتيجة ، فجميع أبناء أو بنات العم أو « الخال » يجمعون تحت مصطلح واحد هو Cousins الا أن السائد فى مجتمعات أخرى كثيرة هو تقسيم هذه الفئة « أبناء وبنات العم والخال » الى جماعتين : الأولى . هى أبناء العمومة أو الخؤولة المتقاطعة «Cross Cousins» أى أبناء الأخوال والعمات ، والجماعة الثانية هى أبناء العمومة والخؤلة المتوازية «Parallel Cousins» أى أبناء الأعمام والخالات . وواضح أن الفرق بين المجموعتين يرجع الى نوع القريب الذى يمثل همزة الوصل.

٧ — أما الاساس السابع فيميز القرابة الدموية عن قرابة المصاهرة. والقرابة الدموية تضم أولئك الذين ينتمون الى أسرة الشخص نفسه وأسرة أجداده وأحفاده ، أما قرابة المصاهرة فتضم أولئك الأقارب من خلال الزواج . أى أولئك الذين يسبق اسمهم فى مصطلحات القرابة الغربية كلمة «In-Law»

٨ — والأساس الثامن والأخير لتصنيف القرابة ينصب على الفروق فى المكانة أو الظروف المعيشية للشخص الذى تقوم علاقة القرابة من خلاله ، ويمكن أن نجد نموذجا لذلك عند شعب « الشيريكاهو الاباتشى »

فعندهم ينتقل الزوج ليعيش مع أسرة زوجته ، فان علاقته تتغير من حيث أنه يتحتم عليه أن يتزوج أيا من أخوات أو بنات عمومة أرملته اللاتى لم يسبق لهن الزواج ، ومن ثم يظل بين أفراد الاسرة التى انضم اليهـا بعد زواجه الأول •

النسق القرابى في بنى كبير :

يلعب النسق القرابى بمعناه الواسع دورا هاما فى حياة قبيلة بنى كبير كما هو الحال فى المجتمعات العربية • ذلك أن العلاقات والروابط القرابية تمثل هذا الدور الهام فى الحياة اليومية • ونعتقد أن مثل هذا الدور لابد أن يحظى باهتمام الباحثين الانثروبولوجيين (العرب) بصفة خاصـة •

فان كان هذا الموضوع لم يجذب اهتمام الغربيين بصفة خاصـة فانه لابد أن يكون على رأس قائمة الاهتمام لدى الباحثين العـرب • فالغرب لا تلعب الروابط القرابية لديهم الدور الهام الذى تلعبه فى المجتمع العربى • ونعتقد من جهةأخرى بأنه لكى يتسنى لنا فهم البناءالاجتماعى نفسه فلابد لنا من التعرف بشكل جيد على النسق القرابى • وكما قلنا فى فصل سابق فانه لا يمكن فصل النظم والانساق الاجتماعية فى أى مجتمع عنالأخرى ذلك انه يوجد بين هده الانساق تفاعل وتداخل وتشابك يقود فى النهاية الى فهم البناء الاجتماعى العام للمجتمع موضوع الدراسة ومتى تم فصل الأنساق تعسر الوصول الى هذا الفهم •

وبالمقابل فانه لكى يتم هذا الفهم فلا يمكن الفصل بين القـرابة من ناحية والزواج والعائلة من ناحية أخرى عند دراسة أى مجتمع تقليدى بل لابد من تحليل نظم العائلة والزواج لأن « نسق القرابة » يقوم فى أساسه على نوعين من العلاقات هما ـ عـلاقات الدم ـ وعـلاقات المصاهرة ـ وهما الموضوعان الأساسيان المتعلقان بالعائلة والزواج ••

وعلى هذا فنحن نميل الى الرأى الذى يعرف البناء الاجتماعى بأنه

هو الطريقة التى ينقسم بها المجتمع الى زمر اجتماعية أو جماعات متمايزة وأن هناك عناصر أساسية وجوهريه توجد فى كل مجتمع كأساس لهذا التمايز والتفاضل مثل مبدأ التمايز على أساس الجنس ومبدأ التوزيع الاقليمى للجماعات ومبدأ التمايز على أساس السن والتمايز على أساس التنظيم القرابى ٠

والمتتبع للدراسات الاجتماعية والانثربولوجية الخاصة بالنسق القرابى سوف يلاحظ أن معظم الباحثين يستخدمون كلمة « قرابة » مرادفة لكلمة (روابط الدم) بينما القرابة تعنى فى أبسط تعريف لها بأنها (العلاقات التى تنشأ بين شخصين أو أكثر لانحدار أحدهما من صلب الآخر أو من سلف مشترك) بينما « روابط الدم » تنشأ عن طريق المصاهرة وليس عن طريق الاشتراك فى سلف واحد ٠ ونرى أن أية دراسة تتصف بالعمق فيما يخص (النسق القرابى) من الضرورى أن تهتم بدراسة القرابة بمعناها الضيق وكذا المصاهرة التى تنشأ عن طريق الزواج ٠

فدراسة النسق القرابى للقبيلة كلها مثلا لن يهىء فرصة لوصف مثل هذه الدراسة بأنها عميقة ، ذلك أن النسق القرابى فى القبيلة واسع ومتشعب وتتداخل فيه روابط الدم وروابط القرابة ويبدأ من الاسرة الصغيرة وانتهاءا بالبدنة الكبرى والتى تشكل مع بدنات أخرى مجتمع القبيلة الكلى ٠

وتعتبر العائلة الصغيرة أو الأولية أو الأسرة نواة (للنظام القرابى) فى مجتمع بنى كبير كله ٠ على الرغم من أن الروابط القرابية تمتد الى ما وراء حدود الأسرة بكثير — شأنه فى ذلك شأن المجتمعات القبيلة الاخرى — وتؤلف بناءا واحدا متمايزا يصل الى درجة كبيرة من التعقيد والتشعب ، بحيث يشمل أفراد المجتمع كله كما أسلفنا ٠

فى حين أن (الزواج) يعتبر النواة الأولى لدراسة (نظام المصاهرة)

وهذا التعقيد والتشعب فى العلاقات التى تنشأ عن طريق نظم القرابة والمصاهرة يشمل مجتمع بنى كبير كله الا اذا استثنينا التمايز القائم على أساس (النسب) « والمهنة » فروابط الدم قائمة فى كل قطاعات المجتمع ولا يستثنى منها الا أولئك الذين لا تعرف لهم أنساب بمعنى أن سلفهم من المهاجرين الى أرض القبيلة استوطن بها وأنجب أولادا وأحفادا . فهو لا يتمتع بروابط القرابة لانه ليس فى الأصل من القبيلة ولا يتمتع بروابط الدم التى تنشأ عن طريق المصاهرة . لأن أيا من أفراد القبيلة الصرحاء لا يرضى أن يزوجه احدى قريباته أو يتزوج هو من احدى قريبات هذا المجهول النسب ، كما هو الحال بالنسبة لصانعى الفخار وصناع الحديد فى مجتمع بنى كبير .

وقد أوضحنا فى فصل سابق أن كل أفراد مجتمع بنى كبير عدا من أشرنا اليهم يتوفر لديهم الشعور القوى بالانتماء الى جد وسلف واحد يشتركون فيه جميعا .. ثم عرضنا أيضا للتقسيمات النوعية الثلاثة وهى البدنات التى تشكل مجتمع بنى كبير . (بالحارث والعلى والجابر) . ثم التقسيمات الاصغر وهى « اللحام » .. ثم العائلات الكبيرة فالاسرة الصغيرة نسبيا .

واذا أضفنا الى كل ذلك (علاقات روابط الدم) التى تنشأ نتيجة للمصاهرة والزواج لأصبح لدينا نطاقا أوسع للقرابة ، وهذا يستدعى التمييز بين نوعين من الأقارب هما : الأقارب العاصبون «Agnates» وهم الذين يؤلفون العصبة ونقصد بهم أولئك الذين يرتبطون ببعضهم بروابط قرابية عن طريق الذكور فقط وعليه فان الأب والابن وابن الابن يعتبرون عاصبين بعضهم لبعض . كما تعتبر البنت عاصبة لأبيها لأنهما ينتسبان الى عصبة احدة هى الجد بالنسبة للبنت والأب بالنسبة لأبيها . فى حين أن ابن البنت لا يعتبر عضوا فى عصبة أمه وانما يعتبر عضوا فى عصبة أبيه ، وهذا النوع هو ما يطلق عليه فى الكتابات الحديثة «Patrilineal Kinship»

أما النوع الثانى من القرابة فهو « قرابة ذوى الأرحام »

«Matrilineal Kinship» .. بينما لا نستطيع استخدام مصطلح « القرابة الأموية » فى مجتمع بنى كبير لأن هذا المجتمع لا يعرف نظام « الانتساب الأموى » أو الانتساب فى خط النساء وانما يتبع نظام الانتساب الى الأب ، وعلى هذا فان مصطلح ذوى الأرحام نعنى بها فقط الأقارب الذين تنشأ بينهم روابط قرابية عن طريق النساء بالمصاهرة كالعلاقة بين الابن وابن خالته أو ابن خاله أو ابن عمته أو حتى ابن ابنته اذا كانت متزوجة فى عائلة أخرى لا تربطها مع عائلته روابط قرابة أى لأنهـا لا تلتقى معها فى جد واحد .

وهذا يتفق مع تصنيف « كروبر » الذى أشرنا اليه أنفا . ويختلف تماما مع التصنيف الثالث خاصة فيما يتعلق بمجتمع « الشيريكا هـو الاباتشى » .

وعلى هذا فانه لكى نعين نسب أى شخص لابد أن نرجع نسبه الى جد أعلى قد يعـود الى أجيال سابقة لكننا نلاحـظ أنه كلما كان هـذا السلف بعيدا فى الماضى ، كلما اتسـعت دائرة الأقارب بالنسبة لهـذا الشخص نفسه .. وهذا بطبيعة الحال يخالف تماما نظام الانتساب لدى المجتمعات الغربية الذى أشار اليه (كروبر) فى الأسـاس الأول من تصنيفه .

وهذا يعنى بالنسبة لمجتمع بنى كبير أن نظام أونسق القرابة ، نظام متسق من العلاقات الذى يرتبط فيه الافراد بعضهم ببعض عن طريق شبكةمن العلاقات القرابية التى تظهر بالتالى الجماعات القرابية كالاسرة والعائلة الكبيرة واللحمة (الفخذ) والبدنة ثم القبيلة . فى حين تعتبر العائلة الصغيرة أو الأسرة أبسط صور القـرابة وعلى أساسها تقـوم أشكال وصور العائلات الأخرى الأكثر تعقيدا وتركيبا ..

والشكل السائد فى مجتمع بنى كبير للعائلة هو ما يمكن تسميته بـــ (العائلة المركبة Complex family والعائلة الممتدة Extended family)

فنظام تعدد الزوجات موجود فى هذا المجتمع ، حيث نجد أن الرجل فى أحيان كثيرة يتزوج أكثر من واحدة وينجب من كل زوجة عددا من الأطفال • وقد يصل لدى معظم الأسر الى أكثر من « عشرة أولاد » بين ذكور واناث وهؤلاء يتزوج الذكور منهم فور بلوغهم سن الرشـد ، وتعيش زوجة الابن مع الاسرة تحت سقف واحد وعيشة مشتركة • وينجب هؤلاء المتزوجون أطفالا • وتؤلف العـائلة فى النهاية وحـدة قرابية نتيجة لوجود عضو مشترك يربطها ويؤلف بينها وهو هنا « الجد » أو كبير العائلة كما يسمونه •

ثم نلاحظ أن العلاقات فى هذه الأسرة زادت اتساعا فالرجل فيها يلعب عدة أدوار ، فهو ابن فى العـائلة وزوج وأب فى نفس الوقت ، ويقـوم أو يؤدى وظائف مختلفة لكل من هذه الأدوار •

وفى حالات كثيرة يزداد الأمر تعقيدا عندما يتزوج الابن فى هذه العائلة بأكثر من واحدة • وينجب من كل زوجة عددا من الأطفال ، بحيث يصل متوسط هذه الأسرة أو العائلة التى تشمل من ثلاثة الى أربعة أجيال هى الجد والجدة • ثم أبناؤهما ، ثم أبناء الأبناء فالأحفادالى (٢٠) فردا •• وكل هؤلاء يعيشون فى وحدة سكنية واحدة ، ويؤلفون وحـدة اقتصادية يرأسها الأب الأكبر للعائلة وتقوم بينهم علاقات غاية فىالتعقيد ، فيحرص أفراد العائلة على استمرارية هذه العلاقات والمحافظة عليها •

ويتخاطبون بألفاظ معينة فالذكور والاناث يخاطبون كبير العائلة بلفظ « أبى » وذلك بالنسبة للجيل الأول وهم أبنـاء رب العائلة وبنـاته • وتستخدم زوجة الابن هذه الكلمة أيضا عند مناداتها لوالد زوجها أمـا أبناء الأبناء فينادون الأبوين الرئيسيين (بجدى وجدتى) •

وبالنسبة للاخوة والأخوات ، فيستخدمون عند مخاطبتهم لبعضهم البعض لفظ (أخى وأختى) خاصة اذا كان المدعو أكبر سنا من الداعى • لكن مدى التمسك بهذه الألفاظ عند المخاطبة يتفاوت بين الذكور والاناث

فنجد أن الأخ ينادى أخته الكبرى باسمها مجردا من لفظ (أختى) بينما يجد حرجا أو هو لا يستطيع أن يفعل ذلك بالنسبة للأخ الأكبر من الذكور والسبب فى ذلك يعود الى أنهم ينظرون الى المرأة نظرة أقل احتراما بالنسبة للرجل • فالرجل هو المهم فى المقام الأول داخل الأسرة وعلى هذا فلا يجوز أن يبدى احتراما للمرأة تلك التى لا تبلغ أهمية الرجل ومكانته فى العائلة •

أما الأبناء فينادون « أعمامهم » وهم اخوة الأباء « وعماتهم » أخاوت الآباء بأسمائهم مسبوقة بلفظ « أبى وأمى » فالعم والعمة يضعونها فى مرتبة الأب والأم عند المخاطبة •

وهكذا تلاحظ أن المرأة بالنسبة للأخ لا تنال الاحترام بقدر ما تناله من ابن أخيها فهى مع الأخ تفقد لقبها وتنادى باسمها مجردا بينما ابن الأخ يحفظ لها هذا اللقب ويرفعها الى مرتبة الأم ، ولعل ذلك يعود الى الفرق الواضح فى العمر بين الاثنين والى أنها شريكة فى ارث والدها مع أخيها والد هؤلاء الأبناء فيعاملونها معاملة حسنة حتى لا تطالب بهذا الارث وتتنازل عنه لأبناء أخيها ، أما حين معاملتها معاملة غير لائقة فانها سوف تأخذ هذا الحق فى الارث وتتصرف فيه كيف تشاء وربما باعته الى الغير ، وعندها تنتقل ملكية الأرض الى الغرباء عن هذه العائلة •

وليست هناك فروقا واضحة فى العلاقة الا بين الأبناء والبنات غير الأشقاء — فى حياة الأب — فالعلاقة بين هؤلاء هى نفس العلاقة تقريبا بين الاخوة والأخوات الأشقاء • ذلك لأن رب العائلة لا يسمح بظهور مثل هذه الفوارق • لكننا نجدها تختلف بعد وفاة الأب • حيث نلاحظ أن الأشقاء ينحازون مع بعضهم البعض بينما يبقى غير الأشقاء فى طرف آخر • فعند قسمة الأرض بعد وفاة الوالد يختار هؤلاء أراضيهم متجاورة وتبقى ملكيتها لهم جميعا بينما غير الشقيق تكون أرضه خارج المجموعة الأولى • وهذه احدى مساوىء تعدد الزوجات ، ذلك أن

مجموعة الأشقاء بحكم شعورهم بأنهم من بطن واحدة ورضعوا من ثدى واحد تنشأ بينهم علاقة أقوى • بالاضافة الى سوء العلاقة بين الزوجات وانعكاس هذه العلاقة على الأبناء بحيث لا تصبح العلاقة جيدة بين الابن زوجة الأب • ولكنذلك لا يعنى انفصام العلاقة بين الاخوة الأشقاء وغير الأشقاء بل أن الطرفين يحاولان الابقاء على هذه العلاقة وحصر الخلاف القائم داخل نطاق العائلة •

وقد تقع حالات (طلاق كثيرة) فى حياة كبير العائلة وذلك عندما تحاول احدى زوجات أى من الأبناء افساد العلاقة فى الأسرة بمطالبتها مثلا بالاستقلال الاقتصادى عن الأسرة والخروج من الوحدة السكنية للعائلة وعندما لا تتراجع عن هذه المطالب يطلقها الزوج محافظة على وحدة العائلة وتماسكها • غير أن ذلك لا يحدث فى حالة وفاة كبير العائلة وخاصة فى الأونة الأخيرة فيمكن أن يستقل أحد الأفراد اقتصاديا لكنه يبقى داخل العائلة • بمعنى أنه ينتحى جانبا فى وحدة سكنية داخل الوحدة السكنية للعائلة اذا كان هناك متسعا لمثل هذا الاستقلال • والهجرة من القبيلة هى المخرج الأسهل للابن الراغب فى الاستقلال عن الأسرة ، حيث يهاجر الى احدى المدن بأسرته الصغيرة — كما سنشير انى ذلك فى فصل لاحق •

أما تعدد الزوجات وزواج الأبناء فقد أنشأ نوعا قويا من أنواع العلاقات القرابية بين العائلات المختلفة ، ذلك أن علاقات « النسب والمصاهرة فى مجتمع بنى كبير تساوى الى حد كبير نفس العلاقات التى تعود الى (روابط الدم) •• بحيث أن العائلات التى تقوم بينها علاقات المصاهرة تشكل (جماعة ثأرية) وتتحد لهذا الغرض فى حالة وقوع اعتداء على أى فرد منها •

ويحرص مجتمع بنى كبير على تكريم الأصهار واحترامهم • بل يرون أن الصهر أو كما يسمونه (العانى) شريكا فى المال الولد ، ومن قال بغير هذا فلا خير فيه • يقول شاعرهم :

ان العنية خشير الظفر فى ماله • • لا خير فى لابة ترخص عوانيها

والمقصود بالعنية : الأصهار أو ذوى الأرحام والخشير هو «الشريك» والظفر هو الرجل الشهم المظفر • واللابة معناها الوحدة الاجتماعية ليصبح المعنى كاملا •

ان الصهر شريك للرجل الشهم فىالمال والولد والمسرات ويجب أن يكون كذلك وان يكون هذا هو شعور المجتمع • أما من أرخص أو استهان بالأصهار فلا خير فيه ولا فى وحدته الاجتماعية •

وعلى ذلك فقد اكتسب (الخال) عندهم أهمية واحتراما خاصا وتقديرا من أبناء الأخت ، حتى أنهم يرون أنه من العار أن يطلب أبناء الأخت نصيبهم فى ارث الأم الذى بيد الخال • وتقوم بين الخال وأبناء أخته علاقات أدائية وعاطفية • تتمثل فى تبادل المصالح وتقريب ابن الأخت الى منزلة الولد لدى الخال وفى نفس الوقت رفع مرتبة الخال الى مرتبة الوالد • يعبر عنها ابن الأخت بالاحترام والتقدير لخاله • ذلك فى الأوقات العادية ، أما لو حدث أن وقع خصام بين عائلة الابن وعائلة أخواله فان رابط القرابة تغلب على ر وابط الدم • أى أن ابن الأخت يمكن أن ينحاز الى قرابته العاصبة التى ينتمى معها فى خط الذكور الى سلف مشترك • ضد عائلة أخواله •

ولدى مجتمع بنى كبير قولا مأثورا فى هذا المعنى عبر عنه شاعرهم منذ القدم بقوله :

أنا من أخوالى اذا طاب الزمن •• ومن بنى عمى اذا اصطك الحجر

ومعناه على لسان ابن الأخت « اننى من أخوالى تقوم بينى وبينهم علاقات ود ومحبة اذا كان الوقت سلم بين عائلتينا • ولم يحدث من الظروف ما يعكر صفو الزمن • ولكنى اذا حدث نزاع بين عائلتى وعائلة أخوالى ، والتى عبر عنها الشاعر بقوله « اذا اصطك الحجر » ومعناه اذا ضرب حجر فى حجر آخر اشارة الى وقوع مصادمة ونزاع بين العائلتين

فانني فى هذه الحالة سوف أكون مع من تربطنى بهم روابط القرابة العاصبة ولن أكون مع العائلة التى تنتمى اليها والدتى » •

ومعنى هذا أن الفرد فى المجتمع القبلى يكون على علاقة أدائية ووظيفية بالعم أكثر من الخال ، وذلك لوجود روابط العصبة فى الأولى وانتفائها فى الثانية • وهذا يؤيد ما ذهب اليه ابن خلدون • أنظر ص ٥ من الفصل الأول — الباب الأول • الذى يرى أن العصبية تلعب دورا هاما فى الحياة القبلية حتى أنها هى التى تجعل الغلبة لفئة على أخرى وتؤدى الى تولى الرئاسة فى القبيلة •

والزواج المفضل فى مجتمع بنى كبير هو الزواج من « بنات العم » ما لم تقم هناك من روابط المحارم ما يمنع ذلك كالرضاع مثلا بين أبناء العمومة كما هو الحال فى معظم البلدان العربية التى توجد بها المجتمعات القبلية التقليدية ، ذلك أن القبلى يشعر بالانتماء الشديد الى أرضه ، وبما أن ابنة العم احد ورثة هذه الأرض فان زواجها خارج نطاق العائلة أو الوحدة القرابية • يعنى خروج جزء من هذه الأرض وانتقال ملكيتها الى وحدة قرابية غريبة أو بعيدة عن وحدة الزوجة ، ولهذا كان الحرص شديدا على أن يتزوج الرجل من ابنة عمه أو أن يتزوج ابن العم من بنت ابن العم وهكذا •

وهناك زواج آخر شائع فى مجتمع بنى كبير وهو أن يتزوج الأبن من زوجة أخيه بعد فاته لتحقيق هدفين هامين الأول المحافظة أو منع انتقال ملكية الأرض عن طريق ارث الزوجة الى وحدتها القرابية ، والثانية بقاء أبناء أخيه تحت اشرافه وسيطرته ، لأن الزوجة بعد وفاة زوجها وعودتها الى بيت أهلها ربما تزوجت من رجل آخر فيتعرض الأولاد للتشرد خاصة وأن زوجة الأب دائما لا تحسن معاملة أبناء زوجها من امرأة أخرى

أما فى حالة فشل زواج الأخ من زوجة أخيه المتوفى • اما لعدم التراضى بين الطرفين واما لعدم وجود الزوج أصلا • فان الوحدة القرابية

تنازلا شرعيا يسقط اى حق لها فى المطالبة بعد ذلك • والهدف من هــذا هو بقاء الأرض وعدم تجزئتها وبالتالى منع انتقال ملكيتها الى الآخرين•

واذا انتقلنا الى الحديث عن العلاقات القرابية خارج نطاق العائلة المركبة والممتدة ، وهى كما قلنا الشكل السائد فى مجتمع بنى كبير •بين « اللحام » لوجدنا أن الألفاظ فيها تتراوح بين (العموالعمة) فكل الأفراد الذين تضمهم هذه « اللحمة » الذكور والاناث ينــادون من كان أكبر منهم سنا بأسمائهم مسبوقة بلفظ (العم فلان والعمة فلانه) مهما على السلف الذى يربط هذه الوحدة القرابية •

ويمكن القول بأن أسس التصنيف القرابى فى مجتمع بنى كبير تعتمد على ما يلى :

١ — القرابة على أساس الجيل نفسه تبعا لفروق العمر (١) فيمــا أسلفنا فان الشخص يخاطب أخاه الأكبر باسمه مسبوقا بــ (أخى) • بينما الأخ الأكبر يخاطب الاصغر باسمه مجردا من لفظ أخى ، اذا كان النداء بينهما لكن الأكبر عندما يذكر اسم أخيه عند الآخرين فانه يقول (أخىفلان) لمجرد أن يعرف السامع أنه يتحدث عن أخيه •

وعلى نطاق (اللحام) تتم المخاطبة تبعا لهذه الفروق • فالأصغر سنا يخاطب الأكبر سنا مهما على السلف الذى يجمعهما بمصطلح (العــم) فلا يقول لرجل أكبر منه سنا مثلا (يا أحمد) وانما يقول (ياعم أحمد) واذا كان المتكلم والمخاطبمن نفس الجيل فانهما يتنادان بالاسم مجردا من أى مصطلح ولكن اذا كان أحدهما يكبر الآخر فانه يخاطبه بمصطلح

---

(١) انظر تصنيف (الفرد كروبر) بداية هذا الفصل •

(ابن العم) • وما أوردناه هنا من مصطلحات تنطبق على الذكور والاناث فى مجتمع بنى كبير •

٢ — وثانى هذه الأسس مرتبط بنوع القريب نفسه (ذكر أو أنثى) ويتضح هذا التصنيف عند التمييز بين الأب والأم والعم والعمة والخال والخالة والأخ والأخت وابن الاخ وبنت الاخت • فهم يعتبرون كلا من العم والعمة والخال والخالة على درجة واحدة مع الأب والأم من حيث الوقار والتقدير • فما عدا الخال فان المصطلح الذى يخاطب به العم الشقيق للأب هو (أبى) فلا يناديه مثلا بعمى فلان بل يناديه بمصطلح (أبى فلان) وكذلك الحال بالنسبة لأخت الأب وأخت الام فكلاهما تناديان بمصطلح (أمى فلانه) •

أما الخال فهم لا يعرفون له مصطلحا آخر خلاف أن ينادى ابن الأخت أو بنت الأخت خاله باسمه مسبوقا بـ (خال) بينما الخال يخاطب كلا من ابن وبنت الأخت بمصطلح (الابن أو البنت فلانه) •

أما ابن أو بنت الخال وابن أو بنت العمة فان التصنيف السابق لا يبدو واضحا لدى هؤلاء فيمكن أن يخاطب الأصغر منهما الأكبر بلفظ الأخ أو الأخت ويمكن ألا يستخدم هذا المصطلح •

٣ — وهناك تصنيف آخر ينشأ عن علاقة اجتماعية خاصة • وهى القرابة على أساس (الرضاع) لا تنشأ عنه علاقة فقط بين الرضعاء من ثدى واحد فقط ، بل يتعداه الى قيام علاقات اجتماعية متينة بين العائلة التى رضع طفل منها أو أطفال من امرأة من عائلة أخرى • واذا حدث أن رضع طفل من امرأة من عائلة فانه لا يقتصر الأمر على عملية رضاع واحدة بل يرضع كل الأطفال من العائلتين من النساء القادرات على الارضاع فى كل من العائلتين ، وذلك بغية تعزيز روابط العلاقة بين العائلتين واستمرارها ويعتبر الأطفال والمرضعات بمثابة الاخوة والأخوات والامهات لـكل منهـم •

ذلك أن الاسلام يعتبر هؤلاء اخوة يحرم على أى منهما أن يتزوج من شقيقته فى الرضاع وتصبح المرضعة بمنزلة الأم تماما بالنسبة لمن أرضعته ، وهناك نص شرعى يقول : (يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب) •

ولم يعرف مجتمع بنى كبير (على الاقل فى المائة عام الماضية) نظام القرابة بواسطة (التبنى) • ونعتقد أن المجتمع لم يعرفه أيضا من قبل هذا التاريخ ، ذلك لأن الدين الاسلامى لم يقر هذا النوع • وألغى (نظام التبنى) الذى كان سائدا قبل ظهور الاسلام لدى المجتمع العربى فى الجزيرة العربية ، ويحدث فى مجتمع بنى كبير اذا انقرضت عائلة بكاملها بسبب مرض خطير ولم يبق منها سوى طفل أو طفلة فى سن الرضاعة أن تقوم العائلة الأخرى الأقرب نسبا الى العائلة المنقرضة بضم هذا الطفل أو الطفلة اليها ، ويرضع الطفل أو الطفلة مع نظيره فى العمر من أبناء هذه العائلة ، فيصبح أحد أفرادها ليس عن طريق التبنى ولكن بواسطة الرضاع •

ولم يعرف مجتمع بنى كبير نظما أخرى للمحارم غير تلك التى حددتها الشريعة الاسلامية ، وهو ما سوف نوضحه بالتفصيل فى الفصل الأخير من هذه الدراسة •

أشكال الجماعات القرابية فى بنى كبير:

تتدرج الجماعات القرابية فى بنى كبير الى أربعة مستويات تبدأ من البدنة الى اللحام ثم العائلة الممتدة فالأسرة الصغيرة الحجم نسبيا • ويصغر حجم هذه الأشكال تدريجيا وصولا الى الأسرة أصغر الوحدات القرابية حجما •

وقد عرفنا فى فصل سابق أن قبيلة بنى كبير تتكون من ثلاث بدنات رئيسية هى بالحارث والعلى والجابر • وقلنا أن بدنة بالحارث يتوزع أفرادها على ثلاث قرى فى وادى بنى كبير هى العبادل والفلاح والحبيس

هذه القرى الثلاث تشكل النوع الأول من أشكال الجماعات القرابية فى بنى كبير وهى (البدنة) وتقوم بين أفراد هذه البدنة علاقات وروابط قرابية ويشكلون عصبة واحدة حيث ينتمى هؤلاء الى سلف واحد هو فى الغالب الجد العشرون ، ذلك أن الالاخباريين والذينتتراوح أعمارهم بين ٨٠ ،١٣٠ عاما ، ذكروا أننهم لم يسمعوا من آبائهم وأجدادهم الذين أدركوهم قبل الوفاة ، أن هذه القرى لم تكن معروفة فى عهد الأجداد ولم يكن سكانها يجتمعون فى مكان واحد أو قرية احدة من هذه القرى الثلاث وقد سألت أحد المعمرين الذى يزيد عمره الآن عن ١٣٠ عاما أن كان يعرف بأن بدنة بالحارث كانت تعيش فى مكان واحد معيشة مشتركة فأجاب بالنفى .

هذه ناحية ، والناحية الأخرى هى أننى سألت هؤلاء المعمرين أن يذكروا أنسابهم ، فاستطاع معظمهم ذكر أجدادهم حتى الجد الرابع عشر ، بينما استطاع اثنان منهم الانتساب حتى الجد السابع عشر ولم يرد ذكر اسم (حارث) الجد الأكبر لهذه البدنة .

ومهما يكن الأمر فان هذه البدنة كانت فى الأصل عائلة ممتدة تكاثر عدد أفرادها حتى قضت الضرورة بأن ينقسموا مكانيا فتوزعوا على هذه القرى الثلاث واستوطنت الوحدات القرابية المنقسمة فى هذه القرى ويقوم بين هذه القرى علاقات قرابية قوية أساسها الشعور بالانتماء الى سلف واحد مشترك كما ذكرنا ذلك قبلا . ولقد كانت ولاتزال تقوم بين هذه القرى صور التعاون تمثلت فى الماضى فى أوقات الحروبالقبلية حيث كاننت هذه البدنةتدفع بعدد من شبابها للدفاع عن مصلحة البدنة ومصلحة القبية ، ولقد كاننت تقوم خلافات تؤدى الى صراع مسلح بين البدنات الثلاث .

فكان اذا حدث عدوان مثلامن بدنة آل على،على بدنة بالحارثفان كل قرية كول فرد فى البدنة الثانية يعتبر نفسه مسئولا مسئولية مباشرة عن هذا الاعتداء وبأن الاعتداء وقع عليه شخصيا فلابد من صد العدوان واسترداد حقوق البدنة ، بمعنى آخر فان الروابط العصبية الأقرب

تفوق تلك الروابط العصبية بين البدنات الثلاث . ولقد كانت عملية الالتحام بين البدنات الثلاث تتمثل فى حالة وقوع عدوان خارجي على أى منها . فعندها تتناسى هذه البدنات خلافاتها وتعود الى الالتحام وتذكر العصبية التى تجمع القبيلة كلها ، فتشترك البدنات الثلاث فى الدفاع عن بعضها البعض ضد الاعتداء الخارجى .

وفى أوقات السلم يتعاون سكان القــرى الثلاث من أفــراد بدنة بالحارث فى الأعمال الخاصة بأحد أفراد البدنة كبناء المنازل واحضـــار الأخشاب اللازمة لسقوف المنازل والمشاركة فى حفر الآبار واستصلاح الأراضي الزراعية . كما أن لهم (حماهم) الخاص قائم الى يومنا هذا تشترك فيه القرى الثلاث وسيأتى ذكره فى الفصـــل التالى (النســـق الاقتصـــادى) .

أما الشكل الثانى فهو اللحام ومفردها (لحمة) وهى العائلة الكبيرة الممتدة والتى انقسمت الى عائلات أصغر وهى التى تشكل فى مجموعها القرية كلها ، ولكل لحمة أقارب عاصبون فى لحام أخرى تحمل نفس الاسم فى القرية الأخرى سواء فى الفلاح أو الحبيس ، وجد أو سلف هذه اللحام أقرب من سلف البدنة الأكبر . وهم أقارب عاصبون ، وتبدو العلاقة بين اللحام أشد وضوحا منها فى البدنة وذلك لقرب سلفهم عن سابقة فى البدنة ، ويقوم بين أفراد اللحمة الواحدة علاقات أقوى ويجمعهم شعور واحد واحساس بالانتماء الى السلف والأرض المشتركة . فعندما ينزل أحد أو مجموعة من أفراد قريتى الفلاح والحبيس ضيوفا لدى قرية العبادل فانهم لا يستريحون الا عند أقربائهم فى القرية المذكورة ، وذلك يتمثل عندما يشاركون فى أفراح الزواج ويحضرون الى القرية فانهم بعد انقضاء الوليمة فى المساء يتوجه كل فرد الى الوحدة القرابية الاقرب اليه للمبيت والراحة . أما الجد أو السلف الذى يجمع أفراد هذه اللحام فانه لا يتجاوز الجد السابع الى العاشر .

اما على مستوى القرية فان الاشكال القرابيه تبدو أكثر وضوحا .

ذلك أن جميع أفراد القرية الواحدة ينتمون الى جد واحد وانقسموا مع التكاثر عبر الزمن الى (لحام) وهو ما يمكن أن نسميه بالعائلة الممتدة الكبيرة الحجم وهذه (اللحام) انقسمت الى عدد من العائلات (المركبة الممتدة) تجمعها مع اللحام « رابطة الدم » بالانحدار من سلف واحد لا يتجاوز الجدالرابع أو الخامس حاليا • ثم انقسمت هذه العائلات الى عائلات أصغر لا يتجاوز نسبها الجد الأول أو الثانى وهذه تشكل وحدات اقتصادية مستقلة تتفاعل مع بعضها البعض ويكمل بعضها البعض الآخر وتتعاون فى كل الأنشطة ومساكنها متقاربة ومتجاورة وكذا أراضيها الزراعية وتفضل هذه الوحدات الزواج من بنات العم والأقرب فالأقرب •

ونفس هذا النظام متبع فى بنى كبير البادية وللحاضرة أقارب فى البادية تربطهم بهؤلاء روابط الدم والانحدار من سلف واحد مشترك ، والبدو دائمو التنقل من مراعيهم الى أسواق الحاضرة لبيع ماشيتهم ومنتجاتهم واستبدالها بالغذاء الضرورى أثناء حضورهم الى الأسواق يذهبون بعد قضاء حاجاتهم من السوق الى دور أقربائهم وذويهم فى القرى وكان هؤلاء يسعدون بلقائهم ويبالغون فى اكرامهم وقضاءحاجاتهم • ذلك لأن هؤلاء عندما يذهبونالى البادية يجدون أصنافا من الكرم لدى أقاربهم هناك ،والبدوى شديد الفخر « باللحمة » التى ينتمى اليها وشديد الحرص على التمسك بالزواج من ابنة عمه ، ليس لأنها تملك الأرض ويخشى من انتقال ملكيتها كما هو الحال لدى الحاضرة ولكن الشعور بالانتماء وتفضيله أن يتزوج من داخل وحدته القرابية الأقرب يدفعه فى أحيان كثيرة الى أن (يحجر) على ابنة عمه ، بمعنى أن ابنة العم اذا لم توافق على الزواج من ابن عمها فان أحدا لا يستطيع أن يتقدم لخطبتها من أى وحدة أخرى ما لم يعلن ابن العم عدم معارضته فى زواجها من آخر • وقد كان هذا متبعا لدى سكان البادية فى بنى كبير حتى عهد قريب جدا لايزيد عن عشر سنوات ، وهناك عدد غير قليل من البدويات بلغن سن اليأس دون زواج أو تزوجن وهن كبار السن بسبب هذا الحجر •

ونظام الحجر هذا كان سائدا فى الجاهلية ولاتزال جذوره باقية الى عهد قريب على الرغم من أن الاسلام أعطى للمرأة حرية اختيار الزوج والموافقة عليـــه .

ويتزوج سكان حاضرة بنى كبير من بنات سكان البادية ، ولكن لم يحدث على الأقل فى الأونة الأخيرة أن تزوج أحد سكان البادية واحـــدة من بنات سكان الحاضرة ويبدو أن السبب فى ذلك يعــود الى أن بنت الحاضرة لا تستطيع أن تهجر حياة الاستقرار فى البيوت والعمل الزراعى الى حياة الترحال ورعى الماشية فى الشعاب والأودية .

ونلخص ما سبق بالقول بأن الأشكال القرابية الرئيسية فى بنى كبير تبدأ من الوحدات الكبرى وهى البدنات ثم اللحام التى تشكل القرى ثم اللحمة الواحدة داخل القرية والتى تنقسم بعد ذلك الى عائلات ممتدة ومركبة وجدت نفسها منقسمة مكانيا لظروف المعيشة والظروف الاقتصادية ثم الأسر التى تكون هذه العائلات وانتهاء بالأسرة الصغيرة .

وعلينا أن نلاحظ أن كافة العلاقات والروابط الاجتماعية تــكون فى منتهى القوة عندالاسرة الصـــغيرة ثم اذا تتبعناها الىأعلى لوجدنا أنها تفقد هذه القوة بالتدريج وصولاالى البدنة ثم الى البدنات التى تشكل القبيلةوهذه خاصية الانقسام التى أشرنا اليها سابقا . أما خاصيةالالتحام فلا تظهر بصورة واضحة الا فى حالات الحروب التى كانت تقع فى الماضى أو فى حالات الكوارث التى تصيب أى وحدة قرابية فى القبيلة .

ب ـــ النسق الايكلوجى والاقتصـــادى :

الايكلوجيا فى أبسط معانيها تعنى دراسة العلاقة بين البيئة والانسان ولا تقتصر هذه العلاقة على التأثير المتبادل بـــين الانســـان والبيئة فى مجالات محددة . ولابد من تتبع العلاقات بين الانسان والبيئة العامة وأثر العوامل البيئيةفى كل الأنساق والنظم الاجتماعية باختلاف أنواعها.

ومجتمع قبيلة بنى كبير له اقليم خاص يرتبط به الأفراد ويشغـــل

رقعة محددة من الارض وتحيط به ظروف جغرافية معينة تؤثر بطريق مباشر أو غير مباشر فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وتعطى لها طابعا مميزا ٠

ولا نستطيع أن نقول بحتمية الظروف الايكلوجية وتوجيهها لنشاط الانسان هنا ٠ وفى نفس الوقت لا يمكن القول بصفة قاطعة بحرية الانسان فى بنى كبير وقدرته على التحكم فى هذه الظروف ٠ وانما يمكننا أن نقول بأن التأثير متبادل وأن الانسان يسعى جاهدا بقدر طاقته الى الاستفادة من ظروف البيئة إما بتعديلها أو محاولة الاستفادة مما هو كائن متى عجز عن تعديل هذه الظروف ٠ ذلك أن الانسان هنا وهو يمر بمرحلة التطور لم يصل بعد الى المقدرة على استخدام الوسائل التكنولوجية المتطورة التى يمكن أنتحدث تغييرا جذريا فى هذه الظروف ولذا فقد سعى — ولايزال — الى محاولة التكيف مع هذه الظروف ٠

واذا ألقينا نظرة على المنطقة الجغرافية لقبيلة بنى كبير لوجدنا أنها تمتد من الشمال الى الجنوب ويخترقها وادى بنى كبير وهذا الوادى عبارة عن مجرى سيل تقع على ضفتيه أراض زراعية تفصل بينها وبين الجبال المحيطة بالوادى من الشرق والغرب مسافة يتراوح عرضها بين ٢٠٠ — ٣٠٠ متر على امتداد الوادى من الغبرالى المرزوق ٠

أما بنى كبير البادية فأراضيها تقع فى منطقة جبلية غير صالحة للزراعة فى معظمها يتخللها عدد من الأودية الضيقة تجرى فيها ينابيع المياه فى موسم الأمطار وتكثر فيها الأشجار وعلى سفوح الجبال تقع المراعى والاعشاب والامطار فى المنطقة موسمية تهطل فى فصل الربيع ٠

أما موارد المياه والتى يعتمد السكان عليها فى الزراعة والشرب فتأتى عن طريق الآبار الجوفية الواقعة على ضفتى الوادى وهى آبار عادية ، تم حفرها منذ القدم اندثر بعضها والبعض الآخر لا يزال قائما ٠ وتهب على المنطقة رياح شمالية وشمالية غربية خالية من الرمال الى رياح جنوبية ٠

بالقمح واخرى بالذرة ويزرع ما بين الفترتين عدد من المنتجات الزراعية كالبرسيم والخضروات . وكلما ابتعدنا قليلا عن ضفتى الوادى كلما أصبحت صلاحية الارض للزراعة أقل جودة حيث تزرع مرة واحدة فى العام . والمنطقة وخاصة بنى كبير الحاضرة تشتهر بالصخور الضخمة العالية والكثيرة وخاصة فى قريتى العبادل والدهامشة والمفلاح ، والتى يستفاد منها فى بناء المنازل . وتكثر فى المنطقة أشجار العرعر — والزيتون ويسمونه (العتم) ولا يعرف الاهالى طرق استغلال منتجات الزيتون ، وتستخدم سيقان هذه الاشجار فى تسقيف البيوت كما تكثر فى المنطقة أشجار يسمونها ، الشث ، وهى التى يستخدمها الاهالى فى باغة الجلود ودرجة الحرارة تتراوح بين ٢٥ درجة مئوية فى فصل الصيف الى ١٠ درجات مئوية فى فصل الشتاء .

النسق الاقتصادى :

كان النسق الاقتصادى فى مجتمع بنى كبير يهدف الى توزيع السلع الضرورية اللازمة للحياة البيولوجية والاجتماعية ، ولهذه الغاية فان مجتمع بنى كبير عرف منذ زمن قديم نظام (التخصص وتقسيم العمل) . كما سنوضح ذلك فى الفصل الأخير من هذا الباب .

وقبيلة بنى كبير شأنها شأن المجتمعات الانسانية مرت بمراحل تاريخية متعددة فى حياتها ، لكن أهم مرحلة تعنينا فى هذا المجال هى مرحلة (الرعى) وان كان تاريخ (قبيلة غامد) لم يفسر هذه الناحية ولم يشر اليها ونحن بصدد مراجعة كتب تاريخ القبيلة . وخصوصا الكتابين الذين أشرنا اليهما فى أول هذا الفصل الا أن القصائد والأشعار الشعبية المتوفرة منذ ما يقرب من ٣٠٠ عام أشارت الى قسمى القبيلة (الحاضرة والبادية) ويبدو أن انقسام القبيلة الى هذين القسمين تم قبل هذا التاريخ بكثير ، اذا فالقبيلة كانت تعيش مجتمعة تمارس

الرعى على ضفتى وادى بنى كبير • فلما تكاثرت أعدادهم وأعـــداد الماشية اضطروا الى الانقســـام مكانيا فجزء رحل الى المناطق السهلية والجبلية المجاورة ليمارس مهنة الرعى هناك على نطاق أوســـع وبقى القسم الآخر فى أرض القبيلة الأصلية يمارس الرعى أيضا لكنهم مع الزمن استأنسوا مزاولة مهنة (الزراعة) وتطلب منهم ذلك الســـعى الجاد لاستصلاح الأراضى الزراعية حيث كانت هذه المحاولة مستمرة الى ما قبل عشر ســـنوات •

ومجتمع بنى كبير كان يعتمد على نفســـه فى شـــبه عملية تكامل اقتصادى • فكل الحاجات الاقتصادية الضرورية كانت تنتج محليـــا بل وقد عرف المجتمع عملية التكامل هـــذه مع المجتمعات المجـــاورة ، فكانت القبيلة تنتج الحبوب وتصنع الفخار وتدبغ الجلود ثم تصدرها الى هذه المجتمعات فى حين تأخذ منها الفواكه والملابس وأدوات الزينة والعطور والتمور • • كان هذا قبـــل أن تصبح المنطقة كلهـــا فى الآونة الأخيرة (عالة على المجتمع الكبير) •

والنشاط الاقتصادى فى بنى كبير متعدد الأنواع ويتم توزيع هذا النشاط على الرجال والنساء والأطفال بطريقة منظمة والجميع يتعـــاون بطريقة آلية لتحقيق المنفعة الاقتصادية • أما أنواعه فهى :

١ ــ التجـــــارة :

عرفت قبيلة بنى كبير التجارة منـــذ زمن قديم مع المجتمعـــات المحيطة بها ، وكانت تمارس هذه المهنة عن طريق (قوافل الجمـــال) التى كانت تقوم برحلات منتظمة الى خارج المنطقة تستغرق خمســـة أيام من كل أسبوع أما اليومان السادس والسابع (الخميس والجمعة) ففيهما راحة الرجال والجمال •

والقائمون على هذه الرحلات رجال أشـــداء يستطيعون الســـير

لمسافات طويلة وفى ظروف طبيعية ومناخية صعبة ، وكانت الجمـال محملة فى رحلتى الذهاب والاياب الى منطقة بيشه « سبق الاشـارة اليها » وتبعد عن أرض قبيلة بنى كبير بـ (٢٠٠) كيلو متر تقريبا . واستمرت هذه الرحـلات كما يقول الاخبـاريون منـذ زمن قديم (لم يستطع هؤلاء تحديد تاريخه) فهم يقولون أنهم وجدوا آباءهم وكذا أجدادهم يقومون بهذه الرحلات ويمارسـون هذه المهنة . وفى الزمن الحاضر انتهت هذه الرحلات عن طريق الجمال منذ عشر سنوات فقط واستعيض عنها برحلات تقوم بها السـيارات .

وكان هؤلاء يحملون جمالهم بالقمح والذرة والبصل والطمـاطم وأوانى الفخـار والجلود ، ويبيعونها هناك ثم يأتون ومعهم التمـر والقهوة والحبال ، ليبيعوها الى السكان فى سوق (الأحد) وسمى بذلك لانه يعقـد فى كل يوم أحـد فقط ويهبط الناس الى السـوق لشراء حاجياتهم حيث كان التمر والقهوة من ضروريات الحياة فلقد كان الغذاء الرئيسى الى جانب القمح والذرة وكانت العملة الرئيسية لديهم هى الريال (الفرنسى) الذى كان يأتى عن طريق (اليمن ومدن الحجاز) الى أن ظهر الحكم السـعودى فاستبدل بالريال (السعودى الفضه). وكان للجمالين ، كما يسمونهم شهرة خاصة ذلك أنهم فى رحلاتهم قد يتعرضـون الى نهب وسلب ولم يسجل الاخبـاريون فى المائة سـنة الماضية الا خمس حالات تعرضت القوافل فيها لمحـاولة السلب من قبل قطاع الطرق نجح الجمالون فى صد ثلاث منها وخسروا اثنتين خسارة ليسـت كلية .

وكان هؤلاء يمارسون البيع فى دورهم حيث كان السكان يفدون فى أيام الاسبوع التى لا سوق فيها الى بيت التاجر لشراء التمر والحبال والقهوة ولكن نسـاء التجـار وأولادهم وبنـاتهم يمارسـون البيع (القطاعى) فى المنازل . والتجارة الداخلية فى سوق الأحد كانت نشطة الى حد كبير فكان يتوفر فى هذا السوق كل ما يحتاجه الانسان فاللحوم كانت تباع (بالأكوام) قبل أن يعرف السكان الموازين الحديثة وكانوا

يسمون الكوم من اللحم (سادى) • ويوجد بالسوق أيضا أصناف معينة من الخضروات والفواكه والبرسيم الى جانب الأغنام وأصناف الماشية الاخرى • ومن أهم المنتجات الزراعية التى كانت تباع فى السوق العنب والتين (الحماط) والتين الشوكى والخوخ والرمان والتفاح البلدى • والبرسيم وسيقان الذرة الى جانب القمح والشعير والذرة ، وكان الفائض عن الحاجة يصدر الى الأسواق المجاورة مثل (سوق السبت فى بالجرشى) (وسوق الاثنين فى القرن) •

وكان كل فرد يسوق ما معه من سلع ثم يشترى سلعا أخرى يحتاج اليها ، فى عملية تكامل اقتصادى منظمة • وكان يفد الى السوق تجار الكماليات كالعطور والبخور وأدوات الزينة من خارج بنى كبير لهم محلات خاصة يعرضون فيها بضائعهم وتلقى اقبالا شديدا من السكان المحليين • أما من يمارسون مهنة « الجزارة » وبيع اللحوم فكانوا يفدون الى السوق من خارج القبيلة أيضا لمزاولة بيع اللحوم فى سوق الأحد •

٢ ــ الزراعـــة :

النشاط الزراعى فى قبيلة بنى كبير يعتبر من أهم المناشط الاقتصادية ذلك أن الوادى الممتد من الشمال الى الجنوب أعطى الاراضى التى على ضفتيه تربة زراعية جيدة اضافة الى أن المنطقة كلها توجد بها أراض سهلة صالحة للزراعة • وقد ذكرنا قبل قليل أن أهم المنتجات الزراعية لديهم القمح والذرة والشعير واللوبيا والفواكه وكل السكان تقريبا يمارسون الزراعة لكن البعض منهم يمتلك أراض زراعية كبيرة فىحين لا يجد البعض الا جزءا صغيرا •

وتنقسم الارض الزراعية هنا الى قسمين (مسقوى وعثرى) فالأرض المسقوى كما يسمونها تعنى الأراضى التى تسقى من الآبار ، ولابد أن تكون هذه الأرض قريبة من البئر التي تروى منها على مستوى فتحة البئر أو دون مستواها حتى يمكن وصول الماء اليها ، ذلك أنهم

بعضها الى بعض • مفتوحه من أعلاها وتربط بحبل مصنوع من جلود البقر من أسفلها • هذا الحبل عندما يمتلىء الغرب ويبدأ الثور فى شده الى أعلى فيشد هو أسفل الغرب وتصبح الفتحة التى بأسفل الغرب شبه مقفولة • وعندما يصل الغرب الى (القف) الذى يصب فيه الماء يرتخى الحبل الذى بأسفل الغرب فتندلق المياه الى القف ثم تذهب المياه عبر قنوات أرضية يسمونها (الفلجان) الى الارض الزراعية حول البئر •

أما الأراضى (العثرى) فهى التى لا تسقى من الأبار وانما يتم حرثها ووضع بذور المحاصيل فيها وتبقى فى انتظار هطول الأمطار وبطبيعة الحال فهم يعرفون فصل الأمطار وتاريخ هطولها ولذا يحرثون الأرض بعد وضع البذور فيها قبل أسبوعين من بدء هطول الأمطار وفى حالات نادرة لا تجود السماء بالمطر فتفسد هذه المحاصيل •

والنشاط الزراعى هنا كان للمرأة فيه دور هام فباستثناء عملية حرث الأرض بواسطة الثيران التى كانت تتطلب مجهودا عضليا خاصا كان يقوم به الرجل • كانت المرأة تقوم بأعباء الدورة الزراعية كاملة ابتداء من تسوية الأرض بعد حرثها وتقسيمها الى مربعات صغيرة (قصاب) الى عمل (الفلجان) لهذه القصاب الى مباشرة عملية الرى التى تستمر مدة خمسة شهور الى ستة ، تحتاج الأرض المزروعة خلالها الى أن تسقى ثلاث مرات فى الشهر • وعندما يحين الحصاد فان المرأة تقوم بهذه العملية ثم تباشر بنفسها عملية (الدياس) ويعنون بها (درس المحصول فى الأجران) والتى تعقبها عملية فصل الاعلاف التبن عن الحبوب بواسطة (التذرية) والتى تعنى وقوف امرأتين متقابلتين تحملان كمية من العلف الذى لم يفصل عنه القمح بعد ، فترفعانه الى أعلى حيث تكون الرياح الجنوبية وقتها قوية فتأخذ التبن الى مكان أبعد بينما يسقط الحب عند الرجلين ثم تأتى مرحلة (الغربلة)

وهى فصل الحبوب عن الأعلاف الكبيرة التى لم تستطع الرياح حملها وكذا الأحجار والأتربة بواسطة غربال كبير يسمح للحبوب بالمرور الى أسفل بينما يحتجز الأشياء الكبيرة والغير مرغوب فيها ٠

ثم تخزن الحبوب بعد ذلك بوضعها فى (قفاع) وهى آنية كبيرة الحجم مصنوعة من (سعف النخيل) يستوردها النـاس من بيشـه والمناطق المحيطة بها ٠ ويبيعون الفائض عن حاجتهم الى (الجمالين) الذين بدورهم ينقلونه الى المناطق المجاورة ٠

وهذه الأعمال كلها لا تقوم بها امرأة واحدة بل يتعاون نسـاء العائلة فى هذه الأعمال ويشاركهن فى ذلك الصغار من الذكور والاناث كل حسب طاقته وحسب المجهـود الذى يمكنه أن يؤديه ولعـل أهم مشـاركة لصغار السن تتمثل فى سـوق الثيران أو الحمير التى تدرس المحصول فى الجرن وكذا فى نقل الاعلاف (التبن) الى الأدوار السفلى من البيوت حيث تتغذى عليه الحيوانات طوال العام ٠

ويهتم السكان هنـاك بزراعة البرسيم ذلك لان الثور والبقـرة والحمار حيوانات تلعب دورا رئيسيا وهاما فى حياتهم اليومية فالثور يستخدم فى فلاحة الأرض وريها ودرس المحصولات الزراعية ٠ والبقرة تقدم لأفراد العائلة اللبن والسمن ٠ والحمـار وسـيلة المواصـلات الداخلية بين القرى والمناطق المجاورة كما أن (روث) هذه البهـائم يستخدم سمادا للأرض حتى لا تفقد خصـوبتها وتصبح غير صـالحة للزراعة ٠

اذا فقسم من الأرض الزراعية يستخدم لتحقيق الغذاء الهـام للحيوانات حيث يشغل بعض المسـاحات ويروى باستمرار ثم يقدم غذاء لها فكأن جزءا من النشاط الزراعى موجه لخدمة هذه الحيوانات والتى تقدم خدمات أكثر للسكان ٠

والنشاط الزراعى هنا يتطلب تعــاونا بين العــائلات وليس بين العائلة الواحدة • ذلك لان استخدامهم للوسائل البدائية بدءا من بذر البذور فى الأرض الى حين فصلها بعد درسها يتطلب مجهودا متواصلا وكبيرا • لا تستطيع أسرة بمفردها القيام به بمعزل عن الاسر الأخرى ، فكل عائلة تحتاج الى زوج من الثيران للقيام بعملية سقيا الارض ودرس المحصــول وربما أصيب أحدهما بمرض مفاجىء أو تعرض للمــوت فأصبح العمل لدى هذه العائلة مشلولا وليس أمامهــا الا أن تلجــأ لعائلة أخرى تقدم لها البديل • وهذا الأمر قد أوجــد نظــاما يتعلق بالزراعة يسمونه (التعاصب) والتعاصب هذا يعنى اتفاق شخصين بأن يقدم كل منهما ثورا فى حالة طلبه للفلاحة أو الرى أو الدرس للآخــر سواء فى أرضيهما أو فى أرض الغير فى حــالة الطلب فى مواسم الزرع والحصاد • وأوجد هــذا أيضا نظاما آخــر هو نظــام (المخــابرة) ويقصدون به أن يقوم مالك الثيران المقتدر باستصلاح وحرث أرض الغير بعد موافقتهم على أن يتحمل كل شىء • وفى النهاية يقدم لمــلاك الأرض نصف الانتاج ويأخذ النصف الآخر لقاء أتباعه • وهناك نظام آخر انبثق عن الزراعة والنشاط الزراعى وهو نظام (الشرب) وهو منبثق أصلا عن نظام الملكية ويختص نظام الشرب هذا بتوزيع حصص سقيا الأراضى بين الملاك حسب مساحة الأرض التى يملكونها حول البــئر فبقدرما للفرد من مســاحة زراعية حول البئر تتحدد الأيام التى يمكنه أن يسقى أرضه فيها فمنهم من له الحق فى أن يروى أرضه لمدة يومين ، ومنهم خمسة أيام ، بينما شخص ثالث له يوم واحد أو نصف يوم فقط وهكذا •• وهذا نظام متفق عليه من عهد السلف •

والملفت للنظر فى هذا الخصوص أنه فى حالة ما يكون أحد الملاك قد تخلى عن زراعة أرضه فى سنة ما فانه يسقط حقــه من أيام شربه وليس له أن يحولها لشخص دون آخر بل تصبح من حق الشخص الذى يليه مباشرة بطريقة آلية •

ويشارك جميع الملاك فى حفر البئر فى حالة ما اذا ردمها السيل أو تعرضت جدرانها للانهيار فمن كان منهم يستطيع العمل فعليه أن يعمل ، وان لم فلابد أن يقدم البديل كأن يحضر الثيران التى تجر ما يخرج من البئر أو يقدم الغذاء للعاملين أو يقدم النقود لاستئجار من يقوم مقامه .

وقلنا فى أول هذا الجزء بأن السكان يعتمدون على هذه الآبار كمصادر للشرب ولقد كان النساء يحضرن « بالقرب » الى الآبار التى يبدأ أصحاب الأملاك فى رى الأراضى حولها ليتلقين الغروب قبل أن تصب فى القف لملء القرب . والقرب هذه مصنوعة من « جلد الماعز » ولها حبل يربطها من المقدمة ومن المؤخرة تملأ بالماء ثم (توكأ) بحبل صغير من فتحة أمامية تستخدم عند الملء وعند التفريغ .

ويعلق النساء هذه القرب على اكتافهن ويسرن بها على الأقدام من البئر وحتى المنازل حيث تعلق هناك جاهزة للاستعمال . وتواصل المرأة هذا العمل طوال النهار .[١]

٣ ـ الصناعة :

الصناعة فى بنى كبير نشأت من الحاجة اليها . وهى تعتنى بالدرجة الأولى بالحاجيات الأساسية الضرورية للسكان والتى لا غنى عنها مطلقا وان كانت صناعة يدوية الا أنها على جانب كبير من الاهمية لما لها من أثر فى الحياة الاجتماعية وتتمثل فى الآتى :

أ ـ دباغة الجلود .
ب ـ صناعة الفخار .
جـ ـ صناعة الفضة والحديد .
د ـ نسج الصوف .

---

(١) أنظر الملاحق ص ٦ .

يبدو أن كثرة أشجار « السنط » الموجودة فى المنطقة كانت من بين الأسباب التى أدت الى ظهور هذه المهنة ذلك أنها تستخدم مادة أساسية وأولية فى دباغة الجلود . والأمر الثانى هو أن السكان هنـــا كانوا فى حاجة ماسة الى وجود مثل هذه المهنة فهى وسيلة وحيدة وهامة فى الرى بالنسبة للمزروعات حيث أن « الغروب » التى يستخرج الماء بواسطتها من الآبار مصنوعة من الجلد . وهى أيضا الوسيلة الوحيدة لجلب المياه من الآبار الى المنازل وأيضا الصغار من جلود الحيوانات يســـتخدمها السكان (لخض اللبن) وكذا لحفظ « السمن » فيها الاولى يسمونها « الشكوه » والثانية « الظرف أو العكة » وقد ذكرنا فى الفصل السابق أن هذه المهنة تتركز بشكل كبير فى قرية (الحدب) احدى قرى بنى كبير ولا يخلو بيت تقريبا من وجود (المجبنة) فيـــه وهى المكان المخصص لدباغة الجلود ولهذا فقد كان لهذه القرية مركز اقتصادى مهم ليس بالنسبة للسوق المحلى فقط وانما لبقية الأسواق المجاورة .

والمرأة هى التى تمارس هذه المهنة ولا علاقة للرجل بها الا عنـــد البيع وهى التى كانت مسؤولة عن احضار المؤن الخاصـــة بالدباغة ، وتحضير المجبنة ، وتعطين الجلود ، واعدادها للدباغة ، ثم تجفيفهـــا وتجهيزها للبيع ، ثم يأخذها الرجال بعد ذلك على ظهـــور الحمير الى الأسواق ليبيعوها . وكان هؤلاء يستقبلون الجلود من السكان الآخرين فى القرى المختلفة ويطالبون لقاء دباغتهم أجرا من صاحبها بمعنى أنهم لم يكونوا يحتكرون الجلود والتصنيع لهذه المهنة بل كانوا يأخـــذون أجرا نظير عملهم اذا أحضر أحد الســـــكان جلدا ليدبغه . وليس معنى هذا أن هؤلاء لا يمارسون الا مهنة دباغة الجلود فهم الى جانب ذلك يمارسون التجارة والزراعة ويمتلكون أراض زراعية كبيرة تنتج لهم محاصيل زراعية كثيرة .

ب ـ صناعة الفخــــار :

تشتهر بنى كبير بصناعة الفخار • وهذه الشهرة سببت لها احراجا شديدا بين القبائل الاخــرى • فعلى الرغم من عدم انتمــاء صانعى الفخار الى القبيلة وعدم اشتراكهم معهم فى النسب وحاجتهم وحاجة القبائل الاخرى الى آنية الفخار الا أن هذا الحـرج مازال قائمــا • ولا يزال الشعور نحو هذه المهنة يمتاز بحساسية شــديدة من جهــة السكان الى الآن •

وتمارس مهنة (صناعة الفخار) فى نطاق محدود فى قرية تقع فى منتصف الوادى اسمها (المشاطية) حيث تقع التربة التى تســتخدم فى صناعة الفخار قريبا من مساكنها • وهم على أى حــال يمارســون هذه الصناعة بطرق بدائية • وكانت الآنية التى يصنعونها هى ما يعتمد عليه السكان بشــكل رئيسى فى صنع الغــذاء حيث لم تــكن « الحلل والقدور » متوفرة بشكل كاف فى المنطقة •

وينتج هؤلاء أنية مختلفة الأحجام والأشكال والمسميات فمنها « التوار » وهى عبارة عن إناء دائرى من الفخار يتراوح قطره بين ١٥ الى ٤٠ سم وارتفاعه بين ٣٠ الى ٥٠ سم وتستخدم هذه فى إعداد صنف من الطعام على شكل حساء ثقيل نوعا ما يســمونه (العيش) يؤكل مع اللبن أو السمن •

و (الجحل) وهو يشبه الى حد كبير الاناء السابق إلا أنه أشد منه صلابة وأوسع منه قليــلا وتطبخ فيه اللحــوم وبعض الأطعمة الأخرى • وهنــاك اناء ثالث مصنع بطريقة خاصة ويستخدم فقط لاعداد طعام « الكسكسية » وهذا الصنف من الطعام على خلاف الصنف المعروف فى المغرب العربى فهو يصنع من دقيق البر الخالص ويتخــذ شكلا مميزا على شكل كرات صغيرة جدا ويطهى هذا الصنف على البخار الناتج من غليان الماء وفى أسفل الاناء •

والصنف الرابع هو « المشهف » وهو خاص لصـــنع أقراص من البر ويتخذ شكلا دائريا ويتراوح قطره بين ٢٠ : ٤٠ سم أيضا لـــكن ارتفاعه لا يتجاوز ١٠ سم يوضع به العجين ثم يعرض للنار عن بعد حتى ينضج ، ويستخدم المشهف أيضا فى صـــناعة « الخبزة » وهى تختلف عن الأقراص السابقة وتمتاز بحجمها الكبير وصلابتها حيث يبلغ سمكها فى المتوسط ١٥ سم ويتم اعدادها بوضع العجين على حجر وضع خصيصا لها فى مكان من الدار بعد أن توقد النار على هذا الحجر حتى ترتفع درجة حرارته ثم يكب عليه المشهف حتى يغطيه تماما وتضـــع ربة البيت النار على المشهف وتتركه حتى ينضج العجين ويتحـــول لونه الى الســـمار قليلا .

تلك هى أهم أنية الفخار التى ينتجها هؤلاء [1] وقد كان الاعتماد عليها رئيسيا لإعداد الغذاء اليومى . ولكن على الرغم من هذه الأهمية لهذا الانتاج فان هذه الفئة تحتل مرتبة ضعيفة فى الســـلم الاجتماعى ، تبعا للنمط الثقافى السائد فى المنطقة .

ولقد كان الاقبال شديدا على آنية الفخـــــار وكان النساء يقمن بدور الصناعة والتسويق . فيحملن هذه الأنية على الحمير ويطفن بها القرى لعرضها على ربات البيوت ولقـــد كانت الأقيـــام التى تدفع فى الشراء أصناف من الحبوب أو التمر فى معظم الأحيان وفى أحيان قليلة كانت تدفع النقود ثمنا لها . ولم تكن هذه القرية تنتج من أجل الاكتفاء الذاتى للقبيلة بل كان فائض الانتاج يصدر الى الأسواق والمناطـــق المجـــــاورة .

جـ ــ صناعة الفضـــة والحديد :

لم تكن النساء فى الماضى القريب يستخدمن الذهب فى الحلى بل كانت الفضـــة هى الحـــلى الرئيسى ويصنع من الفضـــة الخـــواتم

---

(١) انظر الملاحق ص ٧ .

و « الحجول » وهى تشبه الأساور لكنها ثقيلة الوزن « والمنفخ » وهى تشبه الحجول لكنها أخف وزنا منها ولها نتوءات بارزة فى أعلاها الى غير ذلك من الحلى ، وكان فى القبيلة رجلان فقط يمارسان صناعة الفضة فيما يختص بحلى النساء أو وضع زخارف من الفضة على « البنادق » . وصناع الفضة على أى حال أعلى فى المرتبـة الاجتماعية من صـناع الحديد والفخار .

أما صناعة الحديد فهى أوسع انتشارا ذلك أنها تدخـل ضـمن الحاجيات الضرورية للمجتمع والتى لا غنى عنهـا وكانت فئة صناع الحديد تنتج كل ما يحتاجه الناس « كالسكاكين والسـواطير الكبيرة والمجل ويسمونه (المحش) الذى يستخدمونه فى حصـاد المزروعات والفأس « والمسحاة » وهى التى تستخدم فى قلع الأعشاب التى تنبت مع الزرع وتسوى بها قنوات الرى « والمعتـل » وهو عبـارة عن آلة عمودية طولها متران تقريبا مدببة من طرفيها الأعلى والأسـفل مسنونة كالسكين يبلغ وزنها ما بين ٨ الى ١٢ كيلو جراما قطرها لا يزيد عن خمسة سنتيمترات . مستخدمة منذ زمن قديم لإحداث ثقوب فى الصـخور الكبيرة بعمق ٣٠ : ٤٠ سم يملأ بالبارود مع ذرات الصـخر الخارجة نتيجة للحفر وترصد بشدة ويدخل فيها عمود مدبب من الحديد قطـره ٣ : ٥ ملليمتر (يتم حشو الثقب بعد وضع هذا العمود) ثم ينزع بعد الانتهاء ويملأ مكانه بـ (البـارود) ثم يسـحب بارود خفيف حتى مسافة ثلاثة أمتار ثم يشعل (الملفب) « وهو الذى يحدث هذا الثقب بالمعتلة » النار فى نهاية خيط البارود الذى وضعه ويذهب ليختبىء فى مكان يمنع وصول شظايا الصخر اليه وفى ثوان ينفجر البارود داخـل الصخر فيقطعه الى عدة قطع حسب حجم الثقب حيث يتم تكسيره بعد ذلك وحمله الى المكان المطلوب بناء منزل فيه ..

ويصنعون (الصيجان) التى يستخدمونها فى اعداد الأقراص من البر أو الذرة . الى غير ذلك من المنتجات التى تدخل فى كل شؤون الحياة تقريبـا .

ويقدم هؤلاء منتجاتهم الصناعية الى السكان عموما ولا يأخذون أجورهم نقدا الا نادرا لكنهم فى موسم حصاد القمح يذهبون الى كل بيت حيث تنتشر «حزم المحصول» على أسطح المنازل معرضة للشمس لكى تجف فيأخذون منها ما يريدون وجرت العادة ألا يزيد عدد ما يأخذون من حزم عن خمس • والحزم هذه ليست صغيرة بل ان الشخص لا يستطيع أن يحمل أكثر من ثلاث حزم نظرا لكبر حجمها وثقل وزنهـا • وهـكذا يستمرون فى جمع الحزم من القرى التى يقدمون لافرادها خدمات الحدادة وهكذا يفعلون بالنسبة لموسم الذرة •

وهؤلاء ليست لهم مزارع خاصة ولا يملكون سوى منازلهم والتى قدمت لهم الأرض فأنشأوا عليها هذه المساكن من قبل سكان القرية التى يقيمون بهـا •

ومهنة الحدادة أو كما يسمونها صناعة الحديد ليس للنساء فيهـا نشاط ملموس بل يقتصر دورهن فى الغالب على اعداد الفحم اللازم لايقاد « الكير » ولا بأس من مساعدة المرأة فى نفخه اذا لم يكن أحد الصبية فى الدار • وقد وضعناهم من قبل فى السلم الاجتماعى فى المرتبة الرابعة • ولكن بعض الاخباريين يصرون على تقديمهم درجة على صانعى الفخار • ونحن نميل الى هذا الرأى على الرغم من أن الاخبـاريين صنفوهم فى المرتبة الرابعة • ذلك أن لهؤلاء دورا فى الحياة الاجتماعية الخاصة بالقبيلة فهم يحضرون بعض المجالس ويساهمون بالرأى بل ان البعض منهم اشتهر بالحكمة والرأى السديد • كما أنهم يساهمون مع القرية التى يقيمون بها فيما يتعلق بالتبرعات المادية إما لمسـاعدة أو غرم وهكذا •

د ــ صناعة الصـوف :

مزاولة مهنة نسج الصوف ليست مقصورة على قرية دون أخرى من قرى بنى كبير ولكنها تنتشر بصورة أكثر وضوحا فى قرية « العبادل »

وهذه الحرفة أيضا يزاولها النساء فقط دون الرجال(ونلاحظ أننا استخدمنا كلمة صناعة الصوف فى هذا الفصل ولم نستخدم لفظ حرفة • ذلك لأن هذه الأعمال لم تكن مقصورة على القطاع المحلى بل تتعداه الى خارج القبيلة ثم أنها تؤدى الى انتاج كبير يعتمد عليه أصحابها من الناحية الاقتصادية •

وأساس هذه الصناعة توفر الصوف الذى يجز من الضأن بصفة خاصة فهناك موسم (لجز الأصواف) من الضأن يبدأ مع بداية فصل الصيف من كل عام والمنطقة تكثر فيها الاغنام خصوصا فى بنى كبير البادية • فيقوم أصحاب الماشية بجز أصوافها وعرضها للبيع فى السوق المحلى • بل ان هناك أشخاص يزاولون مهنة التجارة فى صوف الأغنام فقط وأحيانا الى جانب السمن المستخلص من الماشية •

ويصنع الصوف بعد أن يمر بعدة مراحل هى : نفش الصوف وهى المرحلة التى تبدأ بها أول عملية فى هذه الصناعة ويستخدمون لها « منفاشين » مصنوعين من الخشب وبها مسامير رؤوسها الى أعلى ثم يوضع الصوف بين هذين المنفاشين ، ويثبت أحدهما بيد ويحرك الآخر الى الأمام والى الخلف عدة مرات، ثم يقلع الصوف من المسامير فيكون ناعما طريا بعد أن كان خشنا • وتستمر العملية هكذا حتى يتم الحصول على كمية كبيرة من هذا الصوف الناعم ، ثم يبدأ غزل الصوف باستخدام المغزل المعروف حيث يبرم الصوف بواسطة المغزل الى خيط طويل متصل قد يصل الى (٥٠ مترا) • والعملية الثالثة تبدأ بغسل هذا الصوف بعد برمه ثم شده الى عود ذى رأسين بطول متر واحد الى متر ونصف المتر • ثم يترك ليجف • والمرحلة الرابعة فكه من هذا العود ثم لفه على شكل كرات يسمونها (حصوة) وهذا هو الأساس فى عمل الصوف • ثم ينشر هذا على (أعواد يسمونها الصنعة) وهى عبارة عن أربعة أعواد كبيرة مستديرة الشكل بطول متر الى متر ونصف أيضا ويشد جيدا • ويكون هناك صوف جاهز لم يمر بعملية الغسيل ولم يبرم بشدة يتخذ أشكالا مدببة

مثل كيزان الذرة يمرر باليد بين الخيوط المشدودة على الصنعة ثم يشـــد الى الأمام « بالمشط » وهو عبارة عن آلة مصنوعة من الخشب كالمشط تماما لكن رؤوسها أقوى وأوسع قليلا من أسنان مشط الشعر وتستمر هذه العملية مع ازاحة ما تم انجازه الى أسفل وتقديم جزء أخر حتى تنتهى قطعة الصوف ، ثم قطعة أخرى وهكذا ،

وكل قطعتى صوف متساويتان فى الطول والعرض ثم ترســـل الى خياطى الصوف (لا تشتهر القبيلة بخياطة الصوف بل يحول الانتاج الى مناطق مجاورة يزاول بعض أفرادها هذه المهنة) الذين يقومون بخياطتها بخيوط رفيعة وملونة من الصوف أيضا صنعت خصيصا لهذا الغرض ، ثم تزين بكتل من الصوف الملون عند الكمين ،

وأهم هذه المنتجات (الجباب) وهى عبارة عن صوف ضخم وثقيل يشبه (البالطو) مفتوح من الأمام يدخل الرجل يديه فى الكمين ويضم جانبيه من الأمام عند التعرض للبرد القارس أو المطر الشديد ، ومنها أيضا (المدارة) وهى مثل (الجبة « والجبة مفرد جبـــاب » ولكنهـــا كالجاكيت تصل الى الخصر فقط ولونها أحمر غامق أو أسود ولا يلبسها الا النساء خصوصا فى مناسبات (العزاء) عند الوفاة ، ونوع ثالث يسمونه (الحاف) وهو كاللحاف العادى من القطن ولكنه من الصوف الخاص ويلون بألوان جذابة ووزنه ثقيل جدا ، (والخرج) وهو عبارة عن قطعتى صوف مخاطة الى بعضها وله فتحتان بحيث اذا وضع على ظهر الحمار كانت أحدهما الى اليمين والأخرى الى الشمال ، والغرض منه أن توضع فيه الحاجيات التى يشتريها الرجل من السوق ليجد له مكانا للركوب على ظهر الحمار ، وتختلف هذه المنسوجات من حيث الجودة وعدمها تبعا لنوع الصوف المستخدم فى صناعتها وأيضا لمهارة المرأة التى تزاول هذه المهنة ،

ولايرى الناس فى مجتمع بنى كبير فى صناعة نسج الصوف حرجا ، ولا ينقص ذلك من مكانتهم الاجتماعية وان كان فى بعض الأحيان يعاير بعضهم خصوصا من أصحاب المهن الأخرى فى المنطقة بأنهم « نفاشه »

أى أنهم ينفشون الصوف ويصنعون الجباب • ويبدو أن هذا لا يؤثر فى مزاولى هذه المهنة اما لانهم يرن أنها صناعة مكتسبة لا ضير فيهـا ولا علاقة لها بالنسب • وإما لقناعتهم بأن الكل يمارس هذه المهنة •

٤ ــ الرعى وتربية الماشية :

حرفة الرعى وتربية الماشية تبرز ظاهرة وجود الاكتفاء والتكامل فى مجتمع بنى كبير • فأما الاكتفاء فيأتى عن طريق وجود الماشـية فى كل بيت تقريبا ولعل الهدف منها فى المقام الاول « اكرام الضيف » اضافة الى وجود بعض عائلات لديها أغنام بالمئات يسرح بها الرعيان فى الصباح الى المناطق الجبلية ويعودون بها الى المساء فى زرائب مخصصة لها داخل البيوت اما فى الادوار السـفلى من البيوت وإما فى الأحواش ويستفيد هؤلاء منها فى أغراض اقتصادية متعددة أبرزها السماد واللبن والصوف • ثم ان سكان كل قرية توجد بهـا قطعان الماشية عنـدما يحتاجون الى « ذبيحة » لضيف يلجأون الى أصحاب القطعان للشراء أو للمبادلة كأن يكون لدى المضيف شاة فيستبدلها بخروف أو عنـز يستبدلها بشاه أو يعيد اليه خروفا مشابها اذا تيسرت الأمور •

ويقوم البعض بشراء عدد من رؤوس الأغنام تضم الى القطيـع لتسرح معه وتروح وتكون أقرب الى يد صاحبها عند الحاجة • فكأن القرى بهذا تحقق الاكتفاء الذاتى • واما عن التكامل فتتمثل أبرز مظـاهره فى تربية أصناف معينة من الماشية فبعض الرعاة يتخصصون فى تربية الماعز بينما يتخصص الآخرون فى تربية الضأن والبعض الآخر يربى الابقار بينما يتخصص البعض فى تربية الجمال وكل من هؤلاء محتاج الى ما لدى الآخر فيعطى هذا ويأخذ من ذاك وهكذا • ولكل بدنة فى بنى كبير حماها الخاص والحمى هذا يعنى قيام حدود بواسطة أكوام من الصخر الكبير على سفوح الجبال بطرق معينة (وهى قديمة جدا) وعلى سفوح هذه الجبال تنبت المراعى التى تتغـذى عليها الماشية • وقد يحدث فى بعض الأحيان أن تجدب منطقة دون أخرى كأن يجدب

« حمى بالحارث » بينما تكون المراعى مزدهرة فى « حمى آل جابر » مثلا فيستأذن بالحـــارث من آل جابر لكى ترعى ماشيتهم فى حماهم وتأتى الموافقة فيباشر الرعاة رعى ماشيتهم وتنجو من الهلاك .

ولا يخلو بيت من بيوت مجتمع بنى كبير من وجود الماشية فيه كالثور والبقرة والجمل والحمار والاغنام ذلك لان هذه الحيوانات كانت تلعب دورا هاما فى حياة الانسان فى هذا المجتمع . والرعى بصفة خاصة مهنة يزاولها سكان بنى كبير البادية وقد ذكرنا قبل قليل أن بعض عائلات فى القرى التى تشكل بنى كبير الحاضرة تمتلك قطعانا من الاغنام وتباشر مهنة الرعى بشكل منظم اضافة الى مزاولة مهنة التجارة والزراعة الا أن مهنة الرعى والاعتماد على منتجات الماشية صفة ملازمة للبدو فى المنطقة ومهنة أساسية وحيدة وهى العمود الفقرى للناحية الاقتصادية عندهم.

وينتشر البدو فى ديرة بنى كبير الواقعـــة شرق وادى بنى كبـــير ويتفرقون فى مناطق مختلفة وخصوصا على حدود القبيله مع القبائل المجاورة أنظر « الفصل الاول من الباب الثانى من هذه الدراســـــة » ويحققون بذلك عدة أغراض أهمها : —

(أ) حراسة حدود القبيلة مع المناطق المجاورة فهم بحكم موقعهم هذا لا يخفى عليهم دخول الغرباء عن القبيلة الى مناطقها ويسارعون بابلاغ القبيلة بكل ما حدث فتنشط القبيلة للدفاع عن أراضيها بالطـــرق السلمية أو الحربية . ويمنعون فى نفس الوقت رعاة الماشية من المناطق المجاورة من الدخول بماشيتهم الى داخل حدود القبيلة .

(ب) حسن الانتشار وهو يحقق مزايا اقتصـــادية تتعلق بتوزيـــع المراعى بين الفخوذ اذ أن التكدس فى منطقة واحدة يقضى على النبات والاعشاب بسرعة خصوصا وأن قطعان الماشية لديهم كبيرة جدا .

(جـ) الفصل بين الوحدات القرابية التى تنتمى الى البدنات الثلاث

المختلفة وتحديد المناطق الرعوية لكل وحدة وهم يقصدون من هذا الفصل المكانى عدم الاحتكاك المباشر بين هذه الوحدات الذى قد ينتج عنه خصام بينهما على مناطق الرعى لا ترغب القبيلة فى حدوثه .

(د) المياه فى مناطق الرعى فى قسم بنى كبير البادية تصبح قليلة فى فصل الصيف ذلك لانهم يعتمدون فى شربهم ومواشيهم على (حفر) يحدثونها على ضفاف الاودية التى تنقطع عنها ينابيع المياه فى فصل الصيف . ولهذا تحتم توزيع المناطق الرعوية بحيث يكون لكل وحدة قرابية مكان تسقى منه فى وادى معين . ولاشك أن زيادة عدد الأفراد أورؤوس الماشية على مناطق الشرب هذه تؤدى الى نضوبها مما قد يلحق ضررا بماشيتهم . وهذا لا يعنى أنه لا يسمح لأى وحدة قرابية يصاب واديها بالجفاف وانقطاع المياه من أن تشرب وماشيتها من مصادر وحدة قرابية أخرى ..

والبدو بصفة عامة قوم رحل يسكنون بيوتا من الشعر المصنع التى يسهل حملها على ظهور الجمال والتنقل بها فى حدودهم الاقليمية خلف الأمطار . والمنطقة التى يقيمون بها كانت غنية بالأعشاب وينابيع المياه . ولهذا فلم يكن هؤلاء يهاجرون الى مناطق بعيدة وكانت هجرتهم لا تقع الا فى فصل الصيف لمسافات لا تزيد عن عشرة الى أربعة عشر كيلو مترا داخل الأرض المخصصة لكل وحدة .

وليست لهم أية مناشط اقتصادية سوى ممارسة الرعى والقنص ومنتجات الماشية . والبدو كما قلنا فى السابق يتبعون فى تقسيمهم الى وحدات قرابية نفس الوحدات القرابية فى بنى كبير الحاضرة بمعنى أنهم يرتبطون بالحاضرة بروابط الدم . ويتزاورون فى مناسبات كثيرة ويحل بعضهم ضيفا على بعض والماشية التى يمارسون تربيتها بكميات كبيرة هى الابل والأغنام بنوعيها الضأن والماعز .

فأما الجمال فتعود أهميتها الى أنهم يستخدمونها لحمل الأمتعة

والخدور فى حالة التنقل كما أنها تنقل بضائعهم الى أسـواق الحاضرة ويستخدمونها فى مواصلاتهم الخاصة ، وقد كانت لها أهمية كبيرة فى الماضى حيث كانوا يستخدمونها فى حالات الحـرب دفاعا أو هجـوما وكانوا يدربون بعضها تدريبا خاصة لمثل هذه الحالات وهى الجمـال التى تمتاز بالسرعة الشديدة والقدرة على تحمل المشاق • ويحـرص البـدوى على شرب (حليب الناقة) ذلك لانهم يرون أن شرب حليب الابل فى الصباح الباكر بكميات كبيرة يجعل الرجل قويا قادرا عـلى تحمل المشاق والجوع طوال اليوم • ويعتمد الرعاة على الجمـال فى مراقبة الماشية أثناء الرعى وحمايتها من الذئاب بمساعدة الكلاب القوية والتى تتغذى على اللحوم والحليب وتعد اعدادا جيدا لحراسـة (الخدور والأغنام) فى الليل والنهار ••

أما الأغنام فهى المصدر الرئيسى للغـذاء لديهم وقد أشرنا الى أهميتها فى هذا الفصل ••• وهم يربون الأغنام بكميات تصل الى ١٠٠٠ رأس لدى العائلة الواحدة •• ويتغذى البدو على البان ولحوم الماشية وسمنها ويصدرون الى الحاضرة ما يزيد عن حاجتهم بكميات كبيرة •

والكرم البدوى ليس — كما يقـول بعض الكتاب — ناتجا عن احساسه بالوحدة ولهذا فهو عندما يرى الغـربان يتشبث بهم ويكرم وفادتهم بذبح الأغنام أو كما يقول البعض الآخـر بأنه كرم فطـرى يمارسه البدوى بشكل آلى • بل أنه فى اعتقادى أن مصدر الكرم لدى البدوى أساسه توفر الأغنام الى جانب عدم وجـود البديل عنده ، فهو مثلا لايملك أصنافا من الحبوب حتى يمكنه أن يصنع منها الأرغفة لضيوفه ونقيس على هذا كل أنواع الأطعمة الأخرى • وليس أمامه سوى هذا القطيع الهائل من الاغنام يذبح منه ما يشاء ليأكل هو وعائلته مع الضيف الذى حل • ولعل هذا كان أمرا متبعا منذ القدم فتحـول مع مرور الزمن الىصفة ملازمة للبدوى وهى « الكرم » ولم يستطع الأفراد فى البادية التخلص من هذه العادة • ومما يثبت ما ذهبنا اليه

أنه بعد التغير الذى حدث فى المنطقة أصبح البدوى يقدم لضيفه ما تيسر له من الأطعمة ويمكن فى حالات كثيرة أن يرحل هذا الضيف دون أن يأكل « ذبيحته » كما كان ذلك قبل عشر سنوات من اليوم • غير أنه لابد أن نضع فى الاعتبار التفاوت بين القبائل فى هذا الكرم فبعضها لا يتصف بالكرم الشديد كما هو الحال فى بنى كبير الذين يبدو أنهم وجدوا آباءهم وأجدادهم بهذه الصفة فلازمتهم وانتقلت اليهم •

ويستفيد البدوى فوائد عدة من الأغنام ، منها كما أشرنا إكرام الضيف والفائدة الثانية من أصوافها التى يصنعون منها خدورهم وخصوصا « صوف الماعز » ثم الحبال والتى يحتاجون اليها فى كل أنشطتهم وبيع الفائض الى الحاضرة الذين يصنعون منه الجباب وغيرها مما ذكرنا عند الحديث عن صناعة النسيج ، وكذا جلودها والتى يستخدمونها قربا للماء وجلود صغارها « للسمن » الذى يبيعون ما فاض عن حاجتهم فى الاسواق المجاورة • أما الالبان فبالاضافة الى شربها طازجة واستخلاص الزبدة التى تكون السمن بعد أن تمر بعملية غليان • فأنهم يصنعون من هذه الألبان غذاء هاما بالنسبة لهم وهو (الاقط) ويسمونه المضير • ويصنعونه من اللبن المغلى بعد اضافة كمية من الدقيق اليه • ثم يحولونه بعد أن يبرد الى أقراص صغيرة مستديرة ويعرض للشمس ليجف ثم يحفظ فى (عياب) ليبقى لاكثر من عام دون أن يفسد وطعمه (حاذق) كثيرا ••

أما العياب فمفردها (عيبه) وهى مصنوعة من جلود الإبل بعد دباغتها على شكل كيس كبير دائرى الشكل يملؤها البدوى بأدواته وأغراضه المنزلية ويشدها على الجمل أثناء الرحيل أو يملؤها بالصوف أو السمن أو الأقط عند ذهابه الى الأسواق •

أما مخلفات الماشية فلا تستخدم مطلقا بل تنظف من الزريبة

ويلقى بهـــا فى أى مكان ذلك أنهم لا يمارســـــون الزراعة فليســـوا بحاجة الى ســـماد .

ولم يعرف البدوى طريقه الى الاقتصاد المنظم فلقد كان ينتــج ما يكفيه والنقود التى يحصل عليها من بيع الماشية يدخرها عنـــده فى أكياس خاصة ولا يستغلها فى أى مشروع آخر فليست لديه طموحات ليصل الى أكثر مما هو فيه . ثم أن الظروف المحيطة به لا تشجع على الاستثمار فهو لا يستطيع أن يبنى قصرا مثلا اليوم فيصـــاب مكانه بالقحط ثم يرحل فيبنى آخر وهكذا .. ثم أنه يحب الحرية والانطلاق والحيطان يرى أنهــــا تحــد من هذه الحــرية والانطـــلاق . والبدوى شديد الاهتمام بسلاحه « كالبندقية » والخنجر والرمح . ويزينها دائما بالفضة . ويصلح أى خلل يقع فيها مهما كلفه الثمن . ويفخر بهذه البندقية ولذلك نراه يزينها من أسفلها بجلود الحيوانات التى يصطادها كالذئاب والضباع والوعول والغزلان .

وكانت المرأة البدوية تلعب دورا مهما فى حياة الأسرة فى البادية فهى التى تكلف برعى الأغنام اذا كانت المراعى ليست بعيدة جـــدا عن الحى . وهى التى تهتم بنظافة زريبة هـــذه الماشـــية وتحلبها وتطبخ الطعام وتضع القهوة للضيوف وللعائلة وتحضر المياه من مصادرها ، أما الرجال فيشاركونها فى سقيا الماشية وخصوصا الجمال . والأطفـــال أيضـــا يقومون بدور فعال ويتمثل فى الإشراف على الأطفال الرضع ورعى صغار الماشية (البهم) وشـــدها الى الحبال التى يســـمونها (ريق البهم) حتى لا تنطلق لترضع لبن امهاتها عند عودتها من المرعى قبل أن يتم حلبها . إذا فالعامل هنا موزع بين النساء والأطفال ويكاد دور الرجل يكون معـــدوما لدى البـــدو من الناحية الاقتصـــادية . أما الدور الرئيسى الـــذى يلعبه فينحصر فى الدفاع عن أرض القبيلة وحراسة حدودها . ومطاردة الحيوانات المفترسة بالبنادق . ثم يعود فى آخر اليوم متعبا ليجد كل شىء أمامه معدا ويجتمع البدو المتجاورون حول نيران موقدة للحـــديث والتسلية وشرب القهـــوة العربيـــة التى

لا تنقطع عنهم ليلا أو نهارا (أنظر الى حياة الأسرة البدوية فى الفصل الأخير من هذه الدراسة) •

ولا يميل البدو الى تربية الأبقار إلا قليلا ، ذلك أنهم ليسوا فى حاجة اليها كما هى الحـال لدى الحاضرة والذين يمارسـون الزراعة فيستخدمون الثور فى الحرث وسـقيا الأرض • فالبـدوى لا يشرب « حليب البقر » أبدا ويعتبر ذلك نقصا فى حقه فالأفضل لديه دائمـا حليب الإبل فان لم يتيسر ، فحليب الضأن والماعز • ولا يأكلون لحوم البقر كما يفعل الحاضرة ولا يذبحونها للضيف واذا حدث وقام أحدهم بتربية الأبقار فالهدف من ذلك بيعها الى الحضر الذين يستخدمونها فى أغراض متعددة ولهذا لا تنشط لديهم هذه الناحية ••

وفلسفتهم فى ذلك أنهم يرون أن الثور والبقرة حيوانات شـديدة الغباء ، متبلدة الاحساس تحب دائما أن تكون نائمـة على الارض ، أجسامها مترهلة وشكلها غير متسـق • ويرون أنهم بشرب ألبانها وأكل لحومها سوف يصابون بهذه العدوى من صفات الأبقار وهم يحبـون أن يكونوا دائما أذكياء وصبورين كالجمال وسريعى الحـركة نحـال الأجسام كالماعز والضأن •••

نظـام الملكيـة :

« الملكية فكرة تتعلق بحيازة الأشياء تعنى الممتلكات وهى تقتضى وجود حقوق معينة لشخص أو جماعة دون غيرهم من الناس » •

وفى مجتمع بنى كبير لابد أن نميز بين نوعين من الملكية أولهمـا يتعلق بطبيعة المالك نفسه والثانى يتعلق بالممتلكات نفسها • أما الأمر الثانى فى هذا التمييز والذى يتعلق بالممتلكات فهو يتضح بصورة أفضل فى الملكية العامة للقبيلة فى مناطق الرعى والحمى••

والملكية تعنى أيضـا العـلاقة بين المالك والملك التى تعكس فكرة

الحقوق والسيادة ، سواء كانت فردية أم جماعية وهى حقوق دائمة ومستمرة وليست مؤقتة والا أصبحت .. انتفاعا » وأعتقد أنه فى دراسة نظام الملكية لكى تتضح بصورة أفضل لابد أن نعتنى بأركان ثلاثة هى : نوع الملكية . وطبيعة المالك ثم طبيعة الحقوق نفسها .

ومجتمع بنى كبير عرف الملكية منذ القدم بصورها المختلفة . وكانت مناطق الملكية تتحدد بعقود مكتوبة بخط اليد ويقوم عليها عدد من الشهود (تسمى حجة) .. ولم يعرف هؤلاء نظام العقود (الصكوك والوثائق) الا مؤخرا وان كانت الغالبية العظمى لاتزال تعتمد فى ملكيتها على هذه (الحجج) القديمة وملكية الأرض هى الاساس الهام فى الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ذلك أن مكانة الفرد الاجتماعية تتعلق بما لديه من (أطيان) .

واذا نظرنا الى الملكية فى بنى كبير الحاضرة لوجدنا أنها تلعب الدور الذى أشرنا اليه . لكنها ليست ملكية فردية بل نجد أن الوحدات القرابية تشترك فى ملكية الأرض فاذا حدث أن انقسمت هذه الوحدات القرابية نتيجة لكبرها قسمت بينها هذه الممتلكات بالتساوى . فمن كان يشعر « بغبن » فى نصيبه من الأرض عوض بنصيب أفضل من الدار التى تملكها العائلة والعكس أيضا . ويرتبط السكان بالأرض ارتباطا شديدا ولا أدل على ذلك من أنه لا يجوز مطلقا أن يبيع الرجل ما ورثه عن أبيه وجده من قطع زراعية واذا حدث وفعل هذا قابل الجميع عمله بالازدراء وظل حقيرا طول العمر ، ويعاير هو وأنجاله وأحفاده بهذه الفعلة حيث أن (بيع البلاد) عار كبير .

ويحرص الناس هنا عندما يشعرون بأن أحد أفراد الوحدة القرابية ينوى بيع أرضه الى تقديم العون المادى له حتى يحتفظ بها ولو كلفهم ذلك الشىء الكثير وفى حالة إصراره على البيع لظروف خاصة فإن الوحدة القرابية الأقرب هى التى تشترى فاذا كان الأخ مثلا ينوى بيع بلاده (البلاد تعنى قطع الارض الزراعية) سارع الاخ الشقيق الى الشراء فان عجز فابن العم الشقيق وهكذا نزولا الأقرب فالأقرب .

وحبهم للأرض وانتماؤهم اليها من بين الأسباب التى أدت الى تحديد نوع الزواج المفضل لديهم من ابنة العم والأقرب فالأقرب . حتى لا تنتقل ملكية الأرض عندما تنقرض الوحدة القرابية الى الغرباء.

بل أن الأهم من ذلك أنهم كانوا — والى وقت قريب — عندما لا ينجب الرجل الا اناثا وليس لديه أطفال ذكور يسارع باستدعاء « فقيه الجماعة » وعدد من الشهود ليكتب ما يسمونه بـ (الوقف) وينص هذا الوقف على وصيته من الرجل تنفذ بعد وفاته بأن بلاده المحدودة والمسماة كذا وكذا .. وقف على نسل الظهور دون نسل البطون أى أن ملكيتها تنتقل الى أولاده المباشرين وليس الى أولاد ابنته . أما البنت ، فإنه يبيح لها الانتفاع بما تنتج الأرض فقط وليس لها الحق فى الأرض نفسها ، فإذا توفيت سقط هذا الحق . ولا يجوز لأولادها التمتع بالإنتاج ، ومن ناحية أخرى ينص الوقت على أنه ليس للأولاد الذكور حق بيع هذه الأرض الى الآخرين وان كان البعض يجيز « المناقلة » أى ابدال أرض بأخرى . وتقول الوصية فى نهايتها أنه اذا انقرضت هذه الاسرة بكامل أفرادها ولم يبق منها ذكور أو إناث من الابناء يحق لهم الانتفاع ولا وريث شرعى . فان الاستفادة بثمارها وانتاجها تتحول « للمساجد » .

وليس هناك قانون قبلى مكتوب ينص على عدم بيع الأرض بل يعود الأمر الى الرجل نفسه ومدى حبه للأرض وتمسكه بها ومدى محافظته على التقاليد الموروثة وهى أمور تحدد أقدامه على البيع أو محافظته على الأرض . وعليه أن يعيش منبوذا بعد ذلك . بينما يكتسب الرجل الذى يزيد مساحة أرضه الزراعية سواء بالشراء أو بالاستصلاح مكانة اجتماعية كبيرة يذكرها الناس فى كل مناسبة ..

ولعل مرد ذلك إلى كون الأرض كانت هى المصدر الوحيد لغذاء الناس فالمحافظة عليها تعنى المحافظة على حياة الناس . فلولا وجود الأرض لما كان الزرع ولما استطاع الناس الحياة والاستمرار فى

الوجود ، وهذا يفسر سر دفاعهم عنها وتقديم أرواحهم فداءا لهـــا والمفاخرة والمباهاة المستمرة بامتلاكها .

ووادى بنى كبير بأراضيه الواقعة على ضفتيه موزع الى أمـــلاك بين القرى ولا يوجـــد ــ شبر واحد ــ غـــير مملوك ماعدا الأرض الواقعة بين الصخور أو سفوح الجبال الغير صالحة للزراعة فهى أراض ملكيتها للقرية يهبون منها أرضا لمن لا أرض له يستصلحها للزراعة قدر الإمكان أو ليبنى عليها منزلا يسكنه .

والبـــلاد المســـقوى أكثر أهمية من البـــلاد العثرى ذلك أنهم يزرعونها بأصناف مختلفة كالقمح والشعير والذرة واللوبيا والعدس والبرسيم والثوم والبصـــل والطمـــاطم وأشـــجار الخوخ والرمـــان والعنب ومفرد مجموعة من البلاد يسمونه (ركيب) ولكل ركيب اســـم خاص تابع لاسم البئر التى يروى منها فبئر اسمها (مقبل) كل البلاد التى حولها بهذا الاسم وليست لشخص واحد وانما لوحدة قرابية وكذا (بئر الحرير وبئر البرعية وبئر الطويلة) وهكذا .. وتصنف هـــذه الأملاك حول البئر الى أقسام مختلفة إما متساوية أو غير متساوية تتراوح مساحتها حسب القسمة التى حدثت وتعرف هذه التقسيمات بـــ « الحلقة والفلج والشطى » فالقوم لا يعرفون الفدان أو الهكتار . فالحلقة تتكون من أربعة فلجان والفلج يتكون من « شطيين » والشطى طوله فى العادة يختلف باختلاف طول الأرض فقد يكون طوله ٤٠ مترا وقد يكون ٢٠ مترا أما عرضه فهو معلوم حيث أصطلح عليه أن يـــكون خمسة أذرع . ومعنى هذا أن الحلقة فى « الركيب المسقوى » تساوى ثمانية شطيان أى أن عرضها يساوى أربعين ذراعا وطولها يعود لطول نفسه ومتوسط الملكية عندهم يكون فى العـــادة ثلاث « حـــلق » أرض مسقوى زراعية الزيادة عنها تعنى أن صاحب الملك من كبار المـــلاك والنقص عنها يعنى أن المالك من صغار الملاك ويشعر بحرج من هذا .. وهناك أراض مرتفعة عن مستوى الآبار أو فى مستواها أحيانا تزرع فيها كميات كبيرة من أشجار (اللوز) الذى كان يعتبر من المصـــادر

الاقتصادية الجيدة وكان الفائض منه يصدر الى المناطق المجاورة وحتى الى مدن الحجاز . وهناك أراضى زراعية تقع حول هذه البلاد ، تتم زراعتها بأشجار الفواكه يسمونها « الحبلة » وتكثر فيها أشجار « التين والتين الشوكى » والعنب والرمان ولا يملك كل الناس مثل هذه وهى فى الغالب تتركز فى الأراضى القريبة من البيوت حيث تسهل حمايتها من دخول الآخريين اليها لجنى الثمار أو دخول البهائم لرعى الأشجار الصغيرة فيها . ويمكن أن تكون الحبلة مكانا لرعى عدد لا يتجاوز عشرة رؤوس من الضأن التى تتغذى على نبات العشب الذى يتكاثر فيها نظرا لان الماء يصل اليها فى كل يوم تقريبا . ثم أن هذه الضأن لا تتسلق الأشجار وتأكل أغصانها كما تفعل الماعز ...

والغرض من هذه الأغنام هو الحصول على الحليب وأن تكون قريبة فىمتناول اليد لو حل على الدار فجأة أحد من الضيوف .

أما المنازل فهى مبنية من الحجر الذى يصنع من الصخور المتناثرة فى القرى ومسقوف بالخشب . والمنزل فى العادة لابد أن يتكون من دورين . فالعلوى يستخدمونه مكانا للأكل والنوم والأدوار السفلى مبيتا للماشية (الجمل والثور والبقرة والحمار والاغنام) كما تخزن الاعلاف والحشائش فيها ..

وجرت العادة أن تكون لكل وحدة قرابية مجموعة من المنازل المتقاربة حيث يقيم رب كل عائلة مع أفراد أسرته والتى تتكون من الأولاد وزوجاتهم والبنات غير المتزوجات فى منزل واحد . ولكل بيت (جرن) خاص من أجل درس المحصولات الزراعية .

وملكية المنازل كملكية الأرض تماما فما ينطبق على تلك من حيث البيع والشراء والوقف ينطبق على هذه . وهى تمثل قيمة اجتماعية كبيرة تكتسبها من الأفراد الذين اشتهروا بالحكمة أو الشجاعة أو الكرم فيقال على المجالس التى فى هذه البيوت مجلس فلان أو بيت فلان .

بيت ضارب فى الكرم أو فى الشجاعة ، وكذا من حيث سعتها واتساعها للضيوف فمجالس الرجال فيها لابد أن تكون كبيرة تتسع لكل أفراد القرية الذين يحضرون الولائم التى يقيمها صاحب المنزل فى مناسبات مختلفة وعلى فترات متعددة طوال العام .. وكل ما أوردناه فى الصفحات الماضية يعتبر فى نطاق الأملاك خاصة ..

أما الاملاك العامة : ـ

فيمكن أن نقسمها الى قسمين ، قسم خاص بالحاضرة وآخر بالبادية ويجوز للحاضرة الانتفاع بالملكية العامة التى بأيدى البدو ، فأما ملكية الحاضرة العامة فتتمثل فى (الحمى) أو الديرة ، وقد ذكرنا فى فصل سابق أن لكل بدنة حماها الخاص أو ديرتها الخاصة .. وهذه تقع فى المناطق الجبلية القريبة نسبيامن سكان القرى ، ولا يجوز لغيرها من البدنات أن ترعى مواشيها فيها أو تقطع منها أشجارا أو حشائش الا باذن خاص من البدنة المالكة ، اما مباشرة وأما عن طريق شيخ القبيلة ، واذا حدث أن اعتدى أحد الرعاة بماشيته داخل هذا الحمى أو فى أطرافه وأبلغ عنه (الحامى) « وهو رجل يقع اختياره من قبل القرى التى تكون البدنة ليحرس الحمى من الاعتداء يذهب مع الفجر ويعود بعد الغروب ويتقاضى نظير عمله هذا أجرا شهريا من سكان هذهالقرى »فان المعتدى يتم تغريمهبالطريقة التالية :

عندما يبلغ الحامى رجال القرية بهذا العدوان يجتمعون عقب صلاة العصر فى ساحة (المسجد) ويختارون منهم ما بين خمسة الى عشرة رجال ، يتوجه هؤلاء قبيل المغرب الى القرية التى وقع منها هذا الفعل ، ويتجهون الى دار الراعى أو المعتدى بقطع أشجار ، ويبلغونه باكتشافهم فعلته وأنهم جاؤوا (ليعزروه) وتعنى هذه الكلمة ايقاع الغرامة عليه فلابد أن يذبح لهم خروفا للعشاء فان كان قد قطع أشجارا ثمنت هذه الأشجار وعليه أن يدفع ثمنها ، فان لم يملك هذا

الثمن نقلها الرجال الى قريتهم وتركت لدى أحـدهم لحين الحاجة • ولا يجد الفاعل مفرا من هـذا العقاب ، فان حـاول التهـرب طوى المعزرون ما يجدون من سلاح أو فراش فى داره (كالسجاد واللحف) وعادوا بها حتى يبدأ فى مطالبتهم بما أخذوا فيسـاومونه على دفـع العزيز لقاء اعادة حاجياته • وكان هذا نادرا ما يحدث • لكن البديل دائما فى حالة عدم رضوخ القرية الأخرى التى ينتمى اليها المعتدى أن يقوم بعض أفراد القرية المعتدى عليها بعمل مشابه فى حمى القرية المعتدية ثم يجتمع أفراد القريتين كل يطالب بحقه وغالبا ما يسـقط هذا مقابل ذاك على طريقتهم فى القول (سبل ووسية) والسبل والسية فهى من المسـاواة أو الأسوة التى تعنى القدوة ليصبح المعنى (على طريقتكم فعلنا ولكم أن تقتدوا بهذا الفعل فتسقط هذه مقابل تلك) • ومهما يكن من أمر فان الاخباريين يذكرون حوادث كثيرة من هـذا القبيل • وان كانت الأخـيرة أكثر من الأولى لكن الغـالب أن الأمور تسوى عن طريق (العزير) ودفع الأثمان اذ أنهم يحاولون قطع طريق (السبل والوسية) والا أصبحت الاعتداءات متكررة وتقابل باعتداءات مقابلة ثم تتأزم الأمور التى قد تؤدى الى حدوث انقسـام خطـير بين وحدات القبيلة •

وملكية الحمى كما قلنا عامة للبدنة وهى من نوع ملكيات المنفعـة تقريبا • لكنها على أى حال منفعة مستمرة ولا تستفيد منهـا البدنة عامة • بل يستفيد أفراد كالذين يملكون قطعان الماشية يرعونها فيهـا أو الذين يستطيعون بناء منازل جديدة فهؤلاء يقتطعون من الأشـجار التى فى الحمى ما يسقفون به البيوت دون مقابل • ولعل المنفعة العامة التى تعود على معظم الأفراد هى مسألة « الاحتطاب » من الحمى • ذلك أن السكان كانوا يعتمدون على الحطب فى الوقود دون غيره الى زمن قريب • لكنه على أى حال لا يجـوز قطع الأشـجار الخضراء • فالمرأة أو الرجـل عنـدما يذهبـان الى « الديرة أو الحمى » لغرض

الاحتطاب فانه لا يجوز لهما أن يقطعا الشجر الأخضر بل يستفيدان فقط من اليابس • فان حدث أن خالف أحد هذه القاعدة عوقب بالعزير • لكن العزير فى مضمونة داخل القرية يختلف عن مضمونه خارجها • فهم لا يطلبون الى المعتدى بقطع الشجر الأخضر من داخل القرية أن يذبح « خروف العزير » • بل يمكنه أن يقدم لهم أصنافا أخرى من الطعام شريطة أن تكون من أجودها وأفضلها • ونلاحظ أن صفة « الكرم » تبرز حتى فى العزير نفسه فيحاول الشخص الذى يوقع عليه العقاب أن يكون كريما • فيقدم لهم خروفا أو « سمن وبر وعسل » وهى أجود أصناف الطعام عندهم بعد اللحوم وربما يعود هذا الى أن الذى يقع عليه العقاب اليوم سيكون غدا من ضمن أفراد (المعزرين) فيقتدى الجديد بالقديم ويقدم أجود الأصناف • وحتى يقال عليه أيضا أنه رجل كريم لا فرق عنده بين الضيوف والمعزرين ••

وأما النوع الثالث من الملكية والتى تتصف بعمومية المشاركة فيها بين البدو والحاضرة فهى التى يقطنها بنى كبير البادية • وتسمى بديرة بنى كبير • هذه الديرة تقع فيها المراعى ومصادر مياه الشرب للقسم البدوى من بنى كبير ، وليست لهم أحقية فى بيع جزء منها أو اعطاء حق المنفعة منها للآخرين • دون الرجوع الى شيخ القبيلة ومجلس الشيخ فأما البيع فهو أمر لا يمكن حدوثه ولم يسجل تاريخ القبيلة حدثا كهذا • بينما نجد أن حق الانتفاع بالمرعى والاقامة بالنسبة لأعضاء من خارج القبيلة أمر قد حدث فى فترات متباعدة ومؤقتة فى نفس الوقت • تبعا للظروف التى أوجدتها والتى أدت الى أن يطلب هؤلاء من القبيلة اعطاءهم حق الاقامة والمرعى ••

وتبعا لهذه الملكية العامة فانه يجوز (لبدنة ما) من البادية أن تحل بأراضى بدنة رحلت الى جهة أخرى • على الرغم من أنه يظل هذا الوادى وهذا الشعب يعرف باسم بدنة بالحارث أو الجابر أو العلى •• لكن تبادل المنفعة أمر جائز • وعندما يحدث خلاف شديد حول مرعى أو مصدر مياه بين البدنات فان القبيلة تتدخل لحسم النزاع

بين هؤلاء باعادة كل بدنة الى ديرتها ومنع انتشارها مع الاخرى حتى ينتفى سبب النزاع وغالبا ما يزول عندما تجود السماء بالماء فتنتشر على أثرها المراعى وتكثر الينابيع ..

وتقع حماية هذه الأرض على أبناء القبيلة كلها وليس على سكان البادية وحسب . وللبدو الحق فى قطع الأشجار واستخدامها للوقود أو تجفيف الأعواد الكبيرة وبيعها ويمكنهم على هذا الأساس أن يبيعوا هذه الأخشاب والحطب للآخرين من خارج القبيلة . وعلى الرغم من وجود أراضى تمتاز بخصوبتها فى هذه المنطقة ووفرة مياهها وهى بوجهخاص الأراضى التى تقع على ضفاف الأودية . الا أن أحدا من البدو لم يفكر بحفر بئر فى هذه المنطقة وزراعتها . كما أن الحاضرة أنفسهم لم يحدث أن انتقل أحدهم الى هذه المنطقة ليمارس حرفة الزراعة فيها .. وليست هناك أوراق مكتوبة تحدد ملكية الأرض فى البادية لكنه عبر التاريخ تم التعارف على هذه الحدود اما بأماكن مشهورة تحدها من الجهات الأربع واما (بردم كبيرة من الصخر) توضع على هذه الجهات لتحدد ملكيتها للقبيلة وتكون بمثابة الحدود بينها وبين القبائل الأخرى ..

اذا فالثلاثة الأركان التى رأينا أنه لابد من وضعها فى الاعتبار عند دراسة الملكية وهى : نوع الملكية وطبيعة المالك وطبيعة الحقوق ، نعتقد أنها قد اتضحت بشكل كاف ويمكن ايجازها فى أسطر قليلة قبل اختتام هذا الفصل ..

فقد رأينا أن أهم أنواع الملكية لديهم هى الأرض والمنازل ومدى الارتباط الشديد والعلاقة القوية بين الملاك أنفسهم وهذه الاملاك . وقد رأينا أنهم يرون التفريط فيها تفريطا فى النفس ، وتراوحت بين ثلاثة أنواع الأرض الزراعية وما يمكن أن نسميه تجاوزا بالغابات والتى عرفناها بـ (الحمى) ثم ديرة المراعى التى بأيدى البدو ..

أما الملاك أنفسهم فقد رأينا أنهم يتراوحون بين الفرد الواحد والقبيلة كلها • فرب العائلة التى تشترك فى ملكية الأرض هو صاحبها الأول واليه تنتمي وباسمه تعرف • فاذا توفى هذا الكبير انتقلت الملكية وحرية التصرف الى أكبر الأبناء وهكذا ••

والقرية كلها لها ملكية معينة هى التى بجوار القرية وقد عرفناها قبلا بأنها الاراضى التى تكثر فيها الصخور ، أو المناطق الصخرية أو الأرض الغير صالحة للزراعة • وقلنا حينذاك بأنه لا أحد يستطيع التصرف فى شبر منها بمفرده بل باجماع من سكان القرية الكبار من الذكور جميعا ثم رأينا أن القرية تشترك مع القرى الأخرى التى تشكل البدنة فى ملكية أرض (الحمى) ولهم جميعا حق الانتفاع • وانتقلنا أخيرا الى الملكية العامة (للديرة) والتى يقطن فيها البدو ويحق لجميع أعضاء القبيلة المشاركة فى الاستفادة منها •

وعن طبيعة الحقوق نفسها فالواضح أنه فيما يتعلق بالأرض فانها (حقوق مقيدة) لا نستطيع أن نصفها بالحرية المطلقة لممارسة هذه الحقوق ، ولا نستطيع أن نقول أنها حقوق منفعة • ذلك أن ثقافة المجتمع وقيمة تفرض أو تمارس قهرا على الأفراد فيما يتعلق بالبيع والشراء وفى نفس الوقت ليست هذه الحقوق محدودة بوقت معين • ولعل أبرز مثال على طبيعة الحقوق يتمثل فى الاشتراك فى ملكية (الآبار التى تسقى منها الأراضى الزراعية) وهذه الآبار تحفر فى احدى القطع الزراعية وعادة تكون فى أحد أركان الأرض التى يكتشف الماء فيها • وطريقتهم فى اكتشاف المياه تحت الارض تعتمد على أشخاص اشتهروا بهذه المعرفة • ويسمى الشخص الذى يكشف عن المياه ويقترح حفر البئر فى الأماكن المعينة « المهندس » وهم يذهبون اليه فى داره فى أى مكان ويطلبون اليه أن يحضر معهم ليكتشف أماكن المياه لقاء أجر يأخذه • وكان هذا يأتى ليدور حول المكان وينتقل هنا وهناك ويشم التراب من حفرة يحدثها الى مسافة ٥٠ سم تقريبا ويضع أذنه

على سطح الأرض ثم يشير الى مكان معين ويطلب أن تحفر البئر فيه . ويحدد لهم المسافة التى يحفرونها حتى يصلوا الى الماء بـ (القامة) والقامة تعنى مد الزراعيين جانبا « فالمسافة عند أطراف أصابع اليد اليمنى مرورا بالذراع والصدر وحتى أطراف الأصابع اليسرى هى القامة » فان قال عشر قامات أو أقل أو أكثر وجدوا الماء فعلا يتفجر عندها . ويقول الأخباريون أنه لم يحدث أن فسدت تنبؤات هذا المهندس ولم يتم العثور على الماء الا فى حالات نادرة .. وقطر البئر هذه يتراوح بين ٣ : ٨ أمتار وعمقها يصل الى ٢٠ مترا تحت سطح الأرض . وتبنى جوانبها بالحجارة قبل الوصول الى الماء وذلك عندما يصلون الى الأرض الصلبة ثم يستمر الحفر حتى يجدون الماء .

وعملية الحفر يشارك فيها فعلا كل من له أرض حول هذه البئر . أما مياه الرى فيها فتتوزع بين الأفراد حسب ممتلكاتهم فمن كان له أكثر نصيب من الارض كان « شربة » أكثر بعدد أيام أكثر والاقل فالأقل . والزمن لحساب « الشرب » (سبق تعريفه فى أول هذا الفصل) يعرف بالشروق والغروب فالبعض مثلا له ثلاثة أيام يسوق فيها زرعة . بينما البعض له (غدوة) أو نهار وغدوة أو (روحة) والغدوة مشتقة من الغدو والروحة من الرواح وتعنى الأولى من بزوغ الشمس الى منتصف النهار عندما تغدو الشمس فى كبد السماء . والثانية عندما تبدأ الشمس بالزوال فيبدأ الرعيان بالرواح والعودة الى دورهم . هذا النظام فى تقسيم أيام سقيا الارض يسير على وتيرة واحدة . فاذا حدث أن حصل خلل فى هذه البئر ولم يشارك أحد الملاك فى المساهمة فى اصلاحه قل أو سقط حقه فى (الشرب) . بمعنى أن المشاركة من عدمها تابع للمساهمة الفعالة فيما يتعلق بشؤون هذه البئر . اذ أن الملكية للأرض لا تعطى الحق فى ملكية البئر نفسها ، فمن جهة صاحب الأرض التى حفرت فيها البئر لا يملكها ومن جهة

صاحب الأرض المخصص له أيام يسقى منها مرتبطة أيامه هذه بمــدى مساهمته وحرصه على سلامة البئر •

ونعتقد أننا قد أوضحنا نظام الملكية فى بنى كبير وهو نظــام فى حقيقته يرتبط مع الانظمة الاخرى فى هذا المجتمع دون فصــل أو تمييز ويتفاعل معها •

الباب الثالث

الفصل الأول : مظاهر التغير الحضارى فى بنى كبير

الفصل الثانى : آثار التغير البنائى والحضارى فى بنى كبير

الباب الثالث

الفصل الاول

مظاهر التغير الحضارى فى بنى كبير

فى الفصل الثالث من الباب الأول من هذه الدراسة أشرنا الى البناء القبلى فى بنى كبير • ورأينا أن هذا البناء كان يتميز الى حد كبير « بتضامن آلى » بين الوحدات الاجتماعية فيه • أملتها على هذا المجتمع ظروف داخلية وخارجية • ثم قلنا فى الفصل الأول من الباب الثانى أن تغيرا بنائيا قد أصاب هذا المجتمع لظروف داخلية وخارجية أيضا • مما أدى الى فقدان عدد من الوحدات لوظائفها التى كانت تمارسها داخل البناء الاجتماعى • أما فى الفصل الثانى من نفس الباب فقد درسنا النسقين القرابى والاقتصادى ، ورأينا الارتباط القائم بين هذين النسقين والانساق الأخرى •• ولعل أهم ما يلفت النظر أن مجتمع بنى كبير من الناحية الاقتصادية كان يعتبر مجتمعا منتجا أكثر منه مستهلكا وحققت له هذه الميزة تفوقا اقتصاديا على المجتمعات المجاورة بل وأوجدت قدرا من التكامل بينه وبين هذه المجتمعات ونشأ عن ذلك علاقات اجتماعية مع هذه المجتمعات المحيطة به ، استدعت هذه العلاقة قيام « احلاف » تمثل معاهدة صداقة وتعاون بينه وبين تلك المجتمعات أساسها اقتصادى بالدرجة الأولى •

وكما هو حال المجتمع الكبير فى المملكة العربية السعودية بل وكل المجتمعات الانسانية عبر التاريخ لم تقف عجلة التغير عند حد معين بل سارت باضطراد فنال مجتمع بنى كبير قسطا كبيرا من التغير الاجتماعى والحضارى لظروف داخلية وخارجية أيضا •

فأما الظروف الداخلية ، فلعل أهمها رغبة أفراد المجتمع فى مواكبة التغير الحاصل فى المجتمع الكبير ، بعد أن تعرفوا الى هذا المجتمع عن طريق (الاذاعة) وحدها • ذلك أن أجهزة الراديو فقط بدأت تغــزو المنطقة منذ ثمان وعشرين سنة لا غير ، ولايزال كبار السن والشباب فى سن الأربعـــين اليوم يتذكرون كيف كانوا يجتمعون فى واحـــد من البيوت التى يملك أصحابها « جهاز راديو » للاستماع لما يقوله هـــذا الجهاز لساعات طوال • وتلك كانت الصـــلة الأولى بين هذا المجتمـــع المغلق والمجتمعات الأخرى داخل الجزيرة العربية وخارجهـــا •• ولم تتوفر وسائل غير الراديو الا مؤخرا •

ومن العوامل المساعدة أيضا على التغير بدء الشباب بالهجرة الى خارج المجتمع المحلى وخاصة الى مدن الحجاز القريبة ، وعندما يعود هؤلاء المهاجرون الى القبيلة يعودون معهم بأنماط مختلفة من السلوك تعلموها فى مجتمع المدينة ويؤثرون بها على أسرهم التى عادوا اليها ، مثل الحرص على النظافة فى الملبس والمأكل والمشرب • والسهر لساعات متأخرة من الليل ، وأحداث تغيير فى أثاث المنزل وفرشـــه • وعـــدم التعامل مع الحيوانات كالثور والحمار والجمل ، ويتمثل ذلك فى تقديم الأطعمة لها والاشراف عليها حين الغدو والرواح كما كانوا يفعلون قبل الهجرة • ولقد قوبلت هذه الانماط من السلوك فى بدايتهـــا بامتعاض شديد من أهلهم وذويهم واعتبروا أن هذا الشباب قد أفســـدته حياة المدن •ولكن مع مرور الزمن تعلم هؤلاء هذه الأنماط وأصبحت شيئا مألوفا لديهم •

واما العوامل الخارجية التى ساعدت الى حد كبير على حـــدوث التغير الشامل فى مجتمع بنى كبير ، فكان أبرزها ظهور الحـــكم المنظم الذى عرفته المنطقة قبل ست وأربعين سنة فقط بانشـــاء أول امـــارة ومحكمة شرعية فى منطقة (غامد) • واستمر يتطور باستحداث ادارات حكومية جديدة كل فترة حتى أصبحت هذه تقدم الخدمات اليوميـــة

اللازمة للسكان فى مختلف أوجه الحياة . مما استدعى انصراف الوحدات الاجتماعية التى كانت تقوم بوظائفها فى القبيلة الى البحث عن وظائف أخرى بديلة تخدم بها المجتمع .

أما ظهور البترول فى أراضى المملكة العربية السعودية ، فقد كان العامل الهام فى حدوث التغير الاجتماعى والبنائى ، ليس فى مجتمع بنى كبير وحده بل فى المجتمع الكبير بشكل عام ، ذلك لان ظهور هذه الثروة بكميات هائلة قد أعطى للمجتمع دفعة الى الأمام ، وحسن بدرجة كبيرة الناحية الاقتصادية لدى السكان ، مما نتج عنه تغير مادى ملحوظ تمثل فى شق الطرق وافتتاح المطارات ، وبناء المدن الحديثة ، وبناء المنازل الحديثة فى المناطق الريفية ، ودخول الماء والكهرباء ، الى جانب التغير فى الجوانب اللامادية والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد والوحدات الاجتماعية فى المجتمعات المحلية الصغرى وفى المجتمع الكبير .

ويمكن أن نستعرض أهم مجالات ومظاهر التغير فى مجتمع بنى كبير على الشكل التالى : —

أولا : التعليم :

عرفنا فى فصل سابق من هذه الدراسة بأن مجتمع بنى كبير قد عرف نوعا من التعليم .. هذه المعرفة أملتها الحاجة الى وجود من يقرأ القرآن الكريم . ومن يكتب (الحجج) أى وثائق الملكية للعقارات . ومى يكتب الاحلاف وبنود الصلح بين الافراد أو الوحدات الاجتماعية . ومن يكتب الاحلاف وبنود الصلح بين الافراد أو الوحدات الاجتماعية.

وكانت هذه الفئة تعرف باسم (الفقهاء) وجاءت هذه التسمية من معرفتهم وتفقههم فى أمور الدين ، وكانت هذه الفئة هى التى تؤم الناس فى المساجد للصلاة ، وتلقى فيهم الخطب والمواعظ ، وهى التى تحرر عقود البيع والانكحة . وكان يستعان ببعضهم فى انجاز ما ذكرنا لدى المجتمعات المجاورة اذا لم يكن بهذه فقيه يمكنه انهاء مثل هذه الامور .

ولم يكن دور هذه الفئة يقتصر على ذلك بل كان لها دور كبير وهام ٠ وهو تعليم الشباب القراءة والكتابة وأمور الدين ٠ وكان معشر الفقهاء يمارسون (مهنة التعليم) بطرقهم الخاصة ، حيث كان الفقيه يجمع الدارسين على يديه فى ساحات المساجد أو على ظهور المنازل فى الصباح مرة الى ثلاث مرات فى الاسبوع ، ويجلس هو وسط الحلقة من الشباب يقرأ عليهم وهم يرددون خلفه ، حتى يحفظ هؤلاء ما تيسر من القرآن الكريم ، ثم ينصرفون عن التعليم بعد ذلك ٠ الا من أراد الاستمرار مع الفقيه ليتعلم الكتابة ، حيث يبدأ بتلقينهم أصوات الحروف وأسمائها وأشكالها ، ثم يعلمهم كتابتها بعد ذلك ٠

وكان الفقيه يمارس ارهابا شديدا على الدارس ٠ ويلازمه باستمرار (الكرباج والفلقه) وكان يعاقب من يخطىء عقابا شديدا ٠

ويبدو أن أساليب التربية والتنشئة الاجتماعية فى المنطقة ، كانت تسير وفق ما تقضيه الظروف الطبيعية والاجتماعية هنا ٠ فالظروف البيئة كانت تتوزع بين الجبال والاودية وتنعدم فيها طرق المواصلات عدا الجمال والحمير وقد كان الرجال والنساء والاطفال يقطعون مسافات سيرا على الاقدام ٠ بالاضافة الى شظف العيش والعمل الدائم والمستمر ليلا ونهارا للحصول على لقمة العيش ، ثم ان القبيلة فى السابق كانت تعيش حالة من الاستنفار شبه الدائم أو الهجوم طبقا للحياة القبلية فى المناطق المجاورة ٠ كل هذه الظروف مجتمعة انعكست على أسلوب التربية للاطفال فليس هناك فسحة من الوقت لتدليل الناشئة أو السهر على مصالحهم أو حتى معالجتهم من الامراض ٠ فكل الادوية كانت عبارة عن أعشاب وامتناع عن أكلات معينة والكى وعزل المريض فى غرفة خاصة مظلمة لايام أو شهور ٠ كما أن الطفل لم يكن ليأخذ كفايته من اللعب مع الرفاق أما لانشغاله بالعمل مع الاسرة واما لانهم يرون أن اللعب مضيعة للوقت وسبيل الى انفاق جهد فى شىء لا ينفع ، ولهذا فقد كان الاطفال لا يمارسون العابا جماعية الا نادرا ولعل أفضل الفرص المتاحة

لذلك عند انصرافهم من المدارس وان كانت المدرسة والاهالى قد فرضوا نوعا من الرقابة عليهم لحرمانهم من ذلك .

اذا فالفقهاء بل وحتى المدرسين فى السنوات الاولى لافتتاح المدارس الحكومية كانوا يمارسون القسوة على التلاميذ وفقا للجو العام للتربية فلقد كانوا يرون أنه لكى يصبح هذا الطفل (رجلا) لابد من استخدام الحزم معه وأى لين أو عطف من جانب الاهل والمدرسة ينعكس بمردود سىء على سلوك الاطفال ويفقدهم الرجولة . وخير مثل شعبى يصور أسلوب التربية السائد فى المنطقة هو (اشبع غريرك واحسن أدبه) . وهـذا المثـل معناه توفير الغذاء الذى يشبع الطفل (والغرير) مأخوذة من « الغر » الغر معناها الجاهل الذى لا يدرك مصلحة نفسـه . وعندما يشبع هذا الطفل توله بالتأديب ، ومن أبرز صفات هذا التأديب عدم الجلوس فى مجالس الرجال وعدم الكلام معهم ان حدث وجلس الطفل بينهم ، وعدم الضحك لاى مناسبة بين الرجال وعدم المشاركة برأى ، وعدم ممارسة اللعب والانصراف الى الاعمال الجدية ومساعدة الاسرة ، واذا مرض فدعه لينام فى الفراش فالله الحافظ وحده . وهكذا .

ولقد كان الاباء يؤكدون (للفقيه) الذى كان يتولى التعليم للاطفال ثم للمدرس من بعده فى المدارس الحكومية (بأن لك اللحم ولنـا العظم) أى اضرب ما شئت وأحدث الجرح الممكن بحيث لا تكسر عظم لهذا الطفل عظما ، وما لم تكسر عظم الطفل فلا لوم عليك . هذا هو الاسلوب السائد فى التربية عنف شديد وحرمان كبير وهو تفسير (للفلقة) التى كانت مع الفقيه ثم انتقلت الى المدرس الى جوار السوط فى أول عهد المنطقة بالمدارس الحكومية .

ويقول ابن خلدون فى مقدمته (فصل فى أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم) « ذلك أن ارهاف الحد فى التعليم مضر بالمتعلم سيما فى أصاغر الولد لانه من سوء الملكة . ومن كان مرباه بالعسف والقهر من

المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر • وطبق على النفس انبساطها وذهب بنشاطها ، ودعاه الى الكسل ، وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الايدى بالقهر عليه • وعلمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلقا ، وفسدت معانى الانسانية التى له من حيث الاجتماع والتمرن ، وهى الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله، وصار عيالا على غيره فى ذلك بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عن غايتها ومدى انسانيتها ، فارتكس وعاد فى أسفل السافلين » [١] •• ويمضى ابن خلدون فيقول « من أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الأمين فقال : يا أحمر ان أمير المؤمنين ، قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، فكن له حيث وضعك أمير المؤمنين اقرئه القرآن وعرفه الاخبار ، وروه الاشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك الا فى أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم اذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ، ولا تمرن بك ساعة الا وأنت مغتنم فائدة تفيده اياها ، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه « لا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة » [٢] •

ولنا رأى فيما ذهب اليه العلامة العربى (ابن خلدون) خاصة عندما يقول « ••• وعلمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت هذه عادة وخلقا ، وفسدت معانى الانسانية ••الخ » ذلك أنه قد شدت انتباهى هذهالعبارة فأردت أن أرى لها تطبيقا على عدد من أبناء المنطقة والذين نالوا قسطا من التربية القاسية على أيدى الاهل والفقهاء والمدارس • فتتبعت حالات كثيرة ، فلم أجد أحدا منهم سىء الخلق وفسدت معانى

---

(١) ابن خلدون — المقدمة — ص ٥٠٨ — مرجع سابق •
(٢) ابن خلدون ، ص ٥٠٩ المرجع السابق •

الانسانية لديه ، ولا ارتكس الى سفل السافلين ، ولم يكن مهم لصا أو مجرما • بلعلى العكس من ذلك فقد وجدت فيهم خلاف ذلك من استقامة فى الخلق واتزان فى الشخصية وعمق فى التفكير وبعد عن الجرائم • كل ما عدا ذلك يمكن أن نسميه شذوذا عن القاعدة •

أما بعضهم فقد ترك التعليم وانصرف الى أعمال أخرى • وهذه الفئة عند سؤال أفراد منها ، أرجعوا سبب عدم مواصلة التعليم الى الظروف القهرية التى كان يمارسها القائمون على التعليم ، والمهاجرون منهم الذين يقيمون فى المدن الكبرى من المملكة اليوم أرجعوا أسباب هجرتهم الى ظروف التربية القاسية فى المنازل المصاحبة للظروف الاقتصادية القاسية أيضا •

اذا فالعلامة (ابن خلدون) كان متشائما الى حد كبير عند الحديث عن أسلوب التربية والتعليم • أو أنه كان يقصد أساليب أشد عنفا ورهبة مما عرضناه فى هذه الدراسة • لهذا لم نجد لاقواله ما يؤيدها فى منطقة البحث •

ولا يعنى هذا أننا نؤيد أسلوب البطش فى التربية ونقر ما كان سائدا من أساليب فى البيت والمدرسة • ونرى من جهة ثانية أن يكون أسلوب التربية وسطا بين الحزم والتسامح وفق ما تقتضيه المصلحة العامة للطفل وللمجتمع فلا نترك الحبل على الغارب ولا نضغط بشدة متناهية • وأرى أيضا أن لكل مجتمع ثقافة معينة ويعيش فى ظروف معينة بل وله آمال وأهداف خاصة يسعى الى تحقيقها • اذا فلابد أن تتوافق أساليب التربية مع ما أشرنا اليه توافقا يحقق المصلحة العامة للفرد والمجتمع •

ويتقاضى (الفقيه) لقاء عملية التعليم هذه النقود من الموسرين ، والحبوب والتمر من متوسطى الحال • وعلى كل فان هذا التعليم على الرغم من بدائيته كان مفيدا للمجتمع نظرا لاهمية الدور الذى كان

يمارسه الفقيه ثم ان هؤلاء المتعلمين كانوا يقومون بأدوار مشابهة لدور الفقيه .

ولم تعرف (بنى كبير) المدارس الحديثة الا بعد ظهور الحكم السعودى فى المنطقة حيث افتتحت فى بنى كبير أول مدرسة ابتدائية فى عام ١٣٦٧ هـ ١٩٤٧ م وكانت هذه المدرسة فى قرية العبادل ، ضمت أول الامر مجموعة من الفقهاء الذين يدرسون للتلاميذ دروس الدين واللغة العربية . وقد كان الاقبال شديدا على هذه المدرسة ونشب لذلك صراع بين التلاميذ وأولياء الامور تمثل فى رغبة التلاميذ فى التعليم واصرار أولياء أمورهم على بقائهم للمساعدة فى شئون الزراعة أو الرعى. ولم ينته هذا بين التلاميذ وأولياء الامور الا بهجرة أعداد منهم الى خارج القبيلة أو بالتوفيق بين الدراسة فى الصباح ومزاولة العمل ومساعدة الا سرة بعد الظهر .

وقد كان معظم أولياء الامور يصر على أن يترك ابنه المدرسة بعد معرفته للقراءة والكتابة ودروس الدين التى كان غالبا ما يجيدها فى الصف الرابع الابتدائى ولم يحصل على الشهادة الابتدائية الا أعداد قليلة فى العشر السنوات الاولى من افتتاح هذه المدرسة على الرغم من أن أعداد الطلبة فى الفصول الاولى من المرحلة الابتدائية كان كبيرا بالنسبة الى سعة المدرسة وامكاناتها . فمثلا فى عام ١٣٧٠ هجرية كان عدد الطلاب بالصف الاول الابتدائى بمدرسة بنى كبير الابتدائية (١) (٨٠) طالبا والمتقدمون لامتحان الشهادة الابتدائية فى العام ٧٦/٧٧ هجرية (١٣) طالب فقط نجح منهم فى الدور الاول (٨) طلاب فقط ورسب (٥) طلاب نجح منهم اثنان فى امتحان الدور الثانى وانقطع الاخرون عن الدراسة .

ولكن التعليم لم يسر بهذه الطريقة فى السنوات التى تلت ذلك .

---

(١) سجلات المدرسة من عام ١٣٧٠ الى ١٣٧٧ .

ذلك لان الوعى بدأ ينتشر بين السكان اضافة الى افتتاح عدد من المدارس الابتدائية والمتوسطة فى قرى مختلفة من المنطقة قصدت بها الحكومة تيسير الدراسة على التلاميذ باختصار المسافة التى كان يسيرها هؤلاء بين أماكن السكن ومكان المدرسة والتى كانت تحول الامطار الغزيرة دون حضورهم الى المدرسة فى أيام كثيرة من العام الدراسى .. واستمرت السياسة التعليمية للدولة فى رفع شأن التعليم فى المنطقة كما هو الحال فى كل مكان من المجتمع الكبير وخلال ثلاثين عاما أى من سنة ١٣٦٧ : ١٣٩٧ هجرية بلغ عدد المدارس فى بنى كبير سبع مدارس ابتدائية واحدة منها فى البادية . ومدرسة البادية هذه تعمل على فترتين صباحية للصغار ومسائية للكبار واضافة الى المدرسة المتوسطة فى بنى كبير ويبلغ مجموع الطلاب بالنسبة لمدارس البنين الابتدائية والمتوسطة أكثر من ١٦٠٠ طالب يتلقون تعليماحديثا على يد متخصصين فى التعليم .

أما بالنسبة لتعليم البنات فلقد كان مجرد التفكير فى تعليم الفتاة يعتبر أمرا ممقوتا فقد كانت النظرة الى الفتاة تنحصر فى قيامها بشئون البيت والمزارع وليست لها أية أهمية خلاف ذلك اذا استثنينا الحمل والانجاب . وقد كانت الفكرة تعرض على شيخ القبيلة والذى يعرضها على أفراد القبيلة خلال العشر سنوات الماضية فلم يحبذ هؤلاء وجود مدرسة للبنات ولم يوافقوا على تسجيل بناتهم استعدادا لافتتاح مدرسة للبنات فى بنى كبير الا فى عام ١٣٩١ هجرية ثم فتحت مدرسة البنات الابتدائية فى بنى كبير أبوابها فى أول العام الدراسى ١٣٩١/١٣٩٢ هجرية ، ولقد كان الناس يرددون مثلا يقول : « ليس للبنت الا الزوج أو القوز » ويعنى هذا المثل أن الفتاة ليس أمامها الا الزواج والا أن تموت وتدفن فى الارض « القوز » هذا يعنى التراب الذى يدفن فيه الانسان بعد موته وهو ما على مستوى سطح الارض قليلا .

ولم تشهد مدرسة البنات الابتدائية فى بنى كبير اقبالا شديدا عند افتتاحها اعتقادا بأن فى تعليم البنات مفسدة للاخلاق ، وأنها ان تعلمت

شيئا فهو لمصلحة زوج المستقبل ولا فائدة لاهلها من ذلك .

ثم ان انصراف الفتاة الى التعليم سوف يلحق أضرارا اقتصادية بالاسرة لان الفتاة تمارس دورا مهما فى المنزل . وعليها تقع مع أمهـا مسئولية ادارة المنزل ابتداء من اعداد الطعام وانتهاءا بالعناية بالحيوانات كالاغنام والجمل والبقر وخلافها مما يستأنسه السكان فى المنازل . لهذه الأسباب الثقافية والاقتصادية لم يلق تعليم البنات توفيقا كبيرا حتى الآن فمجموع الطالبات فى المدرسة الابتدائية والمتوسطة للبنات لا يزيد عن (أربعمائة طالبة) فقط وقد تم توقف العديد منهم عن التعليم بمجرد معرفة الجزء الأول من القرآن الكريم ، ثم بقين فى المنـازل بعد ذلك لممارسة النشاط المنزلى .

ولئن كان بعض من الشباب والفتيات قد أكملوا المرحلة الجامعية من التعليم فان ذلك يعود الى جهـدهم الشخصى فى المقـام الاول ، وهجرتهم الى المدن بعيدا عن أرض القبيلة مما أتاح لهم فرص العمل ومواصلة التعليم . والملاحظ بشكل عام أن التعليم فى بنى كبير الحاضرة فاق نظيره بمراحل كبيرة فى بنى كبير البادية ، فعلى الرغم من مرور خمس سنوات على افتتاح مدرسة ابتدائية (متنقلة) فى البادية ، الا أن عدد الطلاب للعام الدراسى ١٣٩٩ ــ ١٤٠٠ هـ لم يزد عن ستين طالبا فى الفترتين الصباحية والمسائية . أما بالنسبة لتعليم الفتاة فى البادية فهو أمر غير وارد فى الوقت الحاضر فى ذهن سكان البادية ، وذلك لانهم يرفضون فكرة تعليم الفتاة بشدة ، فحاجتهم الى الفتيات لترعى الاغنام والاشراف عليها كان حجر عثرة فى سبيل فكرة التعليم .

كما أن فتيات البادية لسن على قناعة بالتعليم أيضا ، فقد كانت لى فرصة لقاء عدد منهن أثناء اعداد هذه الدراسة . اطلعت خلال هـذا اللقاء على جانب من فكرتهن عن التعليم ، وأجمعت الاقوال على رفض التعليم لعدة أسباب : أولها أنهن على يقين بأن أولياء أمورهن لن يوافقوا على الحاقهن بالمدارس فى حالة وجودها فى مراكز البادية . والثانى :

أن الفتاة فى البادية ترى أن جلوسها بين الحيطان أو حتى فى مكان واحد لوقت محدد يحد من حريتها فى الحركة والتنقل فهى لا تتصور أنها يمكن أن تجلس فىمكان واحد لعدة ساعات . والثالث : أن فتاة البادية ترى أن التعليم يعلم الفتاة (الدلع) ويقلن بأن بنات الحضر على هذا النمط بسبب التعليم ، ويفسرن الدلع بعدم القدرة على العمل والحركة ، وبالكسل والخمول ، وبارتداء الملابس الغير محتشمة وباستعمال « الصباغ » على الوجه .. الى غير ذلك .

وعندما التقيت بعدد من أولياء أمور الفتيات فى مقابلة منفصلة رفضوا تماما فكرة تعليم فتياتهم ، ولم يقبلوا حتى مجرد مناقشة هذا الموضوع.

وسوف يستمر هذا الرفض قائما ما لم تعمل الأجهزة المختلفة على توطين البادية وتهيء لهم مراكز للاستقرار ، وتتيح لهم ممارسة بعض الانشطة الزراعية التى تربطهم بمراكز التوطين ، على أن يتم كل ذلك بموجب تخطيط منظم ومدروس حتى تحقق الفائدة من مثل هذه المراكز ، وعلى وسائل الاعلام أن تقوم بمجهود كبير لتوعية سكان البادية وارشادهم وتوجيههم ، بشرح محاسن الاستيطان وترغيبهم فيه ، وبهذه الطريقة يمكن أن يقل اعتماد البدوى على الفتاة ويصبح لديها وقت فراغ ، لابد أن يستغل فى عمل مثمر ، بالاضافة الى أن الزراعة سوف تقلل من اعتماد البدوى على الماشية التى تحتاج الى عناية ومتابعة مستمرة . عندها يمكن أن يقبل البدوى بفكرة تعليم الفتاة بعد أن يهدأ ويستقر وتتحسن موارده الاقتصادية نتيجة لتعدد الانشطة ، ويبدأ البدوى عندها يعدل عن فكرة الربط بين الفتاة والناحية الاقتصادية التى تقوم فيها هذه الفتاة بالدور الاكبر . ان هذه الفكرة تحتاج الى تضافر عدد من الاجهزة والمصالح الحكومية وكل منها يقوم بالدور الملائم اذا أردنا لها النجاح.

ثانيا : تغير السلطة السياسية فى القبيلة :

تعرفنا فى فصل سابق ونحن بصدد دراسة النسق السياسى فى قبيلة

بنى كبير الى الوظائف التى كان يمارسها شيخ القبيلة باعتباره السلطة السياسية العليا فى المجتمع ، ورأينا كيف كان هو صاحب الرأى الاخير فى كل مشكلة تطرأ وفى كل قرار . وهـو وان كان يجمـع مجلس القبيلة للتشاور فى الأمر . الا أنه كان يعود اليه الرأى الأخير وله حق البت فى كل الامور . وذكرنا أيضا أنه كان لديه سجن خاص يعاقب فيه الخارجين عن القانون ويتخذ ضدهم الاجراءات المناسبة مع ما اقترفوه ، وأنه كان يصل اليه فى كل مناسبة أموال من أفراد القبيلة فى شـكل هدايا بمناسبة الاعياد وفى المناسبات الاخرى كالزواج والضيافة وغيرها . وكانت هذه الاموال تستخدم فى الانفاق العام على بعض مستلزمات القبيلة ويتوفر له منها الشىء الكثير .

ثم ذكرنا أن سلطات الشيخ بدأ تسير نحو الضعف بعد ظهور الحكم السعودى فى المنطقة وخصوصا عندما تأسست أول امارة ومحكمة فى قرية اسمها (الظفير) فى سنة ١٣٥٣ هجرية والظفير هذه ليست الظفير احدى قرى بنى كبير ، وانما هى قرية أخرى تقع الى جـوار مدينة البـاحة « العاصمة الادارية الآن لقبائل غامد وزهران ، وتبعد عن بنى كبير بما يقرب من سبعة عشر كيلو متر الى الشمال . هاتان الادارتان بدأت تتحمل عن شيوخ القبائل الاعباء ، فلم يعد شيخ القبيلة مثلا بحاجة الى سجن خاص ولم يعد بحاجة الى الاجتهاد فى اصدار الاحكام ففى امارة الظفير أمير معين من قبل الملك عبد العزيز آل سعود آنذاك وفى المحكمة قاضى يحكم بين الناس فى خصوماتهم ، فلم يعد هناك حاجة الى (النقا) والى تقديم بديل عن الجانى الاصل لينال العقاب بدلا عنه . كما أن وجود الامارة فى هذه المنطقة قد ركز دعائم الامن فيها وقلل من جرائم السلب والنهب والاعتداءات الاخرى بين الناس ذلك أن السلطة الجديدة المنظمة كانت لديها الامكانات المتيسرة للوصول الى الجانى ومعاقبته . وتقلص دور شيخ القبيلة الى الارشاد فقط والابلاغ عن الاماكن التى تقع فيها الحوادث والمساعدة أحيانا فى الوصول الى الجانى واعتقاله .

وبالتدريج بعد أن فقد الشيخ سلطاته الرئيسية بدأت هيبته تسير

نحو الادنى . وأصبح بالامكان اقامة الخصومة على الشيخ نفسه من قبل أفراد من القبيلة والتحاكم معه أمام القضاء لكن ذلك لم يحدث فى بداية الحكم المنظم لآل سعود فى المنطقة . بل بعد ظهوره بما يقرب من ثلاثين عاما ،وقدأشرنا فى فصل سابق الى الخصومة التى وقعت بين شيخ القبيلة أحمد بن سعيد بن سويعد وقريتى (العباد والحدب) فى قبيلته عندما أراد أن يمهد طريقا للسيارات عبر وادى بنى كبير واعترض على ذلك أصحاب الارض الواقعة على ضفتى الوادى مما اضطرهم فى النهاية الى التقدم للامارة والمحكمة بشكوى ضد شيخ القبيلة وبقيت خصومتهم لاكثر من ثلاث سنوات عرضت أثناءها على أعلى سلطة فى البلاد وجرى الحكم والبت فيها اعتمادا على أمر قضائى .

وقد ادت هذه الى تقلص كبير لدور الشيخ حتى أن سكان هاتين القريتين قاطعوا (سوق الاحد) الذى يقع فى قرية الشيخ مقاطعة تامه مما كان سببا فىاندثار هذا السوق وانتهاء البيع والشراء فيه الى اليوم .

ثم تأسس فى سنة ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م مركز أمارة فى بنى كبير نفسها تابع لامارة منطقة الباحة . وعين لهذا المركز رئيس تقلد كل ما كان يقوم به شيخ القبيلة قبل تأسيسه والذى كان ينحصر فى ابلاغ الافراد بالحضور الى مركز الامارة والمحكمة والشرطة خطيا . حتى هذا أصبح من وظائف المركز الجديد فى بنى كبير . الا أن ذلك لا يعنى أن الشيخ عثمان بن أحمد ابن سويعد الشيخ الحالى لبنى كبير لا يقوم بأى دور بل لا زال السكان هناك يستدعونه للقيام بدور المصلح بين الاطراف المتنازعة . فاذا عجز فعلى الراغب الاتصال بمركز الامارة فى بنى كبير الذى بدوره يحيل دعوى الطرفين الى الامارة ثم المحكمة الشرعية . ولا يزال دور الشيخ قائما من ناحية (التعريف) بأفراد القبيلة لدى الادارات الحكومية . فالمرء عندما يحتاج الى استخراج (حفيظة نفوس) « هوية » لابد أن يحصل على توقيع من شيخ القبيلة بمعرفته له ، وكذا عندما يريد آخر أن يحصل على مرتب من (الضمان الاجتماعى) فى المنطقة لابد من عرض حاله على الشيخ ليقرر استحقاقه لذلك من عدمه . وهكذا ..

الذى يمارسه الان (همزة وصل) بين الافراد والسلطة المركزية فى المنطقة ٠

الا أنه لا يزال يتمتع باحترام وتقدير كبير من كل الافراد فى علاقاته المتبادلة معهم ،وذلك يعود الى أن الشيخ/عثمان سعى ولا يزال يسعى بكل جهده وطاقته الى رفع مستوى الخدمات فى المنطقة عن طريق مطالبته المستمرة وبالحاح للمسؤلين فى الدولة بافتتاح المنشآت والمؤسسات والمصالح الحكومية التى تقدم خدمات جديدة للسكان ، فاليه يعود الفضل فى افتتاح مدرستى البنات الابتدائية والمتوسطة، وهو الذى طالب بتحسين الخدمات الصحية للمستوصف وكذا بانشاء مركز للبريد وآخر للهاتف واللاسلكى ٠ وانشاء شركة للكهرباء بدأت فى العمل والانارة فى الشهر الرابع من سنة ١٣٩٧ هجرية ١٩٧٧ م ٠

ويطالب الشيخ/عثمان أحمد سويعد الآن بانشاء مركز للامارة فى بنى كبير البادية وسوف يتم انشاء مركز للشرطة فى بنى كبير الحاضرة خلال شهرين (تاريخ أجراء البحث) وقد طالب أيضا بانشاء شبكة للمياه وتمت ترسية هذا المشروع وسيبدأ العمل به قريبا وكذا بتخطيط منظم للمنطقة وغير ذلك من المشروعات ٠

والشيخ بهذا — حسب المفهوم الاجتماعى — يقوم بوظائف بديلة عن تلك التى كان يمارسها فى الماضى ٠ وهى وظائف كما نلمس تهدف بالمقام الاول الى النهوض بالمجتمع بمستوياته المختلفة وفى كل مناشطه ٠ وتبعا لتقلص دور الشيخ بدأ دور الفقهاء وعرفاء القرى يفقد أهميته ذلك لان المدرسة حلت محل الفقيه والقاضى الملم بكل الامور الشرعية أفقد الفقيه اجتهاده وبالمثل فان (عريف القرية) أو كبيرها لم تعد له السلطة التى كان يمارسها على الافراد فى السابق واقتصر دوره الى أن يكون (همزة وصل) أيضا بين أفراد القرية وشيخ القبيلة فهو يوقع على

الاوراق قبل الشيخ وهو الذى يبلغ الافراد طلب الشيخ حضورهم الى مركز الاماره •

وهكذا نرى مدى التغير الكبير الذى أصاب البناء السياسى فى القبيلة من القمة الى القاعدة • وقد لاحظنا أنه فى الاونة الاخيرة قد تقع خصومة بين الافراد فى الاسرة الواحدة لم يعد باستطاعة كبير العائلة السيطرة عليها ولا عريف القرية ولا شيخ القبيلة وكثيرا ما تحل مثل هذه الخصومات عن طريق مركز الامارة والمحكمة • وتبعا لضعف البناء السياسى ، سقط حق اعطاء الجوار وعقد معاهدات الصلح بين القبائل وصد العدوان عن (الحمى) • والعزيز — وذلك لان كل هذه الامور كان يسندها البناء السياسى نفسه ويدافع عنها فانحسرت وظيفة الدفاع بتفكك هذا البناء ولم يعد للقانون قوة تسانده وتدعمه • وذلك يعود كما أسلفنا الى ظهور الحكم المنظم والذى قام بالدور الذى كان يمارسه الشيخ ومجلس القبيلة والفقهاء والحكماء وعرفاء القرى والعرف والقانون •

ثالثا : المواصلات :

أ — الطـرق :

قبل خمس وعشرين سنة من اليوم وبالتحديد فى عام ١٣٧٤ هجرية لم يكن مجتمع قبيلة كبير يعرف من المواصلات الا الجمل والحمار وكان أعتمادهم كليا على هاتين الوسيلتين فى مواصلاتهم الداخلية ومع المجتمعات المجاورة • فالجمال كانت تستخدم فى قوافل التجارة بين بنى كبير والمجتمعات الاخرى وخصوصا بين المنطقة وبيشه كما أشرنا عند الحديث عن التجارة فى النسق الاقتصادى • ولقد كان القوم يسيرون لمسافات طويلة (للفرجة) على السيارات التى كانت تصل الى مناطق قريبة نسبيا من المنطقة وخصوصا فى « بالجرش » وكانت رؤيتهم للسيارة هذا « المخلوق الجبار » كما كانوا يسمونه متعة ليس لها نظير • ويعود الرجال من هناك ليحكوا القصص عن هذا المخلوق والذى يسير بسرعة

تفوق سرعة الجمل بل ويستطيع أن يحمل ما يحمله عشرون جمـلا ، ويستطيع أن يسير فى الظلام الدامس بواسطة عينيه السحريتين القويتين والتى تجعل الليل أمامه نهارا • وهكذا كانت تحكى لنا القصص عن هذا المخلوق الغريب ونحن فى سن الطفولة •

ولا زلت أذكر عندما كنت فى الصف الثالث الابتدائى فى عام ١٣٧٣ هجرية قصة هجوم الرجال على (سيارة) بأسلحتهم والتى تتكون من الخناجر والفؤوس والعصى الغليظة • والسبب فى ذلك أن أحد سكان المنطقة المجاورة فى بالجرشى استطاع أن يشترى من احدى المدن سيارة نقل وسار بها عبر الاودية والجبال الى بلدته • وكانت أفضل طريق يسلكها قبل وصوله الى المكان الذى يقصده تعبر أراضى قبيلة بنى كبير فسمع السكان بهذا الامر واجتمعوا فى دار شيخ القبيلة وكان فى ذلك الوقت الشيخ / محمد بنسعيد ابن سويعد ، وقرروا منع السيارة من عبور الوادى بالقوةاذا لم تجد الطرق السلمية ، عندما وصلت السيارة الى أسفل جبل على جانب وادى بنى كبير يسمى (عرق نجيم) وصلت أعداد كبيرة الى هناك طلبت من السائق ومرافقيه ايقاف (الحـديد) وأحيانا يسمونه (الترومبيل) والعودة من حيث أتى ، فلما رفض السائق ومن معه هذا العرض أرغمه القوم على ذلك بضربه وضرب سيارته بما يحملون من أسلحة ، وشكى أقرباء السائق لامارة الظفير هذا العدوان ، فقام أمير الظفير بارسال عدد من (الاخوياء) وهى التسمية التى تطلق على الجنود المرافقين للامير • الى شيخ قبيلة بنى كبير للتعرف على أسباب الحادث فشرح لهم السبب بقوله ان هذا انتهاكا لديرة بنى كبير يقل ضرره طالما أن السيارة تعبر الاودية والجبال • لكنها بعد وصولها الى الوادى سوف تعبر الاراضى الزراعية فى القبيلة وهذا ما لا نوافق عليـــه •

السبب وجيه الى حد ما • لكن الحادثة نفسها استدعت عقاب بعض أفراد القبيلة المحرضين على هذا الحادث وبعث بشـيخ القبيلة الى (بيشه) حيث كانت امارة الظفير تابعة للامارة الكبرى فى بيشه وسجن

الشيخ هناك الى أن يوافق على مرور السيارات من أراضى بنى كبير لكنه أصر على عدم الموافقة وفى نفس الوقت رفض الاهالى أنفسهم الموافقة على ذلك فأطلق سراح الشيخ وتقدمت الامار بمشروع لحل هذا الاشكال وهو أن يدفع لبنى كبير من قبل الحكومة تعويضا ماديا لقاء مرور السيارات بأراضيهم • وبعد مرور حوالى خمس سنوات أصبح الامـــر ميسرا ولأسباب فنية تتعلق بصعوبة هذا الطريق لم يســـتخدم لفترة طويلة وبدأ البحث عن بديل له •

وخلال ثمان سنوات بعد وقوع هذه الحادثة بدأ الناس فى التعرف على السيارات ولم تعد مخلوقا غريبا • حيث وجدوا أنه من الافضل ركوبها بدلا عن الحيوانات التى كانت تقطع المسافة بين المنطقة وأقرب مدينة لهم (الطائف) خلال عشرة أيام بينما السيارة تقطعها فى يوم واحد (قبل سفلتة الطريق بين المنطقة والطائف) وهى مسافة قدرها ٢٨٠ كيلو متر فقط وبعد الانتهاء من سفلتة الطريق فى سنة ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م أصبحت المسافة تقطع بالسيارة فى ثلاث ساعات فقط •

وعندما أدرك السكان أهمية السيارة فى النقل والمواصلات بدأ العمل الجاد فى تعبيد الطرق وتمهيدها وربط القرى ببعضها بمبادرة شخصية منهم دون تدخل من وزارة المواصلات ولم يأت عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م الا والسيارة تصل الى كل قرية فى بنى كبير • وكانت كل قريتين أو ثلاث متجاورة تعمل معا لتعبيد الطريق التى تسمح للسيارات بالمرور • واستخدم السكان فى ذلك وسائلهم الخاصة التقليدية (كالعتلة والمسحاه) واستخدموا الثيران لسحب الحجارة الكبيرة وقاموا بتفجير الصخور الكبيرة بواسطة (اللغب) وهو عبارة عن احداث ثقب بألة حادة مدببة (العتلة) ثم يتم حشو هذا الثقب بالبارود ويدك بعد ذلك جيدا ثم يشعل الثقاب فيـــه فيؤدى الى تفتيت الصخور التى لا يمكن أن يزحزحها الناس بأيديهم من مكانها •

وقد كان الرجال القادرون على العمل يشاركون بأيديهم فيه • أمـــا

النساء فكن يتولين اعداد الاطعمة للعاملين واحضار المياه اليهم . والمشروع هذا فى بدايته تعرض لمشكلة تمثلت فى عدم موافقة بعض ملاك الاراضى الزراعية على السماح للطريق بالمرور من أطراف مزارعهم أما لحرصهم على أملاكهم وعدم التفريط فى شبر منها . واما لانهم يرون أنه ليس هناك فائدة لهم من هذه الطريق . لعدم امتلاكهم لسيارة أو لشعورهم بأنهم ليسوا فى حاجة الى السيارة لنقل محصولهم الزراعى الى خارج المنطقة نظرا لقلة هذا المحصول . ومثل هذه الامور تسوى اما بتعويض هؤلاء عن أجزاء أراضيهم . واما بمبادلة هذه الاراضى مع أراضى لشخص آخر بحيث تنتقل ملكية الأرض الى شخص يسمح بمرور السيارات منها مقابل أن يأخذ مالها الأصلى أرضا فى مكان أفضل أو شبيه بموقع أرضه ومساحتها .

ونظرا للعلاقه الاقتصادية التى كانت قائمة بين مجتمع بنى كبير ومنطقة بيشه التى كانت القوافل تنقل اليها منتجات القبيلة وتحضر منها التمور والحبال والخزف وغيرها من الحاجيات الضرورية . فقد تعاونت القبيلة كلها فى تعبيد طريق يربط المنطقة بيشه ويمر بجبال عالية حتى يصل الى الاودية فى بادية بنى كبير ومنها الى وادى بيشه وقد تم تعبيد هذا الطريق فى عام ١٣٧٩ هجرية — ١٩٥٩ م . وقد تكلف هذا المشروع الكثير من الوقت والمال لكن المصلحة الاقتصادية لهم جعلتهم يصرون على انهاء العمل فى هذا الطريق .

وبانشاء هذا الطريق الى بيشه قل الاعتماد الى حد كبير على الجمال فى نقل البضائع بين المنطقتين ، ذلك لان الوسيلة أسرع وتحمل السيارة أيضا أكثر مما تحمله الجمال ولم يأت العام ١٣٨٥ هجرية ١٩٦٥ م الا وقد انتهت قوافل الجمال بين بنى كبير وبيشه ، وأصبحت فقط تستخدم لنقل الاخشاب من المناطق الجبلية التى لا تستطيع السيارة الوصول اليها والى القرى .

ولما تحسنت أحوالهم الاقتصادية وزادت القدرة الشرائية بدأ الناس

يشعرون بأنهم فى حاجة الى سيارات خاصة يقضون بواسطتها طلباتهم من الاسواق المجاورة وحتى البعيدة . وينقلون اليها أيضا بعض منتجاتهم الزراعية من خضروات وفواكه وحبوب . فبدأوا بشراء سيارات نقل صغيرة لهذا الغرض ، وأصبحت أعداد هذه السيارات كبيرة فى المنطقة وانتشرت قيادة السيارات حتى بين كبار السن وسهلت عملية الاتصال بين هذا المجتمع والمجتمعات المجاورة بل والمجتمع الكبير خاصة بعد انشاء الطريق المسفلت الذى أشرنا اليه والذى يربط المنطقة بمدينة الطائف ومنها الى بقية مدن المملكة .

وفى بادية بنى كبير تأثر البدو بالسيارة الى حد كبير بعد أن كان مرور السيارة بجوار أماكن سكنهم يسبب لهم ولماشيتهم هلعا شديدا خاصة بعد انشاء الطريق الذى يربط بين المنطقة وبيشه فى سنة ١٣٧٩ هـ — ١٩٥٩ م . فقد كان صوت السيارة يجعل ماشيتهم تهرب خوفا من هذا الصوت . والرعاة أيضا يخشون هذا الحديد الذى يسير بسرعة هائلة . ويقول الاخباريون من البدو بأنهم كانوا يختارون مكان اقامتهم ورعى ماشيتهم بعيدا عن أماكن مرور السيارات . وكان البدوى يحذر بناته الراعيات من الاقتراب من طريق السيارات حتى لا يصبن بمكروه نتيجة للاقتراب ، ويقولون أيضا أنه الى وقت قريب كانت رائحة البنزين المحترق فى السيارات تسبب لهم دوارا شديدا وقيئا . عندما تمر سيارة قرب أحدهم .

أما الآن فقد أصبحت الجمال شبه مختفية تماما وأكثر ما يقتنيه البدو اليوم من الابل (النوق) ليس لغرض المواصلات وانما للاستفادة من حليبها فقط ولانها رمز لنوع من الحيوانات عزيز على البدو .

ويقول هؤلاء . أنهم قد اعتادوا على السيارات بل وأصبحت بالنسبة لهم شيئا ضروريا لا غنى عنه خاصة سيارات النقل الصغيره . ذلك لان قلة المياه فى مصادرها الأصلية جعلت سقيا الأغنام أمرا مستحيلا . لان معظم المناطق التى يسكنها البدو لا تتوفر فيها

المياه اللازمة لشربهم وشرب أغنامهم ولذلك فقد اقتنوا هذه السيارات لحاجتهم الماسة لها . فهم ينقلون المياه بواسطة السيارات الى مناطق المسكن بوضع براميل تتراوح سعة الواحد منها بين ٢٠٠ الى ٤٠٠ صفيحة . ولا تنزل هذه الخزانات من السيارة التى تقف الى جوار (الخدر) وعندما تفرغ يذهب البدوى بها الى مصادر المياه العذبة ليملأها من جديد ، وخلال زيارتى لمناطق البدو لم أشاهد خدرا الا وتقف عنده سيارة . عدا بعض خدور قليلة تعتمد على مساعدة الوحدة الاجتماعية البدوية الأقرب اليها فيما يتعلق بالمياه وذلك لان صاحب هذا الخدر اما رجل فقير جدا لا يملك الا بضع رؤوس من الغنم واما لعدم وجود الرجل فى هذا الخدر . ولم يقتصر دور السيارة عند البدو على جلب المياه فقط بل هى التى تحمل الأمتعة والخيام عند الرحيل من منطقة الى أخرى ... والأمر الملفت للنظر — ليس انتشار السيارات بهذه الكمية الكبيرة عند البدو فحاجتهم اليها وقدرتهم الشرائية بعد ارتفاع أسعار الأغنام خلال العشر سنوات الأخيرة ، وقلة مصادر المياه أمور جعلت وجود السيارات ضرورة عند البدو .

ولكنى عندما كنت فى زيارة للبادية فوجئت بأن الفتيات هناك يقدن السيارات بدرجة كبيرة من المهارة حتى أن أغلبهن اليوم يقمن بهذه العملية باتقان شديد ، وعندما سألت عن هذه الظاهرة قالت أحداهن : الأرض لدينا كما ترى واسعة ومنبسطة لا حركة فيها . ثم أن السيارات متوفرة ، اضافة الى أن الرجال ليسوا هنا باستمرار ، فنجد أنفسنا فى حاجة الى الماء أو الانتقال . فليس أمامنا الا أن نقود السيارة بعد تعلم قيادتها وذلك تحسبا لمثل هذه الظروف وحتى لا تتعرض ماشيتنا للهلاك ونحن فى انتظار السائقين الرجال . وهذا لا يعنى بطبيعة الحال « أن سكان بنى كبير البادية أو أن المرأة هناك قد تجاوزت مرحلة » البداوة « عندما مارست قيادة السيارات » بل أن الأمر لا يعدو (استعارة عنصر ثقافى) وأعنى به قيادة السيارات لاشباع حاجة لدى البادية فالسائقات قد ذكرن أن الحاجة هى التى دعتهن الى تعلم

القيادة وليس هناك سبب آخر • وكما ذكر فان هذه الممارسة تهدف فى المقام الاول الى خدمة الماشية التى يعتمد عليها البدو اعتمادا كبيرا فى حياتهم •

وقوانين السير فى المملكة العربية السعودية لا تجيز للمرأة أيا كانت جنسيتها قيادة السيارة ولا تمنح للمرأة تصريحا بذلك لأن مكانة المرأة وكرامتها تقتضى ذلك ، وخروجها الى الشوارع والطرقات بغرض قيادة السيارات يعرض هذه المكانة للاهتزاز ويثير حولها الشبهات والفتن • وعلى هذا فان قيادة البدويات للسيارة مخالفة للنظام والقانون ، غير أن البادية دائما بعيدة عن نظام المرور « والبدوية تقود السيارة فقط داخل الحى أو المضارب كما يسمونها • ولا مانع أن تخرج قليلا عن نطاق الحى اذا كانت مصادر المياه نائية عنه أو دعى الأمر انى الانتقال الى مكان آخر •بحيث لا تسير بسيارتها فى الطريق العام والذى يكون عرضه لرقابة المرور • واذا حضر الرجال قاموا بدور قيادة السيارات وعادت المرأة الى ممارسة أعمالها الرئيسية والتى تتمثل فى رعى الأغنام والقيام بكل الأعمال المتعلقة بالماشية واعداد الطعام •

ب ـ البريد والهاتف :

لم يكن مجتمع بنى كبير يعرف البريد والمراسلات سواء منها الداخلية أو الخارجية الا ما كان متاحا • أما المهاجرين عن المنطقة والذين كانوا يبعثون برسائلهم ومعها النقود لذويهم مع المسافرين الذين كانوا يعودون الى المنطقة فى الأعياد والمناسبات الخاصة • وكانت تستغل فرصة حضورهم الى المنطقة ليبعث المغتربون برسائلهم الى ذويهم • والعكس عندما يهمون بالعودة الى مناطق عملهم يحملون رسائل عدة وهدايا من ذوى المهاجرين عن المنطقة • وكانت قوافل الجمال أيضا تحمل الرسائل الخاصة المكتوبة والشفوية من المنطقة الى المناطق التى تصل اليها هذه القوافل • أما من كان مهاجرا الى مناطق نائية لا تنشط اليها حركة الهجرة والهجرة

الاردنية الهاشمية) فى سنة ١٣٣٠ هـ أربعة أفراد من قرية المعبادل ومكثوا هناك حتى ١٣٦٠ هـ أى ثلاثين عاما • دون أن يعرف ذووهم عنهم شيئا منذ السفر الى حين عودتهم ، وفى هذا دليل على أن البعض من سكان المنطقة لا يهتمون كثيرا بالمراسلة والسؤال عن ذويهم أو لأن وسائل الاتصال كانت معدومة تماما •

ولقد كان من المناسبات السعيدة فى المنطقة المناسبة أن يصل الى المنطقة أحد المهاجرين • فعندما يسمع السكان عن وصوله يفد الى منزله عدد كبير من الرجال والنساء كل يستفسر عن قريبه وتستمر هذه العملية عدة أيام • لان مثل هذا الشخص هو المصدر الوحيد والهام لنقل أخبار المهاجرين •

واستمر الحال كذلك الى حين افتتاح (مركز البريد) فى « بالجرشى » قبل حوالى (٢٠) عاما فبدأ يربط المهاجرين بذويهم فى المنطقة والعكس • وكان على السكان مراجعة بريد بالجرش لاستلام رسائلهم أو ارسالها الى خارج المنطقة • ثم خصص لكل منطقة شخص سمى بـ (متعهد البريد) كان يذهب الى بالجرش مرة واحدة فى الأسبوع يحمل معه الرسائل المسافرة ويعود بالقادمة الى المنطقة • وكانت وسيلته فى البداية لحمل هذه الرسائل (الحمار) • وعلى أى حال فقد كان لهذا المركز البريدى دور جيد فى الربط بين المهاجرين وذويهم فى المنطقة • وبالتالى كان لمتعهد البريد أهمية خاصة لدى سكان المنطقة تتمثل فى السؤال عنه وتتبع أخباره وما يحمل من رسائل أسبوعية •

أما فى عام ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م فقد تم انشاء مركز للبريد فى بنى كبير

وزود هذا المركز بسيارة خاصة لأغراض البريد وعـين له « موزع » مكلف بايصال الرسائل الى البيوت وفى نفس الوقت يستقبل المركز رسائل السكان الى خارج المنطقة ، ومنذ هذا التاريخ عرفت المنطقة البريد المنظم وبدأت علاقتها بالخارج تأخذ شكلا أكثر حيوية وتنظيما عندما أصبح بامكان سكان المنطقة الاتصال عن طريق البريد بكل مدن المملكه وحتى بالعالم الخارجى •

ورغبة من الحكومة فى توفير سبل الاتصال بين المنطقة وبين بقية أجزاء المملكة وحتى بالعالم الخارجى فقد تم انشاء أول (شبكة للهاتف) فى بنى كبير فى سنة ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م ، وبطبيعة الحال فقد زاد الهاتف العلاقة بين المنطقة والخارج قوة • وشهد مركز الهاتف اقبالا شديدا من السكان ونشاطا غير عادى وأصبح بامكان السكان الاتصال فى أى وقت بمن شاءوا وفى أى وقت ، وقد سهلت هاتان الوسيلتان الخدمات فى المنطقة وعلى أثرها نشطت التجارة فيها لان تجار المنطقة أصبح بامكانهم طلب البضائع من مصادرها عن طريق الهاتف • مما يسهم بشكل كبير فى سرعة وصولها الى المستهلك وأصبح بامكان السكان أيضا متابعة ما يجرى خارج المنطقة من أحداث والتعرف عليها فى دقائق • بعد أن كان ذلك يستغرق وقتا طويلا • ومن غير شك فان وسائل الاتصال هذه قد زادت من عملية سرعة التغير فى المنطقة ونموها بشكل ملحوظ اضافة الى دخول الكهرباء ووصول البث التليفزيونى الى المنطقة •

(جـ) وسائل الاتصال :

أشرنا فى بداية هذا الفصل الى أن سكان المنطقة لم يعرفوا « الراديو » كوسيلة للتعرف على أخبار العالم الخارجى الا منذ (٢٨) سنة فقط ، وقلنا أن سكان القرى من الرجال والنساء كانوا يجتمعون فى البيت الذى يتوفر فيه جهاز الراديو للاستماع الى ما يبثه من أخبار وأغان وبرامج أخرى • ومن غير شك فان لانتشار أجهزة الراديو بعد

ذلك أثر على تغير بعض المفاهيم السابقة عند السكان عن طريق ربطهم بالعالم الخارجي والتعرف الى أخباره وما يجرى فيه من أحداث ، لكن الراديو حتى قبـل عشر سـنوات كانت له أهمية من ناحيتين : الأولى نشرات الأخبار والثانية الأغانى ولم يكن يلتفت السكان الى أكثر من هاتين الفقرتين ، فالبرامج العلمية والثقافية لم تكن لها أهمية تذكر ، ولم تكن تشد « المستمع » الى جهاز الراديو كمـا هو الحـال بالنسبة للأخبار والأغانى ومتابعة الوصف التفصيلى لمباراة فى (كرة القـدم) من قبل الشباب وقد توصلت الى هذه النتيجة بعد أن سـألت بعضا من سكان المنطقة منهم (٦) نسـاء تتراوح أعمـارهن بين ٢٠ : ٥٠ عاما وقلن جميعا أن الذى يشدهن الى الراديو الأغانى فقط بينما ذكـرت إحداهن (المسلسلات اليومية) اما الرجال الذين تمت مقابلتهم كل على حدة وتراوحت أعمارهم بين ١٨ : ٦٠ عاما فالشباب منهم يهتمون بالمقام الأول بأخبار الرياضة والمباريات وخاصة كرة القـدم بالاضـافة الى الأغانى المختلفة التى يسمعونها عن طريق جهاز الراديو وقليـل منهم يهتم بالأخبار • الا عند الأحداث الهامة فكلهم أجمعوا على سماعها •

التليفـــزيون :

لم تعرف بنى كبير الكهرباء الا فى ١١ / ٤ / ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م حيث بدأت الانارة الفعلية لشركة كهرباء بنى كبير الأهلية فى هذا اليوم • فلم تكن الكهرباء معروفة فى هذه المنطقة الا عن طـريق (مولدات خاصة) فى بعض المنازل وبأعداد قليلة جـدا ولم تكن هـذه المولدات معروفة الا منذ عشر سنوات فقط « أى من سنة ١٩٦٧ » وهذا بالنسبة لسكان بنى كبير الحاضرة • أما بنى كبير البـادية فلا يعرفون الانارة الا عن طريق (الأخشاب) وقليل من « الفوانيس » التى يسـتخدم (الكيروسين) وقودا لها •

وبنى كبير الحاضرة حسبما ذكر الاخباريون لم يعرفوا البيروسين والفوانيس الا من « ٣٠ » عاما فقط قـد كانت هـذه « الفـوانيس

والاتاريك » [1] بأعداد قليلة جدا ولدى بعض الأسر • وكان السكان يعتمدون فى اعداد الطعام والانارة على (الحطب) والذى يحصلون عليه بعد قطع الأشجار وتعريض السيقان والفروع للشمس لتجف• وقد كانت النساء يقمن بالدور الأكبر فى هذه العملية • فقط كان الرجل يقطع ساق الشجر الكبيرة بـ (الفأس) ثم تأتى المرأة لاكمال العملية واحضار الحطب الى الدار • اما بحمله على رأسها واما على الحمار • ومنذ عشرين عاما فقط عرف السكان (وابور الغاز) ويسمونه (دافور) حيث بدأ استخدامه لاعداد الطعام أحيانا ثم انتشرت معه الفوانيس والاتاريك الى أن عرفوا فى السنوات الأخيرة (كلوب الغاز) ثم المولدات الخاصة ثم شركة الكهرباء المساهمة الأهلية والتى دعمتها الدولة بمبالغ كبيرة • [2] ومن غير شك فان دخول الكهرباء الى المنطقة ، قد أحدث تغييرات جديدة وعميقة على الحياة الاجتماعية لدى السكان [3] وبدخول الكهرباء الى جميع المنازل تقريبا فى بنى كبير الحاضرة ، بادر الناس الى شراء أجهزة التليفزيون وخصوصا بعد تقوية ارسال التليفزيون بانشاء محطة تقوية جديدة فى المنطقة فى مدينة (الباحة) وأصبح بالامكان مشاهدة البث العام لبرامج التليفزيون من العاصمة (الرياض) وبذلك أصبح سكان المنطقة على علم تام بما يدور فى العالم بالصوت والصورة ، وأحدث ذلك تغيرا طارئا وسريعا فى عدد من أنماط الحياة الاجتماعية كما سنوضح ذلك فى الفصل التالى •

الصحافة :

لم تحظ الصحافة بعد بالاهتمام الذى حظى به الراديو والتليفزيون بالمنطقة • ذلك أن السكان هناك ليست لهم ميول واضحة لقراءة الصحف ويرجع السبب فى ذلك الى انشغال معظم « قراء الصحف » وأعنى بهم

---

(١) اتريك يقابلها المصباح الذى يضاء بالكيروسين والغاز . (كلوب) .

(٢) ستنضم هذه الشركة الى شركة الكهرباء المركزية فى المنطقة (الباحة) .

(٣) انظر الفصل التالى — آثار التغير .

من كانت لديهم القدرة على ذلك ، لان كبار السن فى الغالب لا يعرفون القــراءة والكتابة . وان عرف البعض منهم فليس بمــا يؤهله لقراءة الصحف . فأما القادرون على القــراءة فهم من الموظفين والمدرسين فى مدارس المنطقة ويعود هؤلاء الى منازلهم بعد الظهر ثم يباشرون أعمالا خاصة بعد ذلك لفترة قد تمتد الى الثامنة مساء ويعودون الى منازلهم لمشاهدة التليفزيون الذى يمتد ارساله الى الواحدة صباحا فى معظم أيام الاسبوع ، وهذا هو أحد الأسباب فى عدم الاقبال على قراءة الصحف ، ولعل من بين الأسباب الاخرى أن الصحف تصدر فى مدن الرياض وجدة ومكة المكرمة . ولا تصل الى المنطقة فى الوقت المناسب لبعد المســافة بينهم وبين مصادر الصحف فأحيانا تصل بعد الظهر وأحيانا فى اليــوم التالى اضافة الى عدم اهتمام هذه الصحف بمراكز التوزيع هنــاك . ويقول معظم الذين تمت مقابلتهم من الشباب ـــ ولعل هذا أهم أسباب العزوف عن قراءة الصحف ـــ أن الصحافة لا تأتى بشىء جــديد فهى تكرار لما سمعناه من الاذاعة والتليفزيون من أخبار ، وليس فيهــا من الموضوعات ما يشدنا الى قراءتها ، وحتى أخبــار المنطقة ومشــاريعها ومطالبها لا تنال اهتماما ـــ على حــد قولهم ـــ فى صحافتنا المحلية ـــ هذه الأسباب مجتمعة أدت الى عدم الاهتمام بقراءة الصحف ، وأود أن أضيف سببا آخر لم يذكره هؤلاء، وهو أنه ليست لهم اهتمامات خاصة تشدهم الى الصحافة فاهتمامات الشباب هناك لا تتعــدى الرغبــة فى (جمع المال) وحفلات السمر فالوقت موزع بين العمل الحكومى والعمل الخاص وحفــلات السمر وخاصــة يومى الأربعــاء والخميس من كل أسبوع ـــ لأنه بنهاية دوام يوم الاربعــاء تبدأ الاجــازة الرسمية فى المدارس والمؤسسات والمصالح الحكومية وتمتد الى صباح يوم السبت ـــ اذا فالاهتمام بالمجالات الثقافية والعلمية ومتابعة الأحداث السياسية . أمر غير وارد عند معظم شباب المنطقة . ولهذا فان دور الصحافة كوسيلة من وسائل الاتصال والثقافة لا يزال ضعيفا حتى الآن .

رابعا ـ الخدمات الصحية :

الاهتمام بالناحية الصحية (قبل تدخل الدولة وانشاء المستشفيات والمستوصفات فى المنطقة) كان مصدره (الطب العربى) الذى يعتمد فى علاج المرض (على الأعشاب والحمية والكى) هذا بالنسبة لأمراض العيون والعظام والأمراض النفسية والعصبية وأمراض الجلد . أما الأمراض الخطيرة والمعدية (كالكوليرا والجدرى والحمى الشوكية وحتى الحصبة) وما شابه ذلك من الأمراض الشديدة الخطر فلم يعرف السكان لها علاجا فى الطب العربى ، وأقصى ما كانوا يفعلون هو « عزل المريض » حتى لا تنتقل الاصابة الى الآخرين ويشرف عليه أحد أفراد الاسرة فيما يتعلق بالطعام والنظافة .

ولم يعرف مجتمع بنى كبير (السحر) كعلاج للأمراض كما هو السائد فى معظم المجتمعات البدائية . وعرف بدلا من ذلك « الرقية » وهى عبارة عن كتابة بعض آيات من القرآن الكريم على ورقة توضع فى قطعة من (جلد حيوان) وتخاط ثم تعلق فى الرقبة لتقى حاملها شر (العين والحسد) أو لتكون له حصنا من الأمراض ، وكان (الفقهاء) هم المتخصصون فى هذا ، أو يتلو الفقية بعض آيات من القرآن الكريم على قليل من الماء فى اناء نظيف ، يشرب المريض منه ويدهن جسمه بالباقى حتى يشفى من المرض ..

أما أمراض العيون (كالرمد) فقد كانوا يعالجونها بالأعشاب ، حيث يتم أخذ عصارة من عدة أعشاب . ثم تقطر فى عين المريض ، وأحيانا يبخر المريض على نوع من الأعشاب يعتقدون أن دخانه يشفى العين من الاصابة ، وكانوا يعتمدون الى حد كبير على (الكحل) كعلاج أساسى فى سبيل شفاء العين من الأمراض . وكانت كل أسرة تمارس هذا النوع من العلاج ولم يكن له متخصصين اشتهروا فى هذا الميدان اللهم الاعدة أفراد لا يتجاوزون الخمسة كانوا متخصصين فى علاج (ابيضاض سواد العين) . وكان يسمى من يعالج هذه الاصابة بـ (القاشى) أى الذى يقشو البياض من العين ؛

ووسيلته فى ذلك ورق (الحمـــاط ـــ التين) حيث يتم فتح عين المريض الى أقصى حد ، ثم يدخل جزء من ورقة التين الى مكان البياض وتحرك الورقة برفق الى أن يظهر الدم • وتوضع كمية قليلة من الكحل وأحيانا (صفار البيض) داخل العـــين ، ثم تعصب العين بقطعة من القمـــاش وتبقى كذلك لمدة أسبوعين تقريبا ، ويأتى القاشى بعد ذلك ليرفع القماش عن العين ، ونسبة الشفاء بهذه الطريقة كانت لا تتجاوز ٢٥ ٪ كمـــا يقول الاخباريون ، ولم يكن القاشى هـــذا يتقاضى اجرا لقـــاء عمـــله بل كان يقوم به تطوعا • وعرف السكان نوعا من « القطره » استخدموه لعلاج الرمد ، يسمونه (الباردة) وهو عبارة عن حبوب تذاب فى الماء ويتحول لونه بعد ذوبانها الى أحمر (يشبه الى حد كبير الميكروكروم) ثم يقطر فى العين صباحا ومساء ، وكانت هـــذه الصبغة تشـــترى من (العطارين) الذين يبيعون البخور والعطور وأدوات الزينة •

وهناك ملاحظة هامة وهى أنه كان (يحظر) على أى شخص رجل أو امرأة تفوح منه رائحة العطور ، الاقتراب من المريض ســـواء كان مرضه فى العين أو فى أى جزء آخـــر من الجسم ، لانهم يعتقـــدون أن الروائح تضاعف المرض • وخصوصا عندما يكون المرض بسبب جرح أو كسر ، ولذا فهم يتخذون احتياطات لمنع دخـــول من كان على هـــذا النحو • على مريضهم ، ولايزال معظم كبار السن يعتقدون بهـــذا الى اليوم ، وعندما سألت معظمهم عن السبب فى هذا لم أجد الاجابة لديهم بل اكتفوا بالقول بأنهم (يعرفون أن فى ذلك ضررا على المريض) •

أما الكسور التى تصيب البعض فقد كان هناك أخصائيون لهـــا ويسمى الشخص الذى يمارس هذا النوع من الطب (المجبر) ويعتمد مجبر العظام على وسائل بدائية تتلخص فى أنه عند الاصـــابة بكسر فى عظام الجسم يبدأ المجبر تحسس مكان الكسر ليحدد مكان الاصـــابة ثم يدهن موضعها (بالسمن البلدى) ويحضر أنواعا من الخشب يقطعها بالمنشـــار حسب الحاجة ثم يضـــعها على مكان الكسر بحيث تكون من

جهتين أو ثلاث ويشدها بقطع من القماش . ثم ينصح المريض بعدم الحركة وأن يتناول كميات كبيرة من (صفار البيض واسمن البلدى) لانه فى هذين الصنفين — البيض والسمن — شفاء للكسور ويضاف اليهما أحيانا (عسل النحل) ويبقى المريض على هذا النحو مدة تتراوح بين أسبوعين وثلاثة شهور حسب الحالة . يعوده المجبر خلالها مرات عديدة ليدهن مكان الكسر ويعيد الرباط عليه . ويثق السكان فى هذه الطريقة وفى المجبر الى الآن أكثر من ثقتهم فى (طبيب العظام والجبس) والمستشفيات . وفى حالات كثيرة عند حدوث كسر فى أى عضو نتيجة لحادث وقع أو حادث سيارة لا يوافق أهل المريض على بقائه فى المستشفى ويتم اخراجه واجراء عملية التجبير بواسطة أخصائى التجبير فى المنطقة . ويبدو أن مهارة هؤلاء جيدة فعلا ، وقد تتبعت « عشر حالات » تمت معالجتها بالتجبير بواسطة (الطب العربى) وكان نجاح هذه الحالات العشر ١٠٠ ٪ ، ويقول الاخباريون بأن جميع حالات التجبير ناجحة ماعدا ما كان الكسر فيها فى الظهر أو الجمجمة .

علاج الأمراض النفسية والعصبية :

الأمراض النفسية والعصبية كان يقوم بعلاجها أشخاص اشتهروا بمهارتهم فى هذه الحالات ، ولا يعترف سكان المنطقة بتسمية المرض بـ (نفسى أو عصبى) أو أنهم لم يعرفوا هذه التسمية الا مؤخرا مع انتشار (الطب الحديث) وكانوا يسمون من لديه حالة نفسية أو عصبية (مجنون).. ويقول الاخباريون أنه كان يشتهر بعلاج حالات الجنون الفقيه (...) من قرية العبادل ، ويذكرون أنه كانت لديه قدرة جبارة فى علاج حالات (الجنون) ويؤكد الاخباريون أنه كانت لديه القدرة على (استخدام مجموعة من الجن) يسيطر عليها ، وأنهم كانوا يسمعونه وهو يخاطب هذه المجموعة ويناقشها ، بل يؤكدون أنهم كانوا يسمعون حركة الجان وأصواتهم عندما يستحضرهم هذا الفقيه ، وأحيانا كان يبعث بنفر منهم ليطارد من يسترق السمع عليه من سكان

انقرية ، فى حين أن الاخباريين لم يسجلوا حادثة ايذاء واحدة تعرضوا لها أثناء هذه المطاردة . ويقولون بأنه كان يهدف بذلك الى ارهابهم للكف عن استراق السمع فى حالات الحضرة .

وتتلخص طريقـةُ (الفقيه) فى العلاج . بأنه كان ينفرد بالمريض وأحيانا على مرأى ومسمع من أهـل المريض ، فيربط خنصرى المريض الأيمن والأيسر بحبل رفيع ، ثم يبدأ فى استجواب (الجن) بأسئلة كان يقول له : ما اسمك ؟ ومن شيخك ؟ والى أى جهة تنتمى ؟ ولماذا تعرضت لفلان أو فلانة ؟ وقال الاخباريون ان (الجنى أو الجنية) حيث ان الذكر من الجان يرافق الاثنى من الانس والعكس . كان يجيب على أسئلته ، وقالوا ان صـوت المريض كان يتغير ، وتحمر عينيه ويبدأ الصراخ والضرب لكنه أمام « الفقيه » لا يستطيع أن يفعل شيئا من ذلك ، واذا عرف الفقيه الجهة التى ينتمى اليها (الجان) استخدم نفوذ من كان تابعا له من الجان لدى الطرف الآخر ليبتعد الجان عن هـذا الشخص أو هذه المرأة بالطرق — السلمية — فاذا عجز عن ذلك اضطر الى القضاء على المعتدى . وذلك بأن يحجز المريض فى غرفة خاصة مظلمة ويقدم له طعاما قليلا ونوعية رديئة منـه . تنحصر فى أقراص من البر بدو ملح مع قليل من الماء . ويبـدأ يتلو على المريض شـيئا من القرآن مع أدعية وتراتيل خاصة ويستمر على ذلك لمـدة طويلة . ويذكر الاخباريون بأن أشد ما يضايق « الجان » احضار قليل من شجر (الزقوم) وهو كثير فى المنطقـة مع قليل من « فضـلات الكلاب » ثم توضع على فحم مشتعل ويبخر عليها المريض بمعرفة الفقيه . حيث يبدأ الجان فى الصراخ والاستغاثة والقسم بأغلظ الايمان بعدم العودة الى المريض أو المريضة ، وأحيانا كان يبر الجان بقسمه وأحيانا لا يفعل . فان لم يفعل — وهى طريقة سلبية كما أشرنا — لجأ الفقيه الى استخدام نفوذه لدى فئة الجن التابعة له (لتقتل المعتدى) وفى كلتا الحـالتين كان المريض يعود الى رشده وتبدأ صحته فى التحسن ليعـود طبيعيا كامل القوى كما كان . على حد قولهم .

التى ذكرناها وقد تجاوز أصحابها السنة « الخامسة والخمسين » من العمر « وتمت مقابلتهم حيث أبدوا ما ذكر الاخباريون من قدرة هـذا الرجل على علاج حالاتهم ، لكنهم لم يستطيعوا وصف حالتهم أثنـاء المرض وكل ما استطاعوا تذكره القول بأنهم كانوا أحيانا يفيقون لعدة دقائق • فيعرفون أنهم فى مكان مظلم • والحالات الخمس هذه يتمتع أصحابها بصحة جيدة وبقـدرات عقلية عادية وتزوجـوا وأنجبوا • (أربعة رجال وسيدة واحدة) وأشاروا الى أنه بعد أن أعـلن الفقيه شفاءهم لم تعاودهم الحالة مرة أخرى الى تاريخ مقابلتهم •

أما بالنسبة لأمراض الجدرى والكلوليرا والحصبة • فقد كانت تفتك بأعداد كبيرة من سكان المنطقة فبالنسبة للجدرى فقد أصيب به عدد منهم ولاتزال آثاره بادية على وجـوههم الى اليوم • وقد قضى على كثيرمنهم وكان انتشاره سريعا لدى وقوع اصـابة فى أى قرية من قرى بنى كبير • ذلك أنهم لم يعرفوا « لقاح الجدرى » الا مؤخرا •

(والحمى الشـوكية) كانت من الأمـراض الفتـاكة وقد ذكـر الاخباريون أنه قبل ستين عاما أى فى سنة ١٣٣٠ هجرية ١٩٢٠ م قضت الحمى الشوكية فى قرية العبادل وحـدها على أكثر من عشرين رجـلا وثلاث عشرة امرأة • وكانوا يسـمون هـذا المرض بـ (الشـمام) وأعراض الشمام حسب تسـميتهم توافق أعراض الحمى الشـوكية تماما • وذكر الاخباريون وفيات كثيرة من مرض (الطاعون) • ولعـل من أهم أسباب ذلك هو عدم توفر الحصانة الطبية ضد هذه الأمراض ، بالاضافة الى أن مصادر الشرب من الآبار المكشوفة عرضـة للتلوث اضافة الى عدم عزل المريض كلية عن أفراد الأسرة • فقد كان يسـمح للبعض بزيارته وهو مصاب بأحد هذه الأمراض فتنتقل العـدوى الى

السليم وينقلها بدوره الى أفراد أسرته وهكذا •• وعندما بدأت الهجرة الى المدن اكتسب البعض من المدن أو تعرف هؤلاء الى (الحقن فى العضل والوريد) وعادوا ليمارسوا (مهنة الطب) الحديث باستخدام الحقن والأقراص وخصوصا حقن البنسلين والنوفالجين وأقراص الاسبرين والفيتامينات ، وكان هؤلاء يقومون بجولات فى بنى كبير الحاضرة والبادية لاعطاء هذه الحقن ، ولانها ربما تقضى على الداء مصادفة وجد هؤلاء رواجا لمهنتهم واستحقوا لقب (دكتور) من قبل سكان المنطقة وخصوصا (البدو) وأصبح هؤلاء يحقنون المريض (بالنوفالجين) لتخفيض درجة الحرارة و « البنسلين » عندما يكون مصابا بجروح أو بثور • (ولم يعرف هؤلاء أن هناك حساسية لدى البعض من البنسيلين الا مؤخرا) ولعله قد حدثت وفيات من جراء هذا الاسلوب لم يذكرها ممارسو هذه المهنة الحديثة •

ولم يدم الأمر كذلك فقد أولت حكومة المملكة العربية السعودية المجال الصحى عناية طبية فى المنطقة فبالاضافة الى افتتاح مستوصفات ومستشفيات فى أماكن قريبة من المنطقة فقد تم انشاء مستوصف فى بنى كبير فى عام ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م زود (بممرض فنى) مهمته اعطاء الحقن التى توصف للمرضى من قبل الطبيب فى بالجرشى أو فى أى مكان آخر • وصرف بعض الأدوية وخاصة الاسعافات الأولية ، واستمر هذا المستوصف فى التطور حتى زود مؤخرا بقابلة وممرض وممرضة •

وقبل انشاء مستوصفات فى المنطقة والمنطقة المجاورة لها وتزويدها بالأطباء والمرضين والقابلات كانت تحدث وفيات عديدة عند الولادة ، ذلك أنه لم تكن لدى السكان وسيلة لاخراج الجنين الذى تعسرت ولادته ، فليس أمامهم سوى الانتظار وقد يطول هذا الانتظار أحيانا فتموت الأم والجنين ، أو يحدث نزيف عقب الولادة يؤدى الى الوفاة وهذا لم يعد يحدث الآن بشكل كبير كما كان عليه فى السابق نتيجة للخدمات الطبية المتاحة فى بنى كبير والمناطق المجاورة لها ••

وبطبيعة الحال فان للاتصال مع المجتمعات الاخرى وخصوصا فى المدن أهمية طبية فى انتشار الوعى الصحى لدى سكان بنى كبير كما أن للمستوصفات والمستشفيات وانتشار وسائل الاعلام المختلفة أثرها البالغ فى انتشار هذا الوعى • والاخذ بالقواعد الصحية ، ووجد الاباء والامهات الفرصة أمامهم متاحة للمراجعة بأطفالهم الصغار لهذه المؤسسات الصحية ، واعطاء الطعم المضاد لعدد من الامراض كالجدرى والحصبة والكوليرا أو الحمى الشوكية وغيرها • فلم تعد هذه الأمراض متفشية كالسابق • كما أن انشاء مستشفى للامراض النفسية والعصبية فى مدينة (الطائف) التى تبعد عن المنطقة بحوالى (٢٨٠ كم) ووجود (خط أسفلت) يربط المنطقة بالطائف قد سهل عملية نقل المرضى بهذا النوا من الامراض الى المستشفى المذكور فى زمن لا يتجاوز ثلاث ساعات • كما أن مدارس البنين والبنات فى المنطقة بدأت تطلب منذ انشائها شهادة خلو من الأمراض وأن يكون الطفل والطفلة قد استكملا التطعيمات اللازمة ضد عدد من الامراض السارية والمعدية، وهذا بدون شك شرط ممتاز وضع الاهالى أمام الامر الواقع • فمن رغب فى تعلم ابنه فعليه باكمال هذه الاجراءات والا فقد مكانه فى المدرسة ، وهذا بدوره جعل الاسرة تسعى الى مراجعة المستشفيات والمستوصفات لاجراء التطعيمات اللازمة لبقية أفراد الاسرة الصغار ، وبث الوعى الصحى داخل الاسرة بطريقة الزامية ، ورغم ذلك فانه لا يزال الى يومنا هذا (بعض كبار السن) يعارضون طرق العلاج الحديثة ، بل يعتقدون أن انتشار الحقن والاقراص ومصل التطعيم ، هى وسائل تؤدى الى تدهور الصحة العامة ولا يزالون يذكرون كيف كانت صحتهم عندما كان الفرد فيهم يعتمد فى غذائه على (اللحوم والشحوم والسمن البلدى والبر والشعير) وعندما كان يصاب بمرض يكثر من هذه الاصناف ويكتوى بالنار فى أماكن الالم •

والبعض من هؤلاء لا يزال يرفض مراجعة المستشفيات الى الآن • ولا يمكن أن يقبل بالذهاب اليه — الا فى حالة ما اذا كان فاقد الوعى غير

قادر على المقاومة والهرب — بسبب الاصابة بمرض اعاقه عن الحركة وأفقده القدرة على المقاومة .

خامسا — التجارة :

كان لانتشار شبكة الطرق البرية ، وكذا ازدهار العمران فى المنطقة ودخول الكهرباء اليها ، ووجود عناصر جديدة من المهاجرين الى المنطقة والتحاق البنات بالوظائف الحكومية ، وتعليم المرأة . أثر كبير على تغيير نمط « البناء الاقتصادى » الذى كان سائدا فى المنطقة .

فانتشار شبكة الطرق البرية ألغى وجود القوافل فاختفت قوافل الجمال التى كانت تنشط بحركة تجارية بين المنطقة ومنطقة بيشه والتى أشرنا اليها سابقا ، ولم تعد الحاجة قائمة الى السلع التى كانت تستورد من بيشه (عداالتمور) فالسيارات بدأت تصل الى كل بيت وكثر اقتناء أنواع السيارات وهى التى استبدلت عوضا عن الجمال . والعناصر المهاجرة الى المنطقة اما للعمل فى المصالح والاجهزة الحكومية . أو للعمل فى المؤسسات والقطاع الخاص ، هذه العناصر فى حاجة الى سلع جديدة خاصة بعد دخول الكهرباء فأصبح هؤلاء فى حاجة الى أجهزة كهربائية مختلفة لاستخدامها فى الحياة اليومية ، والى قطع غيار لهذه الاجهزة المستخدمة . كما أن اعتماد الشباب على الوظائف الحكومية زاد من اعتمادهم على السلع الجاهزة ، طالما أن لديهم القــدرة على الشراء ، وطالما لم تعد الاجهزة أو السلع التقليدية تفى بالحاجة لدى هؤلاء . وكل ذلك خلق قوة استهلاكية كبيرة فى هذا المجتمع ، يقابلها ضعف فى الانتاج ، فتقلص العمل الرعوى والزراعى وأصبحت الحاجة ماسة الى منتجات من خارج المجتمع المحلى ، وعلى هذا فقد أصبح فى المنطقة رواج اقتصادى كبير ، ولم تعدالتجارة حكرا على بيوت (الجمالة) كما كانت فى السابق ، ولم تعد (لسوق الاحد) أهميته السابقة ، فقد انتشرت المحلات التجارية فى كل قرية ، وتحول الناس هناك الى (التجارة) بدلا من أيةأعمال أخرى ، بحيث أصبح هذا المجتمع يمارس التجارة بشكل موســـع . فكثرة مؤسسات المقاولات ، والبقالات ، ومحطات البنزين ومحلات

وهذه كلها أمور حديثة على هذا المجتمع الذى تحول فى الآونـــة الأخيرة من مجتمع انتاجى الى مجتمع مستهلك يشـــهد حاليا ازدهارا تجاريا كبيرا •

الفصل الثانى

آثار التغير البنائى والحضارى فى بنى كبير

عرفنا فى فصول سابقة مفهوم التغير البنائى والاجتماعى ، وتحدثنا فى الفصل الاول من هذا الباب عن مظاهر التغير فى بنى كبير . وأشرنا بصفة خاصة الى التعليم ، والصحة والتجارة ووسائل الاتصال والمواصلات وكذا الى النسق السياسى للقبيلة . ورأينا كيف مرت هذه المجالات بأطوار مختلفة الى أن انتهت الى ما هى عليه الآن .

ومن غير شك ، فان التغير الذى طرأ على هذه الميادين قد أثر فى البناء الاجتماعى نفسه وأحدث تغيرات ملموسة فى كل مجالات الحياة الاجتماعية فى بنى كبير .

ولا بد أن ننهج نهج من فصلوا عند الحديث عن التغيرات التى تطرأ على المجتمعات بين التغير الثقافى والتغير الاجتماعى على أساس أن كلا منهما موضوع متميز عن الآخر، ولعل اختلاف الرأى حول هذين الموضوعين وقضية الفصل بينهما ، أو اعتبارهما كلا مركبا عند الدراسة ، ظهر مع ظهور الاختلاف أيضا فى موضوع « الانثروبولوجيا » نفسها . وعند الملاحظة يتضح لنا أن أى تغيير فى أى مجتمع انما يعنى فى الاساس أو يظهر بصورة ملحوظة فى سلوك الافراد والجماعات ، وهذا السلوك ما هو الا مظاهر ثقافية . اذا فالتغير الاجتماعى نفسه يتضمن تغيرات ثقافية ..

وقد أشار ايفانز برتشارد الى ذلك بقوله « ان المجتمع والثقافة هما تجريدان لشيء واحد » [1] . فالمجتمع والثقافة شديدا التماسك .

---

(١) ايفانز برتشارد الانثروبولوجيا الاجتماعية «مرجع سابق» ص ٣٧ .

بتغيرات فى المجتمع والعكس صحيح •

فالثورة الصناعية فى أوربا مثلا ، جاءت نتيجة للتغيرات فى (فن الانتاج) التى شملت القوة والصناعة التجارية ، وهى تغيرات ثقافية أثرت فى أسلوب الحياة للمجتمعات المتتالية فى غرب أوروبا ، بل ان ردود الافعال مازالت مستمرة فى كل أنحاء العالم ، وعلى الخصوص فى الدول الناميه • وهذا ما دعانا الى عدم التمييز بين التغير الثقافى والتغير الاجتماعى الا على مستوى التحليل النظرى فقط • وعليه فان دراستنا لهذا الفصل سوف تكون على أساس النظر اليهما كوجهين لعملة واحدة « وسوف نوضح أيضا العوامل التى أدت الى حدوث التغير البنائى والاجتماعى وقد أشرنا الى بعض منها فى الفصل السابق •• كما أننا سننظر الى الموضوع نظرة شمولية • ونحن بصدد استخلاص النتائج وعرضها • ذلك أن الفصل بين الانساق واعتبارها أجزاء منفصلة وغير متكاملة ، أمر يقود الى الخطأ من حيث المنهج والنتيجة • وقد تم اختبار (قرية العبادل) على اعتبار أنها « النموذج ، المتشابه » فى مرحلة ما قبل التغير ، لقرى بنى كبير ، من حيث ان القرى جميعا متشابهة فى المناشط الاقتصادية تقريبا • كما أن الظروف البيئية متشابهة أيضا فى كل قرى القبيلة والمنازل وتعداد السكان ومساحة الارض الزراعية على تقارب كبير •

أما فى مرحلة التغير • فان أهم ما يميز قرية العبادل عن غيرها من القرى أنها أول قرية عرفت المدرسة الحكومية النظامية التى فصلت بين مرحلتين مختلفتين فى المنهج والتربية فى مجال التعليم • حيث افتتحت بها مدرسة بنى كبير الابتدائية فى عام ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٧ م •

ونحن بصدد دراسه آثار التغير فى هذه القريه هى :

١ ــ المنزل فى قرية العبادل
٢ ــ النشاط الاقتصادى وتقسيم العمل
٣ ــ الهجرة من القرية الى المدينة •
٤ ــ المهر والزواج •
٥ ــ العلاقات الاجتماعية •

أولا ــ المنزل فى قرية العبادل :

تقع قرية العبادل على ضفة وادى بنى كبير فى الغرب وعلى بعد يقرب من « ٢٥٠٠م » جنوب قرية الغبر التى تقع فى شمال وادى بنى كبير وعلى بعد « ٥٠٠٠م » شمال قرية آل مرزوق والتى تقع جنوب وادى بنى كبير ، وتشغل منازل القرية مساحة قدرها (١ كم٢) من الجهات الأربع ، وليست كل هذه المساحة مشغولة بمنازل السكان فى القرية بل يوجد بها ميادين عامة صغيرة المساحة نسبيا أحدها كان هو السوق الرئيسى لقبيلة بنى كبير منذ أكثر من (٤٠ سنة) والثـانى خصص لاقامة الحفلات العامة للقرية عليه فى المناسبات المختلفة ، كما يوجد الى جواربعض المنازل أراضى زراعية صغيرة يزرع فيها العنب والرمان والخوخ والتين الشوكى ، وهى أفضل الأراضى الزراعية من حيث الانتاج • لان مياه الامطار تصرف اليها وتحمل معها السماد الطبيعى والطمى الى هذه الأراضى •

ومقبرة القرية تقع الى غرب المنازل ولكل (لحمة) مقابرها الخاصة لكن هذه المقابر ملكيتها عامة للقرية ولا يحق لأحد كان احداث أى تغيير فيها اما بالبناء أو خلافه كما أن دفن الموتى يتم فيها مجانا ، وليس لها

أحد يشرف عليها كما هو الحال مثلا فى المدن حيث يتولى (التربى) أو القبورى كما يسمونه فى مدن الحجاز دفن الموتى لقاء مبلغ من المال •

ويبلغ تعداد سكان قرية العبادل (٨٥٠) فردا المقيم منهم حاليا فى القرية (٣٥٠) فقط ، بينما البقية هاجروا الى خـــارج القبيلة ويأتى تفصيل ذلك فى الفترة التالية من هذاالفصل) •

وسكان قرية العبادل تقوم بينهم روابط دموية حيث ينحدر هؤلاء من جد واحد هو جدهم الاكبر ويطلق على سكان القرية جميعا (أولاد عبد الله) وعبد الله وابنه عبادل ينتسبان الى الجد الاكبر (حارث) الذى اليه تنتمى بدنه بالحادث وتضم قرى ثلاثا هى « العبادل ــ الفلاح ــ الحبيس » انظر الباب الثانى الفصل الثانى • وقد حدث انقسام مكانى فى نفس القرية مما أدى الى وجود ثلاث وحدات اجتماعية أخرى على حدود القرية لها منازلها وأراضيها الزراعية الخاصة ، ولم تكن هذه الوحدات التى يسمونها القرى مستقلة عن القرية الام فى حالات الحرب والسلم • كما لم يذكر الاخباريون زمنا محددا لتاريخ حدوث هذا الانقسام • وهذه القرىالثلاث « القليته ــ آل عوضه ــ آل مسفر » كانت الاولى أسبق فى الانقسام المكانى من آل عوضه وآل مسفر • يدلنا على ذلك أن عددا من منازلهم قد تعرض للسقوط والانهيار ولا يزال خرابا نظرا لتقادم الزمن عليه انظر الملاحق ص ٩ ، بينما منازل القريتين الاخريين لم يتعرض شىء منها للسقوط بعد وتبدو أكثر حداثة من تلك • هذا بالاضافة الى أن السكان كان ينقشون على أبواب المنازل المصنوعة من الاخشاب السميكة تاريخ بناء المنزل • وقد وجدت على واحد من هذه الابواب عبارة تقول (شغل أبو حسن سنة ١٧٩ هـ) فاذا اعتبرنا أن المقصود ١٧٩ بعد الالف لاصبح تاريخ بناء هذا المنزل يعود الى ما قبل (٢٢١) سنة وهو أقرب الى الواقع ، وهو أيضا ما دعانا الى القول بأسبقية القليتة فى الانقسام عن القريتين الاخريين ، وما يعنينا فى هذا الصدد هو أن هذه القرى تعود فى أصلها ونسبهــا

الى نفس الاصل والنسب الموجود فى قرية العبادل ٠ فهم ضمن نطاق القرابة الدموية والعصبية فيها ، فأسر تنتمى الى (العطا) وأخرى الى (الشعبة) وهكذا (انظر الفصل الثانى من الباب الثانى النسق القرابى)٠

ومنازل القرية ٠ تقع متجاورة والمنازل الاكثر قربا من بعضها البعض هى منازل الوحدة القرابية الدموية خاصة تلك التى تلتقى فى الجد الرابع أما منازل الاسر الممتدة التى تلتقى فيما دون الجد الرابع فهى عبارة عن وحدة سكنية كبرى مقسمة الى منازل خاصة بكل أسرة لكنها جميعا عبارة عن ملك واحد كما أن لها (جرن) واحد تستخدمه هذه الاسر وقت الحصـــــاد ٠

ونظام بناء المنازل كان يتخذ شكلا موحدا ، فبالاضافة الى أن المواد المستخدمة فى البناء عبارة عن أحجار وطين وأخشاب فان معظم البيوت تتكون من دورين ٠وجميع غرفها تستخدم لاغراض معينة لا تختلف فى كل البيوت ، فالمنزل كما قلنا يتكــون من دورين (العـــالية والسافلة) فالعالية هى الدور العلوى والمقصود بالسافلة الدور السفلى من المنزل ، أما السافلة فهى خاصة بالحيوانات حيث تبيت فيها الاغنام اذا لم يكن لها زريبة خاصة حول المنزل أو لا يسعها حوش الدار ، كما أنها تستخدم كمبيت للثور والبقرة والحمـــار « وهى حيوانات ذات أهمية بالنسبة للسكان كما أشرنا الى ذلك ٠ وفى السافلة أيضا تخزن الاعلاف التى تتغذى عليها هذه الحيوانات طوال العام والغرف التى تستعمل كمخازن للاعلاف يسمون مفردها (المنامة) وربما جاءت هذه التسمية بسبب أن الحيوانات تنام فى هذه الغرف عندما تكون خاليــة من الاعلاف ٠ ومما يميز الادوار السفلية للمنـــازل أنه لا تكثر بهـــا الشبابيك وغالبا ما يكون فى السافلة أو السفل كما يسمونها أحيانا (شباك واحد فقط) ٠

والادوار العلوية ذات أهمية خاصة بالنسبة للسكان ففيها تكون غرف النوم ٠ كما أن فيها (مجالس الرجال) فيقسم البيت فى العـــادة الى

قسمين مقدمته فيها مجلس الرجال ومؤخرته فيها غرف النوم وربما أستخدمت احداها كمطبخ للدار • لكن فى الغالب فى حوش المنزل حيث تقام غرفة خاصة أو يكون فى سافلة غير تلك التى تبيت فيها الحيوانات وهى عبارة عن دور واحد فقط ، تستخدم لهذا الغرض وتستقبل ربة الدار ضيوفا من النساء فيها اذا كان هناك ضيوف من الرجال فى العالية •

والغرفة أو الغرف لم تكون معروفة لدى السكان قبل معرفتهم بالبنيان الحديث للمنازل • وانما كان المنزل كما قلنا ينقسم الى قسمين مقدمته عبارة عن مجلس الرجال ومؤخرته فيها أماكن النوم ، والتسمية السائدة لديهم هى (عين) أو عيون • فالبيت له باب واحد فقط فى مقدمته يفضى الى مجلس الرجال ومنه الى بقية غرف الدار ، وأصغر دار تتكون من عينين وأكبرها تتكون من أربع عيون ، فالبيت المكون من عينين على مساحة قدرها ١٦ مترا طولا و ١٦ مترا عرضا مثلا تفصل مقدمته لمساحة قدرها ٨ × ٨ م لتكون مجلس الرجال والمساحة الباقية تنقسم الى غرفتين متساويتين ولكل منهما باب مستقل • ويفصل بين الغرفتين وبين المجلس (تنصيب) وهو عبارة عن أعواد صغيرة الحجم وطويلة تركز فى الارض وتصل الى سقف الدار الذى لا يقل فى الغالب عن (ثلاثة أمتار) ثم يوضع عليها الطين الذى عندما يجف يؤدى الى تماسك هذه الاعواد واستمرار بقاء التنصيب قائما لسنوات طويلة • ويقوم فى وسط المنزل عمد خشبى سميك ارتفاعه لا يقل عن ثلاثة أمتار يسمونه (المرزح) وهو مستطيل الشكل عرضه ٢٠ سم وطوله ٤٠ سم وقد يزيد عن ذلك لكنه لا ينقص ، وفى أعلاه قطعة خشبية كبيرة الحجم يسمونها (الفلكة) بتسكين اللام وفتح الفاء وهى التى ترتكز عليها (السوارى) التى سيأتى ذكرها عند الحديث عن (الطينة) فى هذا الفصل ، والدار التى فيها مرزح واحد هى عبارة عن عينين فقط والجزء الواقع بين الحائط والمرزح الذى يقع فى منتصف الدار هى التى يسمونها العين ، فيصبح لدينا عين عن يمين المرزح وأخرى عن يساره بطول الدار ، أما اذا كان فى الدار

أربع عيون ومعنى ذلك أن بها أربع غرف نوم لكل منها باب خاص ، ويفصل التنصيب بينها وبين المساحة المتبقية وهى مجلس الرجال •

وكانت تسمى الغرف التى يستخدمونها للنوم (علو) بكر العـين وتسكين اللام فالدار على ذلك تصبح مكونة من مجلس الرجال وعلوين أو ثلاثة أو أربعة حسب عدد المزارح القائمة فى الدار • انظر ٨ من الملاحـق) •

مراحل بناء المنزل :

تمر عملية بناء المنزل فى بنى كبير بثلاث مراحل هى : ــ

(أ) مرحلة البنـاء •　　　　(ب) مرحلة قطع الاخشاب •

(جـ) مرحلة الطينة •

(أ) مرحلة البنـاء

كانت المنازل تبنى بالاحجار وتسقف بالاخشاب والطين • ولم يعرف السكان البناء المسلح الحديث قبل خمس عشرة سنة أى فى سنة ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م • وذلك عندما انتشر البنيان المسلح بشكل واسع • أما قبل هذه الفترة فلم يكن الاقبال عليه كثيرا •• ولعل سبب بناء منازلهم بالحجارة يرجع الى توفر الصخور وعدم وجود البديل • اضافة الى أن المنطقة كانت عرضة لتقلب الاجواء وهطول الامطار الغزيرة التى تكتسح كل شىء ، والبناء بواسطة الاحجار يمنع سقوط المنازل بسهولة • كمـا أن الحروب القبلية كانت تؤدى الى غارات على القرى يشنها الاعداء ويستخدمون فيها رصاص البنادق • ووجود السكان داخل هذه المنازل القوية يمنع وصول الرصاص اليهم فى الداخل • كما أن قلاعهم الحربية

كانت تبنى بالاحجار أيضـــا وهى التى يستخدمونها فى حالات الدفاع عن قراهم) أنظر الملاحق ص ٩ ، ٢٢ •

وعملية البناء كانت تبدأ بتسوية الارض المراد اقامة المنزل عليها ، واحداث حفرة على أطراف الارض الاربعة بعمق يصل الى مرتين ويسمون هذه الحفرة (الربض) وجاءت هذه التسمية لانهم يلقون فيها حجارة كبيرة الحجم تربض فيها وتصل الى مستوى سطح الارض قبل حفرها ، ثم تبدأ عملية بناء الحائط الذى يصل ارتفاعه الى ثلاثة أمتار ثم يسقف ليكون السافلة ثم يبدأ البناءون فى البناء أعلى حائط السافلة لاكمال بناء العالية •• ولقد كان للبنائين شهرة كبيرة ، وكانوا يتقاضون أجورا مرتفعة بالنسبة للمستوى الاقتصادى الذى كان فى المنطقة ، ويســـاعد هؤلاء مجموعة أخرى من العمال هم (المكسرة) بضم الميم وفتح الكاف وتشديد السين مع كسرها • ويقصدون بهم أولئك الذين يقومون بتكسير الاحجار وتهذيبها حتى تصبح ملائمة للبنيان ، (والملقفة) بضم الميم وفتح اللام وتشديد القاف مع كسرها ، ويعنون بهم الفئة التى ترفع الاحجار من الارض على ظهورها باستخدام السلالم كلما ارتفع البناء ، ويمتاز هؤلاء بقوة بدنية تساعدهم على رفع الاحجار الكبيرة من الارض حتى تصل الى البناء الذى يقف أعلى الحائط يوجه بقية العمال ، وفى الغالب تهـذب الاحجار حتى تكون مربعة الشكل أو مستطيلة والفجوات التى تبقى بينها تسد بأحجار صغيرة حتى يكتمل البناء ، والحجارة التى تبنى بها المنازل تستخرج من الصخور المتوفرة فى المنطقة بواسطة (اللغب) الذى أشرنا اليه فى فصل سابق والذى يشبه (الديناميت) فى مفعوله فى الصخور • وتسحب الاحجار بعد ذلك من أماكن الصخور الى مكان المنزل بواسطة الثيران أو الحمير ، ويعاون صاحب الدار فى اتمام هذه العملية عدد من أقربائه •• وقد كان صاحب المنزل يقدم للعمال طعام الافطار فى الصباح وطعام الغذاء بعد الظهر ، وكانوا يهتمون بأصناف الطعام اهتماما بالغا لان البنائين والعمال اذا لاحظوا تقصيرا من صاحب العمل فى اطعامهم انصرفوا عنه ، وكان طعام الافطار يتكون من القهوة

والتمر والسمن والخبز المصنوع من البر والعسل وفى الغذاء يقـدم لهم الارز واللحم أو العصيدة واللحم ، ويبدأ هؤلاء عملهم من الصباح الباكر الى ما قبل المغرب بحيث ينصرفون الى دورهم ، وكانوا يتقاضون أجرهم فى نهاية كل أسبوع • وعندما يتم هؤلاء عملهم ويستقيم بناء الدار وتنتهى عملية الطينة يقدم لهم صاحب المنزل (كسوة) وهى عبارة عن نقود لكل منهم•ويقدم البعض منهم للبناء بصفة خاصة عبـاءة (مشلج) تكريما له لقاء عملية الجيد • والادوات المستخدمة فى بنـاء المنازل وهى التى يحتاجها لتكثير الاحجار الى قطع مناسبة هى ألفانوس والمطرقة) وهى عبارة عن كتل ثقيلة الوزن مصنوعة من الحديد تزن بين ٥ : ٨ كجم بالنسبة للفانوس ووزن المطرقة يتراوح بين ٢ : ٣ كجم • الاولى تستخدم لتكسير الحجارة الكبيرة والثانية للاصغر حجما • وفى كل كتلة فتحة بها عمود من الخشب الصلب أملس طوله بين ٤٠ : ٦٠ سم يمسك به العامل ويهوى بكتلة الحديد على الحجر المراد تعديله •

(ب) مرحلة قطع الاخشاب :

كما أن الصخور المصدر الاساسى لبناء المنازل فى المنطقة لا يدفع من أراد بناء منزل نظير استخدام أجزاء منها فى البناء ، فان الاخشاب أيضا كذلك • فعندما ينتهى الرجل من بناء المنزل يطلب الى الجماعة والمقصود بهم سكان القرية عقب صلاة جمعة عدم مغادرة ساحة المسجد حتى يحدثهم فى أمر • وعندما يكتمل أفراد الجماعة فى ساحة المسجد يقول لهم الرجل تعلمون أنى أنهيت البناء وكان لكم الفضل فى اتمامه بما قدمتم لى من مساعدات أشكركم عليها ، لكنى لازلت فى حاجة الى الخشب لاتمام بناء المنزل فما رأيكم ويرد عليه أحد كبار الجماعـة بقوله : كان الله فى عونك ونحن معك • غدا ان شاء الله نسرح معك الى (الحمى)ونقطع لك من الخشب كفايتك • ويوجه كلامه الى بقية الافراد طالبا منهم الذهاب الى الحمى فى الصباح الباكر • ويلتقى كل القادرين على العمل من الرجال فى المنطقة الجبلية التى تكثر فيها الاشجار الكبيرة

نظيرها للجماعة أو للبدنة التى تنتمى اليها هذه القرية •• وبعد ذلك يبدأ النجارون فى تهيئة هذه الاخشاب ، فالمرازح تصنع من سيقان الاشجار الضخمة • وكذا الفلكة التى توضع أعلى المرزح لتسند السوارى ، أما السوارى هذه فهى من السيقان المستديرة والتى يتراوح قطر الواحدة بين ٢٠ : ٢٥ سم وطولها يتراوح بين ٤ : ٥ م بحيث يوضع أحد طرفيها على الحائط والآخر على الفلكة أعلى المرزح وتوضع خمس الى ست سوارى بجانب بعضها البعض لكل عين ودائما يكون وضع هذه السوارى بعرض مساحة البيت ، أما (البطن) بضم الباء والطاء وتسكين النون، وهى الاخشاب الاصغر والتى يتراوح قطر الواحدة منها بين ١٠ : ١٥ سم فتوضع بالطول بحيث تسند أطرافها على السوارى والاطراف الاخرى على الحائط الداخلى للمنزل ، وتسد الفجوات التى تبقى بين البطن بأغصان الشجر حتى لا ينزل الطين الذى يوضع أعلاها الى داخل المنزل ، ثم يبدأ النجارون بعد ذلك فى نقش المرازح والابواب بنقوش خاصة كما هو واضح على الصورة فى الملاحق وغالبا ما يكتب على الأبواب عبارات مثل (لا اله الا الله محمد رسول الله) وما شاء الله تبارك الله • الى غير ذلك وأحيانا يكتب النجار اسمه على المرزح أو على الباب مع تاريخ بناء المنزل •• ويطلى المرزح والأبواب وأبواب الشبابيك (بالقطران) ليصبح لونها جميعا أسود • ثم ان للقطران وظيفة أخرى وهى تكوين طبقة واقية للاخشاب حتى لا تتآكل وتسوس ، ويعاد دهانها بالقطران كل فترة وخاصة قبل حلول عيد الفطر • هذا قبل أن يعرف السكان أصناف الطلاء الحديث الذى بدأوا يستخدمونه بألوانه المختلفة على نقوش المرازح والابواب•

(د) مرحلة الطينة :

وأهم عملية تبرز صورة التعاون بـ ين أفراد القرية ، تتمثل فى عملية الطينة ، ومعنى الطينة هو وضع الطين على سقف المنزل بعد وضـــع السوارى والبطن والاغصان ، واشتقوا اسم الطينة من هذا المعنى ، وكما فعل صاحب الدار الجديدة عندما أنهى البناء وحدث جماعته برغبته فى أن يساعدوه فى احضار الاخشاب اللازمة ، يحدثهم أيضا برغبته فى استكمال سقف الدار ، ويحددون يوما غالبا ما يكون يوم الاحد أو الخميس وفى عشية اليوم الذى يسبق يوم الطينة تذهب كل نساء القرية الى بئر أو بئرين نصبت عليها أدوات (السوق) بفتح السين وتشديدها وسكون الواو • المكونه من الغروب وخلافها من الادوات التى تجــرها الثيران لاستخراج الماء من البئر ، ومعهن القرب يحملن فيهــا المــاء الى البيت الجديد ، ويفرغنها فى آنية كبيرة وضعت هناك لهذا الغرض وهى عبارة عن القدور الكبيرة التى يستخدمونها لطبخ اللحوم فى الحفلات الكبيرة ، ويفرغن كمية من المياه أيضا فى أحواض من التراب الذى قد يكون قد أحضر سلفا لغرض الطينة ، وهو عبارة عن تراب مأخوذ من تربة صالحة للزراعة وخال من الاحجار والرمال ، ويخلط هذا التراب فى حينه ، وتتواصل النساء عملهن هذا منذ الصباح الباكر ليوم الطينة ويحضر كل الرجال والاطفال للمشاركة فى هذا العمل ، فيصعد البعض منهم الى سطح الدار يتلقفون المكاتل من الصاعدين بها على الســلم ويضعونها على الخشب فى سطح المنزل ، وتستمر العملية هكذا ، النساء يحضرن المياه والرجال ينقسمون الى فئات منهم من يخلط الطين بالماء ومنهم من يغرفه فى المكاتل ومنهم من يحمله على رأسه ليصعد به السلم الى أعلى ومنهم من يتلقى هذه المكاتل ومنهم من يفرغ هذه المكاتل بنظام معين على سطح المنزل وبعد وضع الكمية اللازمة من الطين على سطح المنزل يجرى فردها ، ثم يصعد الجميع على سطح الدار ويبدءون الرقص الشعبى وهو ما يسمونه (العرضة) بمصاحبة الطبول ويدورون عــلى سطح المنزل ويستمرون كذلك لمدة ساعة أو ساعتين حتى يشعروا بأن

الطين قد دك تماما • وبعد الانتهاء كل يذهب الى منزله •• ويذهب صاحب المنزل الى كل دار فى القرية هو أو أحد أبنائه أو اخوته يدعو الجميع الى تناول طعام العشاء فى المنزل الجديد ويذبح ثورا أو بقرة ويقدم معها الارز كعشاء للجماعة • وبعد صلاة المغرب يتوافد سكان القرية الى هذه الدار ويباركون لصاحبها فيها وعندما يكتمل حضور الافراد يبدأ أحد كبار الجماعة فى تقديم نقود لصاحب الدار كمباركة فى داره ومساعدة له وتنهال النقود عليه من كل الحاضرين •• أما النساء فيحضرن ومعهن أصناف الحبوب أو النقود يقدمنها لربة الدار ويسمونها مباركة أيضا فى الدار الجديدة • وبعد انتهاء العشاء وتقديم المساعدات ينصرف كل فرد الى داره ولا يبقى فى الدار للسمر الا بعض أفراد من وحدة صاحب الدار القرابية • يذكرونه بما دفع كل فرد من أفراد الجماعة من نقود حتى يرد ما أخذ عندما تتاح فرصة لذلك كأن يبنى أحدهم منزلا أو يتزوج هو أو أحد أبنائه •• وجرت العادة أنه اذا قدم له « فلان » اليوم مائة ريال يردها له فى مناسبة كما هى أو يزيد عليها قليلا •• والمنزل من الداخل يفرش (بالهدوم) وهى التسمية التى يطلقونها على البساط المصنوع من سعف النخل • ومفرده (عدم) بكسر الهاء ويتراوح طوله بين ٥ : ٨ أمتار حسب طول المجلس وعرضه حسب عرض المجلس • حيث إن هذه الهدوم تصنع باطوال مختلفة ، والمصدر الرئيسى لها منطقة بيشه وتوابعها ، حيث تكثر هناك أشجار النخيل ، واذا كانت حالة صاحب الدار الاقتصادية جيدة وضع فوقها السجاد المصنوع من الصوف وخاصة السجاد الايرانى والتركى الذين يسمونه السجاد (العجمى) ويشترون هذا السجاد من المدن كالطائف ومكة المكرمة •• أما حيطان المنزل من الداخل فيكسونها بالطين وعندما يجف يرشونه بالرخام ، والرخام الحديث لم يكن معروفا لديهم ، وانما كانوا يستخرجونه من بعض المناطق الجبلية وهو خام عبارة عن أحجار يدقونها حتى تصبح أجزاء صغيرة ثم ينقعونها فى الماء ويرشون بها الحيطان التى يتحول لونها الى أبيض ويسمون هذا الرخام (نوره) أما الجزء الاسفل من الحائط فبعضهم كان يستخدم مجموعة من الاعشاب يتم هرسها وخلطها مع بعضها البعض ثم يضاف قليل من الماء ويدهن

بها أسفل الحائط على ارتفاع لا يقل عن (٨٠سم) بالنسبة للجهات الاربع من الحيطان الداخلية للمنزل . فيتحول لون هذا الجزء الى اللون الاخضر ، أما البعض من المنازل فكانوا يستخدمون لها نوعا من التراب الاســود يتم استخراجه من أماكن معينة ، ثم يضاف عليه الماء وتدهن به الاجزاء السفلية فتتحــول الى اللون الاســـود . والهدف من تلوين الاجزاء السفلية اضفاءالزينة على الحيطان ومنع اتساخ ملابس الضيوف الذين يجلسون على الارض ثم يسندون ظهــورهم الى الحائط المدهون بالنوره وبما أن هذه النورة من مادة خام وأولية وتماسكها على الحائط ليس جيدا ، لذلك فهى سريعة الانتقال الى كل جسم يلتصق بها . ولذا ابتكروا هذه الطريقة لمنع انتقال النورة الى ملابسهم أو ملابس الضيوف .

أهمية مجالس الرجال :

كان الناس هناك يتسابقون فى الاهتمام بالمجالس فى منازلهم ، فلابد أن يكون مجلس الرجال واسعا بحيث يستوعب أكبر قدر ممكن من رجال القرية سواء فى الحفلات والمناسبات أو عند التواجد لابرام صلح أو معاهدة . كما أنهم كانوا يهتمون بأشكالها الجمالية فالنقوش على المرازح والابواب مطلب أساسى ، وكانوا يعلقــون فى المــرازح أو الاوتــاد الموجودة فى الحيطان من الداخل مجموعة من الاسلحة كالبنادق والمسدسات والخناجر ، ويحتفظون بشكل خاص بالاسلحة القديمة التى ورثوها عن الاباء والاجداد فهى تذكرهم دائما بأمجاد آبائهم وبلائهم فى الحروب التى كانت تنشب بين القبائل . وتضرب الامثال بمجلس فلان وفلان ، فهو أولا مجلس واسع ، وعامر بالضيوف ، ثانيا ، وصاحبه رجل صــاحب حكمة ورأى سديد ثالثا . وأخيرا أن مجلس فلان تعقد فيه الاجتماعات الخاصة بالقرية أو يلتقى فيه أعضاء القرية مع وفود من خارجها للتفاهم حول أى موضوع يهم الطرفين . وكان الرجال يجتمعون فى هذه المجالس ويتخذون القرارات التى تنفذ فورا كقرارات الحرب أو السلم مع قرية أخرى ، أو قرارات بتقديم مساعدات ومعونات الى آخرين ، أو لابرام اتفاقية خاصة بالقرية نفسها ، وكان مجرد الاجتماع بمجلس ما له أهمية

مصلحة القرية وحمايتها ، وعلى هذا يمكن القول بأن المجلس فى المنزل كان يكسب صاحبه أهمية اجتماعية خاصة لدى السكان فتوفر مجموعة العوامل التى أشرنا اليها كانت تهيىء لهذا المجلس لان يؤدى دورا اجتماعيا مهما فى حياة السكان •

المنزل الحديث :

ونتيجة لاتصال السكان فى بنى كبير بالمدن ، وتوفر المواد الحديثة للبناء ووجود وانتشار الايدى الفنية العـــاملة • وتحسن المستوى الاقتصادى للسكان ، بدأ الاتجاه نحو بناء المنزل الحديث منذ ما يقرب من (١٥) سنة أى من عام ١٣٨٥ هـ ــ ١٩٦٥ م • فتغير الطابع التقليدى للمنازل بالتدريج ، فعندما بدأ البنيان المسلح ينتشر فى المنطقة ، كانوا يحاولون المواءمة بين القديم والحديث ، فمثلا كانت القواعد والحيطان تقام على الطريقة الحديثة بالخرسانة والاسمنت المسلح والطوب ، بينما تسقف هذه المنازل بالاخشاب ، لكنها ليست الاخشاب التى يحصلون عليها من الحمى أو الديرة كما يسمونها ، وانما بأخشاب مستوردة من المدن والتى ترد الى المدن من خارج المملكة • فهم يعتقدون أن سقف المنزل الخشبى يمنع الحرارة أو يلطفها فى فصل الصيف ، اضافة الى أن العامل النفسى له دور فى بقاء الاخشاب فى سقوف المنازل •

كما كانوا يهتمون أيضا بالمجالس من حيث سعتها والاهتمام بزخرفتها ولما لم يعد للمرازح وجود فقد انتقلت الزخرفة الى أخشـــاب أسقف المنازل وظلت أيضا على الابواب • ومع مرور الزمن بدأ السقف الخشبى يختفى من المنازل ، وبدأ الاهتمام بالمجلس يقل ويتلاشى كما أن نمط الدار نفسها تغير كثيرا ، فهناك غرف لاستقبال الضيوف من الرجـــال معزولة عن بقية غرف الدار ، وأصبح الزائر يحضر الى صاحب الدار

ويدخل الى حجرة استقبال الضيوف دون أن يمر بأية غرفة أخرى في المنزل ولم يعد لمجلس الرجال نفس الاهمية السابقة ، خاصة لدى فئة الشباب في القرية ، فتغير السلطة السياسية لشيخ القبيلة ولمجلس القبيلة وكبار السن فيها ، وانتقال تلك السلطة الى الحكومة المركزية الممثلة في الامارة والشرطة والمحكمة قضت على الدور الذى كانت تمارسه المجالس ممثلة في المجتمعين فيها ، اذا فالاهتمام بسعتها والعناية بها وتعليق الاسلحة على حيطانها أمور لم يعد لها وجود في المرحلة الحالية ، بل قد أصبح ابراز مثل تلك الاسلحة التى كانت تعلق على الحيطان في مجالس الرجال القديمة أمر يعاقب عليه القانون •

والمنزل الحديث عموما • يتكون من مجموعة من الغرف المتخصصة تزيد أو تقل حسب حجم الاسرة التى تعيش في هذا المنزل ، فالاسرة الصغيرة الحجم يمكن أن تكتفي بثلاث غرف ، بينما تحتل الاسرة الكبيرة الحجم الى أربع أو ست غرف ، وهكذا أصبح حجم الاسرة يتحكم في بناء المنزل الحديث بعد أن كان المنزل القديم لا يراعى فيه حجم الاسرة وحاجتها الى غرف أو عدم حاجتها وانما كان يعنى فيه بمجلس الرجال ، وبعدد غرف مبيت الحيوانات ومخازن الاعلاف والحبوب •

ويمتاز المنزل الحديث أنه يحاط بسور عال من جهاته الاربع ووظيفة هذا السور حجب من في داخل المنزل أو الحوش عن أعين المارة ، أما غرفه المتخصصة فهى على الشكل التالى :

مجلس الرجال : وهو عبارة عن غرفة منفصلة تماما عن بقية غرف الدار ، كما أن لها حماما خاصا ، والغرض من فصلها على هذا الشكل هو عدم مرور الضيف بغرف الدار الاخرى عند دخوله أو خروجه •

مجلس النساء : وانشىء مجلس للنساء في المنازل الحديثة وهو عبارة عن غرفة تستقبل فيها ربة الدار ضيفاتها من نساء القرية أو من خارجها وتعتنى المرأة بمجلس النساء عناية كبيرة • فتختار له أجمل وأجود الفرش

والاثاث • وتعلق على حيطانه أجود أنواع السجاد ، وتحافظ على نظافته باستمرار ولا تسمح بدخول أطفال الاسرة اليه ، حتى يبقى نظيفا ولا يفتح الا عند استقبال الزائرات •

غرف النوم : وفى المنزل الحديث خصصت غرف للنوم سواء للزوج والزوجة أم لابنائهما ، ويكثر عدد غرف النوم أو يقل حسب حجم الاسرة كما أسلفنا •

غرفه المعيشة : بالاضافة الى وجود المطبخ والحمام فى المنزل الحديث فان هناك غرفة خاصة للمعيشة تستخدمها الاسرة كمكان لتناول الطعام أو كمكان للجلوس أمام التليفزيون • أما بالنسبة للضيوف من الرجال والنساء فيقدم لهم الطعام فى مكان جلوسهم •

واختفت غرف الحيوانات من المنازل الحديثة • حيث إن الحاجة اليها لم تعد قائمة ، فالجمل والحمار اختفى دورهما كوسيلتين لحمل الامتعة أو كوسيلتى مواصلات ، وحلت محلهما السيارة التى تقف أمام أو فى حوش المنزل الحديث ، كما أن الحالة الاقتصادية لمعظم الاسر تسمح بشراء الخراف عندما يحل الضيوف على مثل هذه الاسر • ولم تعد الاسر تهتم بتربية الدجاج للحصول على اللحم أو البيض لان الدجاج والبيض يتوفر بكثرة فى المنطقة والذى يتم استيراده من مدن المملكة أو من خارج المملكة •

ولقد كان لمعرفة المنطقة بوسائل البناء الحديثة كالاسمنت والحديد وتوفر الايدى العاملة الفنية أثر بالغ الاهمية على اختفاء صور نظام التعاون التقليدى الذى كان سائدا فى بنى كبير فتوفر الحديد والاسمنت أغنى السكان عن الاخشاب والطين وهى التى كان سكان القرية يتحملون مسئولية احضارهم لبناء المنزل القديم ، فلم تعد الحاجة اليهم قائمة بعد توفر هذين العنصرين وأغنى بهما الحديد والاسمنت ، كما أن توفر الايدى

العاملة الفنية والمتخصصة فى بناء المنازل أدى الى عدم الحاجةالى سكان القرية ، نطالما توفرت القدره المالية لدى صاحب المنزل الحديث ، فانه سيدفع للعمال أجورهم مقابل اتمام بناء المنزل دون الحاجة الى مساعدة من سكان القرية .

واصبح الفرد حاليا يبنى منزلا ثم ينتقل اليه فى هدوء تام دون أن يعلم كل أفراد القرية ، بالتالى فهو لا يولم وليمة بعد انتهاء البناء ولا يتلقى (مباركة) من سكان القرية كما كان فى السابق ، واختفت بذلك صورة التعاون التى كانت تبدو واضحة بالمشاركة باليد فى العمـــل ، وبالمال عند الانتهاء من بناء المنزل . وفى المنزل الحديث يوجد أيضا خزان كبير للمياه وأنابيب تنقل المياه الى داخل المطبخ والحمامات ، بعد أن كانت القرية هى الاساس فى تزويد المنازل بما تحتاج اليه من الماء .

وبدأ السكان يهجرون المنازل التى كانوا يسكنونها فى السابق وانتقلوا الى أطراف القرية وأقاموا فيها منازلهم الحديثة ، ولم يبق داخل القرية القديمة الا أولئك الذين ليست لديهم المقدرة على بناء منزل جديد اما لعدم وجود النقود التى تكفى لبناء المنزل أو لعدم وجود الارض المناسبة ليقيم عليها البناء . وبما أن ملكية الارض الواقعة على أطراف القرية جماعية ، فقد تم توزيعها على من ليست لديهم أراض ملائمة للبناء . والذين تثبت حاجتهم اليها بمعرفة الجماعة . الا أن الاراضى نفدت وبقى عدد منهم لم يحصل على الاراضى المناسبة فاضطر للبقاء فى القرية القديمة .

وعلاقتهم بالقرية القديمة لاتزال قائمة فبالاضافة الى وجود مجموعة كبيرة منهم فيها ، فانهم لا يزالون يستخدمون الدور القديمة كمخازن لما فاض عن الحاجة من متاع . ولايزالون يحضرون من مساكنهم الجديدة إلى القرية ليؤدوا الصلاة جماعة فى مسجدها الكبير والوحيد ، ويعقدون فى ساحته بعض اجتماعات للتشاور فى أمور خاصة ، كما أنهم على اتصال

أشرنا فى فصل الانساق فى هذه الدراسة عند الحديث عن النسق الاقتصادى فى بنى كبير الى أنماط مختلفة للنشاط الاقتصادى فى المنطقة، وذكرنا بصفة خاصة فيما يتعلق بقرية العبادل أن السكان فيها يمارسون مهن الزراعة وصناعة الصوف وقليلا من رعى الأغنام • وقلنا عند الحديث عن النسق القرابى أن النوع السائد فى المنطقة عموما للعائلة هو ما نسميه بالعائلة الممتدة أو الاسرة الكبيرة الحجم • وأشرنا أيضا الى أن كبير العائلة كان هو الموجه الأول لاقتصاد العائلة منه يبدأ واليه ينتهى أى أنه هو الذى كان يوجه الأفراد للأنشطة المختلفة ثم يوزع أو يحدد طرق الانفاق للعائلة والنشاط الزراعى فى قرية العبادل كان هو المحور الأساسى للحياة الاجتماعية فيعتمد السكان عليه اعتمادا كليا وما الأنشطة الأخرى الا بمثابة فروع مساعدة لهذا النشاط الرئيسى ••

ولقد كان السكان فى نشاطهم الزراعى يعتمدون على ما تجود به السماء من أمطار ، فعندما تجود السماء بالمطر تمتلىء الآبار وتسيل الينا بيع من شمال وادى بنى كبير الى جنوبه ، مما يؤدى الى فيضان الآبار بالمياه ، كما أن (البلاد العثرى) كانت تعتمد اعتمادا كليا على مياه الأمطار • والمزارع هنا كانت تحكمه الغيبيات • فهو لا يعلم متى سينزل المطر ولا يعلم متى يبدأ الفصل أو ينتهى ، ولا يعلم متى يهاجم الجراد المحصول الزراعى ، ولا يعرف طريقة لمكافحة الحشرات التى تضر بمزروعاته الى غير ذلك من الأمور •• وعلى ذلك فقد مرت بالمنطقة سنوات رخاء وسنوات قحط شديد [1] ، فعندما ينزل المطر ويعتدل الجو تؤتى الثمار أكلها • وفى بعض الأحيان تمر سنوات دون

---

(١) انظر تسجيلا لذلك فى وثيقة ملحقة (شكل ٢٨) •

أن ينزل هذا المطر فتتعرض المزروعات للهلاك والتربة للخراب . وأحيانا كانت تنزل الأمطار الغزيرة وتستمر لمده يوم او يومين مصحوبة بالبرد ، فتهلك الزرع والثمار ، ويسيل الوادى فتندثر الأراضى الزراعية حول هذا الوادى وتمتلىء بالرمال التى يجرفها السيل ، أو تتعرض المنطقة لموجات من الجراد تأكل الثمار وتقضى على المحصول ... وعلى الرغم من كل هذا فانى عندما أسأل أحد الاخباريين عن وضعه السابق والحالى يتحسر على الأيام الخوالى ويقول : لقد كنا فى خير وفير ، فالمياه متوفرة والأرض مخضرة مزدهرة ، والحبوب كثيرة ، والحيوانات متوفرة بالاضافة الى الصحة والنشاط ، على عكس هذه الأيام التى انقلب فيها كل شىء الى الضد .

والنشاط الزراعى أو الرعوى ليس من اختصاص فئة دون أخرى فكل أفراد الأسرة الصغار منهم والكبار يشاركون فى هذا النشاط ، وبهذا يكون السكان قد عرفوا فى نظامهم الاقتصادى طريقة « تقسيم العمل » .. وقد كان النشاط الاقتصادى يبدأ من بعد صلاة فجر كل يوم وينتهى عند صلاة المغرب ، فعند أذان الصبح ينهض الرجال من نومهم ويذهبون الى المسجد لاداء الصلاة جماعة ، وعندما يعود الرجل الى داره عقب صلاة الفجر يجد الزوجة قد هيأت له طعام الأفطار فيتناوله وينصرف الى عمله ، وقد كانت وظيفة الرجل تتمثل فى الاشراف العام على أعمال الزراعة ، ومراقبة الأراضى الزراعية من اعتداءات البهائم السائبة وتصريف (السواقى) فى حالة هطول أو توقع هطول الأمطار . والى جانب ذلك كان هو الذى يتولى حرث الأرض بواسطه المحراث الذى يجره (ثوران) « انظر الملاحق ص ١٠ » ويتولى أيضا تهذيب فروع الشجر ، وترميم أسوار الأراضى الزراعية المبنية بالأحجار ، ثم يتولى بعد ذلك تسويق الفائض من المنتجات الزراعية ...

أما المرأة فقد كانت تقوم بدور رئيسى وهام فى الحياة الزراعية

فبعد أن تعد طعام الإفطار للاسرة ، تذهب الى الأماكن التى تبيت فيها الحيوانات لتجمع مخلفاتها فى (مكتل)كبير بالاضافة الى ما تكنسه من الدار ومن حوش الدار ، فتحمله على رأسها وتذهب به أرض الاسرة الزراعية وتفرغ ما فيه هناك ، أو تضعه فى مكان مخصص لكل أسرة تلقى فيه مخلفات بهائمها ويسمونه (الدمنة) وهى كلمة مشتقة من الدمن وهو مخلفات الأنعام • وهذه الدمنة يتم نقلهـا كل عام قبـل موسم الأمطـــار الى الأراضى الزراعية على ظهـور الحمـير ، ثم تبث فى الأراضى الزراعية ويتم حرثها بعد ذلك ، ثم تعود المرأة بعد هذه العملية الى الدار لتحمل القرب الفارغة ، وتذهب الى الوادى (وهو الاصطلاح الذى يطلقونه على الأراضى الزراعية التى فيها الآبار) • وتصل الى أى بئر عليها (ساقية) تسقى الآراضى الزراعية (انظر الملاحق ص ٤) فتملأ قربها وتحملها واحدة واحدة على كتفها وتعـود بهـا الى الدار وبعد أن تنهى هذه العملية تعود الى الوادى من جديد لتحضر البرسيم من هناك وتقدمه طعاما للثور والبقرة ، وتتولى بنفسها إطعام البقـرة والثور بما يسمونه عملية (اللقام) وهى تعنى أن تلف قليلا فى البرسيم على عودين أو ثلاثة من سيقان الذرة الخضراء أو الجافة اذا لم يـكن الموسم موسم زراعة الذرة ولا يتجاوز طول العود الواحد (٢٠ سم) ثم تدفعها الى فم الثور أو البقرة وتستمر كذلك الى أن تقتنع بأن كلا منهما قد حصـل على كفايته •• وبعد ذلك تنصرف الى حلب البقرة ثم خض لبنها • وتبدأ فى اعـداد طعام الغذاء للاسرة ثم تنشغل بعد ذلك فى تنظيف آنية الطعام واعداد الشـاى والقهوة لأفراد الاسرة ، ثم خض لبنها • وتبدأ فى اعداد طعام الغداء للاسرة ثم تنشغل بعد البرسيم كطعام عشاء للثور والبقرة ، وهى المسئولة أيضـا عن جنى الثمار والفواكه للاسرة كالتين والمشمش والخوخ وما الى ذلك ، وبعد

صلاة المغرب تبدأ فى اعداد طعام العشاء للاسرة • يتخلل كل هذه الأعمال أنها كلما وجدت فرصة سانحة تلتفت الى عمل (جباب الصوف) التى ورد ذكرها فى فصل النسق الاقتصادى • ففى أوقات الفراغ التى تسنح لها تجد فى يدها (مغزل الصوف) تصنع خيوطه ، أو تتناول المنقـــاش لنقش الصوف ، أو تباشر النسج على (الصنعة) وهى الأعـــواد التى بواسطتها تكتمل المرحلة النهائية فى صناعة (الجبـــة ••) والمرأة الى جوار كل ذلك توجه الصغار فى أطفال الاسرة للأعمال التى يستطيعون القيام بها • فتوجه الفتاة الى كنس بعض غرف الدار والاشراف على أخيها أو أختها فى سن الرضاع اذا غادرت الام البيت لقتضـــاء أى عمل من الأعمال السابقة الذكر •• كمـــا أن الطفلة الصغيرة تتولى عمليـــة (خض اللبن) فى الغالب ، وتقوم برعى صغار الأغنام ويسمونها (البهم) فى الأماكن القريبة من أراضى الاسرة الزراعية ، بحيث لا تبتعد بهـــا كثيرا ••• كما أن الفتاة تشارك أمها فى احضار المياه من الآبار بواسطة قرب صغيرة الحجم مما يسهل عليها حملها يسمون الواحدة منها (سعن) بضم الميم وتسكين العين واهمال النون ، والدور الرئيسى للصغيرات هو حماية المزروعات من الطيور التى تهاجم الثمار ، وذلك بأن تحمـــل فى يدها (صفيحة) فيها مجموعة من الأحجار الصغيرة تهـــزها فتحـــدث صوتا كلما شاهدت الطيور تهم بالوقوع على الثمار ، وأحيانا تقـــذف مجموعات الطيور بقطع من الطين الجاف ، وتقف الفتاة فى مكان عال نسبيا حتى تكون الأرض المزروعة مكشوفة أمامها وهى تمارس مهنـــة (الحامية) ••• وتعلم المرأة بناتها الصغيرات كيفية ادارة شؤون المنزل ، وغزل الصوف ، وخياطة الملابس الى غير ذلك من الأمور المنزلية •

أما بالنسبة للصغار من الأطفال الذكور ، فقد كانوا يســـاعدون الأب فى أعمـــاله بقدر جهـــدهم الممكن ، وكانوا يتولون الاشراف على

الثور والبقرة والحمار فعندما لا يكون الماء متوفرا فى المنزل فان الصبى يقتاد الثور أو الحمار خاصة ، ويذهب بهما الى البئر ليشربا منها ثم يعيدهما الى الدار ، وفى الغالب كان يذهب بالحمار الى مكان ما ويربطه فيه بحبل طويل فى احدى رجليه ويربط طرف الحبل الآخر فى جذع شجرة • أو بدق عمودا حديديا فى الأرض يسمونه (الصكاك) فى نهايته من أعلى حلقة يربط فيها الحبل ، ثم يعود الى البيت ويتركه هناك وفى المساء يذهب لاحضاره •

أما الصبية من البنين والبنات فوق سن الثانية عشرة بالنسبة للاسر التى تمارس مهنة رعى الأغنام ، فقد كانوا يسرحون بالأغنام الى المناطق الجبلية التى فيها (ديرة العبادل) لترعى أغنامهم هناك حتى قبل الغروب . ثم يعودون بها فى المساء الى القرية ، وتتم هذه العملية بالتناوب بين الذكور والاناث •• وان كان الغالب لدى مثل هذه الاسر أن تقوم الفتاة بهذه المهمة ، وهكذا نلاحظ أن لكل فرد فى الاسرة دورا يؤديه فى النشاط الاقتصادى • كل حسب طاقته وجهده ، غير أنه لابد أن نلاحظ أن السن التى يبدأ الطفل بعدها مباشرة أى نشاط هى السنة السادسة من العمر ، أما دون هذه السن فلا يمكن أن تسند اليه الاسرة أى نشاط يؤديه • وهناك ملاحظة هامة وهى أن الاسرة الكبيرة الحجم الكثيرة العدد تتعدد فيها أوجه النشاط الاقتصادى وتزدهر على عكس الاسرة القليلة العدد والتى تقل فيها درجة هذا النشاط أو تتحدد فى أنشطة معينة كأن تضطر الى الاقتصار على النشاط الزراعى دون الاخرى أو تمارس مهنة الرعى وحدها وهكذا •••

ونظام الملكية المعقد أثر فى النشاط الزراعى خاصة ، وقد أشرنا اليه فى فصل سابق ، فلا يجوز للرجل تحت أى ظرف من الظروف أن يتصرف بالبيع فى أى ممتلكات عقارية ورثها عن أبيه وجده ، بينما يجوز له أن يبيع مثل هذه الممتلكات اذا ورثها عن طريق أمه أو ابنته أو أخته وتكون ملكية هذه الأرض التى آلت اليه تابعة لوحدة خارج وحدته

وفى حالة ما اذا باع أحد الأفراد ما ورثه عن أبيه فانه يظل محتقرا ومنبوذا من القرية كلها وليس من أقربائه فقط ، بل ان القبيلة كلها تنظر اليه على اعتبار أنه (خامل) لا يستحق الاحترام .. وللوحدة القرابية الدموية الأقرب فالأقرب شراء هذه الأرض أو المنزل من البائع . فالأخ أولى بشراء ما سيبيعه أخوه ثم ابن العم الشقيق وهكذا ... ويقول الاخباريون أنه وقعت معارك بالرصاص سقط فيها قتلى بسبب أن أحدهم اشترى أرضا بينما كان اخوته الأقربون يرون أنهم أحق بالشراء .

هذا النوع من الملكية بنظامه المعقد ربط الناس ربطا قويا مع الأرض ، فأصبح الارتباط بين الانسان والأرض قويا الى درجة كبيرة تعنى الحياة أو الموت ، وفكرة الارتباط هذه أثرت على البناء الاجتماعى نفسه فنجد أن البناء القبلى يبدو على درجة كبيرة من التماسك تتساوى مع ارتباط الانسان القبلى بأرضه ، فالأرض كانت المصدر الوحيد الذى يمد الانسان بأسباب العيش فمن الأرض يكون العطاء ويضمن الانسان الاستمرار والبقاء ، وبدون الأرض لا حياة ولا استقرار ، وهذا أيضا يفسر لنا شدة وعنف دفاع القبلى عن أرضه (انظر نموذج القبيلة العام ص ٢١٥) وقد كانت أمنية الرجل القبلى أن ينجب مولودا ذكرا تنتقل اليه ملكية الأرض بعد وفاة الأب ، فيضمن بذلك بقاء ملكيتها فى صلبه . وقد كان ذلك الأمر بالغ الأهمية ومصدر ازعاج وقلق مستمر للرجل الذى لم ينجب ذكرا . وكان من بين العبارات الشائعة فى هذا المعنى أنه فى حالة وفاة مثل هذا الرجل أن يقولوا (مات فلان موروثا) بمعنى أن أرضه سيرثها آخرون هم بناته أو اخوته أو أحد من أقاربه ... ولهذا السبب شاع فى المنطقة تعدد الزوجات فالرجل يتزوج الأولى فلا تنجب فيخشى على أرضه ، فيتزوج أخرى فتنجب مجموعة من

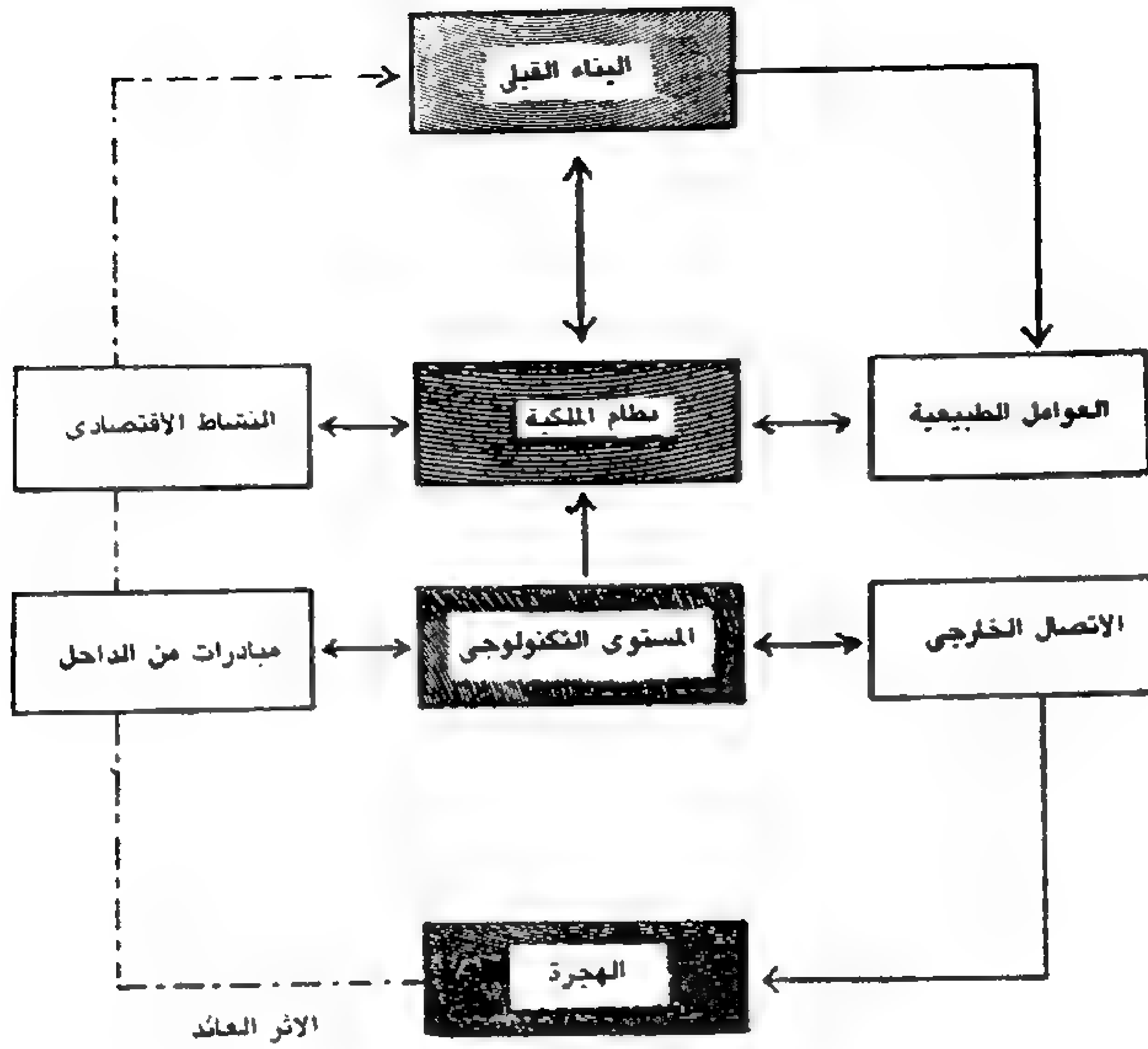
البنات • فيضطر الى الزواج من ثالثة التى ربما أنجبت مولودا ذكرا ، فان فشل من كل زيجاته تزوج من (أمة سـوداء) على الرغم من أنهم ينظرون باحتقار الى فئة العبيد ، ولكن تحت هذا الظرف يلجأ الى هذا الزواج • ويقول الاخباريون أن الزواج من أمة سوداء يحدث أحيانا وأنجبت بعضهن ذكورا ، ويقر المجتمع مثـل هذا الزواج تحت هذه الظروف اذ أن بقاء ملكية الأرض أمر هام ، ثم أن وجود الأخ الذكر فيه أمان للاخوات الاناث • ولا يعاب على ابن الامة بشيءلانهم (يقـولون ان العبرة بالأصـل وبالذكر وليس بالانثى) بمعنى أنهم يرجعـون أنسابهم الى الاباء ويغفلون أنساب الامهات ولكن قولهم هذا غير دقيق فالناس هنا يتفاخرون فى أنسابهم ويفخر الرجل كثيرا بأخواله اذا كانوا من اسرة عريقة وبالتأكيد فان ابن الامة فى جو كهذا لابد أن يشـعر بغضاضة عندما تذكر الأنساب •• واستتبع ذلك أيضا شيوع ظاهرة (الوقف) وهو يعنى أن الرجل فى حياته خشية من تفرق ملكية الأرض على ورثة متعددين ، أو خشيته من تصرف ابنه الذكر فى هذه الأرض بعد وفاته يكتب بشهادة شهود (ورقة) تنص على أنه فى حـالة وفاته فان ممتلكاته العقارية كلها تعتبر موقوفة لا يجوز فيها البيع والشـراء تبقى وقفا على أبنـائه الذكور دون الاناث ، ويحق للاناث فقط حـق المنفعة منها ولكنهن لا يشتركن فى قسمتها بعد وفاته وتبقى كذلك أبدا ، فاذا نقرضت عائلته وانتهى نسـبه تؤول ملكية هذه العقـارات الى (المسجد) فيستفاد من ريعها فى الانفاق على المسجد من عمارة وترميم وأثاث وصدقة على الفقراء والمحتاجين وما شابه ذلك (انظـر نص الوقف على الملاحق •

تلك كانت الصورة القائمة للنشاط الاقتصـادى فى المجتمع وكان لاتصال مجتمع بنى كبير بالمجتمعات الاخرى وخاصـة مجتمعات المدن

أثر واضح فى كثير من التغيرات التى طرأت على هذا النشاط بل على البناء القبلى كله كما أن الهجرة قد أثرت تأثيرا بالغا على هذا البناء ، هـذا بالاضـافة الى انتشـار التعليم ووسـائل التكنولوجيا الحديثة فى المنطقة .

وقد سبق القول بأن البناء القبلى يرتبط ارتبـاطا وثيقا بنظـام الملكية وأوضحنا هذه العلاقة وهذا الارتباط وأشرنا أيضا الى عـلاقة ذلك بالنشاط الاقتصادى عامة والى علاقته بالنشاط الزراعى خاصة . فاذا نظرنا الى البناء القبلى ووضعناه على رأس القائمة كمـا هو مبين على الصفحة التالية ، فأن هناك علاقة وطيدة جـدا بين هذا البنـاء ونظام الملكية ، فأساس وجود القبيلة كلها هو الارتباط بين الأفراد وبين الأرض التى يعيشون عليها ، وقد أشرنا إلى عدة ظواهر توضح هذا الارتباط وتبين أهمية الأرض بالنسبة للفرد القبلى ... ولقد كان النشاط الاقتصادى أيضا محكوما بهذه الفكرة ، فالمزارع مثلا لا يستطيع أن يتوسع فى رقعة زراعية أخرى اذا كانت لديه فكرة عن هذا التوسـع ومردوده الاقتصادى على أسرته ، فهو مقيد بالعمل فى أرضه الزراعية التى ورثها عن الاباء . لان صاحب الأرض الزراعية المجاورة له لن يفكر مطلقا فى أن يبيع أرضه تحت أى ظرف كان . أو أن يسمح لهذا الجـار أن يستغلها بما سيعود على الطرفين بالفائدة فى حالات (المخـابرة) والتى أشرنا اليها فى فصل سابق .. كما أن هذا النشـاط كانت تحكمه أيضا العوامل الطبيعية التى لا دخل للمزارع فيها . مثل حالات القحط والجفاف أو هطول الأمطار الغزيرة المدمرة ، أو ظهور موجات الجراد ، أو انتشار الآفات الزراعية ... والمستوى التكنولوجي لدى المزارع لم يتعد الطرق البدائية ، فليست لديه فكرة عن مكافحة الآفات الزراعية أو الحد من انتشارها ، وكان الثور هو العنصر الرئيسى الفعال فى هذا

النموذج العام لمجتمع بنى كبير



كان يفكر مثلا فى تغيير شكل « الغرب » الذى يستخرج المـــاء من البئر بواسطته ، أو توسيعه ليستوعب كمية أكبر من المياه ، أو أن يســـتحدث (صناع الحديث) نوعا جديدا من (المنــاجل) التى بواســطتها يحش البرسيم أو اعداد الحنطة والشــعير والذرة من الأراضى الزراعية • الى غير ذلك من الأمور البسيطة •

تلك هى الطريقة التى كان يسير وفقها النشاط الاقتصادى ، الى أن جاءت عدة عوامل أخرى غيرت صورة النظام الاقتصادى فى المنطقة عموما • وأول هذه العوامل الاتصال الخارجي ، الــذى بدأ عن طريق أجهزة الراديو التى عرفتها المنطقة مثل غيرها كوسيلة هامة من وسائل الاتصال • وقد بدأ المزارع هنا يســـتمع الى برامج التوعية الزراعية والارشاد الزراعى • التى كانت تبثهــا الاذاعة رغبــة فى نشر الوعى الزراعى فى المملكة العربية الســـعودية عموما ، كما بدأ يعرف عن طريق هذه الأجهزة الكثير من وســـائل التكنولوجيا الحديثة فى الزراعة مجرد معرفة فقط ، حيث ظلت بعيدة عن متناول يده لفترة طويلة •

كما أن الراديو كان له تأثير ثقافى غير الكثير من الأنماط الثقافيــة الســـائدة فعن طريق الراديو اســـتمعوا الى البرامج الثقافية والدينية وزادت معرفتهم بالكثير من مدن ومناطق المملكة ، وعرف الســـكان عن طريق الراديو أصول النظافة والطرق الصحية لاعداد الأطعمة وميــاه الشرب وغـــير ذلك •

والنشاط الاقتصادى بمظاهره المختلفة التى أشرنا اليها • بدأ فى الاختفاء بالتدريج ، فعند افتتاح المدرسة فى قرية العبــادل فى عــام ١٣٦٥هـ كما ذكرنا ، بدأ الصراع بين الصـــغار وأولياء الامور واستقر الأمر فى النهاية على أن هاجر البعض بينما بقى الآخــرون فى القرية وبدأوا التوفيق بين الدراسة فى الصباح ومساعدة الاسرة فى أعمالهـــا

بعد الظهر ، وكانت الاسرة بكل أفرادها تستطيع تعويض هدا النقص الطارىء ، لكن بعد فترة بدأت الهجرة وهاجر الشباب والنساء والأطفال كما سنوضح ذلك عند الحديث عن الهجـرة فى صفحات لاحقـة • ولم تستدلع الاسرة مواجهة العبء بعد هجرة عدد من أفرادها •

كما أن افتتاح مدارس البنات والتحاق الفتيات بهـا قد زاد من ضعف النشاط الاقتصادى الى درجة كبيرة ، وفى بداية الأمـر بدأت الاسرة الموسرة التى ليست فى حاجة ماسة الى ممارسة الزراعة أو الرعى أو صناعة الصوف ، بالحاق بناتها بالمدرسة ، ونظرا لانها تعتمد اما على ما يبعث به المهاجـرون منهـا من المال ، واما بممارسـة البعض من أفرادها للزراعـة •

وقد بدأت الاسر الفقيرة فيما بعد تلحق بناتها بالمدرسة عنـدما شعرت بأهمية التعليم للفتاة ، على الأقل فى فهم أمور الدين والاستفادة من علوم أخرى ، وحتى لا يقال أن فلانة منعها والدها من الالتحـاق بالمدرسة لانه فقير ويحتاج اليها للعمل • كما أن الشباب بدأ يميـل الى الزواج من الفتيات اللاتى حصلن على قسط من التعليم ، وينصرف عن غيرهن مما دفع بأولياء الأمور الى الحاق فتياتهم بالمدرسة •

اذا فانتظام الصغار فى المدارس ، وهجرة الشـباب الى مـدن المملكة أثر تأثيرا كبيرا على هذا النشاط • مما أدى الى اختفائه بالتدريج وتحولت الاسر بعد ذلك الى الاعتماد على الحبوب المستوردة التى تأتى من خارج البلاد عن طريق الحكومة ، وكذلك الحـال بالنسـبة للحـوم والخضراوات والفواكه •

وهناك ظاهرة هامة برزت عند توقف النشاط الاقتصادى الـذى كان يعتمد على الزراعة والرعى فى مجتمع بنى كبير ، وهى أن الاسرة الكبيرة الحجم ، التى فقـدت كبيرها بوفاتـه • وأصبحت تتكون من الاخوة فقط ، بدأت تميل الى الانقسام ، فبدأ الاخوة يقتسمون التركة

وما خلفه الوالد من مال وأرض ومنـــازل • هذه القســـمة كانت نادرا ما تحدث فى مجتمع بنى كبير قبل عشرين عاما من تاريخ اجراء هـــذه الدراسة ، فيما أن كثرة العدد لم تعد مفيدة كما كانت عندما كان النشاط الزراعى والرعوى مزدهرا فى المنطقـــة ، بل أن الاسرة الكثيرة العـــدد أصبحت فى حاجة الى مصروفات لا يقابلها دخل من كل الأفراد ، • • فبالنسبة للاخوة فى الاسرة الواحدة هاجر بعضهم وترك أسرته فى القرية وكان يبعث لهذه الاسرة بنفقة شهرية ، وبعـــد فترة اصطحب زوجته وأطفاله الى مكان عمله وقطع تلك النفقة الشهرية التى كان يبعث بهـــا كل شهر عندما كانت زوجته وأطفـــاله يقيمون مع الاسرة فى القرية . وقد أدى انقطاع هذه النفقة الى زيادة العبء الاقتصادى على بقيـــة الاخوة الذين لم يهاجروا •

وقد كان البعض منهم يمارس أنشطة اقتصادية مختلفة كان يسوق السيارات بالاجرة ، أو يعمـــل موظفا فى احـــدى الادارات الحكومية أو يمارس التجارة الى غير ذلك • وبدأ هذا يشـــعر بأن بقية أعضـــاء الاسرة عالة عليه نتيجة لانه أكثرهم نشـــاطا وفعالية ••

وعندها بدأ التفكير فى قسمة الأرض والمنزل ، فاذا كانت الاسرة تتكون من أربعة إخـــوة قسمت الدار والأراضى الى أربعة أقســـام متساوية ، غير أنه بالنسبة للدار فان المهـــاجر ليس فى حاجة اليهـــا ، كما أن واحدا أو اثنين من الاخوة يستطيع أن يبنى منزلا حديثا ينتقل فيه بأسرته فقط ، ويبقى واحد أو اثنان فى المنزل القديم ونظرا لان الأراضى الزراعية قد تكون قليلة المساحة لدى هذه الاسرة فانها بعد التقسيم لم تعد صالحة للزراعة بسبب صغر المساحة التى ســـوف تؤدى الى أن تكون التكلفة أكثر من الانتاج • وهذا واحد من العوامل التى زادت من ضعف النشاط الزراعى وتوقفه •

أما بالنسبة للوقف الذى كان كبيرا لعائلة يكتبه قبل وفاته ، فقد ظل سارى المفعول حتى عهد قريب ، عندما بدأت المحاكم الشرعية تنظر

فى طلبات النساء لتمكينهن من حقــوقهن فى التركة بعد عدم تجــاوب الاخوة الذكور معهن فى هذا الطلب ، وعندما وجدت المحاكم الشرعية أن مثل هذا الوقف غير جائز من الناحية الشرعية لانه يحرم الوارث من نصيبه فى الميراث ، وخاصة الوقف الذى ينص على عدم دخول النساء فى القسمة وحقهن فى التمتع فقط بما تنتجه الأرض اذا كن فى حاجة الى ذلك الانتاج .

وبما أن الأرض لم تعد تنتج ، وبما أن مفهوم العلاقات الاجتماعية قد تغير عن المفهوم السابق ، فقد رأت المرأة أو زوجها وأولادها بأن لها حقا فى تركه والدها خاصة بعد بدء الذكور فى اقتسام التركة ، فقــــد بدأت تطلب هى أيضا نصيبها فى هذه التركة ، وعندما لا يجد هذا الطلب قبولا لدى الاخوة الذكور تلجأ الى المحكمة الشرعية بطلب هذا الحق ، وقد أصدرت المحاكم الشرعية أوامر بوجوب اعطاء الاخت أو الأخوات أو خلافهن حقوقهن فى التركة ، وبعدها بدأت تســوى هذه الامــور بالحسنى والتفاهم بين الاخوة والأخوات . فاما أن تأخذ نصيبها من الأرض والمنزل وتتركه لأولادها . واما أن تأخذ تعويضا ماليا عنه من الذكور القادرين على دفع هذا التعويض .

ولم تكن المرأة فى مجتمع بنى كبير تجرؤ على المجاهرة بطلب كهذا لأن العرف يقضى بعدم مطالبتها بالأرض من اخوتها أو أقاربها وهو الذى كان ينظم العلاقة فى مثل هذه الأمور . ولكن مع التغير الذى طرأ على العلاقات الاجتماعية وشــعور المرأة بأن القــاضى أو المحكمة الشرعية ستعطيها هذا الحق عندما تطلبه شجعها على أن تتقــدم على مثل هــذا السلوك . بالاضافة الى أن المرأة قد فهمت ســواء عن طريق التعليم أو عن طريق الاتصال بالمجتمعات الأخــرى بأن المرأة لابد أن تأخــذ حقها الشرعى ولا يستطيع أحد أن يمنعه عنها لمجرد أنها امرأة ..

ثالثا ــ الهجرة من القرية الى المدينة :

الهجرة عامل هام جدا من عوامل التغير فى البناء القبلى فى مجتمع بنى كبير وقد أحدثت أكبر الأثر فى هذا التغير ، وهى فى حد ذاتها ليست ظاهرة جديدة على مجتمع بنى كبير ، لكن حدتها التى تركت هذا الأثر البالغ جاءت من كونها (هجرة جماعية) وشملت عناصر كانت تقوم بدور رئيسى كبير فى النشاط الاقتصادى فى المنطقة كالشباب والنساء والأطفال .

فأما الهجرة القديمة فكانت على نطاق ضيق محدود فقبل عام ١٩٦٧ هـ ــ ١٩٤٧ م وهو تاريخ افتتاح مدرسة بنى كبير فى قرية العبادل، كان عدد المهاجرين من القرية الى مدن الحجاز لا يتجاوز (١٠) أفراد من الذكور فقط . والمهاجرون الى خارج المملكة وخاصة الى فلسطين والأردن والسودان لا يتجاوز عددهم خمسة أفراد من الذكور أيضا . حسب رواية الاخباريين الذين ذكروا هؤلاء المهاجرين بالاسم . وهذه الهجرة وخاصة النوع الثانى منها لا يعود المهاجر الا بعد مرور سنوات طويلة قد وصلت الى (٣٠ عاما) وعاد من أولئك الخمسة « ثلاثة فقط » بينما استقر الآخران فى الأردن ولم يعودا حتى تاريخ اجراء هذه الدراسة .

وبالنسبة للهجرة الى مدن الحجاز . فقد كانت تتم فى موسم الحج ، حيث يذهب هؤلاء الى هناك للعمل ثم يعودون بعد ذلك الى المنطقة مباشرة ، ولم تكن هذه الهجرة المرتدة ذات تأثير كبير على المنطقة نظرا لقلة عدد المهاجرين ونوعيتهم ، ولكونهم لا يبقون فى المدن مدة طويلة تمكنهم من اكتساب أنماط ثقافية جديدة ينقلونها الى المنطقة ، كما أن الدافع الأول لهذه الهجرة اقتصادى بحت ، فقد هاجر هؤلاء على حد قول الاخباريين فى فترة تعرضت فيها المنطقة لقحط ومجاعة شديدة وخاصة بالنسبة للمهاجرين الى خارج المملكة .

أما بعد افتتاح المدرسة ، فقد بدأ الشباب الهجرة الى المدينـة ذلك أنه كما أشرنا من قبل • نشب صراع بين الاباء والأبناء ، فالمدرسة تستهوى الشباب وخاصة أولئك الذين تجاوزوا سن الثانية عشرة من العمر على الأقل لتريحهم من أعباء العمـل الذى كانوا يشـاركون فيه أسرهم ، والاباء من ناحيتهم يفضلون بقاء أولادهم فى مجال العمـل ولا يرغبون فى ذهابهم الى المدرسة هذا أولا • وثانيا ليسوا على قناعة بالتعليم فى المدرسة فكانوا يفضلون تعليم أولادهم على يد (الفقيه) فيكفى أن يتعلم الابن القرآن الكريم فقط •• وحدث شىء من التوازن بين رغبة الاباء والأبناء ، فوقت الصباح حتى الظهر للمدرسة • وما بعد ذلك للعمل ، أما أول من نجح فى الهجرة فقد كانوا من فقدوا آباءهم وظلوا تحت رعاية أمهاتهم أو أحـد أقربائهم وسـلطة الام أو القريب ليست كسلطة الأب « فالأخير يمكنه أن يستخدم العنف ضد ابنه ويمنعه من السفر ، وقد أعيد عدد من المهاجرين الى المنطقة بواسطة آبائهم الذين لحقوا بهم فى منـاطق الهجـرة واقتادوهم عائدين •• وظلت معدلات الهجرة منخفضة نوعا ما • الا أن بدء المدرسة فى تخريج أعداد من الطلاب بعد نجاحهم فى الصف السادس الابتدائى • أو حتى بلوغهم الصف الرابع والخامس • وفى ذلك الوقت أى فى العـام ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٣ م • دفع الاباء بأبنائهم الى الهجرة من أجل العمل ، لانهم رأوا أن هجرة الأبناء وخاصـة الى المنطقـة الشرقية من المملكة العربيـة السعودية ، حيث توجـد هناك « شركة الزيت العربيـة الامريكية » أرامكو ، التى كانت تستقبل هؤلاء وتوظفهم فى أعمال كتابية أو يدوية بصفة مبدئية • وتدفع لهم مرتبات جيدة بالنسبة للمستوى الاقتصادى آنذاك • فعندما دفع آباء بأبنائهم الى الهجرة الى مناطق الزيت كان من أجل تحقيق مستوى اقتصادى طيب بالنسـبة لأسرهم المقيمة فى

المنطقة ، خاصة وأن هذه الاسرة قد بدأت تميل الى التخلى عن النشاط الزراعى والرعوى نتيجة للظروف التى أشرنا اليها ، ولابد لها من الاعتماد على ما يبعث به ابنها المهاجر من نقود ٠

ونتيجة لذلك فقد هاجر العديد من الشباب بتشجيع من آبائهم ، بعد أن كانت الهجرة تتم (بغير موافقة الاباء ، وهؤلاء أثروا على زملائهم وأقربائهم من شباب القرية ،الذين حصلوا على قسط من التعليم ، وأغروهم بالالتحاق بشركة الزيت والعمل فيها ، كما التحق بالشركة أيضا غير المتعلمين من أبناء القرية والمنطقة عموما لممارسة الأعمال اليدوية ، وقد تولت (ارامكو) بعد ذلك تعليم هؤلاء وابتعاثهم للدراسة فى خارج المملكة ٠ وقد استمر معدل هذه الهجرة فى الارتفاع ، مما زاد فى اختفاء مظاهر النشاط الاقتصادى فى المنطقة ، والاعتماد على أموال المهاجرين ٠ وفى بداية الهجرة لحق الضرر بالنشاط الاقتصادى ٠ ذلك أن المهاجرين كانوا أيد عاملة مؤثرة فى الناحية الاقتصادية ، فتحول العبء على المرأة التى وجدت نفسها أمام أعباء اضافية تفوق طاقتها ٠ ومع مرور الزمن قل انتاجها ٠ وبعد ذلك تخلت عن بعض أنشطة فالاسرة التى كانت تمارس النشاط الزراعى والرعوى وصناعة الجباب ٠ خفضت نشاطها واقتصرت على نشاط واحد ، فاذا قررت الاسرة ممارسة النشاط الزراعى وحده ٠ ألغت النشاط الرعوى ، واذا عدلت عن الزراعة مارست الرعى الى جانب صناعة الصوف ٠

وبدأ المهاجرون بعد ذلك يصطحبون زوجاتهم وأطفالهم معهم الى مناطق الهجرة فازداد النشاط الاقتصادى ضعفا ، خاصة وأن اعداد المهاجرين قد زادت الى مختلف مدن المملكة ، وهذا بدوره أدى الى توقف الكثير من الاسر عن ممارسة أى نشاط ، واكتفت بالعيش على ما يبعث به المهاجرون اليهم من أموال ٠ فتحولت هذه الاسر الى أسر مستهلكة فقط بعد أن كانت منتجة ٠

ونتيجة لذلك اختفى الجمل والثور والبقرة ٠ ومعنى ذلك اختفاء

النشاط الزراعى ، الا فى بعض أسر تمسكت بالزراعة وأخرى برعى الأغنام وفى قرية العبادل ، لاتزال بعض أسر تمارس الزراعة على نطاق محدود بينما نجد أسرة واحدة لديها قطيع من الغنم لا يتعدى (٢٠٠) رأس يذهب بها الى المرعى رب هذه الاسرة كل يوم .

ومما ساعد أيضا على اختفاء مظاهر النشاط الاقتصادى التقليدى انتشار التعليم فى المنطقة ، فقد أنشأت وزارة المعارف فى سنة ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م (معهد اعداد المعلمين) فى مكان بعيد نسبيا عن بنى كبير ، وكان هذ االمعهد يستقبل الطلاب الذين حصلوا على الشهادة الابتدائية ويقدم لهم مكافأة نقدية شهرية طيلة الدراسة ومدتها ثلاث سنوات بعدها يحصل الطالب على شهادة معهد المعلمين التى تخوله للتدريس فى المرحلة الابتدائية وقد كان الاقبال على هذا المعهد كبيرا ، خاصة وقد تغيرت مفاهيم أولياء الامور عن التعليم وأصبحوا ينظرون اليه على أساس أنه يحقق لهم دخلا شهريا ثابتا ، نتيجة لاشتغال أبنائهم بمهنة التدريس أو فى وظائف حكومية ، ونظرا للمسافة التى تفصل بين المعهد والمنطقة حوالى (٨ كم) فقد اضطر الطلاب الى استئجار منازل لاقامتهم فى مكان المعهد ، وأدى ذلك الى مزيد من الهجرة وفقدت الاسرة بذلك اليد العاملة بعد الظهر .

وعندما تخرج هؤلاء الطلاب بعد انتهاء دراستهم ، وعينوا على وظائف مدرسين ، كانوا يدفعون الى آبائهم مرتباتهم الشهرية ولا يستبقون منها الا ما يجود به الآباء كمصروف جيب لهؤلاء ... ولم يبق الحال كذلك ، فمع مرور الزمن حاول الموظفون تحقيق نوع من الاستقلال الاقتصادى داخل الاسرة ، فقد شعر هؤلاء أن زوجاتهم فى حاجة الى مصروفات خاصة ، كما أنهم أنفسهم فى حاجة الى زيادة هذه المصروفات ، وأنهم أيضا فى حاجة الى تكوين (شخصية مستقلة) عن سلطة الأب وسلطة الاسرة ، ولكن هذه الرغبة اصطدمت مع رغبة الاباء فى السيطرة على دخل أفراد الاسرة وتوزيع هذا الدخل ، وكان من نتيجة

ذلك أن نشأ صراع جديد داخل الاسرة • أدى الى مزيد من الهجــرة بالنسبة لفئة الموظفين والمدرسين الى مدن المملكة المختلفة •

وعلى سبيل المثال فانه فى عام ١٣٨٢ هـ ــ ١٩٦٢ م • تخــرج من هذا المعهد ثلاثة أفراد من قرية العبادل وعملوا بالتدريس ، وكان مرتب الفرد آنذاك (٥٢٥) ريالا فى الشهر ، ويقول هؤلاء أنهم كانوا يدفعون مرتباتهم الشهرية الى آبائهم وذكروا أن الآباء كانوا يعطونهم كمصروف شهرى خاص مبلغا لا يزيد عن (٥٠) ريالا فقط •

وعندما تزوج هؤلاء بعد تخرجهم بعام أو عامين ، طالبوا الاباء بزيادة المصروف الخاص حيث وصلت مرتبــاتهم بعد عامين من التخرج الى (٦٠٠) ريال ، وســألت هؤلاء عن سبب مطالبتهم بزيادة هــذا المصروف فقالوا • بأن زوجاتهم لهن طلبات خاصة يرغبون فى تحقيقها لهن ، كما أن المبلغ السابق لم يعد يكفى لشراء سجاير فى الشهر الواحد • وبطبيعة الحــال فقد نشب الصراع الذى أشرنا اليه • مما دفع اثنين منهم الى الهجرة إلى المدينة بينما بقى الثالث فى القرية لانه كان يشتغل بأعمال أخرى بعد الظهر كالدروس الخصوصية وقيــادة السيارات ، ومثل هذه الأعمال تحقق له دخلا اضافيا ، فلم يعــد يلح على والده بزيادة المصروف من المرتب الشهرى •

وفى عام ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م أصبح عدد المدرسين والموظفين فى قرية العبادل (٩٠) فردا • وأعنى بهم المقيمين داخــل القرية ، بدأوا الهجرة بالتدريج بحيث أصبح عــدد المقيمين منهم فى عام ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م (١٥) فردا فقط • اما لان هؤلاء يتحملون مسؤولية أسرهم نظرا لوفاة رب العائلة ، واما لان لديهم مناشط أخــرى يعملون بهــا ، كالتجارة أو امتلاك سيارات نقل خاصة أو ما شابه ذلك •

والبقية هاجروا الى المــدن رغبة فى الافلات من ســيطرة الأب

والانفاق على الاسرة ، وكان هؤلاء فى بادىء الأمر يبعثون بمخصصات شهرية الى ذويهم فى المنطقة ، الذين تأثروا تأثرا بالغا بهجرة هؤلاء وانقطاع المرتب الشهرى عنهم .

لكن المهاجرين الى المدن وجدوا أنفسهم أمام صعوبات مالية كبيرة ، فالمهاجر فى حاجة الى استئجار مسكن خاص له ولعائلته المهاجرة معه والمكونة من الزوجة والأطفال . وايجار المساكن فى المدينة مرتفع جدا ، كما أنهم وجدوا أنفسهم أمام مصروفات اضافية جديده ، نظرا لانه يعيش فى المدينة حياة جديدة تختلف عن تلك التى كان يعيشها فى القرية .

وقد كان يأمل المهاجر الى المدينة أن يحصل على عمل اضافى يرفع به دخله الشهرى ، ولكنه وجد أن فرصة الحصول على عمل اضافى ليست سهلة التحقيق ، نتيجة لكثرة العرض وقلة الطلب ، فالأعمال التجارية والمكتبية والدروس الخصوصيه يسيطر عليها المقيمون فى المدينة وخاصة من الوافدين الى المملكة من أجل العمل ، فوجد المهاجر نفسه أمام متاعب اقتصادية كبيرة ، فاذا كان مرتبه الشهرى فى عام ١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥ م لا يزيد عن ثلاثة آلاف ريال فى الشهر بالنسبة للمدرس ، فانه يدفع مبلغا لا يقل عن ألف ريال فى ذلك التاريخ كايجار للمنزل الذى يسكنه ، فى حين أنه يحتاج الى سيارة خاصة كوسيلة هامة للمواصلات ، بالاضافة الى مصروفات الطعام والعلاج وما الى ذلك . ويقول بعض هؤلاء أنهم وجدوا أنفسهم فى حاجة الى الاقتراض على المرتب الشهرى الذين يتقاضونه ، ليسدوا به العجز القائم ، وكان من نتيجة ذلك أن انقطع المخصص الشهرى الذى كان المهاجر يبعثه الى أسرته فى القرية ، مما أدى الى ظهور أسر فقيرة فى مجتمع بنى جبير ، خاصة وان هذه الاسر قد تخلت عن النشاط الزراعى أو الرعوى الذى كانت تمارسه اعتمادا على دخل الوظيفة الشهرية لابنها قبل هجرته . كما أن الأرض الزراعية لم تعد صالحة للزراعة بعد أن تركها أهلها بورا لسنوات طويلة . وفى نفس الوقت لم يعد كبار السن فى حالة تؤهلهم للعمل الزراعى أو الرعوى أو للقيام بأى نشاط آخر .

ونتيجة لما تقدم ، فقد عاد المهـــاجرون الى المنطقـــة من جديد ، وخاصة من كان يعمل منهم بالتدريس أو الوظائف الحكومية أو المؤسسات الخاصـــة ، ولم يبق فى المدن من المهاجرين الذين بلغ عددهم فى عـــام ١٣٩٢ هـ (٧٥) فردا سوى (٢٠) فردا اما لانهم فى مستوى اقتصادى ممتاز ، واما لان الوظائف التى يعملون بها ليست متوفرة أصلا فى المنطقة كالعاملين فى مؤسسة الطيران أو الارصاد الجـــوية ، أو فى المؤسسات الخاصـــــة .

ويقول هؤلاء العائدون فى الهجرة المرتدة بأنهم أصبحوا فى وضع اقتصادى جيد ، خاصة وأنهم لم يعودوا يدفعون أجور المنزل الشهرية عندما كانوا يعيشون فى المدينة وأصبحوا حاليا يقيمون فى منزل الاسرة ، بل يمارســـون أنشطة أخرى كالاشتغال بالتجارة بعد انتهـــاء وقت العمل الحـــكومى .

ولقد حاولت بعض الاسر — أثناء هجرة الموظفين — العـــودة الى العمل الزراعى لسد النقص الـــذى طـــرأ على مواردها الاقتصـــادية ، باستخدام الآلات الزراعية الحديثة كالحراثة الآلية بدلا من الثور لحرث الأرض الزراعية فى حرث الأرض ، واستخدام (الموتورات) التى تعمل بالديزل أو البنزين لاستخراج المياه من الآبار ورى الأراضى الزراعية . الى غير ذلك من (الملكية الزراعية) لكن نظام الملكية المعقد حـــال دون التوسع فى الرقعة الزراعية على الرغم من ارتفاع المستوى التكنولوجى، فمهما استخدم من الآلات فان الانتاج يكون قليلا نظرا لصغر المساحات الزراعية بالنسبة للفـــرد الذى يستخدم هذه الآلات ، فتكون التكلفة فى كثير من الاحيان أكثر من الانتاج . ولهذا لم تنجح الميكنة الزراعيـــة فى قرية العبادل النجاح المطلوب . والامر الثانى الذى أعاق نجـــاح التجربة هو عدم صلاحية التربة الزراعية نتيجة لانها تركت بورا لعدة سنوات ولانعدام السماد الطبيعى الذى كان مصدره الحيوانات التى تربى فى منازل القرية . ولعدم قناعتهم باستخدام السماد الكيماوى .

كبير على عدم قدرة النشاط الزراعى على النهوض مرة أخرى .

أما تلك الاسر التى لديها الفائض من الاموال نتيجة لهجرة عدد من أبنائها الى خارج المنطقة فقد تحولت الى ممارسة النشاط التجارى ، ونظرا لازدهار هذا النشاط فى المنطقة فقد عاد عدد من المهاجرين لممارسة التجارة بأشكالها المختلفة ، وهؤلاء العائدون مع أسرهم اكتسبوا أنماطا ثقافية جديدة ، فلم تعد منازل القرية القديمة تصلح كسكن لهذه الاسرة لعدم توفر وسائل الراحة الحديثة التى عاشوها فى المدن . فبدأت هذه الاسرة فى بناء المنازل الحديثة على الطريقة القائمة فى المدن . وبما أن القرية القديمة لم تعد ملائمة لاقامة مثل هذه المنازل . حدث التوسع فى العمران فى أطراف القرية ، وبدأت المنطقة تعرف نظام التخصص فى غرف المنزل . فهذه غرفة لاستقبال الضيوف . وتلك للطعام ، وأخرى للنوم ، وغرف خاصة بالاطفال وهكذا . كما أن (الحمام) وجد فى هذه المنازل الحديثة بعد أن كان الخلاء هو المكان الوحيد لقضاء الحاجة .

وتأثرت المرأة المقيمة فى القرية بالانماط التى نقلتها اليها المرأة المهاجرة من المدينة ، فعرفت الملابس الحديثة وأدوات الزينة والماكياج وأصناف العطور الى غير ذلك من الانماط الثقافية المنقولة .

والمنزل الحديث وجد به (خزان المياه) فلم تعد المرأة بحاجة الى الذهاب بقربتها الى البئر لتملأها بالماء ثم تعود بها الى المنزل ، وبالمثل فان المرأة فى منازل القرية القديمة تأثرت بذلك فامتنعت عن الذهاب الى الآبار لاحضار المياه ، وساعدها فى ذلك عدة عوامل ، أولها أن المرأة فى بنى كبير بدأت تميل الى الحجاب . بعد أن كانت ظاهرة السفور هى السائدة فى المنطقة ، وسنشرح أسباب ذلك عند الحديث عن العلاقات الاجتماعية . وثانى هذه العوامل نضوب الماء فى عدد من آبار القرية فأصبح لزاما على المرأة أن تسير بقربتها لمسافات أطول من السابق فى رحلة

الاراضى الزراعية التى كان يسقيها (الثور فى يوم كامل) فى ساعة واحدة وذلك معناه أن الوقت ضيق أمام المرأة ولا يمكنها من الحصول على كمية الماء اللازمة ، نظرا لتوقف الموتور عن العمل أما قبل وصولها أو قبل الحصول على كفاية المنزل من المياه . والسبب الرابع أن كميــة المياه المستهلكة زادت لدى الاسر فأصبحت المرأة تغسل الملابس يوميا بواسطة الغسالة الكهربائية التى وجدت فى المنطقة مع وجود الكهرباء فى عام ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م . وقد سبقت الاشـــــارة الى ذلك . واهتم أفراد الاسرة بالنظافة الشخصية عن طريق الاستحمام يوميا ، كل ذلك بالاضافة الى العوامل التى ذكرناها آنفا ، أدت الى عدم جدوى «القرب» كوسيلة للماء ،، وأدى بالتالى الى اختفاء دور المرأة فى هذا الشأن ، وبما أن منازل القرية القديمة لا تتوفر فيها خزانات للمياه ، ولا وجود لانابيب داخلية توزع المياه الى داخل المنزل ، فقد وجد الســـــكان أن الضرورة تحتم وجود خزانات للمياه تواجه الحاجة المتزايدة اليها ، ولذا فانه من الطبيعى أن نجد خزانات المياه الكبيرة الحجم المصنوعة من « الزنك السميك » أمام كل منزل بحيث تبلغ سعة الواحد منهـــا من ٥٠ الى ١٠٠ صفيحة ، تبقى مملوءة بالمياه لتواجه الاحتياج . وتملأ هذه الخزانات بواسطة خزانات أخرى موجودة فى سيارات النقل الصغيرة ، فيذهب الرجل بسيارته التى يوجد بها الخزان يملؤه بالمـــــاء ثم يعـــود الى المنزل ليفرغه فى الخزان الموجود فى الدار . ولهذا فقد تحولت عملية (احضار المــاء) الى الرجل بعد أن كانت من اختصاص المرأة وذلك للاسباب التى ذكرناها . ولسبب أن مصادر المياه التى تملأ منها هذه

الخزانات فى أماكن بعيدة وضعت على الابار التى فيها موتورات خاصة لهذا الغرض ، مقابل ثمن معين وهو (٢٠) ريالا بالنسبة للخزان سعة مائة صفيحة • والرجل هو الوحيد القادر على قيادة السيارة بالنسبة لبنى كبير الحاضرة ، وعلى التعامل مع الرجال الذين يشرفون على هذه الابـــــار •

وهكذا نلاحظ أن الهجرة أثرت تأثيرا هاما فى حياة السكان ، سواء منها الهجرة من مجتمع بنى كبير الى أماكن أخرى أو الهجرة المرتدة من هذه المناطق الى بنى كبير ، ففى أول الامر كان تأثيرها واضحا على النشاط الاقتصادى بشكل أدى الى توقف عدد من الانشطة الاقتصادية مما أدى الى ظهور أسر فقيرة بالقياس الى تلك الاسر التى هاجر منها عدة أفراد تدفقت أموالهم الى أسرهم فى المنطقة فتحسنت لديهم الحالة الاقتصادية وبرز لدى مثل هده الاسر نشاط تجارى واسع نتيجـــة لوجود رأس المال ،وعند عودة المهاجرين الى القرية جاءوا معهم بأنماط ثقافية مختلفة عن تلك السائدة فى المنطقة ، تأثر بها المقيمون بدرجة كبيرة ، فمنها كما أوردنا تأثر المرأة بنظيرتها العائدة فى ملبسها وحرصها على النظافة وتربية الاطفال ، ثم أن انشاء المنازل الحديثة فى أماكن خارج القرية الاولى ووجود وسائل رفاهية داخل هذه المنازل • أدى الى أن بعض أسر فى القرية القديمة بدأت فى انشاء منازل حديثة لها ، أو احداث تغييرات جذرية فى منازلها القديمة لاستحداث غرف للنـــــوم وأخرى للطعام بالاضافة الى انشاء حمامات الى جـــوار تلك المنـــازل وبالتحديد فى أحواشها •• وقد انتشرت السيارات بشكل واسع عندما بدأت الهجرة المرتدة ، بحيث أصبح كل فرد تقريبا يمتلك سيارة خاصة حتى داخل الاسرة الواحدة •

وتغيرت أيضا الكثير من المفاهيم التى كانت ســـــائدة ، فالمرأة التى كان دورها فى الحياة لا يتعدى القيام بالاعمال المنزلية ، ومزاولة الدور الاكبر فى النشاط الاقتصادى • بالاضافة الى الانجاب ، أصبحت لها

مكانة خاصة فبدأت تدافع عن حقوقها ووقفت باصرار وعناد من أجل ذهاب بناتها الى المدارس للتعلم ، كما أنها بدأت تشارك الرجل فى ادارة شؤون المنزل من الناحية الاقتصادية فهى المسؤولة تقريبا الآن عن ادارة اقتصاد المنزل وهى التى تحدد ما ينبغى شراؤه وما لا ينبغى حسب حاجة منزلها وأفراد أسرتها، وكل تلك الامور اكتسبتها من خلال تعاملها مع مجتمعات أخرى عن طريق الهجرة أو اكتسبتها المقيمة من المهاجرة العائدة • أو من خلال تعاملها الموسع مع أجهزة الراديو والتليفزيون •

واذا عدنا لالقاء نظرة على الرسم التوضيحى للمجتمع المحلى على (ص ٢١٥) لوجدنا أن البناء الاجتماعى القبلى يرتبط بدرجة كبيرة مع نظام الملكية ، التى تؤثر فيها العوامل الطبيعية ، والتى تحدد بعد ذلك نوعية النشاط الاقتصادى • وكل من هذه العناصر • البناء والملكية والعوامل الطبيعية والنشاط الاقتصادى يؤثر كل منها ويتأثر بالآخر • ذلك بالاضافة الى المستوى التكنولوجى الذى كان سائدا فى المنطقة وهو مستوى بدائى الى حد كبير ، وعند هذا الحد كان كل شىء تقليديا فى المنطقة ، فالقبيلة تبدو على درجة كبيرة من التماسك لان فكرة الارتباط بالارض كانت على درجة كبيرة أيضا ، والعوامل الطبيعية لا يستطيع المستوى التكنولوجى الذى كان سائدا التعديل فيها أو الحد من اضرارها أحيانا وانعكس كل ذلك على نوعية النشاط الاقتصادى وحجمه •

أما بعد عملية الاتصال بالخارج واكتساب أنماط ثقافية جديدة فقد جرت محاولات لرفع المستوى التكنولوجى • وذلك باستخدام الالات الحديثة فى الزراعة ، لكن نظام الملكية لم يسمح بالافادة فى هذا المستوى التكنولوجى الحديث • بالاضافة الى العامل الهام وهو (الهجرة) الى الخارج والتى شملت كل القادرين على العمل تقريبا ، وكان لها مردود مادى جيد على المنطقة عموما •

فالاتصال الخارجى والهجرة كان لهما الاثر الكبير على النشـــاط الاقتصادى التقليدى وهو ما أشرنا اليه (بالاثر العائد) هــذا الاثر

سبيل المثال تعير المفهوم نحو نظام الملكيه المعقد ، فالدوله عندما أنشأت الطريق الرئيسي الذى يربط الطائف بأبها فى جنوب المملكة ـ مر هذا الطريق بأراضى القبيلة واخترقها ـ ودفعت وزارة المواصلات تعويضات مادية لاصحاب هذه الارض وبقيت فيها أجزاء على جانبى الطريق ، (باعها) أصحابها بعد ذلك الى القادرين على انشاء مشروعات للاستثمار عليها • كانشاء محطات للبنزين أو بقالات أو غير ذلك من أوجه الاستثمار علما بأن هذه الاراضى موروثة عن الاباء والاجداد ، ولم يواجه من (باع الارض) بالاحتقار الشديد كما كانوا يفعلون فى السابق ، وعندما تسأل أحدا عن ذلك يقول (ان الحكومة) دفعت تعويضـــا فى الارض واستخدمتها من أجل المصلحة العامة • ونحن لا نستطيع أن نقف فى وجه الحكومة ونحمى أراضينا من مرور السيارات عليها ، وبما أن هذه الاراضى قد قسمت الى شطرين واخترقها الاسفلت فانها لم تعد صالحة للزراعة ، بالاضافة الى أننا قد توقفنا عن زراعتها منذ مدة طويلة • اذ فما الذى يمنع من بيع هذه الاجزاء والاستفادة من ثمنها فى أى نشاط آخر) هذا هو مفهوم أو مُنطق من باعوا أراضى على جانبى الطريق العام • وهو كما نرى منطق فردى ، حيث أصبح الانسان هنا يفكر بعقله ، بعد أن كان منطقه وتفكيره ينسجم تماما مع المفهوم والمنطق والتفكير العام للقبيلة • واذا نظرنا الى الفئة التى باع أفراد منهـا هذه الاراضى ، نجد أنهم من بين أولئك الذين هجروا العمـل الزراعى منذ مدة طويلة واشتغـلوا بمهن أخـــرى فشـــلوا فى تحقيق المردود الاقتصادى الجيد من ورائها • ثم اشتغلوا بمهن أخرى فلم يكن التوفيق معهــم •

ويصور ذلك حالة واحدة لفرد باع أرضه الزراعية ، فهو قد عمـل بمهن مختلفة وهو يهاجر باستمرار سواء الى المدن القريبة أو الى مناطق أخرى داخل أراضى قبائل غامد ، أو الى أراضى قبائل زهران المجاورة ونظرا لانه فقير الحال ، وكثير المشاغبة مع أفراد الجماعة ، فقد عاش

ولم يكن لديه من المال ما يكفى لاقامة أى مشروع على جانب الطريق، فرأى — على حد قوله — أن يبيع جزءا من الارض ليقيم المشروع على الجزء الاخر ، وهو لا يرى فى ذلك أى عيب أو عار • خاصة وأن الحكومة قد دفعت له تعويضا عما اختزلته من أرضه لصالح الطريق العام • ثم أنه لا يبالى بما ستتحدث به الجماعة عنه وبما سينعتونه به من أوصاف تتعلق بالعيب أو العار ، فهو قد عاش بينهم وحيدا ، واضطر الى الهجر ليبتعد عن ألسنتهم ••

وقد أصبح هذا الرجل ثريا بعد أن كان فقيرا لانه استثمر رأس المال الذى جمعه من بيع الارض فى مشروعات أخرى • وعلى أى حال فان النظرة الى هذا البائع من قبل الاخرين ليست جيدة وخاصة من كبار السن الذين يعايرونه بفعلته فى كل مناسبة • أما الشباب والمهاجرون العائدون • فان نظرتهم اليه ليست بنفس المستوى الذى ينظر اليه به كبار السن ، لكنهم لم يوافقوه تماما على التصرف فى ملكية الارض • وقد وجد المهاجرون الفرصة مهيأة أمامهم للاستفادة من أراضيهم الواقعة على جانبى الطريق ، فمن كان منهم يملك رأس المال أنشأ مشروعات خاصة ، ومن لم يملك رأس المال الكافى لاقامة مثل هذه المشروعات فقد (أبرم عقد ايجار لهذه الارض) لاخرين مدة تتراوح بين ٥ : ١٠ سنوات ، والمهاجرون وحدهم أول من أقدم على مثل هذه الطريقة وقلدهم فى ذلك المقيمون الذين لا يرون بأسا فى هذه الطريقة ويفسرونها على أنها استفادة من الاراضى البور التى لم تعد صالحة للزراعة • وهذا الاسلوب الجديد فى التعامل مع الارض أو فى النظرة الى ملكية الارض جديد على المنطقة عموما ، فلم يكن مثل ذلك الرجل الذى باع الارض يستطيع أن يبيعها قبل عشرين عاما مثلا ، لان وحدته القرابية ستمنعه من ذلك أو تشترى هى هذه الارض بالثمن الذى تراه

مناسبا • وستفعل ذلك بالقوة والتى ربما تؤدى الى القتل وقد أوردنا حادثة بيع سقط على أثرها مجموعة من القتلى • لكن هذا الرجل يستطيع أن يبيع هذه الارض فى مأمن من وحدته القرابية أو من جماعته أو حتى من القبيلة كلها •ذلك أن يشعر بأن أحدا لا يستطيع أن يمسه بسوء وهو عندما يشعر أن هناك أى خطر عليه سوف يتوجه الى أقرب مركز للشرطة ويطلب حمايته ، لان الشرطة والمحكمة لا تعترف بالقانون القبلى فيما يختص ببيع الممتلكات فطالما أنه يملكها ولا وارث لها سـواه فله مطلق الحرية فى بيعها أو تركها •

اذا فما دامت وحدته القرابية لا تستطيع أن تمنعه ، وطالما أن الجماعة أو القبيلة لا تستطيع أن تخلعه منها — وطالما أنه لم يعد فى حاجة الى مساعدة أو حماية من القرية أو القبيلة ، هذه المساعدة والحماية هى التى كانت تخضع الفرد للقانون والعرف القبلى •• لكن وظيفة الحماية انتقلت الى السلطة المركزية والتى أصبحت تحمى الفرد من القبيلة كلها • فما الذى يمنع بيع هذه الارض ، خاصة وأنه رأى فى المدينة أن السكان فيها يبيعون ويشترون دون قيود أو حدود على هذا البيع طالما كانت الملكية صحيحة •

اذا فالحاجة والخروج عن سلطة القرية والقبيلة ، والشعور بالامن الذى وفرته أجهزة الدولة ، واكتساب أنماط ثقافية جديدة ، كل هـذه الامور أدت الى أن يتصرف هذا الفرد أو غيره فى ملكية الارض ، بعد أن كان احـترام ملكية الارض والمحافظة عليها من سيماء الرجـولة والكمال فى هذاالمجتمع •

والهجرة بأشكالها المختلفة • كان لها أثر كبير على البناء القبلى • تماما بنفس القدر الذى أحدثته على النشاط الاقتصادى فى القبيلة فمن ناحية لم تعد القبيلة ذلك الحلم الذى يشغل أذهان أبنائها • فالمهاجر الذى انتقل الى المدينة وجد نفسه مشغولا بأعباء الحياة ، واهتم بأسرته وأطفاله ، وتأقلم فى المجتمع الجديد الذى هاجر اليه ، ونسى الكثير من

الانماط الثقافية والسلوك التقليدى القبلى ، ولم يعد يربطه بالقبيلة الا ما بقى لديه من ولاء للارض التى عاش عليها . وما ترسب فى نفسه وفكره من ثقافة القبيلة . كماأن أبناء المهاجرين وخاصة الذين ولدوا وعاشوا فى المدينة وتعلموا فيها لم تعـــد هناك رابطة تربطهم بالقبيلة ، فجماعات اللعب وثقافة المدينة استهوت هؤلاء ، وقد حاول بعض الافراد المهاجرين أن يوجدوا نوعا من الروابـــط بين أبنائهـــم وأرض القبيلة ، عنـــدما يصطحبونهم فى زيارات خاصة الى القرية ، لكن هؤلاء الصغار لم ترق لهم القرية ولم يتأقلموا معها ويطالبون آباءهم بالعودة فورا الى منازلهم فى المدينـــة .

كما أن المهاجرين العائدين . نقلوا معهم الانماط الثقافية السائدة فى المدينة ومارسوها فى القبيلة ، فالسعى لجمع المال بشتى الطرق ، والانصراف عن المشاركة فى حل المشكلات التى قد تحدث بين الافراد فى القرية ، هو طابع هؤلاء المميز ، فهم يرون أن مثل هذه المشكلات يجب أن تحل عن طريق مخافر الشرطة ومراكز الامارة فى المنطقة .

وقد تضافرت مجموعة من العوامل أضعفت البناء القبلى ، وجعلت الولاء للقبيلة يقل لدى الافراد . وأول هذه العوامل ظهـــور السلطة المركزية ، التى بدأت بالتدريج فى انتزاع السلطة من يد شيخ القبيلة ومجلس القبيلة ، بانشاء مراكز للشرطة والامن والقضاء ، تنوب عن مجلس الشيخ فى حل القضايا والمشكلات التى تطرأ فى المجتمع القبلى، ووجد الافراد أنفسهم أمام الامر الواقع ، فلا يمكن السماح مثلا بالولاء لجهتين هما : السلطة ممثلة فىالحكومة ، والقبيلة ممثلة فى شيخها .

حيث إن الازدواجية فى الولاء فى بداية الامـــر أحدثت ارتباكات كبيرة فى سلوك الفرد القبلى ، فهو فى البداية لم يخضع للسلطة الحكومية ووضع مصلحة القبيلة فوق كل اعتبار ، لكنه وجد نفسه يخضع لطائلة القانون ، وأن السلطة الحكومية ستعاقبه على مثل هذا السلوك فالسلطة الحكومية ترى أن مصلحة البلاد عامة أهم من مصلحة القبيلة أو أفراد

منها • وقد وجد القبلى أن شيخ القبيلة نفسه وقع تحت طائلة القانون ، عندما حاول أن يمنع مرور السيارات من أرض القبيلة كما أشرنا الى ذلك فى فصل سابق وسجن فى منطقة بيشه بناء على أمر أميرها المعين من قبل الحكومة السعودية •

ومع مرور الزمن وجد القبلى نفسه مضطرا للتخلى عن أفكاره القديمة وترك حماية الافراد للسلطة المركزية • والعامل الثانى هو عامل التعليم فعندما تعلم الفرد القبلى أدرك أن مصلحة القبيلة هى جزء من مصلحة الوطن عامة ، وأن الاستقرار والامن والهدوء ، وترك حمـــاية القبيلة والافراد للمؤسسات الحكومية الرسمية ، هو مكسب حضارى جيـــد من أجل النهوض بالمستوى العام وفق تخطيط منظم وتحت اشراف مستمر ومن أجل أن تعمل الانساق المختلفة بنظام معين يكفل المصلحة العامة •

والعامل الثالث هو الهجرة ، فعندما استقر المهـــاجرون فى المـــدن وامتلكوا هناك الاراضى والمنازل وأقاموا مشروعات خاصة ، جعلت هؤلاء يرتبطون بالمدينة ويتناسون القبيلة • الا ما يربطهم بها من ثقافة لاتزال تعيش فى أذهانهم وتحكم بعض تصرفاتهم ، لكن الاهتمام بأمر القبيلة والمحافظة على بنائها أمر لم يعد واردا فى أذهان هؤلاء •• والامر الاكثر أهمية هو أن أطفال المهاجرين لم تعد تربطهم بالقبيلة وأرضها أيـــة رابطة كما أسلفنا •

رابعا — المهر والزواج :

تحدثنا فى فصل سابق عن الاسرة فى قرية العبادل ، وقلنا إن النوع السائد للاسرة فى قرية العبادل هو (الاسرة الممتدة) التى تضم الاب والام والابناء وأبناء وبنات الابناء ، والبنات فى سن الزواج ، وقلنا إنهم يشتركون فى السكن والمعيشة والنشاط الاقتصادى بمظاهره المختلفة ، تبعا للسن والنوع ، وحددنا دور الرجل والمرأة والطفل فى هذا النشاط عند الحديث عن النشاط الاقتصادى وتقسيم العمل فى الفترة الثانية من هذا الفصل . قد لاحظنا أن النسق الاقتصادى وكلاً من النسق السياسى والقرابى هى الاساس فى تحديد نوع الاسرة فى العبادل خاصة وفى بنى كبير عامة .

وقد كان لهذه الانساق دور هام فى تحديد السن التى يتزوج عندها الفتى والفتاة ، وتحديد المهر ، ولها دور كبير فى وجود ظاهرة تعــدد الزوجات . فمن حيث السن كان الفتى والفتاة يتزوج كل منهما حتى ما قبل خمس عشرة سنة من الان أى من قبل عام ١٣٨٥هـ — ١٩٦٥م فى سن لا تتجاوز الخامسة عشرة الى الثامنة عشرة بالنسبه للذكور ، ومن سن الثالثة عشرة الى السادسة عشرة بالنسبة للاناث ، ما لم تحل دون ذلك الظروف الاقتصادية والصحية الصعبةفى حالات نادرة ...

ولعل أبرز أسباب الزواج المبكر — أن مجتمع قرية العبادل والقرى الاخرى التى تشكل مجتمع قبيلة بنى كبير . كانت تقع على أفراده المسئولية كاملة فيما يتعلق بسلامة القبيلة ووحدة أراضيها وحماية مواردها الاقتصادية وازاء هذه المسئولية لابد من وجود أفراد على عاتقهم تقع الاعباء المتعلقة بالدفاع من أجل البقاء والاستمرار وبطبيعة الحال فان المجتمع القبلى فى حاجة الى المزيد من الافراد وخاصة الذكور للقيام بهذه المهمة ، ولا يتسنى تحقيق هذه الزيادة فى العدد الا عن طريق الزواج المشروع . ولذا فان كل أسرة كانت تسعى لان تزوج فتيانها فى سن مبكرة بغرض الانجاب السريع وقد رأينا من قبل أن الاسرة التى يزيد

عدد الافراد الذكور فيها ، تمتاز بمكانة اجتماعية أعلى من تلك التى يقل فيها عدد الافراد الذكور • ذلك لان الاولى قادرة على تقديم المحاربين فى حالة الحاجة اليهم دفاعا أو هجوما حسب مصلحة القبيلة وهذا بدوره يعزز مركزها السياسى فى القبيلة • فيرد اليها الشأن فى كثير من الامور المتعلقة بالقبيلة • ويحظى رب هذه العائلة بمركز فى مجلس شيخ القبيلة حيث يكون له فعالية فى هذا المجلس عند اتخاذ قرارات الحرب أو السلم •

ويأتى أيضا السبب الثانى من أسباب الزواج المبكر ، وهو مرتبط بالناحية الاقتصادية لدى مجتمع بنى كبير ، فالنشاط الزراعى أو الرعوى فى حاجة الى الايدى العاملة لتعزيز هذا النشاط ، وقد أوضحنا من قبل أن لكل فرد فى الاسرة فى قرية العبادل دوره المخصص فى النشاط الاقتصادى وقلنا حينذاك أن الاسرة الكبيرة أفضل من الناحية الاقتصادية من الاسرة الصغيرة ، لان الانتاج كان على قدر العمل ، ولذا فقد كانت الاسرة تسعى الى ترويج فتياتها فى سن مبكرة ، حتى تضاف الزوجة كيد عاملة جديدة فى أسرة الزوج — وقد رأينا الدور الكبير الذى كانت تؤديه المرأة فى النشاط الاقتصادى — كما تنجب هذه الزوجة أطفالا يساهمون بدورهم فى هذا النشاط ، ويتحقق بذلك للاسرة منفعة من الناحيتين السياسية والاقتصادية على المدى الطويل •

وارتبط أيضا بهاتين الناحيتين السياسية والاقتصادية (ظاهرة تعدد الزوجات) فى مجتمع بنى كبير فالزوجة عاملة نشيطة فى المنزل والمزرعة وهى مصدر الانجاب الاول والوحيد من أجل تكاثر الافراد •• اذا فالاصل فى رأينا فى وجود هذه الظاهرة هو تحقيق الغرضين المشار اليهما • وللتحقق من صحة ذلك نرى حاليا بأن ظاهرة تعدد الزوجات غير موجودة بشكل واسع الا لدى كبار السن • بينما الشباب لا يميلون الى هذه الظاهرة مطلقا ، لانهم يعلمون أن زيادة عدد الزوجات وعدد الاطفال لن يحقق لهم شيئا بل على العكس من ذلك يسبب لهم متاعب اقتصادية كثيرة ، ويرون أن قلة عدد الاطفال سوف يساعدهم على حسن

تربيتهم ورعايتهم ولا يلجأ الشباب الى الزواج بأكثر من واحدة الا فى حالات نادرة لعدم انجاب الزوجة الاولى • اذا مضى على زواجهما مـدة طويلة ، فيضطر الشاب عندها الى الزواج من أخرى مع الاحتفاظ بزوجته السابقة اذا رغبت هى فى ذلك • ولا يعنى ذلك أن كل الشباب على هذا النمط بلهناكعدة عوامل تحكم وجود هذه الظاهرة ، فعندما نجد الشاب يتزوج أكثر من واحدة فى حالة انجاب الزوجة الاولى يمكن أن نرجع ذلك الى المستوى الاقتصادى لهذا الفرد ، فطالما وجدت لديه الامكانيات المادية أمكنه الزواج وتحمل نفقاته ونفقات الاطفال الذين ينتجون عن هذا الزواج • ونلاحظ أن المستوى التعليمى عند هذا الفرد لابد أن يكون ضعيفا • فمستواه الثقافى لا يمكنه من التفكير وأمام رغبته الحاضرة فى مستقبل الاطفال وحسن رعايتهم وتربيتهم ، فكثيرا ما تنشب خلافات بين الابناء من أمهات متعددة بعد وفاة الأب وخاصة فى الاونة الاخيرة التى طغت الماديات فيها على القيم الاجتماعية ••

وقد سبق أن ذكرنا أن الزواج المفضل لدى مجتمع بنى كبير هـو (الزواج الداخلى) أى الزواج من الاقارب (عدا المحرمات طبقا للشريعة الاسلامية) وهذا النوع من الزواج مرتبط بنظام الملكية ، فالحرص على الزواج من ابنة العم مثلا هو الحرص على عدم ذهاب جزء من العقار الى الغرباء ، وكان لابن العم الحق الاول فى الزواج من ابنة عمه •

حيث يعرض عليه عن طريق والده وعمه أيضا الزواج منها ، اذا تقدم لها خاطب غيره ، فان رغب عنها تزوجت من قريبها الابعد نسبيا وهكذا وكان ذلك نادر الحدوث ، وقد كان الاقرباء يتزوجون من بعضهم البعض ماعدا المحرمات وهى :

١ — أصول الرجل مهما علوا : ليحرم على الرجل الزواج من أمه أو جداته من جهة الاب مهما علون •

٢ — فروعه مهما نزلوا : فيحرم على الرجل الزواج من بناته وبنات أبنائه الذكور والاناث مهما نزلوا •

٣ — فروع أبويه مهما نزلوا : ويحرم عليه الزواج بأخته وبناتها وبنات الاخ ، وبنات أولاد أخيه وأخته •

٤ — الفروع المباشرون للاجداد : فيحرم على الرجل الزواج بعمته وخالته ، وعمة أبيه ، وعمة جده لابيه أو أمه مهما علون ، وخالتهما ، وعمة جدته لابيه ، وعمة أمه مهما علت ، وخالتهما ، أما الفروع غير المباشرة للاجداد فيحل الزواج منها ، ولذلك يباح الزواج بين أولاد الاعمام والعمات والاخوال والخالات •

٥ — وهناك محرمات ناتجة عن الرضاعة هى :

(ا) الام من الرضاع وأصولها مهما علون •

(ب) البنت من الرضاع وبناتها مهما نزلن (وبنت الرجل من الرضاع هى التى أرضعتها زوجته وهى فى عصمته) •

(حـ) الاخت من الرضاع وبناتها مهما نزلن •

(د) العمة والخالة من الرضاع (العمة من الرضاع هى أخت زوج المرضعة • والخالة من الرضاع هى أخت المرضعة) •

(هـ) أم الزوجة من الرضاع (وهى التى أرضعت الزوجة عندما كانت طفلة) وأصول هذه الام مهما علون •

(و) بنت الزوجة من الرضاع (وهى التى أرضعتها الزوجة قبل زواجها منه) وبنات أولادها مهما نزلوا •• ويسرى هذا التحريم بعد الدخول على الزوجة وليس بمجرد العقد عليها •

(ز) زوجة الأب والجد من الرضاع مهما علا (والأب من الرضاع هو من رضع الطفل من زوجته) فيحرم على هذا الطفل

(ح) زوجة الابن من الرضاع مهما نزل •

(ط) ويحرم على الرجل الجمع فى آن واحد بين المرأة واختهـا من الرضاع أو عمتها أو خالتهـا • أو أية امرأة ذات رحم محرم من ناحية الرضاع •

٦ ــ وهناك محرمات نتجت عن المصاهرة وهى :

(ا) أصول الزوجة مهما علون : فيحرم على الرجل الزواج بأم زوجته وجداتها من جهة أبيها أو عن جهة أمها مهما علون • ويسرى هذا التحريم بمجرد العقد على الزوجة سواء دخل بها أو لم يدخـل •

(ب) فروع الزوجة مهما نزلن : فيحرم على الرجـل الزواج ببنت زوجته وبنات أولادها وبنات بناتها مهمـا نزلن • ولا يسرى هذا التحريم الا بعـد الدخـول على الزوجة ، فمجرد العقد عليها لا يحرم على الرجل هذه الطبقة • فاذا عقد عليها وطلقها أو ماتت قبل الدخـول عليهـا ، يحـل الزواج بفروعهـا •

(جـ) زوجات الأبناء وأبناء الأبناء مهما نزلوا • فيحرم عـلى الرجل الزواج بامرأة ابنه أو امرأة ابن ابنه ، أو ابن بنته مهمـا نزلوا •

(د) ويحرم على الرجل الجمع بين الاختين مادامت الزوجـة فى عصـمته • فلا يحل له الزواج بأختهـا أما بعد طلاقها

أو موتهـا فيصح لـه الزواج بأختهـا ، وبذات الرحم المحـرم منها •

والخلاصة : أن هناك محـرمات فى الزواج وهى التى أوضحتها الشريعة الاسلامية تتعلق بأصـول الرجل وفروعه وبما يحـرم من الرضاعة ماعدا حالتين وهما : (مرضعة الأخ أو الاخت من الرضـاع لابن الرجل أو ابنته ، وبما يحرم لعلة المصاهرة ، جمعتها الآية الكريمة رقم (٢٣) من سورة البقرة فى قوله تعـالى (حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنـات الأخ وبنـات الاخت وامهاتكم اللاتى أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهـات نسـائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسـائكم اللاتى دخلتم بهن فان لـم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف) •

ويمكن أن نقسم المراحل أو طقوس الزواج الى مرحلتين رئيسيتين هما • مرحلة الخطوبة ، ثم مرحلة الدخلة ، ونؤجل الحديث عن المهـر ووظائفه الى ما بعد الحديث عن هاتين المرحلتين •

أولا ــ مرحـــلة الخطـوبة :

أشرنا فى الصفحات القليلة الماضية الى نوع الزواج المفضـل فى قرية العبادل • وهو نفس النمط السائد لدى مجتمع بنى كبير عامة • والزواج من الداخل يعنى شيئين : الأول هو الزواج من داخل الوحدة القرابية الدموية كزواج أبناء العمومة • والثانى هو الزواج من خارج الوحدة القرابية كالزواج من فتاة فى القرية من وحـدة قرابية أبعـد ذلك اذا نظرنا الى أن القرية كلها تشكل وحدة قرابية تنتمى الى جد واحد • والشغل الشاغل للاسرة فى قرية العبادل هو زواج الأبنـاء ، نظر للأهمية التى يعطونها للخلف والانجـاب ، فمن ناحية تسـعى الاسرة الى زواج ابنها فى سن مبكر للأسباب التى ذكرناها ، وبالمثـل

فان الاسرة التى تتزوج فتاتها تسعى من جانبها الى أن تزوج أحد أبنائها لتحقيق نفس الأغراض ولتعوض النقص الذى حدث فيها وهو نقص فى اليد العاملة بيد عاملة أخرى هى زوجة الابن •

فأما ما يتعلق بزواج أبناء العمومة فتكاد تكون مرحلة الخطوبة غير واضحة تماما • ذلك أن الاخوين وأعنى بهما كل من ولد الفتى والفتاة يتفقان على زواج الفتى والفتاة وهما لا يزالان فى سن مبكرة وفى مرحلة الطفولة بالذات ، وعندما يكبران ويصبحان فى السن التى يتزوج عندها أمثالها يزف كل منهما الى الآخر فى حفل بسيط لا يقارن بحفل زواج من خارج العائلة وان كانت تقام الولائم المعتادة وحفلات الرقص والطوب • أما اذا كان الزواج بين غير أبناء العمومة • فان مرحلة الخطوبة تبدو واضحة تماما • وذلك بعد أن يقع الاختيار على الفتاة المناسبة بمعرفة الأبوين ، وأهم الامور التى تجعل هذه الفتاة مناسبة أن تكون صريحة النسب من جهة الأبوين ، وأن تكون قادرة على العمل غير كسولة ، وأن تجيد أعمال الزراعة أو صناعة الصوف • ثم أن تكون خلوقة مطيعة ويأتى بعد ذلك اعتبارات الجمال • وعندما يقع الاختيار ويوافق الفتى على اختيار ذويه • تذهب أمه فى زيارة لدار الفتاة وتفاتح والدتها بشأن رغبتهم فى خطبتها لابنهم (فلان) والهدف من ذلك أن تنقل الام هذه الرغبة الى والد الفتاة وتأخذ منه الكلمة الفصل بالموافقة أو عدمها ، وتبلغ بها بعد ذلك والدة الفتى التى تنقلها بدورها الى زوجها أو الى كبير العائلة • والهدف من ذلك أن تتم الموافقة المبدئية قبل أن يذهب الرجال فتكون صدمة فى حالة عدم موافقة والد الفتاة (ويكسر مقامهم) فتنشأ بذلك حزازات لهذا السبب ، ذلك أنهم يعتبرون أن ذهاب الرجال فى طلب أمر ما • لابد أن تتم الموافقة عليه تكريما للرجال وحفظا لمقامهم ••

وعندما تتم الموافقة المبدئية يحدد يوم الخطوبة وعادة ما يكون يوم الأحد أو الخميس فيجتمع أفراد العائلة ويختارون كبار السن منهم ، ويختار هؤلاء رجلين أو ثلاثة من (لحمة أخرى) ويبلغون والد

ويكون فى استقبالهم بالاضافة الى ذوى العروس من الرجال عـدد آخر من أفراد (لحمتهم) • وعند دخـول الخـاطبين يبـدأ كبيرهم الكلام • بعد تناول أول فنجان من القهوة ــ فيعلن أن سبب حضورهم هو طلب يد فلانة لفلان الحاضر فى المجلس ، ويرمى بكمية من النقود يحدد عددها نحو والد العروس ، ثم يتحدث بعد ذلك والد العروس معلنا موافقته على الخطبة وترحيبه بالحضور ثم تدار القهوة بعد ذلك على الحاضرين فطعام العشاء ••

وجرت العادة أن ترافق الرجال والدة العريس أو أخته الكبرى ومعها مجموعة من الهدايا للعروس أبرزها قطع من الأقمشة المختلفة ، ومجموعة من العطـور والبخـور ، بالاضـافة الى القهوة والهيـل والزنجبيل والسكر والشاى ، وتقدم بعد ذلك النقـود الى العروس وأمها واخواتها البنات • وبعد تناول طعام العشاء يبدأ الحديث بين الرجال فى تفصيلات عن المهر والكسوة (قبل تحديد المهـور) وعـن موعد الزفاف الى غير ذلك • وينصرف الرجال بعد الاتفـاق على كل شىء بينما تبقى أم العريس أو أخته للمبيت فى دار العروس ، وتغادر بعد تناول الافطار فى اليوم التالى ومعها (كسـوة) اما (مصنف) وهو نوع ثقيل من القماش ذو ألوان زاهية يأتى عن طريق اليمن وهو مستورد أصلا من الهنـد ، واما أن تكون الكسوة قطعة من القمـاش الثمين • والعريس فى ليلة الخطبة لا يرى العروس ولا يقـدم لهـا أى شىء كهدية أو خلافها ، كما أن العروس • لا تملك أن تعلن موافقتها على الزواج من هذا الفتى الذى اختاره أهلها أو معارضتها • وجرت العادة أن تلوذ بالصمت ، وحتى لو أعلنت عدم رغبتها فانها لا تعلن عن ذلك الا لامها أو لاحدى أخواتها البنـات • واذا علم الوالد بذلك فان شيئا لن يتغير ، فهو وحده الذى يملك الموافقة أو الرفض لهـذه المخطوبة • •• بعد هـذه المرحلة تسـتمر الزيارات بين الاسرتين •

ويذهب العريس دائما الى دار العروس وربما التقيا ولكن بحضور أفراد عائلة العروس .

ثانيا : مرحلة الدخلة :

الدخلة فى مجتمع بنى كبير لها تسمية أخرى حيث يطلقون عليها (المراح) بفتح الميم والراء . ويعنون بها انتقال العروس الى دار العريس . وقلنا أنه يتم الاتفاق على كل شىء حتى موعد (المراح) فى نفس ليلة الخطوبة وعندما يحين الوقت ويحدد يوم الزفاف . وهو يوم الأحد أو يوم الخميس أيضا . تكون ملابس العروس وأثاثها قد أعدت قبل هذا اليوم ثم يحضر (الفقيه) ويسمونه فى هذه الحالة (الململك) بكسر الميم الأولى وسكون الثانية وكسر اللام واهمال الكاف ، ويطلب حضور العريس وولى أمر الفتاة ويتم اجراءات (عقد النكاح) المتبع وهو لا يختلف عن أى عقد نكاح داخل المملكة أو خارجها بالنسبة للمجتمعات العربية . بمعنى أنه لا يتم عقد النكاح الا قبل ساعات قلائل من موعد الزفاف . وتفسيرهم لذلك ينطوى على وجهتى نظر الأولى أنه فى حالة اتمام عقد النكاح فى وقت مبكر سيتردد العريس كثيرا على دار العروس ، ولا يرى حرجا من الاختلاء بها بينما اذا لم يتم العقد بعد ، فانه سيتحرج من الاختلاء بخطيبته ويتجنب كثرة الزيارة والتردد ، مما يقطع حديث الناس عن العريس وعروسه . والثانية أنه ربما حدث خلاف طارىء بين الاسرتين أدى الى خصومة كبيرة قبل موعد الزفاف ، فان كان عقد النكاح قد تم ، فان المشكلة تتطور بحيث لا يرغب أهل العروس فى زفافها ، وتتشدد عائلة العريس فى موقفها . وعندها تبقى العروس معلقة . فلا هى مطلقة تستطيع الزواج من آخر ، ولا هى ذهبت الى دار زوجها . فيؤخرون العقد تحسبا لمثل هذه الظروف . وبعد اتمام العقد يتوجه موكب العروس الى دار العريس ويكون وبصحبتها مجموعة من قريباتها من النساء . كالام والأخوات والخالة ، وبنات العم وبنات الخال والخالة وغيرهن وكان جهاز العروس فى الماضى يتكون من ملابسها الخاصة

ومجموعة من الالحفة والسجاد (والهــدوم) وقد سبق تعريفها بأنها عبارة عن أبسطة مصنوعة من سعف النخل ، وكذا كيس أو كيسين من الدقيق ، ومثلهما من التمر ، وصفيحة مملوءة بالسمن البلدى اضــافة الى بعض أوانى منزلية ، والأشياء الصغيرة كانت توضع فى (السحارة) وهى التى كانت تستخدم فى الماضى قبل معرفتهم بالحقــائب الكبيرة مؤخرا ، والسحارة هذه على هيئة حقيبة كبيرةالحجم مصنوعة من الخشب ومبطنة بالقماش ، ويزين خارجهــا برســوم ونقوش ومرايا صغيرة وتوضع بداخلها ملابس العروس وأدوات الزينة ، وكذا بعض الأوانى الصغيرة ، وكل هذه الأشياء تحملها الجمــال على ظهورها وعادة يشد جهاز العروس على جملين أو ثلاثة جمــال ، واحد منها توضع عليــه (سحارتان) واحدة من اليمين وأخرى من الشمال ، ثم توضع الالحفة والسجاد والوسائد فوقهما ، وتركب العروس ظهر هذا الجمل ، وعادة ما يكون أمامها أحد اخوتها الصغار الذى لا يقــل عمره عن ١٢ سنة حيث يمكنه السيطرة على الجمــل وتوجيهه وحتى لا تقــع العروس من على ظهره ، ويكون هذا الجمل الذى يحمــل العروس فى مؤخرة الجمال ، ويسير خلف العروس مجموعة النساء اللاتى أشرنا اليهن ، يضربن الدفوف ويرددن مجموعة من الأغــانى الشعبية التى تمتــدح العروس وأهلها ، وعندما يقترب الموكب من دار العريس تخرج أمه ومعها مجموعة من النساء أيضا يرددن عبــارات الترحيب بالعروس ومرافقيها ، ويحملن (المباخر) ويسرن أمام الركب حتى يصــل الى الدار ، ثم تناخ الجمــال ، ويتقدم العريس لانزال عروسه من على ظهر الجمل ، بينما تصطف مجمــوعات من النســاء القادمات مــع العروس والمســتقبلات فى حلقة ، اما فى حوش الدار أو فى داخــل المنزل يضربن الدفوف ويغنين ويرقصن احتفاء بهذه المناسبة ، وتدور كلمات الأغانى الشعبية حول مدح العروس وأهلها من قبل (الشاعرة) المرافقــة للعــروس بينمــا (الشــاعرة) التى من أهــل العــريس تمتــدح العــريس وأهــله وكرمهــم ويســتمر الأمــر كذلك حتى أذان المغــرب ، حيث يتوقفن عن الغنــاء ويبــدأن فى شــرب القهوة

والشـــاى ، وتجلس العـــروس فى أبهى حـــلة ترتدى كامل زينتهـــا على مقعد خاص يسمونه (مقعد العروس) مصنوع من الخشب أيضا ويرتفع عن الأرض بمقدار ٦٠ سم تقريبا • ولا تغادره الا عند تنـــاول طعام العشاء • ثم تعـــود الى مكانها •• وبعد أن يفرغ النســـاء من طعام العشاء ، يعدن الى الرقص والغناء من جديد وتشاركهم العروس فى ذلك • حتى منتصف الليل ، حيث تتوجـــه أم العروس وواحدة من اخواتهـــا الى (علو) العروس • وهو كمـــا قلنا من قبـــل غرفة نوم العروس ، فتبدأ الام بمساعدة من معها فى اعداد (فراش العروس) وتنزل الام بعد الانتهاء لتصحب ابنتها الى العلو ، وتبقى مع ابنتهـــا الى أن يحضر العريس • وتلقى على العروسين نصائح خاصـــة تتعلق بحياتهما الزوجية ••

أما الرجال • فلا يحضر أحد من أهل العروس معها ماعدا ذلك الصبى الذى يركب أمام العروس فوق الجمل ، ويقتصر الحفل على الرجال وأعنى بهم رجال القرية جميعا ماعدا الرجال من وحدة العروس القرابية اذا كانت العروس من داخل القرية • ويوجه والد العريس الدعوة الى أفراد القرية جميعا للحضور لتناول طعام العشاء فى داره فى المسجد عقب صلاة الظهر من نفس اليوم ، ثم يبعث بمندوب الى كل منزل يدعو الجميع لحضور الحفل والعشاء • وبعد صلاة المغـــرب يبدأ الرجال فى الحضور الى دار العريس وبعد أن يكتمل حضـــورهم ينادى أكبرهم سنا والد العريس أو كبير العائلة ويعطيه (مباركة) • وهى عبارة عن نقود تقـــدم فى هذه المناسبة تمـــاما كما يفعلون عند (الطينة) ويبدأ الأفراد فى تقديم مباركتهم وهى مرادفة لكلمة (نقوط) وبعد الانتهـــاء يقدم للجميع طعام العشاء حيث تكون هنـــاك موائد خاصة للكبار وأخرى للأطفال •• وقد كانوا فى السابق يؤدون الرقصة الشعبية فى مثل هذه المناسبة بعد الانتهاء من طعام العشاء ويسمونها العرضة ، وكانت تستمر أحيانا لمـــدة يومين الى ثلاثة أيام على فترات متقطعة خاصة اذا كانت العـــروس من خارج القرية أو من خـــارج القبيـــلة نفســـها •

وفى صباح اليوم التالى يحضر أفراد الوحدة القرابية للعـروس من الرجال جميعا ويسـمونهم (المباركون) بضم الميم وفتح البـاء وكسر الراء ، حيث يكون فى اسـتقبالهم كل أفراد القرية • وعنـدما يصلون الى حوش الدار يبدأون السـلام ويقولون العبارات التالية : السلام عليكم • والنظر سـلام • والبركة فى العروس • أما النظـر سلام فهو يعنى اننا نكتفى بالمشـاهدة • وهى تغنى عن المصـافحة لانه غالبا ما تكون الاعداد كبيرة فيستغرق السـلام بالمصافحة على كل فرد وقتا طويلا ، ثم يتقدمهم العريس ووالده الى الدار يرددون عبارات الترحيب الى أن يصلوا الى مجلس الرجال • فيبدأ كبـيرهم الكلام ويقول (جئنا للمباركة فى العروس جعلها الله خيرا وبركة على هذه الدار) ثم يقدم والد العروس مباركة خاصـة منه الى العريس • وبعدها تدار عليهم القهوة ثم الشاى ثم طعـام الافطار الذى يتكون فى العادة من البر والسمن والتمر وبعض الفواكه • وطعـام الافطار هذا على نفقة والد العروس ويقوم باعداده قريبات العروس ويسمونه (فأل العروس) ••

ويبقى المباركون لتناول طعام الغداء والعشـاء فى دار العريس ويذبح لهم عدد من الخراف فى الوجبتين • ويحضر الوجبتين كل أفراد القرية أيضا • حيث ينصرف المباركون بعد ذلك الى دورهم ما لم تولم لهم وليمة خاصة فى اليوم الثالث لدى الجماعة • وهم سكان القـرية جميعا — ذلك اذا كانت العروس من خارج القرية — وينتهى الحفـل عادة بعد طعام الافطـار لليوم الثالث • فاذا كان (مراح العروس) يوم الأحد انتهى الحفل بعد الافطـار يوم الثلاثاء فى دار العريس • اذا لم تكن هناك وليمة تقيمها الجماعة كلها للمباركين •

وعندما تهم النساء بمغادرة دار العريس توزع عليهن (الكسوة) وهى عبارة عن المصانف التى أشرنا اليها سـابقا وتكون هذه الكسوة مشروطة بعدد النساء اللاتى رافقن العروس • فان كن عشرين وزع عليهن عشرين مصنفا وهكذا بالزيادة أو النقص • وقد كان متوسـط

سعر المصنف الواحـد حتى عام ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م (٤٠) ريالا • هذا بالاضافة الى كسوة خاصة بأم العروس واخواتهـا وهى عبـارة عن نقود جرت العادة أن تكون ما بين ٥٠٠ : ١٠٠٠ ريال بالنسـبة لام العروس و ٢٠٠ : ٥٠٠ ريال لاخواتها وذلك حتى عام ١٣٨٥ هـ •

وعادة ما تبدأ العروس العمل مع الاسرة فى كل الأنشطة من نهاية الاسـبوع الأول لدخلتها أو لمراحها كما يسمونه ، وتبدأ فى الاندماج فى اسرتها الجديدة • أما بعد عام ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م فقد تغـيرت صورة الوضع الذى كان قائما فيما يتعلق بالزواج ، فمن حيث سـن الزواج ، فقد بدأ الشـاب يتزوج بعـد بلوغ سن الثامنة عشرة الى العشرين عاما ، لانه يريد أن يكمل تعليمه الثانوى على الأقل ، ولان والد الشـاب لم يعد يتحمل نفقات هذا الزواج ، كما أن الفتـاة من ناحية أخرى تواصل تعليمها الثانوى أو المتوسـط ، فتأخر سن الزواج لديها الى ما يقرب من الثامنة عشرة الى العشرين أيضـا • واختفت صور الزواج المبكر تدريجيا ، وأصبح من الممكن الآن الا يتزوج الفتى الا بعد اكمال تعليمه الجامعى على الرغم من معارضة اسرته فى ذلك • وبالنسبة لقرية العبـادل فان ارتفاع المهور وتكلفـة الزواج ليسـت مشكلة أمام الشباب الذين يرغبون فى الزواج لان المهر فى هذه القرية (محدد) كما سترى فى الفقرة التى تتعلق بالمهر فى قرية العبادل • أما بالنسبة لغير شباب هذه القرية • فان من أسباب التأخر فى سـن الزواج يعود لأسباب اقتصـادية ، حيث أن بعض هؤلاء ليست لديه القدرة المالية التى تمكنه من دفع المهر المرتفع الذى قد يصـل الى (٥٠ ألف ريال) بالاضافة الى التكلفة المتعلقة بالزواج والتى قد تزيد عن هذا المبلغ المدفوع كمهر للعروس •• ولم تعـد الاسرة هى التى تقرر الزواج وتختار العروس دون تدخل يذكر من العريس كما كان فى السابق وفى الآونة الأخيرة بدأ الشـاب يقرر متى يتزوج ومن هى الفتاة التى سيتزوجها والاسرة فقط تقدم النصح لفتاها وتعرض له اقتراحا بالزواج من فلانة ، لكن الرأى الأول والأخير يعود له وحده •

فلم يعد والده أو أسرته تفرض عليه الزواج من فتاة معينة ، وسبب ذلك أن أسرة حاولت قبل ما يقرب من عشر سنوات أن تفرض الزواج على ابنها من فتاة معينة ، لكنه رفض فكرة الزواج من هذه الفتاة واحتدم النقاش بينه وبين أسرته مما اضطره الى الهجرة من المنطقة نهائيا والزواج من فتاة فى المدينة) وقد بدأ الشباب يمارسون التهديد على أسرهم بالهجرة فى حالة الضغط عليهم بالزواج من فتاة تختارها الاسرة ، كما أن عنصر كفاءة الفتاة فى العمل الزراعى لم يعد من ضمن شروط الاسرة فى عروس فتاها ، وبدأ الشباب يميل الى الزواج من الفتاة المتعلمة • كما أن الفتاة نفسها أصبحت تعترض على زواجها من شخص لا ترغب الزواج منه ، فبعد أن كانت الفتاة لا تستطيع الادلاء برأيها فى الموافقة أو معارضة الزواج من المتقدم لخطبتها ، أصبحت فى الاونة الأخيرة يمكن أن تقول كلمتها بالرفض أو القبول ، وقد كان للام الدور الأساسى فى هذا الشأن نتيجة لاتصالها بالمجتمعات الخارجية وتعرفها عن طريق هذا الاتصال بأنه يمكن للزوجة أن تبدى موافقتها أو معارضتها لخاطب ابنتها • ودفعت الام ابنتها الى أن تقول رأيها بصراحة حتى أمام والدها أو ولى أمرها • كما أن الفتاة المتعلمة تختلف تماما عن غير المتعلمة من حيث القدرة على اعلان الرأى والرغبة فى الاختيار لاعتبارات معينة فى عريسها • فالمرأة لم تعد مجرد يد عاملة ومصدر انجاب الأطفال فقط • بل أصبحت تؤدى دورا مهما فى حياة الاسرة • خاصة المرأة المتعلمة التى لديها المقدرة على ادارة شؤون المنزل بنظام معين ، ولديها القدرة على حسن تربية ورعاية الاطفال (لمزيد من التفاصيل انظر خاتمة هذه الدراسة) •

المهر فى قرية العبادل :

لم يكن المهر فى قرية العبادل يرتبط بالمكانة الاجتماعية بالنسبة للعريس فالفتى لا يتزوج الا من فتاة تتساوى عائلتها مع عائلته فى السلم الاجتماعى • فلم يحدث مثلا أن تزوج أحدهم من فتيات الفئات الاجتماعية

الادنى فى السلم الاجتماعى أو زوج ابنته الى أحد أفرادها • وهى التى أشرنا اليها فى فصل سابق ، فالمزارع هنا يمكن أن يتزوج من ابنة التاجر كما يتزوج من فتاة تمارس عائلتها مهنة الرعى والعكس • والمهور بصفة عامة متقاربة • فالتاجر عندما يدفع مهرا عاليا لعروسه • فان المزارع مثلا عندما يريد الزواج يدفع نفس المهر الذى دفعه التاجر حتى لا يقال عنه أنه ناقص أو حتى لا تعاير أسرة الفتاة بأنها حصلت على مهر أقل من الفتاة الاولى • ولذا فانه كثيرا ما يرهن البعض جزءا من أرضه لدى طرف آخر لقاء الحصول على مال يدفعه مهرا للعروس فيهاجر الى خارج المنطقة عقب الزواج للبحث عن عمل يدر عليه مالا يستطيع بواسطته أن يفك الرهن عندما يعود ، وقد روى الاخباريون حالات عديدة من هذا النوع • • وكانت الفائدة الاولى من المهر تعود الى أسرة الفتاة فقد جرت العادة أن ينفق على العروس الجزء الاصغر من مهرها فى تأمين بعض الملابس والحلى ، بينما يحتفظ ولى أمرها بما تبقى ينفقه فى زواج أحد أبنائه أو يستعين به فى أمور أخرى • وهذه احدى وظائف المهر حيث كان يعتبر البديل عن فقد الفتاة كعضو عامل ونشط فى النشاط الاقتصادى لاسرتها •

أما فى حالة زواج الفتاة فى خارج القرية أو فى خارج القبيلة فان مهرها كان أضعافا مضاعفة عما لو كانت ستتزوج داخل القرية نفسها ، فاسرتها كانت تطلب مهرا عاليا كما كانت تفرض على العريس كسوة اضافية فبدلا من أن تكون الكسوة لاقرباء وقريبات العروس تمتد فى حالة الزواج من الخارج لتشمل معظم أفراد « لحمة العروس » كما أن ولى أمر العروس كان يدفع نقودا للجماعة فى حالة زواجها خارج القرية أو خارج القبيلة يسمونها (مكسر) بفتح الميم وسكون الكاف وفتح السين قبل الراء المهملة ، والمكسر يعنى حصول الجماعة على مبلغ معين من والد العروس لقاء زواج ابنته • والغرض من هذا المبلغ تغطية نفقة الجماعة على الوليمة التى يقيمونها تكريما للخاطبين الذين يصحبون العريس فى مرحلة الخطوبة • وغالبا ما يزيد المكسر عن المبلغ

مستمرا فى المهور ٠ كانت تكلف مبالغ كبيرة ، ولذا فقد اجتمع مجلس شيخ القبيلة قبل أكثر من (٨٠) سنة وحددوا مهور النساء بمبالغ كانت مناسبة عند ذلك التاريخ حيث حدد مهر الفتاة بثمانين ريالا فقط اضافة الى تحديد (الكسوة) بينما تحدد مهر الثيب بمبلغ (٥٠) ريالا فقط من الفضة (عملتهم آنذاك) ويؤكد الاخباريون بأن القبيلة كلها التزمت بهذا القرار غير المكتوب بصفة عامة ، وحدثت بعض مخالفات أدت الى ايقاع غرامات مرتفعة على أسرتى العريس والعروس من قبل شيخ ومجلس القبيلة فى حين أنه فى حالات زواج فتيات من القبيلة من فتيان من قبيلة أخرى ٠ كان يترك لولى أمرها حرية طلب المهر الذى يريد ٠ مع الاحتفاظ بحق القبيلة فى المكسر ٠ ومع مرور الزمن ودخول المنطقة فى الحكم السعودى ٠ وتحرر السكان من سلطة شيخ القبيلة عادت المهور الى الارتفاع من جديد ، بحيث إن المهر فى الأعوام من ١٣٧٠ هـ ١٣٨٠ هـ تراوح بين (١٥ : ٢٠ ألف ريال سعودى) اضافة الى المصروفات الاخرى ٠ ولما كانت الحالة الاقتصادية فى ذلك التاريخ متدنية ٠ فقد أدى ذلك الى تأخير سن الزواج المعتاد لدى الذكور والاناث نظرا لعدم القدرة على توفير هذه المبالغ فأصبح الفتى يتجاوز العشرين عاما دون أن يتزوج وبالمثل الفتاة ، وأدى ذلك الى زواج الفتيات من خارج الوحدة القرابية وفى خارج القرية وحتى خارج القبيلة ٠٠

نص اتفاقية تحديد المهور :

ولمواجهة هذه الظاهرة اجتمع سكان قرية العبادل فى يوم الجمعة غرة ربيع الأول من عام ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م للبحث فى حل لمشكلة ارتفاع المهور ٠ وناب عن كل لحمة من لحام القرية الاربع رجلان واتخذوا قرارا مكتوبا هذا نصه :

أما بعد : فلقد اجتمع أهالى قرية العبادل فى يوم الجمعة غرة ربيع الأول الموافق ١/٣/١٣٨٤ هـ • واتفقوا فيما بينهم • وعنهم من كل لحمة نفران (شخصان) أولا عثمان بن فرحة ، وغرم الله بن عبد الله من العلى بن عبادل • ومصطفى بن سعدى وفائز بن صالح من أهل (آل) الشعبة • وعلى بن سعد المشوى ، وصالح بن أحمد المسفرى من العاقيب • ومن العطاء ناصر بن على ومحمد بن سعد خيران • وبعد الاتفاق من الجماعة عموما وعهد الله فيما بينهم • على أن الطمع (المهر) فيما بينهم جماعة يشملهم جميعا الحاضر والغائب • على أن مهر البنت (البكر) (١٠٠٠) ريل والمراجع « الثيب » « ٦٠٠ » ريال • وتكون الزينة (الحلى) قلادة ظفار ـ وقلادة مشبه ، وشماليتين • وستة بتوت ظفار • وحزام سبته مطموس ، وخمسة خواتم فضة ، واتفقنا على ذلك جماعة • ومن زاد على ذلك فليكن غرامة أبو البنت (والد الفتاة) أو ولى أمرها « ٢٠٠ » ريال وجزاء الحكومة من بعد ذلك • أما من خطب (زوج) ابنته خارج القرية فللجماعة (٢٠٠) ريال مقابل خسارتهم ، وعلى ذلك جرى الاتفاق والتوفيق والتوقيع من أهالى قرية العبادل • والله على ما نقول وكيل • (ثم ملاحظات أخرى) هى : الكسوة مصنف واحد أو (٣٠) ريالا ، والشد ممنوع بيننا جماعة ومن شد جملا يكون (الحتم) الغرامة عليه ، ومن خرجت بحزام فضة فى أى (صدة) بفتح الصاد وتشديد الدال مع الفتح واهمال التاء المربوطة • تعنى (العرس) فعلى واليها (ولى أمرها) (٥٠) ريالا • « أنظر نص الاتفاقية فى الملاحق » •

وهكذا نلاحظ أنه فى عام ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م • كان من المتوقع أن يكون البناء القبلى قد تصدع نهائيا تحت تأثير التحضر • لكن هذه الوثيقة تدل على عكس ذلك ، فتأثير البناء واستمراره تعبر عنه هذه الوثيقة •

وهذا قرار اجتماعى بحت ليست له علاقة بالبناء السياسى للقبيلة فالقبيلة قد تصدع بناؤها السياسى بعد ظهور السلطة المركزية . وبقى الافراد يحاولون المحافظة على التضـامن الاجتماعى فى القبيلة أو فى القرية ، وقد كانت المسئولية كاملة تقع على الأفراد فيما يخص المحافظة على البناء القبلى بكل مقوماته واستمرار هذا البناء . لكن تغير الوضع أدى الى تغير فى الوظائف لدى الافراد . فالسلطة السياسية انتقلت كما قلنا الى الاجهزة الرسمية وتخلى عنها القبلى للحكومة ، لكن التضامن الاجتماعى شىء يخص الافراد ، فهم الذين يستطيعون المحافظة على هذا التضامن وعلى استمرار العلاقات الاجتماعية . اذ إنه ليس من مسئولية الدولة التدخل فى علاقات الافراد . طالما كانت موجهة لخدمة أهداف اجتماعية ، ويوظفون هذه العلاقات للقضاء على ظاهرة معينة تلحق الضرر بالافراد والجماعات كما هو الحال فى معالجتهم لظاهرة ارتفاع المهور التى تحولت الى مشكلات فى الزواج ليس فى مجتمع بنى كبير وحده وانما فى المجتمع العربى السعودى بصفة عامة .

كما أن الدولة بسلطتها لا تستطيع أن تفرض قسرا على الأفراد تحديد مهور بناتهم عند الزواج ، وانما تستطيع أن تعلن تحديدا لهذه المهور ثم تترك عملية التطبيق تقع على عاتق أولياء أمور الفتيات ، كما هـو الحال عندما أعلن فى عهد الملك فيصل بن عبد العزيز عن تحديد مهـر الفتاة (بألفى ريال) لا غير ، وصدر بذلك قرار من الحكومة . لـكن القرار شىء والتطبيق شىء آخر . فالدولة لا تستطيع ملاحقة والد كل فتاة والنظر فى مخالفته من عدمها لقرار الحكومة . وبناء على ذلك . فقد استغل المجتمعون فى التاريخ المشار اليه ما بقى من شعور جمعى لدى الافراد بوجوب المحافظة على اظهار قريتهم فى صورة اجتماعية تنم عن التعاون والترابط بين الافراد . واتخذوا قرارهم المذكور لهذه الأغراض . كما أن فى استطاعتهم ملاحقة المخالفات ومتابعة تطبيـق القرار ، خاصة وأنه داخلى يستفيد منه سكان القرية فقط .

ويدلنا ذلك على أنه يبقى شىء من سلطة البعض وخاصة كبار السن

فى القرية التى يمارسونها على كل الافراد تحقيقا لمصلحة القرية • وهى احدى الوظائف البديلة التى كانت تمارسها القبيلة بصفة عامة على جميع السـكان •

أما بالنسبة للاتفاقية الثانية والتى تم تعديلها فى عام ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م — كما هو مبين فى ص ٢٤٨ — فانها لم تعد بعد أن رفعت الى وزارة الداخلية لاعتمادها ، أن سكان القرية أرادوا أن يعطوا لهـذه الاتفاقية أهمية خاصة عندما تتم اعتمادها من وزارة الداخلية . ويرون أنها بذلك يمكن أن تكون الزامية أكثر • أو أنهم لم يريدوا أن يستقلوا بالرأى فيما يخص هذه الاتفاقية ولابد من اشهارها أمام وزارة الداخلية لتكون على علم بها •

وقد اتخذ السكان هذا القرار لمواجهة مشكلة ارتفاع المهور فى القريه وانتشار الذهب لدى النساء بكميات كبيرة يستخدمنه كحلى • حتى أصبح حلى العروس يكلف مبالغ كبيرة • ولذا فقد تحدد حلى العروس فى هذه الاتفاقية ، بقلادتين الاولى ظفار والثانية مشبه ، والقلادة تعلق فى رقبة المرأة وهى عبارة عن (خرز) فى كل خرزة خرم دقيق تنظم فى خيط رفيع ويتراوح عدد الخرز فى القلادة الواحدة بين ٣٠ : ٤٠ خرزة وسـميت بالظفار نسبة الى موردها الاصلى فى منطقة (ظفار باليمن) • وأمـا القلادة المشبه فهى تعنى (تقليد الظفار) وجاءت تسميتها بالمشبه لأنها (تشبه الظفار) ولكنها ليست فى مستوى جودته والشمالى • عبـارة عن أسورة مصنوعة من الفضة ومطلية بالذهب مجوفة من الداخل • تضعها المرأة فى معصمها ، وهى من الصناعات المحلية التى ينتجها (صـناع الفضة) وسميت شمالى لانهم يعتقدون أن أساس وجودها كان فى شمال البلاد فنسبت الى مصدرها •

والبتوت الظفار : هى نفس الخرز الذى تتكون منه القلادة ولكنه أصغر منه حجما وتتزين به المرأة أيضا فى معصمها بدلا من أساور الذهب •

وحزام سبتة مطموس • هو عبارة عن حزام من الجلد يصنع خارج

القبيلة ، ويطلى الجزء الظاهر منه بالفضة تشده المرأة على خصرها فى الحفلات ، بدلا من الحزام الفضى المطلى بالذهب • وخـواتم الذهب أيضا ممنوعة فى هذه الاتفاقية واستعيض عنها بخواتم الفضة ، هـذا الحلى هو الذى كان سائدا فى المنطقة منذ القدم حين لم يكن للذهب وجود فى المنطقة • وقد فضلوا العودة الى الحلى القديم بعد أن أصبحت زينة المرأة من الذهب تكلف مبالغ كبيرة كما أسلفنا •

كما أنهم لاحظوا ارتفاع معدل الكسوة فحددوها بمصنف أو ثلاثين ريالا لكل امرأة من قريبات العروس • والتى ترافقها ليلة المراح •• وحتى لا يحرج والد العروس حيث أن هذا المبلغ لا يكفى لشراء أثاث تحملها الجمال عند زفاف العروس فقد تقرر منع (الشـد) أى أنه لا يرافق العروس أثاث كثير يحتاج الى جمل يحمله ، بل استعيض عنه بأشياء خفيفة تحملها النساء المرافقات للعروس • وبطبيعة الحال فقد تحول عبء أثاث غرفة العروس على عريسها حيث أن والدها لا يستطيع شراء هذا الاثاث من هذا المبلغ وان استطاع فمن يحمله الى دار العريس بعد منع شد الجمال كما كان فى السابق وحتى لا تحرج النساء أيضا فقد منعوا خروج المرأة فى الحفلات بالحزام الفضة • وهو نوع من الاحزمة مصنوعة من الفضة مطلية بالذهب • وبالتالى فان استخدام أى نوع من الذهب من أدوات الزينة فقد أصبح ممنوعا بموجب هذه الاتفاقية • وقد قرروا ايقاع الغرامة النقدية على كل من لا تلتزم بها حيث قدرها بمبلغ (٥٠) ريالا للمخالفة • فالمرأة التى تشاهد وهى تستخدم أيا من أنواع الحلى غير المصرح بها يدفع ولى أمرها هذا المبلغ •

وسجل الاخباريون مخالفات فى بداية العمل بهذه الاتفاقية ولكـن الغرامة نفذت فيها جميعا مما أدى الى الالتزام بالاتفاقية تماما •

وبما أن هذه الاتفاقية وجدت قبولا لدى كل الاطراف فقد تم الالتزام بها • ولم يخرج عليها أحد طيلة أحد عشر عاما وكانوا ينظرون الى هذه الاتفاقية على أساس أنها تمثل احترام الافراد لقرارات القرية والسير

بموجبها ، وأن الخروج عليها يعنى الخروج على ارادة الجماعة وقرارها، ويعنى عدم المحافظة على القيم السائدة فى القرية والخروج على العادات والتقاليد التى تقضى بوجوب احترام رأى الجماعة وتنفيذه وكان يحضر (عقد القران) عدد من رؤساء اللحام يستحلفون والد العروس على أنه لم يأخذ زيادة عن (شدة الجماعة) بطريق مباشر (و غير مباشر كأن تدفع لزوجته أو لأى من أفراد أسرته هذه الزيادة . وبالمثل يحلفون والد العريس بأنه لم يزد على هذه الاتفاقية شيئا لا عن طريقه ولا عن طريق أحد فى أفراد أسرته .

وظل الامر كذلك حتى عام ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م . عندما عاد سكان قرية العبادل الى الاجتماع مرة أخرى لبحث الاتفاقية السابقة فقد رأوا أنه لا مانع من استخدام الذهب فى حلى المرأة فالغيت قلائد الظفار والمشبه وكذا الشمالى والبتوت وخواتم الفضة ، ذلك أن مثل هذه الحلى لم تعد مناسبة فى المرحلة الحالية ، وتركوا الباب مفتوحا فى هذه الناحية، لكنهم فيما يخص المهر حددوه بمبلغ خمسة آلاف ريال للبكر وأربعة آلاف للثيب ، وقد دونوا ذلك فى وثيقة حرروها فى نفس العام ولم نتمكن من الحصول عليها لانها رفعت عن طريق إمارة المنطقة الى وزارة الداخلية لاعتمادها حتى تصبح الزامية . لكنها لم تعد منذ ذلك التاريخ . وعلى الرغم من ذلك فان الالتزام بالمهر المحدد فيها لا يزال سارى المفعول الى الان .

والملاحظ أن الزواج الداخلى سواء فى داخل الوحدة القرابية أو فى داخل الجماعة كلها قد زاد بعد تحرير هذه الاتفاقية ، كما أن ظاهرة الزاج المبكر عادت نسبيا الى القرية . ولكن بعد أن كان الفتى يتزوج عند سن معينة فى السابق . أصبح الزواج يتم بـ عد انتهاء المرحلة الثانوية من التعليم أو عند بلوغه سن الثامنة عشرة بالنسبة لغير طلاب المدارس. وعلى الرغم من تحديد المهر فى عام ١٣٩٥ هـ . الا أن تكلفة الزواج قد زادت بنسبة كبيرة فبالاضافة الى وجود الذهب بنسب عالية فى حلى

العروس فان أثاث العروس السابق والذى كان عبارة عن مجموعة من الملابس والالحفة وسجادة أو سجادتين بالاضافة الى (الهدوم) قد اختفى تماما . لان (الهدم) لم يعد من الاثاث الملائم للمنزل الجديد فقد اختفى هذا الهدم من المنزل الحديث وحل محله (الموكيت أو السجاد الثمين) كما حلت غرفة النوم الحديثة محل السحارة والالحفة لتلائم أيضا هذا المنزل ، ولان السحارة والالحفة لم تعد لها أهمية تذكر بل أصبحوا ينظرون لها على أساس أنها (موضة قديمة) كانت هى السائدة فى المنطقة عموما ، أما وقد دخلت غرف النوم الى المنطقة فلابد أن تكون ضمن جهاز العروس ، خاصة وأن المرأة المتعلمة لا يمكن أن تقبل بمثل جهاز نظيرتها فى السابق .

وبالمثل فبعد أن كانت ملابس العروس لا تزيد عن أربعة الى خمسة فساتين تتخذ شكلا موحدا ما عدا تغيير اللون . فقد استبدلت بملابس حديثة . قد يصل عددها الى عشرين فستانا بألوان مختلفة وفى نماذج مختلفة أيضا ، تحاول العروس أن تعرض أكبر قدر ممكن منها فى حفل الزفاف فتدخل الى غرفتها كل ساعة تقريبالتستبدل فستانها ، أثناء اقامة حفل الزفاف فى دار العريس .

وقد استحدث نمط جديد فى حفلات الزفاف يتمثل فى أن تظل غرفة نوم العروس (مفتوحة) أمام من يرغب من النساء فى الاطلاع على محتوياتها ، وهذا نمط جديد على المنطقة جاء مع عودة المهاجرين الى المدن ، وتعبر العروس به عن قدرة أهلها المالية على شراء أحدث جهاز لها . وبعد اختفاء (الجمل) كوسيلة لنقل جهاز العروس ، وبالنظر الى كثرة جهاز العروس وتعدد أنواعه ، فقد استخدمت السيارات كوسيلة لنقل هذا الجهاز من دار العروس الى دار العريس ، وفى نفس الوقت فان زيادة عدد السيارات المرافقة للعروس فى رحلتها الى دار العريس دلالة على أنها تنتمى الى عائلة يمتاز أفرادها بامتلاك السيارات وبكثرة العدد فى أفراد هذه العائلة ، كما أنه كلما زاد عدد مرافقات

العروس فان فيه دلالة على أن هذه الفتاة تتمتع بحب أفراد عائلتها أو (لحمتها) لها وأنها تقع فى نفوسهم فى منزلة طيبة .

وبدأ موكب العروس يسير فى هدوء الا من أصوات أبواق السيارات أو زغاريد النساء والمرافقات للعروس واللاتى يركبن السيارات المرافقة لها . وبعد أن كانت النساء يمشين على الأقدام فى رحلتهن مع العروس (خلف الجمل) ويرددن الاغانى والاناشيد الشعبية اختفت تلك الظاهرة وأصبحن لا يغنين أو يرقصن الا داخل منزل العريس . ويرون فى ذلك نوعا من الحشمة التى يجب أن تلتزم بها المرأة ، والا ترقص وتغنى أمام الاخرين . وهن فى هذا يقلدن نساء المدينة اللاتى لا يغنين فى الشوارع أثناء سير العروس من دار أهلها الى دار العريس وانمايكتفين بترديد الزغاريد فقط .

ويعبر ذلك عن مفهوم المرأة الحديثة ، التى بدأت تنظر الى أبناء القرية على أساس أنهم غرباء عنها ، وهى عكس النظرة السابقة التى كانت تنظر بها اليهم على أساس أنهم أقرباء وتربطهم بها علاقات دموية. وينبىء ذلك عن تغير العلاقة بين الرجل والمرأة كما سنوضح ذلك عند الحديث عن العلاقات الاجتماعية فى فترة لاحقة .

فى بادية بنى كبير :

يختلف الوضع تماما عما هو سائد فى بنى كبير الحاضرة فيما يتعلق بمراحل الزواج وكذا بالنسبة للمهر . فسن الزواج فى البادية يأتى متأخرا عنه فى الحاضرة وسبب ذلك أن الفتاة البدوية تلعب دورا هاما فى النشاط الاقتصادى لدى البدو فهى مثلا الوحيدة التى ترعى الماشية حيث إن البدوى لا يسرح خلف ماشيته الى المراعى ، وانما يكتفى بالحراسة . ولهذا فان الفتاة البدوية قد يصل سنها الى (٣٠) سنة دون أن تتزوج ، وخاصة اذا كانت الوحيدة فى أسرتها ، وهناك عامل آخر يؤجل زواج الفتاة البدوية وهو أن ابن عمها (يحجرها) وتبقى هى فى انتظاره ،فاما أن يتقدم للزواج منها بعد فترة أو يعلن عدم رغبته

العروس فى اعداد جهازها لدار المستقبل فتبدأ فى جمع الصوف وغزله استعدادا لعمل (الخدر) الذى تسكنه فيما بعد هى وعريسها .

والزمن الذى يفصل بين الخطبة والدخلة فى بادية بنى كبير طويل جدا اذا قيس بنفس الزمن فى بنى كبير الحاضرة . فقد تمر سنتان أو ثلاث أو أكثر من ذلك بعد أن تتم الخطبة وعقد القران قبل أن تنتقل العروس الى دارها المستقبلة مع عريسها ، اما فى انتظار أختها الصغرى حتى تكبر فى السن وتصبح قادرة على العمل واما فى انتظار زواج أحد اخوتها الذكور فتحل عروسه محلها فى العمل . واما للاعداد لجهازها الذى قد يستغرق وقتا طويلا .

والدخلة أو (المراح) كما يسمونه أيضا فى بنى كبير البادية ، قد تتم بدخول العريس على عروسه فى دار أهلها ، وفى حالات كثيرة تنجب الزوجة عددا من الاطفال قبل أن تنتقل الى دار زوجها ، وتلك مسألة طبيعية جدا بالنسبة لسكان البادية . وجهاز العروس يتكون هنا من (الخدر ومجموعة من « العياب » . وهى عبارة عن جلد جمل مدبوغ يخاط من جميع أطرافه وتترك فى أعلاه فتحة عن طريقها تدخل الاشياء المراد وضعها فيه ويسهل خروجها من هذه الفتحة ، ومفردها (عيبة) وتشد على ظهور الجمال عند الرحيل من مكان الى آخر ، كما تستعمل لخزن التمور والحبوب والاقط [1] بالاضافة الى آنية القهوة ومجموعة من الالحفة المصنوعة من الصوف وكذا الملابس وأدوات الزينة وهى ليست مختلفة عن تلك المتداولة فى حاضرة بنى كبير وان كانت البدوية تتميز

---

(١) الاقط : هو عبارة عن حليب مضاف اليه دقيق ويجفف بتعريضه للشمس وهو عبارة عن أقراص صغيرة ويعتبر غذاء رئيسيا للبدو .

باستخدام (الحجول) ومفردها حجل وهو عبارة عن طوق الفضة ثقيل الوزن « يصل متوسط وزن الحجل الواحد ٣٠٠ جرام » تضـــعه المرأة البدوية فى معصمها بعد الزواج وليس قبله ٠

والمهر فى بادية بنى كبير قد يكون نقودا أو أشياء عينية ، ولـــم تعرف بادية بنى كبير تحديدا للمهر كما هو الحال فى الحاضرة ٠ ولـــذا فان ارتفاع المهور هو واحد من أسباب تأخير سن الزواج لديهم ٠ ففى حالة عدم توفر النقود لدى العريس فانه يقدم مهرا لعروسه عددا من رؤوس الماشية قد تصل الى مائة رأس من الضأن والماعز ٠ وقد يقـــدم أيضا مجموعة من الأسلحة كالبندقية والخنجر والرمح ، وكذا أكياس الدقيق والتمر والاقط الى غير ذلك ٠ كل الذى يقدمه العريس مهرا تنتقل ملكيته لاسرة العروس ٠ ولا ينفق منه شيئا على جهازها ، ما عدا بضع رؤوس من الاغنام تكون نواة لقطيع تربيه العروس ويتكاثر قبل انتقالها الى دار زوجها ٠

والملاحظة الهامة فى هذا الصدد ٠ أن البدوية تتمتع بحرية أكثر فى اختيار عريسها ٠ ذلك أنه اذا لم يكن لها ابن عم يتزوجهـــا أو أن ابن العم ليست له رغبة فى الزواج منها ٠ فانها فى هذه الحالة تستطيع أن ترفض من تشاء من الخطاب ، ومهما تقدم لها من خطاب فان أهلها لا يستطيعون ارغامها على الزواج ممن لا ترغب بينمـــا يستطيعون أن يفرضوا عليها القبول بالقوة بالزواج من ابن عمها ٠ وبما أن البدوية تسرح بماشيتها فى الشعاب واودية فان حرية الالتقاء بالجنس الاخر كانت متاحة ، فلا غرابة فى أن تلتقى بأى رجل وتجلس للحديث معه ساعات عدة وهى تراقب ماشيتها وقد تنتهى هذه الأحاديث بالاتفاق بين الاثنين على الزواج ٠

وفى حالة موافقة أسرتها على الخاطب ، فانه لا مانع من تردده على دار خطيبته فى أوقات مختلفة والدلوس معها سواء بحضور أحد من أهلها أو عدم وجود أحد ٠ وبعد أن يتم التفاهم التام بين الطرفين

يبلغان أسرتيهما بالموافقة على عقد قرانهما واتمام الزواج ، أما فى حالات الخلاف فانهما ينفصلان عن بعضهما ولا يتجدد بعد ذلك اللقاء بينهما ، وتلك ميزة تتمتع بها المرأة البدوية عن المرأة فى الحاضرة • ويؤكد الاخباريون بأن تلك اللقاءات التى كانت تتم بين الجنسين تتسم بالبراءة والحفاظ على العرض ، ذلك أن البدوى كما يقولون يمتاز عن غيره بمحافظته على شرف بنات قبيلته وحماية عرضهن ، كما أن البدوية من جانبها ليست سهلة الانقياد نحو ما يخل بشرفها •

خامسا : العلاقات الاجتماعية :

كانت العلاقات الاجتماعية فى قرية العبادل وكذا فى قبيلة بنى كبير عموما محكومة بالعرف والتقاليد والقانون القبلى (غير المكتوب) وشعور أفراد القرية بقوة الروابط الدموية بينهم ، كان هو الاساس الذى تسير بموجبه هذه العلاقات فبالاضافة الى صور التعاون التى كانت قائمة فى القرية ، والتى أشرنا اليها عند الحديث عن بناء المنازل وخاصة مرحلة تسقيف المنازل (الطينة) وكيف كان الأفراد القادرون على العمل من الرجال والنساء وحتى الاطفال يشاركون مشاركة فعالة مع صاحب المنزل فى هذه العملية ، ثم يقدمون له بعد ذلك النقود وخلافها كمساعدة له لانجاز هذا العمل ، فان هناك عدة صور أخرى توضح عمق العلاقات الاجتماعية بين الافراد والوحدات داخل القرية منها على سبيل المثال • أنه كان اذا حدث لاحدهم أى مكروه أصابه فى ماله كأن تجرف السيول الغزيرة أرضه الزراعية وتردم البئر التى تقوم عليها هذه الأرض ، فان (الجماعة) كلها تهب لمساعدته ، إما بالعمل على اعادة استصلاح هذه الاراضى ورفع الاتربة والاحجار من البئر المردومة ، أو بتعويضه فيما أصاب محصوله الزراعى بمحصولات تقدم اليه من كل فرد ، حتى لا يشعر بأنه وحده خرج من الموسم الزراعى بدون شىء • وكانوا يقدمون له النقود أيضا اذا لم يعملوا بأيديهم فى رفع الأضرار واعادة اصلاح الأرض ، ليدفعها أجرة لاخرين يقومون بهذا العمل •

وصورة أخرى من صور التعاون تقوم داخل القرية ، وهو أنه فى حالة ما اذا قتل أحد أفراد القرية شخصا آخر عن طريق الخطأ وحكم عليه بدفع (الدية) وهى التعويض عن القتيل ، فان هذا لا يكاد يتحمل شيئا فى هذا الحادث فالقرية وحتى القبيلة كلها تجمع الاموال اللازمة لدفعها عن الجانى ، وتجلى ذلك فى اسنوات الماضية ولا يزال ، بصورة واضحة ، فى حوادث السيارات ، فعندما تتحطم سيارة نتيجة لاصطدامها بأخرى أو بأى طريقة أخرى ، وتحدث وفيات يكون أحد أفراد القرية سببا فيها ، ويحكم عليه بدفع (ديات القتلى) أو التعويض عن جروح البعض فانه بمجرد السماع بوقوع الحادثة يجتمع الافراد لبحث الحادث والتعرف على المبالغ المطلوبة ، ويبدأون فى جمع الاموال من كل فرد سواء من داخل القرية بالنسبة للمقيمين فيها أو من خارجها بالنسبة للمهاجرين الى مناطق أخرى هذه الاموال المجموعة قد تزيد عن التعويض المطلوب ، وتبقى ملكا للمستفيد لا يسأله أحد عنها ، وكان بعض من هذه المبالغ يدفع من (صندوق الجماعة) الذى تعود اليه الأموال التى تأتى عن طريق الغرامات التى توقع على بعض الافراد نتيجة لارتكاب أية مخالفة ، كالخروج مثلا على اتفاقية الجماعة فيما يتعلق بالمهور أو تلك الغرامات التى تقع على بعض النساء لمخالفتهن لبنود الاتفاقة التى تحدد الحلى التى يتزين بها عند الافراح ، أو تلك التى تؤخذ من ولى أمر الفتاة التى تتزوج خارج القرية وهى ما يسمونه بـ (المكسر) الى غير ذلك ، وكانت هناك موارد ثابتة لهذا الصندوق عبارة عن اشتراك سنوى لكل فرد من أفراد الجماعة يدفعها لامين الصندوق ، بموجب ايصال يحرره بذلك ، ويشترك فى هذا الصندوق كل الأفراد الذين لهم دخل ثابت سواء من التجارة أو الزراعة أو الوظائف الحكومية .

ويقدم هذا الصندوق المساعدة فى حالات . مثل تحطم السيارات أو تقديم مساعدات نقدية لمن سيتزوج لاول مرة وحالته الاقتصادية لا تسمح له بتغطية نفقات الزواج ، كما يدفع من هذا الصندوق المساعدات

لافراد من خارج القرية ، اذا وافق كبار القرية وأمين الصندوق على صرفها بعد قناعتهم باستحقاق الفرد أو الافراد لها .

وفى حالات الوفاة كان أفراد الجماعة يشعرون بالحزن جميعا وكأنهم أسرة واحدة للمتوفى ، فالجميع يحضرون جنازته ويستقبلون المعزين فيه، ويبقون فى دار أهل المتوفى ثلاثة أيام ، كما تنتقل النساء الى داره أيضا، وينبن عن نساء أسرته فى اعداد الطعام واحضار المياه واستقبال المعزيات من النساء طيلة أيام العزاء ، واذا كان على المتوفى (دين) لآخرين وليس لدى ورثته ما يسددون به هذا الدين ، فان وحدة المتوفى القرابية تنوب عن أسرة المتوفى فى تسديد هذا الدين وابراء ذمته ، وتقوم هذه الوحدة القرابية أيضا برعاية شئون أسرته والاشراف على أطفاله ومباشرة أرضه والمساعدة الفعلية فى الانشطة الاقتصادية لها . وكان اذا توفى أحدهم وهو متزوج من امرأة من خارج القرية ، ويخشى أن تطلب حصتها فى الارث مما ترك الزوج من الأرض والمنازل ، فان أفراد الوحدة القرابية يجتمعون ويختارون من بينهم من ينوب عنهم وغالبا ما يختارون ثلاثة الى أربعة أشخاص من كبار السن . ويذهب هؤلاء الى دار أهل الزوجة المتوفى زوجها ، ويقدمون العزاء فى المتوفى ، ثم تبدأ المفاوضة بينهم وبين الزوجة وأهلها على قبول مبلغ معين ، يزيد أو يقل حسب ما تركه المتوفى من مال وعقار ، وغالبا ما يكون المبلغ المدفوع مبلغا رمزيا ، لا يصل الى القيمة الحقيقية لما تستحقه هذه الزوجة من التركة . وذلك لقاء تنازلها عن جميع ما يخصها فى أموال المتوفى . فان وجدوا استجابة لطلبهم ، والا رفعوا قيمة التعويض حتى ترضى الزوجة وأهلها . وعندما يتم رضا الجميع تكتب بينهم وثيقة التنازل . ولا يحق لها بعد التنازل وقبض المبلغ المطالبة بأى شىء من تركة زوجها المتوفى .

وهم يفعلون ذلك حتى لا يشترك الغريب فى ملكية الارض أو المنزل التى تؤول الى أبناء المتوفى .

وقد كان الجميع من الرجال والنساء يشتركون فى النشاط الاقتصادى

فهذه الاسرة بكل أفرادها تتعاون مع أخرى فى المواسم ، لانجاز العمل بسرعة ، كالاشتراك فى حصاد الزرع الذى يتطلب التعاون بين الاسر ، فالنســاء يذهبن الى الارض الزراعية (لحش أعــواد الذرة والبــر والشعير) ثم يأتى الرجال لربط هذه الاعواد فى حزمة كبيرة يحملونها على رؤوسهم الى سطح الدار ، ثم يستمر التعاون فى الخطوات التالية:

هذا الاشتراك فى العمل الجماعى بالاضافة الى الشعور القــوى بوجود العلاقات الدموية والانتماء لسلف واحد • هو الذى جعل المرأة تختلط بالرجال فى أحيان كثيرة دون حرج •

ولم يكن يستغرب أحد فى قرية العبادل أو فى غيرها من القرى أن يدخل رجل ما الى أى دار فى القرية وليس فيها من الرجال أحد ، ويتناول القهوة أو الطعام عند المرأة فى هذه الدار ، بل كان ذلك من الامــور العادية التى لا تسترعى انتباه أحد •

ولم يسجل الاخباريون أية ردود فعل سيئة لمثل هذا • فالكل كانوا ينظرون الى مسألة الشرف على أنها مسألة تخصهم جميعا ، ونتيجــة لذلك فقد كان الرجل والمرأة يحرصان على أن يكون سلوكهما منسجما مع هذه النظرة ، والعرف كان يحكم هذه النظرة ويؤيدها ، وطــالما كان شرف القرية أو شرف القبيلة هو مسئولية كل الأفراد • فان التعرض لهذا الشرف بأى شكل كان يواجه بالعقاب الفورى الشديد •

فاذا حدث مثلا أن تعرض أحدهم فى القرية لامرأة بما يخــدش شرفها ، كأن يعتدى عليها ، أو يحاول الاختلاء بها أو أن يتعرض لهــا بالقذف والشتم ، فانه يواجه بعقاب فورى كان فى السابق يتراوح بين القتل والطرد من القبيلة واســقاط العضوية • واهــدار دمه — أو مقاطعته مع بقائه داخل القبيلة ، وذلك حسب الجرم الذى اقترفه بمعنى أن العقاب يتناسب مع الجريمة •

وفى المرحلة الاخيرة واعنى بها بعد دخول المنطقة فى الحكم السعودى

تمثلت العقوبة فى هذا الشأن فى المقاطعة النهائية لهذا الشخص وتقديمه الى السلطات لينال جزاءه • وهى أيضا عقوبة تتفق أو تتناسب مع الجرم الذى اقترفه هذا الشخص •

ونلاحظ أن عقوبة القتل والطرد من القبيلة لم يعد لها وجود ، نظرا لان القبيلة أو شيخ القبيلة لم يعد يقدر على تنفيذ هذه العقوبة والا تعرض من قام بمثل هذا العمل للقصاص • من قبل السلطة الرسمية اذ أن العقاب الذى يطبق على أى فرد أصبح من صلاحيات السلطة ولم يعد من صلاحيات شيخ القبيلة او مجلسها أو حتى مجلس القرية نفسه •

لكن السلطة والتى يمثلها القاضى لا تقبل بايقاع العقاب على الجانى الا باعتراف منه أو بشهادة شهود عدول • وبما أن من قام بعمل كهذا لن يعترف به أمام القاضى • فانه ينفذ من العقوبة فى حالة عدم ثبوت التهمة عليه • ولذا كان العقاب الذى تفرضه القرية عليه وهو كما قلنا يتمثل فى المقاطعة النهائية لهذا الشخص وتمتد تلك المقاطعة الى وحدته القرابية اذا أيدت عمله هذا أو حتى الى أفراد من خارج الوحدة القرابية اذا ثبت تعاطفهم أو تعاملهم مع هذا الجانى •

ونذكر بعض جوانب من هذه المقاطعة ، فالجماعة مثلا عندما تقاطع أحد الأفراد فان ذلك يشمل • عدم مشاركته فى الافراح وعدم مشاركته فى الأحزان • فهم مثلا لا يحضرون الى أية مناسبة فرح لديه ، كما أنهم فى حالة وفاة أحد أقربائه لا يشاركون أحزانه بل لا يحضرون معه (قبر الميت) ولا يسيرون خلف جنازته • كما أنه نتيجة لمضايقة الجماعة له فانه يضطر الى الذهاب لاداء الصلاة فى مسجد قرية أخرى • أو يلزم داره ويصلى فيها مع ملاحظة أن هذه الأخيرة وأعنى بها عدم حضور صلاة الجماعة • تتوقف على الفرد نفسه ، فان شاء حضر وان شاء امتنع ، بمعنى أنهم لا يمنعونه من أداء الصلاة فى المسجد ، وانما يتوقف ذلك على حالته النفسية) •

كما أن هنناك عقوبه أخرى يتعرض لها الجانى • وتتمثل فى حالة نشـــوب حريق فى أرضه الزراعية أو فى داره ـــ ولعدم توفر المطـــافى فى القرية ـــ فان الوسيلة الوحيدة لاطفاء الحريق هى الجماعة نفسها ، وفى حالة مقاطعة هذا الشخص فان الجماعة لا تهب لنجدته عند اندلاع حريق فى أرضه الزراعية أو فى داره • كمـــا أن الحيوانات كالجمـــل والثور والبقرة • كانت معرضة للوقوع فى الآبار المنتشرة فى الوادى ، وعندما يسقط أحدها فى البئر يطلب صاحبه النجدة من الجماعة فيهبون لمســـاعدته فى اخراج الحيوان الذى سقط فى البئر ، أما اذا كان مقاطعا من قبل جمـــاعته فانه لن يذهب أحـــدهم لمســـاعدته ويتركون ثوره أو بقرته فى البئر حتى يموت غرقا •

وعلينا أن نلاحظ أن هذه العقوبات كانت تفرض على كل من قام بعمل يضر بالجمـــاعة كلها ، وليست قاصرة على مسائل تتعلق بالشرف • فعندما يخرج شخص على قرار الجماعة فانه يقاطع ، وعندما لا يقبل بمـــا تفرضه الجماعة من صلح عنـــد وقوع خصـــومة فان الجمـــاعة تقاطعه ، وهكذا • وفى اعتقادنا أن هذه العقوبات انما هى من الوظائف البديلة التى كانت تمارس القبيلة أشد منها كما ذكرنا من قبل ، وهى فى اعتقادنا أساليب جيدة تؤدى دورا هاما فى المحـــافظة على الشرف • وفى ضبط سلوك الأفراد •

وهى وسائل فعالة نظـــرا لان الدولة لن تتدخـــل فى عملية دفن الموتى ، ولن ترغم الجماعة على الحديث مع هذا الشخص ، وانما كل الذى تســـتطيع أن تفعله هو القصاص من كل فرد يعتـــدى على هذا الشخص وتوقع العقاب اللازم عليه ••

كما أن عدم وجود المطافىء فى القرية جعل الســـكان هم العنصر الهام والوحيد فى عملية اطفاء الحريق ، واذا تخلوا عن مســـاعدة هـــذا الفرد فى اطفاء الحريق فان داره أو أرضه الزراعية ستتعرض للدمار • كما أنه فى حالة سقوط حيوان له فى احدى الآبار • فانه عنـــدما يفكر

فى العقاب كانت سائدة منذ فترة تقرب من (١٥ سنة) فى نفس الوقت الذى كانت مراكز الشرطة تبعد عن المنطقة بمسافة تزيد عن (١٠ كم) وتربطها بالمنطقة طرق غير معبدة ويقول الاخباريون أن آخر عهدهم بالمقاطعة كان فى سنة ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م . عندما خرجت أسرة عن رأى الجماعة فيما تعلق بالطريق الذى حاول شيخ القبيلة أن يفتحه عبر وادى بنى كبير ويخترق بعض أطراف أراضى لأفراد من القرية . وقد سبق أن أشرنا الى هذه الحادثة ..

اذا فكل الأفراد الذين يعيشون على هذه الأرض تربطهم بها علاقة وطيدة ، ولهم ثقافتهم الخاصة ، ووسائل الضبط الاجتماعى المميزة ، التى تحكم سلوكهم وفق القيم والمعايير السائدة ...

لكن الأمر لم يستمر كذلك ، فعندما بدأ اتصالهم بالمجتمعات الاخرى وانتشرت طرق المواصلات ، وزاد معدل الهجرة من والى القرية ، وجدوا أن بينهم عناصر جديدة لا تهتم بتلك القيم والمعايير وقواعد السلوك . وتحمل أنماطا ثقافية مختلفة . ولا تخضع لوسائل الضبط الاجتماعى . أولا يمكن اخضاعها لها .. وقد أدى وجود هذه العناصر الى ضرورة تحديد علاقة المرأة بالرجل ، فاقتصرت المرأة علاقتها على وحدتها القرابية ، وبدأ الاختلاط يختفى تدريجيا .

وابتداء من سنة ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م تقريبا بدأت المرأة (تضع الحجاب على وجهها) أثناء سيرها لقضاء أى عمل أو القيام بأية زيارة فى القرية . ذلك لان انتشار المهاجرين الى القرية بدأ عند هذا التاريخ .. وهى فى طريقها قد تمر بأحد هؤلاء الأغراب الذى لن يتورع عن ترديد عبارات الاعجاب بجمالها . وهو شىء لم تعتد سماعه من قبل عندما كانت تعيش مع أبناء قريتها فقط . فرأت أن الحجاب يمكن أن يقيها نظرات الغريب وبالتالى تتجنب سماع مثل تلك العبارات .. كما أن المرأة لم تعد تذهب الى الحقل فى أى وقت

كما كانت تفعل خشـية من تعؤضها لمضايقة الأغراب • هـذه الظاهرة الطارئة فى القرية استدعت أن يتخـذ سـكان القرية عمـوما قـرارا (غير مكتوب ينص على عدم السـماح لاى غريب بالسكن داخل القرية ، وقد تم اتخـاذ ذلك القرار فى ساحة المسجد عقب صلاة يوم جمعة منذ ما يقرب من ستة عشر عاما) •

لكن يبدو أن القرارات غير المكتوبة • لم تعد تلقى نفس الأهميـة التى كانت لدى الأفراد لمثل هذه القرارات فى السابق •• وذلك لان بعض الأفراد لم تعد للجماعة عليهم نفس السـلطة التى كانت فى السـابق ، أو لانهم رأوا أن فى ذلك مخالفة أو تعارضا مع مصالحهم الشخصية •• ولابد أن نشير الى أن الرجل الـذى تسبب فى وقوع الحـادثة التى سنرويها بعد قليل وبالتالى فى اتخـاذ قرار مكتوب ، تأثر كثيرا بأولاده المهاجرين الذين اقنعوه بوجوب مخالفة قرار الجماعة طمعا فى تحقيق مصلحة خاصة • والمهاجرون هؤلاء لاشك قد تأثروا بالنمط السـائد فى المدينة والتى لا مانع أن يسكن الغرباء المتزوجون وغيرهم الى جـوار بعض فى عمارة واحدة • كما هو السائد فى كل المدن • ولقد كانت الحاجة الى اليد العاملة ووجود المسـاكن الخالية بالاضافة الى ما سـبق هى العوامل التى أدت لان يسمح أحد افراد القرية لرجل أعزب كان يعمل لديه فى أرضه الزراعية بالسكن فى واحد من منازل وحدته القرابية الخـالى •

وقد طلب بعض أفراد من الجماعة الى هذا الرجل اخـراج الساكن الجديد من منازل القرية والبحث له عن سـكن مجـاور للمزرعة لكنه بتحريض من أبنائه رفض الانصياع لهذا الطلب • وعندها تطوع أحد الأفراد من سكان القرية بالذهاب الى المنزل الذى يسكنه هذا الغريب ، فأوسعه ضربا ، وقذف بحاجياته وملابسه الى خارج الدار • فما كان من المعتدى عليه الا أن ذهب الى مركز (الشرطة فى الباحة) بتحريض من أبناء الرجل المذكور • وقدم شـكواه هناك ممـا تعرض له • (كان بالامكان الشكوى الى كبار الجماعة أو الى شيخ القبيلة وكان يمـكن

حل الموضوع داخليا لكن أبناء هذا الرجل وأعنى به الذى سمح بسكن الغريب فى القرية • أرادوا أن تكون الشكوى للأجهزة الرسمية حتى يكون سكن الأغراب فى القرية بعد هذه الشكوى قاعدة لا يعترض عليها أحد من سكان القرية) ••

نص اتفاقية عدم السماح بسكن الغريب :

فطلبت الشرطة احضار المعتدى للتحقيق معه • وأمرت بسجنه على اعتبار أنه قام بعمل مخالف للنظام • فى حين أنه عندما قام بضرب هذا الغريب ، كان يعتقد أنه ينفذ قانون القرية أو يطبق تعليمات الجماعة ويدافع عن شرفها • وقد شاركه فى هذا الشعور كل سكان القرية ، واعتبروا أن الرجل الذى اذن لهذا الغريب بالسكن داخل منازل القرية هو المسؤول وحده عن كل ما حدث ، فسعت الجماعة الى اخراج المذكور من السجن واطلاق سراحه عن طريق تنازل المعتدى عليه عن دعواه فى الشرطة لقاء مبلغ معين ، وتدخل أفراد من قريتى — الفلاح — والحبيس — على اعتبار أنهما تشكلان مع قرية العبادل (بدنة الحارث) لانهاء الخلاف الذى وقع بين سكان القرية بسبب هذه المشكلة ، وبما أن سبب الخلاف هو وجود (الغريب) داخل القرية ، وبما أن القرار غير مكتوب لم يحترمه ذلك الرجل ، فقد اجتمع أفراد القرية كلهم لتحرير (ورقة) تتضمن اتفاقهم جميعا على عدم السماح للغريب بالسكن داخل قرية العبادل • وناب فى التوقيع على هذه الاتفاقية عن كل لحمة من (اللحام) الأربع التى تشكل قرية العبادل اثنان من كبارها وهذا نص الاتفاقية « بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده ، وبعد : لقد حضرت قرية الفلاح وقرية الحبيس الى قرية العبادل (يقصد حضور أفراد من القريتين) من أجل سوء تفاهم فيما بينهم ، وبحثوا القضية ، ووجد سببها زيدى (المقصود أنها بسبب وجود هذا الزيدى ، والزيدى هو الاصطلاح الذى يطلق على اليمنيين ، وجمعه « زيود » نسبة الى المذهب الزيدى فى اليمن) سكن فى قرية العبادل • ثم إن أهالى القرية اتفقوا

جميعا على ألا يسكن بينهم زيدى عزوبى (أى عدم السماح بسكن أى يمنى أعزب داخل القرية ، وهو استثناء يسمح بموجبه لمن ترافقه زوجته بالسكن داخل القرية) • وهذا سبب كتابة هذه الاتفاقية ، ومن سكن (أى سمح باسكان) زيدى عزوبى فى بيته أو فى بيوت العبادل ، يكون نكاله (غرامته) حضور قرية العبادل والقريتين التى أصلحت بينهم الفلاح والحبيس على رأسه (أى حضور أفراد القرى الثلاث الى دار المخالف وهى المقصود بالحضور على رأسه ، ويعنى ذلك أن عليه (عزير) يتمثل فى ذبح ثور أو بقرة للوافدين الى داره) جميعا ، ويكون نكاله (٢٠٠) ريال ، وعلى هذا جرى الاتفاق فى ٦/٨/٢٩ ١٣٨ هـ — ١٩٦٦ م ثم توقيعات اللحام الأربع وهى — الملى بن عبادل والعطا والعافيب والشعبه — وذيل ذلك بشهادة أفراد من قريتى الفلاح والحبيس • (انظر نص الاتفاقية على الملاحق ص ١٦) •

هذه الاتفاقية تبرز ثلاثة أمور • أولها السعى الى المحافظة على بقاء القرية خالية من الأغراب ، وخصوصا أولئك الذين يمكن أن يتسبب وجودهم فى حدوث مضايقة للمرأة فى القرية • وهم (العزاب) ومنعا لحدوث مثل ذلك فقد تقرر منعهم من السكن داخل القرية • والثانى • اتفاق سكان القرية جميعا على ما يرون أن فيه مصلحة لقريتهم ، ودرءا للشبهات عن شرف المرأة وحريتها فى التنقل بأمان داخل القرية وما حولها من حقول • وليسوا فى ذلك وحدهم بل أن القريتين الأخريين وهما الفلاح والحبيس تشاركان قرية العبادل فى سبيل المحافظة على مصلحتها ، واستمرار العلاقات الطيبة بين أفرادها ، ذلك أن سكان القرى الثلاث ينتمون كما أسلفنا الى سلف مشترك وتربطهم جميعا علاقات خاصة ، والأمر الثالث • يتمثل فى ظهور الاتفاقيات المكتوبة بعد أن أصبح التقيد بالاتفاقيات غير المكتوبة ليس على المستوى المطلوب حتى داخل القرية الواحدة •

وعلى الرغم من أنه يمكن فى الوقت الحاضر الخروج على هذه الاتفاقية • الا أنه لم تسجل مخالفة واحده لهذه الاتفاقية منذ ابرامها

وظاهرة الحجاب فى القرية قد أصبحت امرا مألوفا ، وهى تمثل ما يمكن أن نسميه (تراجعا فى سلوك المرأة) ، فبعد أن كانت ظاهرة السفور والاختلاط هى السائدة أصبح الحال على نقيض ذلك تماما فالحجاب وعدم الاختلاط بالرجال هو الشيء السائد لدى نساء القرية . فوجود الغرباء وانتشارهم فى كل مكان أحد الأسباب التى دعت الى انتشار هذه الظاهرة ، وأدت بالتالى الى عدم مشاركة المرأة بشكل كبير فى النشاط الزراعى كما كان ذلك فى السابق . وهو واحد من الأسباب التى دعت الى قيام الرجل بمهمة احضار الماء للمنزل وهناك سبب آخر يمكن أن يكون عاملا مساعدا لانتشار هذه الظاهرة . وهو أن المرأة التى هاجرت من قبل الى المدن داخل المملكة العربية السعودية ، وجدت أنه لابد أن تتكيف مع ظاهرة الحجاب فى المدينة التى هاجرت اليها مع زوجها ، فاعتادت على الحجاب وأصبح ملازما لها ، وعندما عادت الى القرية فى الهجرة المرتدة ظلت هذه العادة ملازمة لها أيضا ، وقد تأثر بها عدد من نساء القرية اللاتى لم يهاجرن مثلها ، وبالنظر الى كثرة عدد المهاجرات العائدات ، وجدت المرأة المقيمة نفسها أمام ضرورة التكيف مع هذه الظاهرة وتقليدها . وقد أصبح حاليا من غير المألوف أن يدخل أى رجل من القرية الى أى من منازلها حين لا يوجد به الا امرأة ، بل لقد أصبح الرجل والمرأة يتحرجان كثيرا من مثل هذا على الرغم من أن المرأة تحتفظ بحجابها أثناء أى لقاء عابر مع أى رجل كان غير المحارم الشرعيين .

أما بالنسبة للمرأة البدوية فى بادية بنى كبير فقد تغيرت نظرتها الى الحجاب . فاستبدلت ظاهرة الحجاب بالسفور ، وهو عكس ما حدث فى بنى كبير الحاضرة ، فبعد أن كانت المرأة فى بادية بنى كبير تحافظ أشد المحافظة على أن يكون (اللثام) ملازما لها أصبحت لا تهتم بذلك

كثيرا فى الوقت الحاضر ، وقد كانت المـرأة البدوية لا تنزع لثامها أبدا حتى أمام زوجها ، فهى تأكل وتشرب وتعمل وتنام أيضا ، واللثام الذى لا يظهر الا عينيها ، لا يفارقها • وقد كانت البدوية تفخر دائما بأنهـا لم تنزع لثامها مطلقا • الا عندما تريد تنظيفه واستبداله بآخر عندما تكون فى خلوة لا يراها أحد • وتفتخر بأنها منذ زواجها ، لم ير زوجهـا فمها على الرغم من مرور سنوات طويلة وانجاب عدة أطفال • وهـو عكس ما أورده السويدى فى دراسته [1] حيث أن اللثام هناك ظاهرة خاصة بالرجل •

وكانت المرأة البدوية تبدأ فى تعلم وضع اللثام منذ سن السادسة من العمر — كما يقول الاخباريون — فتبدأ أمها تعلمها وضع اللثـام حيث تعتاد بالتدريج على أن تأكل وتشرب وهى تضع اللثام على وجهها ، وما أن تكبر فى السن حتى يصبح جزءا منها • وليست هناك فوارق بين البدويات فى وضع اللثام أو حجمه أو لونه فهو على نمط واحد يرتدى بطريقة واحدة ولونه (أسود) وهو عبارة عن نوع من القماش الخفيف نسبيا طوله يتراوح بين متر ونصف المتر الى مترين وعرضـه حوالى ٨٠ سم ، تلفه المرأة جيدا حـول رأسها بحيث يستر شعرها كله وبالجزء المتبقى بد اتمام اللف تستر فمها وأرنبة أنفها ، ويتدلى عرض القماش فوق صدرها ، ولا يشـاهد من المـرأة التى ترتدى اللثام الا الجـزء الأسفل من جبهتها ، وبالتحديد من الحاجبين فما دون ، وتبقى عيناها والجزء الأعلى من الوجنتين ظاهر ، وعنـدما تريد أن تأكل أو تشرب تدخل اناء الماء عند الشرب ، من أسـفل الجزء المتدلى فوق الصدر حتى يصل الى فمها وكذلك تفعل عندما تأكل •

ويمكن أن نرجع سبب انتشـار ظاهرة اللثام بين البـدويات فى مجتمع بنى كبير • الى أن المرأة فى البادية « هى العنصر الهام فى النشاط

---

(١) راجع دراسة محمد عبد القادر السويدى • عن مجمع الطوارق • والتعليق عليها فى الفصل الثانى •

الاقتصادى الرعوى ، والطقس فى البادية يميل الى الحرارة أكثر منه فى الحاضرة ، كما أن الرياح هناك مثيرة للاتربة نتيجة لوجود الأراضى السهلية والرملية الجرداء ، والبدوية عرضة لهذه الاتربة وأكثر تعرضا للحرارة ، فاللثام ساعدها فى اتقاء هذه العوامل • ويمنع دخول الاتربة الى جوفها عن طريق الفم والأنف ، وسبب آخر يمكن أن نضيفه الى ما سبق ، وهو أن اللثام الذى يتخذ نمطا واحدا من الشكل والحجم واللون ، يساعد على اخفاء شخصية البدوية ، فالبادية كانت تكثر فيها عمليات النهب والسلب ، خاصة عندما تكون هناك عداوة بين وحدة وأخرى إما فى داخل القبيلة أو من خارجها ، فعندما يريد أحد نهب ماشية وحدة اجتماعية معينة أو ماشية شخص من هذه الوحدة • فانه لا يسهل عليه التعرف على الماشية التى يريد أن ينهبها ، نظرا لانه لم يتعرف على شخصية الراعية ولم يميز بينها وبين زميلاتها الأخريات ، وكان ذلك منذ القدم توارثته الأجيال فأصبح اللثام عادة وتقليدا •

ومع تقدم الزمن والاتصال بالخارج أى بالمجتمعات المجاورة • وانتشار طرق السيارات فى أراضى البادية • وهجرة المرأة البدوية الى المدن • وعودتها الى مناطق البادية فى بعض المناسبات • وتعلمها قيادة السيارات لظروف اقتصادية كما أشرنا الى ذلك من قبل ، كل ذلك أثر على مفهوم اللثام أو قيمة اللثام عند المرأة البدوية • فأصبحت المرأة البدوية يمكن أن تتخلى عن اللثام فى أحيان كثيرة ، فتشاهد البدوية وهى تقود السيارة دون أن تضع اللثام على وجهها ، نتيجة لاحتكاكها بآخرين فى طرق السيارات ، اما لاصلاح عطل فى سيارتها أو لتزويدها ، بالوقود ، أو لايقافها للسؤال عن طريق ما • وهى فى ذلك تشاهد نساء أخريات لا يرتدين هذا اللثام ، بل يرتدين الملابس

القصيرة ، وهن فى داخل السيارات كاشفات الرؤوس فى بعض الأحيان • وتعرفت البدوية عن طريق السيارات أيضا الى النساء الاجنبيات من خارج الوطن العربى ، وهن المرافقات لازواجهن الذين يعملون فى مجالات كثيرة ، واللاتى ليست لديهن أى قيم معينة تتعلق بالملبس ، وكل ذلك بطبيعة الحال ، جعل البدوية تراجع مفهومها عن اللثام وبالتالى لم تعد تحرص عليه كثيرا • وخلال جولتى فى مناطق البادية ، لاحظت أن البدوية تزيح اللثام عن وجهها طالما كانت بعيدة عن مضارب أهلها • ومتى اقتربت من هذه المضارب أعادت اللثام على وجهها •

ولعلها فى ذلك تريد أن تحـافظ على شعور الأهل ، وتفهمهم بأنها لم تسقط القيمة الاجتماعية للثام بعد ، وهى بذلك تمارس سلوكا متناقضا مع المفهوم السائد ، فهى سافرة أمام الأغراب متحجبة أمـام الأهل • وبالنسبة للعلاقات الاجتماعية ، فى البادية بصفة عامة ، فانها لم تعـد بنفس القدر من القـوة التى كانت عليهـا ، وذلك منذ انتشـار طرق السيارات فى أراضيهم ، هذه الطرق أدت الى رحيل عدد من الوحدات الاجتماعية الى مناطق أخرى داخل أرض القبيلة ، ساعدها فى ذلك وجود السيارات التى تنقل المتاع والماشية ، وأصبح البدوى يمـكن أن يقيم مخيمة فىمنطقة ليست بها مياه لشرب الماشية ، ويحضر هذهالمياه فى أماكن بعيدة بواسطة السيارة • هذا التفرق فى المكان بين الوحدات الاجتماعية فى البادية والاستقلال بمنـاطق الرعى والسـكن • أدى الى فتـور فى العلاقات بالاضافة الى هجرة اعداد كبيرة منهم الى المدن ، وهجرهم لمهنة الرعى ، واعتمادهم على الوظائف وخاصة فى القطاعات العسكرية •

ولا يعنى ذلك أن ظاهرة السفور منتشرة كليا فى مجتمع البادية ، بل أنه لايزال هناك البعض ممن يحافظون على اللثام ولاتزال له قيمـة اجتماعية ونلاحظ فى المدن كثيرا من البدويات يسرن فى الشوارع الرئيسية يرتدين (البرقع) وهو عبارة عن لثام مطـور لا يكشف الا العينين ، ويوجد به رباط يربط بين الجزء العلوى والسـفلى مرورا بالأنف • وقد

وبالنسبة لسكان بنى كبير الحاضرة ، فقد حاول كبار السن فى قرية العبادل مثلا ، بعد أن لاحظوا التفكك الذى أصاب العلاقات الاجتماعية نتيجة لكل العوامل والظروف الطارئة على المنطقة والتى أشرنا اليهـا فى أماكن متفرقة • حاولوا أن يحافظوا على أقل قدر ممكن من هـذه العلاقات بين الأفراد والوحدات الاجتماعية داخل القرية • بعد أن بدأت المشكلات والخلافات تنتشر بين السكان وبدأ كل منهم عندما تقع خصومة على أرض أو فى أى شيء آخر ، يتجه الى مراكز الشرطة فى المنطقة لتقضى على أسباب الخلاف ، وهى الوظيفة التى كان يمارسها مجلس القبيلة وشيخها وكبار السن فى القرى ، فأراد هؤلاء احياء وظيفة كبار السن فى القرية عن طريق تشكيل مجلس للقرية يتكون من أربعة أشخاص كل منهم يمثل (لحمة من اللحام الأربع التى تشكل القرية) ويسمونهم (أربعة الجماعة) ووظيفة هؤلاء الأربعة التدخل فورا فى كل مشكلة تطرأ والبحث عن حل مناسب لها ، قبل أن يصل الأمر الى السلطات الرسمية ، فهم يرون أن هذه المشكلات لابد أن تحل داخل القرية حفاظا على سمعتها ، وحتى لا يقول الآخرون ، بأن المشكلات كثيرة فى قرية العبادل • والجماعة لم يتدخلوا لحلها ، وذلك عندما يشاهدون أحدا من قرية العبادل يشكو أحد أفراد القرية الى هذه السلطات ، وكانت طريقتهم تتلخص فى أن الأربعة يجتمعون فى أحد (مجالس القرية) وغالبا ما يكون هذا المجلس لأحدهم ، ثم يبحثون أسباب الخلاف ، ويستمعون لوجهتى نظر الطرفين فى النزاع ، فان كانت أسباب هذا النزاع تعود الى الخلاف حول ملكية أرض أو منزل • فهم أعرف الناس

بحدود الأرض ولمن تؤول ملكيتها ، وبحكم معرفتهم هذه يتم فصـــل النزاع بين الطرفين ، فان لم يقبل أحد الأطراف بحـكم أربعة الجماعة ، يقررون الذهاب الى مراكز الشرطة والمحاكم الشرعية للشهادة بما لديهم ضد الطرف الاخر الذى لم يقبل بصلح هؤلاء الأربعة ، وغالبا ما يكون هو المعتدى ، كان يحاول التوسع فى رقعة زراعية أو ليضم (السبل) وهو الطريق العام أو الطريق المؤدى الى أراضى زراعية أخرى لارضه الزراعية الخاصة ، فعندما يعلم هذا بأن أربعة الجماعة سيقفون ضده ، يتراجع عن الشكوى ويكف عن الاعتداء • ونقيس على ذلك كل الأمـور الاخرى التى لابد أن يكون فيها طرف معتدى وطرف معتدى عليه ، هذه الطريقة أدت الى حل المشـكلات داخليا • والى قلة فى الشكاوى الى السلطات الرسمية • مما يوفر ، وقت الأطراف المتخاصمة ، ووقت الجهات الرسمية أيضا ••

العلاقات مـع المجتمعـات المجـاورة :

بالنسبة للعلاقات مع المجتمعات القبلية المجـاورة ، فلقـد كانت العلاقة فى السابق تتمثل فى العلاقة بين القوى والضعيف • ودائما يكون الطرف الضعيف هو الخاسر ، فعندما كانت الحروب القبلية قائمـة ، فان القبيلة المنتصرة تملى شروطها على المهزومة ، وتبيح لنفسها استغلال مواردها الاقتصادية ومنها الرعى فى حماها والاسـتفادة من أشجارها وزروعها الى غير ذلك • اما فى حالة تعادل القوى لدى القبائل المتحاربة ، بمعنى أن تخرج هذه القبائل من الحروب بخسائر متعادلة أو عنـدما لا تتمكن احداها من السيطرة على الأخرى ، أو عندما لا تقع الحـرب لسبب أن كل قبيلة تخشى الاخرى وتعتقد بقوتها وشجاعة المحـاربين فيها ، فانه كانت تقوم بين مثل هذه القبائل (أحـلاف) أو ما يمكن أن نسميه بحالة هدنة أو سلام • هذه الاحلاف أو معاهدات السـلام • كان كل فرد من أفـراد القبيلتين الحليفتين يحـاول جاهدا أن يحترم نصوص الحلف ، وعندما يقع خطأ من أحدهم ، فان الأمر يسوى بسرعة

ويعدل الخطـأ وذلك حتى لا تنشب الحـرب بين القبيلتين فتؤدى الى الهلاك ــ وقد سجل الاخباريون حروبا عدة وقعت بين بنى كبير وقبـائل مجاورة وخاصة بنى ظبيان تعود أسبابها الى « انتهاك لحمى أى من القبيلتين » .. وأدت هذه الحروب أو الاحلاف التى تتم بالطرق السلمية أن تشترك قبيلة مع أخرى فى حماها . ومنها على سبيل المثال اشتراك قبيلة بنى كبير مع (قبيلة الرهوة) تقع أراضيها فى النـاحية الجنوبية والجنوبية الغربية بالنسـبة لأراضى بنى كبير . فى حمى آل الرهـوة المسمى (فروش الطلح) وظل ذلك الاشتراك قائما لمدة طويلة ، وعندما دخلت المنطقة كلها فى الحكم السعودى ، حاولت قبيلة الرهوة حـرمان بنى كبير من المشاركة فى هذا الحمى ، اعتمادا على أنه لم يعد فى استطاعة قبيلة بنى كبير اعـلان الحرب عليهم ، نظرا لوجـود أجهـزة حكومية ستمنع بنى كبير من القيام بعمل عدائى ضد آل الرهـوة ، وقد حدثت مناوشات بسيطة بين الطرفين لم تصل الى حالة الحرب ، مما حـدا بالسلطات الحكومية الى التدخل للتعرف على أسـباب النزاع ، حيث كتب أمير المنطقة الذى كان مقره الرسمى فى (قرية الظفير) المجاورة للباحة . شرحا مفصلا الى الملك عبد العزيز آل سعود الذى أصدر أمره برقم ٢٣٥٧ وتاريخ ١٣٦٢ هـ ــ ١٩٤٢ م الذى يقضى باشتراك القبيلتين فى هذا الحمى . وبناء على هذا الأمر فقد استدعى أمير المنطقـة شيخ آل الرهوة وعددا من وجهائهم ، وأخذ عليهم اقرارا بموافقتهم وقناعتهم بمشاركة بنى كبير لهم فى هذا الحمى ، بعـد أن كانوا قد أعلنوا عـدم القناعة بذلك ، وفى نفس الوقت استدعى شيخ قبيلة بنى كبير وبعض وجهائها أيضا واحاطهم علما بأمر الملك ، وأخـذ عليهم التعهـد اللازم بمسؤوليتهم عما يحدث من أى فرد من أفراد القبيلة يؤدى الى توتر العلاقات بين القبيلتين . وأشهد عليهم أمير الظفير (أى على آل الرهوة

وبنى كبير) بعض مشايخ القبائل فى غامد ، حيث ورد فى الاتفاقية توقيع شيخ قبيلة بنى عبد الله وشيخ قبيلة المخواة وكذا عريف الباحة . (انظر النص فى الملاحق) .

وهكذا نلاحظ أن العلاقات بين القبائل المتجاورة قد بدأت الحكومة المركزية فى تنظيمها والاشراف عليها بالسيطرة على شيخ القبيلة ووجهائها وأخذ التعهدات اللازمة بمسؤولياتهم عن تصرفات الأفراد . وهكذا نلاحظ أن الجانب التنظيمى الرسمى بدأ يحكم العلاقات بين الأفراد فالسلطة هى الملجأ الوحيد لحل الخلافات بين الأفراد اذا لم يستطع (مجلس القرية) بسلطته الضعيفة السيطرة عليها وايجاد الحلول المناسبة لها . وكذا تولت هذه السلطة تنظيم العلاقات بين القبائل فتحولت من علاقات مصدرها القوة أو الضعف الى علاقات تحكمها الدولة وتسيطر عليها تحقيقا للمصلحة العامة للأطراف المختلفة .

الخاتمـــة

أولا الشـــــعور بالأمن

ثانيا : البترول والهجرة

ثالثا : التكنولوجيا الحديثة

رابعا : العلاقات الاجتماعية

(الخاتمــــة)

البناء القبلى والتحضر فى المملكة العربية السعودية ، هذا الموضوع باختصار يعنى • دراسة البناء القبلى بكل جوانبه وأثر التحضر والهجرة الى المدن على هذا البناء ، اجتمــاعيا وسياسيا واقتصــاديا ، وثقافيا وتربويا • وأود أن أسجل اعترافى بالتقصير فى القاء الضوء بما فيــه الكفاية على بعض الجوانب فى هذه الدراسة ، واغفال جوانب أخرى ، قد لا تخفى على البعض من المتخصصين فى الدراســات الانثروبولوجية والاجتماعية ، وذلك لعدة أسباب أذكر منها ، أن هذا النوع من للدراسات الانثروبولوجية غاية فى التشعب وتعدد الجوانب • ولا يكفى أن يقــوم به باحث واحد . وأن يجمع فى دراسة واحدة • بل أنه يتطلب وجود عدد من الباحثين يقومون بدراسات متعددة لهذه الجوانب وتتولاها جهــة متخصصة معينة بهذا النوع من الدراسات •

والسبب الثانى قلة المصادر فى هذا النوع من الدراســة ، وأعنى بها دراسة البناء القبلى ، وان وجدت رغم قلتها فهى تختلف اختــلافا كليا من حيث المنهج والهدف الذى قامت من أجله تلك الدراســات عن واقع القبيلة فى المملكة العربية السعودية وبالتحديد فى بنى كبير ، من ذلك مثلا أن المفهوم السائد عن القبيلة فى نظر من قاموا بتلك الدراسات أن كل قبيلة (بدوية) وقد يصدق ذلك على القبائل الذين قاموا بدراساتهم فيها ، لكن الواقع هنا خــلاف ذلك تماما ، فقد رأينــا فى فصول هــذه الدراســة بأن قبيلة بنى كبير تجمع بين النمط الريفى والبــدوى فى آن واحد ، ليس فقد بقسميها الحاضرة والبادية • فقد وجدنا أن سكان الحاضرة يمارسون مهنــة الزراعة والصــناعة والرعى ، ففى الاسرة الواحدة توجد هذه الأنماط الثلاثة من النشاط الاقتصادى •

والسبب الثالث : أن هذه الدراسة هى الأولى من نوعها فى قبيــلة بنى كبير بل تؤكد أنه لم تقم فى بنى كبير أية دراسة من أى نوع ولاى

بدأت بشيء جديد على سكان المنطقة هو البحث والسؤال والملاحظة وجمع المعلومات والصور والوثائق ومقابلة كبار السن • مما أثار لدى الكثير منهم تساؤلات عدة ، وجعل بعض من تطوع منهم بمساعدتى نتيجة لعلاقتى الخاصة بهم يتعاملون معى بحذر شديد ، ويتردد البعض منهم كثيرا قبل اطلاعى على ما لديه من وثائق قديمة أو معلومات تفيدنى فى مجال الدراسة •

هذه الأسباب مجتمعة بالاضافة الى أسباب أخرى هى فى نظرى خلف التقصير الذى أشرت اليه •

ونستعرض من الصفحات التالية نتائج هذه الدراسة :

أولا : فى رأيى أن من أبرز النتائج الايجابية فى المجتمعات القبلية كنتيجة أولى للتحضر هو (الشعور بالأمن) وارتفاع قيمة الانسان الاجتماعية • وأعتقد أن المعيار الشامل الذى يمكن أن يقاس به المجتمع المتحضر أو التقدم الحضارى هو معيار يتعلق بالشعور بالأمن — بغض النظر عن الجوانب الاخرى التى يمكن أن تكون معايير أخرى لقياس التقدم الحضارى • فما يعنينا هنا هو (الأمن) والشعور بهذا الأمن له معنى واسع وكبير ، والمجتمع المتقدم حضاريا هو ذلك « الذى يوفر أوسع مشاعر الامن للغالبية العظمى من المواطنين » وقد ارتبطت ظاهرة السلطة ومن ثم الدولة فى المجتمعات الانسانية منذ القدم ، بالمقدرة على تحقيق الشعور بالأمن لدى الناس ففى الماضى كان الناس يخافون من مخاطر الطبيعة وكواسر الحيوانات والتعرض للمجاعات ، وكان سعيهم ينحصر فى تحقيق الشعور بالأمن لمواجهة ما توجده تلك المخاوف من شعور بانعدام الأمن •

وفى مسيرة الانسانية الطويلة كانت مصادر الخوف تتنوع وتتعدد • وكانت حاجة الانسان الى الأمن قائمة متجددة ، وكان المبرر الأساسى لوجود السلطة المتمثلة فى الدولة • هو اشباع ذلك الشعور وتحقيقه لدى الغالبية العظمى من الناس •

فبقدر ما تتسع مساحة الشــعور بالأمن ويقابلها ضيق فى مساحة الشعور بالخوف ، بقدر ما يتحقق التقدم الحضارى فى أى مجتمــع من المجتمعــات •

والحاجة الى الأمن فى عصرنا الحاضر متعددة الصور والجوانب ، فالانسان فى حاجة الى أن يشعر بالأمن على نفسه وماله وولده ، ويشعر بالأمن فى توفر لقمة العيش وتوفير مستوى اقتصادى معين ، وفى حاجة الى أن يشعر بالأمن فى صحته بتوفير الرعاية الطبية كما هو فى حاجــة الى الحرية والتعبير عن آرائه بصورة لا تفســد على المجتمع هدوءه واســتقراره •

فاذا أمن الانسان على نفسه وماله فانه فى حاجة الى أن يأمن على صحته بوجود سرير فى مستشفى اذا داهمه المرض والا اختل معيــار التقدم الحضــارى ، وكذلك الحال اذا توفر له الأمن فى صحته ولم يتوفر له الأمن فى مواجهة البطالة والعوز ، وهكذا مع نسبية الامور ، وتعدد درجاتها • وقد تحقق الأمن فى المجتمع القبلى للأسباب التالية :

(أ) قيام الدولة الســعودية :

كان مجتمع قبيلة بنى كبير يعيش حالة من التأهب للقتال مع القبائل المجاورة • وكانت غارات الســلب والنهب هى طبيعة المجتمعات القبلية، وذلك نتيجة للظروف الطبيعية التى تعيشها هذه المجتمعات • فلم تــكن تلك الحروب والغارات غاية فى حد ذاتها • ولكنها كانت وســيلة لتحقيق غاية أخرى وهى الشعور بالأمن الاقتصادى لدى القبائل المتحــاربة ، فمعظم الحروب القبلية كانت تنشب من أجل المراعى والحمى والأراضى ، لان هذه كانت هى المصــادر الأولى للقمة العيش فالدفاع عنها هو دفاع من أجل البقاء والاستمرار ، والتفريط فيها معنــاه الموت والاندثار • وقد رأينا فى هذه الدراسة أن الفرد يكتسب مكانته الاجتماعية إما بقدرته على القتال ، واما لانتمــائه الى أسرة يكثر عدد المحاربين فيها ، وقــد

سجلنا أيضا ظاهرة كانت تسود فى المجتمعات القبلية ، وهى أنه فى حالة طلب الثأر من طرف آخر ، فان القبيلة أو شـيخ القبيلة كان يختـار شخصا ليست له مكانة اجتماعية هامة يقدمه نيابة عن الجانى الأصلى لتقتص منه القبيلة الاخرى أو الطرف الآخـر لقاء ذنب لم يرتكبه ، وسجلنا أيضا حادثة (الفقيه) الذى رفضت الوحدة الاجتماعية الثأرية أن تقتص ثأرها بهذا الفقيه ، على اعتبار أنه لا يمثل مكانة اجتمـاعية هامة ، وهذه أمور قبلية تسقط مكانة الانسـان وقيمته الاجتمـاعية كانسان ، بصرف النظر عن دوره الذى يقوم به فى المجتمع .

اذا فقيام الدولة السعودية بأنظمتها الحديثة المتعددة ، قد أوجد الأثر البالغ على البناء القبلى التقليدى فى المجتمع العربى السـعودى فقد كانت القبيلة تتولى رعاية الأفراد ، وتدير شؤونهم وتعلمهم فنون القتال والحرب ، ويتلقون فيها التربية ومنها يكتسبون الثقافة العامة .. الخ وتولت الدولة الحديثة كل ذلك نيـابة عن القبيـلة بما كان له أبلغ أثر على القبيلة وانعكس بالتالى على كل أنماط الحياة فيها .

فتلاشت سلطات شيخ القبيلة ولم يعد يستطيع اعطـاء أوامـر بالحـرب أو الغارات على القبائل المجاورة ، ولم يعد بمقدوره أن يقدم البديل عن الجانى الحقيقى لينفذ فيه القصاص بغير وجه حق ، ولم يعد هو المسؤول عن تأمين أو حماية الموارد الاقتصادية للقبيلة ، كمـا أن القبيلة لم تعد مستقلة اقتصاديا ، بل أصبحت ترتبط اقتصـاديا مـع المجتمع الكبير فى كل أوجه هذا النشاط .

وتحملت الـدولة أيضـا مسـؤولية التربية والتعليم ، وتوفـير المستوصفات والمستشفيات التى خففت الى درجة كبيرة الاعتمـاد على (الطب الشعبى) .

وأهم من كل هذا ، وفرت الأمن والاسـتقرار والهدوء للمواطن بواسطة أجهزة الضبط الجماعى الحـديثة ، كالشرطة والامارة والمحكمة

والدوريات التى يقوم بها رجال الأمن • فأصبح بامكان الفرد أن يتجول فى القبيلة أو حتى فى أرض قبيلة أخرى دون أن يخاف الموت أو يخشى الارهاب • ذلك أن الدولة بأجهزتها المختلفة تستطيع الوصول الى أى فرد وتطبق العقوبة عليه • اذا اقترف جرما يستحق هذه العقوبة ، فحققت بذلك الأمن وحفظت للانسان قيمته الاجتماعية •

(ب) التعـــليم :

من غير شك فان الاميـــة التى كانت متفشية بشـــكل واسع وكبير فى المجتمع القبلى ، كانت وراء عدم الشعور بالأمن ، فالجاهل لا يقـــدر العواقب الوخيمة للسلوك العدوانى ، وليست لديه أدنى معرفة بالقيمة الاجتماعية للانسان ، وكل الذى يعرفه أن الهجوم خير وسيلة للدفاع • والمثل الشائع (تغد بخصمك قبل أن يتعشى بك) وبما أن وجبة الغداء تسبق العشاء ، فان معنى ذلك الاجهاز على الخصم من قبلك • قبل أن تتاح له فرصة فيجهز عليك •

وعند قيام الدولة السعوديةانتهجت سياسة تعميم التعليم فىكل مكان، ايمانا منها بأن التعليم سوف يقضى على كثير من العـــادات الضارة ، ولم تكتف بتعليم الذكور ، بل افتتحت العديد من مدارس البنـــات ، وكذا مدارس محو الامية لكبار السن من الذكور والاناث • وعندما بدأ التوسع فى التعليم بدأت الامية فى التراجع ، وبالتالى أصبـــح الشخص المتعلم ، يراجع كل سلوك من حيث أسبابه وخلفياته قبل أن يقدم عليه • وتغيرت النظرة من ــ تغد بخصمك ــ الى (ادفع بالتى هى أحسن) وبالتالى فان أسس التربية والثقافة ، قد تغيرت تغيرا جذريا فالام المتعلمة تســـتطيع أن تحسن تربية أبنائهـــا • وتعلمهـــم وترشدهم الى طرق الخير وتحذرهم من طرق الشر وأسبابه ، ثم تأتى المدرسة بعد ذلك لتكمل أسس التربية التى تلقاها الطفل فى سنى عمره الاولى ، وهكذا خلق التعليم جيلا جديدا يحافظ على الامن ويقدر القيمة الاجتماعية للانسان •

في أول عهد المنطقة بالحكم السعودي ، كانت الحالة الاقتصادية للدولة لا تفي باحتياجاتها للصرف على المؤسسات الحكومية التي قامت من أجل خدمة المواطن ، ولذا فقد كانت الدولة تفرض على القبائل ضرائب معينة حتى تسد النقص الحاصل في مواجهة تلك المصروفات . فكانت تكلف شيخ القبيلة عن طريق مركز الامارة في الظفير بأن يجمع هذه الضرائب من أفراد القبيلة ، كما هو مبين في الايصال رقم ٥٦٠ جلد / ١٥/٨/٣٥٥/١٩٣٥م الذي يحتـــوى على مبلغ « ٢٧٢٨٠ » قرشا سعوديا لمالية الحكومة العربية الحجازية . هو المبلغ الذي يمثل ما كان يسمى بالجهاد والخدمة ويؤول الى خزينة الدولة (انظر الملاحق) .

وما أن تم العثور على الثروة النفطية في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ، حتى توقف جمع ضرائب الجهاد والخدمة . وبدأت الدولة تصرف من عائدات النفط على هذه المؤسسات الحكومية ، ومع مرور الزمن تطورت المشروعات الحكومية ، فزاد عدد المدارس لمختلف المراحل التعليمية ، وكذا أعداد المستوصفات والمستشفيات ، وانتشرت طرق المواصلات ووسائل الاتصال الحديثة . وارتفع المستوى الاقتصادي للافراد نتيجة لهجرة أعداد كبيرة من أفراد القبيلة الى منابع النفط للعمل هناك ، حيث كان هؤلاء يحصلون على دخل مرتفع ، وقد كان لاكتشاف البترول مجموعة من الاثار على البناء القبلي ، منها التفريغ شبه الكامل لسكان قرى بني كبير وخاصـــة من فئة الشـــباب والذين بدأوا بعد ذلك في اصطحاب زوجاتهم وأطفالهم الى أماكن العمل ، وهذا الامر أدى الى شبه توقف لكثير من الانشطة الاقتصادية التي كانت قائمة في القبيلة فهؤلاء الشباب وزوجاتهم وأطفالهم كان لكل منهم دوره في النشاط الاقتصادي ، وعند سفرهم وعدم وجود الايدي العاملة البديلة . أدى الى توقف العمل في النشاط الزراعي والرعوي والاشتغال

بالصوف ، توقفا تدريجيا • ففى بداية الهجرة لم يتأثر هذا النشاط كثيرا بسبب وجود من كان يقوم بدور المهاجر عندما يغادر المنطقة كالاب والام والزوجة أو حتى الاطفال الكبار ، لكن عندما تقدمت السن بكل من الاب والام ، والتحقت الزوجـة بزوجهـا فى مكان هجرته ، وفى نفس الوقت التحق الطفل أو الاطفـال بالمدارس ، لم تعد هنـاك مقدرة لمثل هـذه الاسرة على أن تزاول أعمـالها الزراعيـة ، واكتفت الام بصناعة الصوف فى القرية وعلى نطاق ضيق ، ولم تستطع الاستمرار فى مزاولة هذه المهنة مع تقدم السن بهـا •

اذا فعامل الهجرة كان السبب المباشر خلف توقف الكثير من الاسر عن ممارسة النشاط الزراعى وخلافه ، فى نفس الوقت الذى تدفقت فيه الاموال من عدد من المهاجرين الى ذويهم فى القرية فأدى ذلك الى ظهور أنماط اقتصادية جديدة كالتجارة بمختلف أنواعها ، وفتح المطاعم والمقاهى وخلافها ، وبناء المنازل الحديثة فى الاطراف البعيدة من المنطقة اما لغرض تأجيرها لآخرين • واما للانتقال اليها من المساكن القديمة التى لم تعد ملائمة للمهاجرين وعائلاتهم عندما يعودون من مناطق الهجرة ، فأدى ذلك الى مزيد من التفريغ لسكان القرية القديمة وانتقالهم الى هذه الدور الحديثة •

ونظرا لما تقدم ، فقد لوحظ ظهور عدد من الاسر الفقيرة ، وهى تلك التى ليس لها أبناء هاجروا خارج المنطقة من أجل العمل ، والتى توقفت عن النشاط الزراعى لاختفاء كثير من مقوماته ، كالثور الذى بدأ ثمنه فى الارتفاع ، بسبب عدم اقبال السكان على تربية الماشية ومع مرور الزمن بدأت اعداد الثيران تقل بسبب تعرضها للذبح واقبال الناس على أكل لحومها عوضا عن الأغنـام التى ارتفعت أسـعارها كثيرا • بالاضافة الى تعرض كثير من الابار الزراعية للجفاف أو للدمار ، بسبب اهمال الشركاء فيها ، وعدم اقبالهم على مباشرتها والعناية بها برفع ما يتكوم فيها من أحجار وأتربة كما كانوا يفعلون فى السابق ،

كمـا أن الحبـوب التى تنتج محليـا ليست فى مسـتوى الحبـوب المستوردة من خارج المملكة من حيث النظافة ، فالمنتجة محليا يوجـد بها بعض الاتربة وبعض الاحجار الصغيرة بسبب أن تصفيتها عنـد الدرس تتم بطرق بدائية . كما توقفت بعض الاسر التى كانت تمارس مهنة الرعى عن هذاالنشاط أيضا ، نظرا لان الفتاة التحقت بالمدرسـة ولم تعد تسرح بأغنامها الى المراعى كما كانت تفعل فى السابق ، كما أن مناطق الرعى نفسها لم تعد صالحة كما كانت من قبل بسبب اهمالها أيضا . فقد كانوا فى السابق يمنعون أية ماشية أخرى من غير مواشى سكان القرية أو البدنةمن الدخول الى مناطق الرعى وهى تلك التى فيها الاعشاب والاشجار التى يسمونها (الحمى) وأدى اهمالهم فى حمايتها الى أن بدأت مواشى الغير تغزوها باعداد كثيرة أدت الى نفاد تلك المراعى وبالتالى استغناء هذه الاسر عن قطعانها . وارتبط توقف النشاط الزراعى ، والتوقف عن بناء المنازل بالطريقة القديمة التى تتكون من عنصرين رئيسيين الاحجار والاخشاب الى تـوقف نشاط صـناع الحديد فهم كانوا يصنعون الادوات التى تستخدم فى الزراعة أو الأدوات التى تستخدم فى بناء المنازل — كمـا أوضحنا من قبـل — وتوقف العمل فى هذين المجالين أدى الى توقف مصادر دخـل هـذه الفئة . حيث أن الطلب لم يعد قائما فاختفى العرض . وقد هاجر من المنطقة عدد من صناع الحديد الى مناطق أخرى بحثا عن العمل ، بينما حاولت فئة أخرى أن تعمل فى مجال جديد يتناسب مع امكاناتها ،فأنشأ البعض أماكن خاصة لصناعة أبواب الحديد والشبابيك ، كما اشتغل قسم آخر بالعمل فى اصلاح السيارات وخاصة فى مجال عمل صناديق لسيارات النقل أو ماشابه ذلك .

وبالنسبة لفئة (صانعى الفخار) فقد هاجر قسم منهم ، بينما بقى

القسم الاخر يمارس هذه المهنة ، ولكن إقدام الناس على اســتخدام الانية الحديثة للطعام واستغنائهم عن تلك الآنية المصنوعة من الفخار أدى الى توقف شبه تام فى نشاط هذه الفئة • وبالتالى الى تدهــور المستوى الاقتصادى بالنسبة للبعض منها • وقد بدأت الدولة فى معالجة هذهالظاهرة بعدة طرق هى :

الضمان الاجتمــاعى :

هذه العوامل مجتمعة هى التى أدت الى وجود ظاهرة الاسر الفقيرة وكان على الدولة اما أن تترك هذه الاسر فتزداد القاعدة فقرا واما أن تقدم لها مساعدات مالية تعينها على تحمل أعباء الحياة •

فأنشأت فرعا « للضمان الاجتماعى » فى المنطقة ويتبع لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية وبدأ نشاط هذا الفرع فى عام ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٢ م حيث كان يعطى مساعدات مالية سنوية للاسر الفقيرة فى المنطقة ، وفى عام ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م كان عدد الاسر المستفيدة من الضمان الاجتماعى فى قرية العبادل « خمس أسر » فقط • « تعرفنا الى هذه الاسر بالاسم عن طريق الاخباريين » وفى عام ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م • وصل عــدد الاسر المستفيدة من الضمان الاجتماعى فى سكان قرية العبــادل الى (عشرين أسرة) بسبب تسابق السكان الى الحصول على أمــوال من الدولة سواء كانوا فى حاجة اليها أم لا • وبسب عدم الدقة والضبط والتحرى عن هذه الاسر من قبل القائمين على الضمان الاجتماعى •

وهذا بطبيعة الحال أدى الى أن تترك معظم الاسر التى كانت تمارس على نطاق ضيق أى نوع من أنواع النشاط الاقتصادى نشاطها • ذلك أن المساعدات المضمونة التى يقدمها الضمان الاجتماعى كل ستة شهور أفضل من المحصول الذى يجنونه من هذا النشاط بعد جهد ومشقة ، والاعتماد على مساعدات الدولة وهجــر العمــل الزراعى ضرب من « التخلف الذى تعيشه المنطقة » فالاعتماد على هذه المساعدات فى

شراء الحبوب والخضراوات المستوردة أو التى يزرعها آخرون واهمال الأرض الزراعية ، لا يمكن أن يكون ظاهرة تنم عن تقدم أو تحضر بل على العكس من ذلك تماما .

اعانة المزارع :

يبدو أن الدولة لاحظت اهمال المزارع لارضه الزراعية ، وانصرافه الى نشاط آخر واعتماده كلية على ما تستورده الدولة من حبوب وخضراوات وفواكه ، فحاولت العودة بالمزارع الى هذا النشاط الهام . فبدأت بانشاء مكاتب زراعية تتولى ارشاد المزارع وتقديم خدماتها اليه، ومساعدته باستخدام المبيدات الحديثة فى القضاء على الافات الزراعية، وأنشأت الدولة معهدا زراعيا فى المنطقة ليلتحق به الشباب من أبناء المنطقة يتعلمون فيه أحدث الوسائل فى الزراعة وشئونها المختلفة وكان ذلك فى عام ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٢ م حتى يقدمون خدماتهم بعد تخرجهم لمنطقتهم ، ويبدو أن الاقبال عليه كان خلاف ما توقعه أصحاب هذه الفكرة ، فأغلق أبوابه بعد خمس سنوات فقط من انشائه . وبدأت الدولة التفكير فى طرق أخرى منها . تقديم كل أصناف البذور والسماد الكيماوى الى المزارعين بأسعار رمزية ، وقدمت لكل مزارع مساعدة مالية ترتفع أو تقل حسب ارتفاع كمية المحصول أو انخفاضها ، وركزت هذه المساعدات على أصناف الحبوب رغبة منها فى توفير الحبوب المحلية والاعلاف . وخصصت مكافأة مالية لكل مزارع قدرها « خمس قروش » لكل كيلو جرام من الحبوب ، وعلى الرغم من ذلك فان المزارعين فى المنطقة لم يهتموا كثيرا بهذه الفكرة — بسبب تحسن المستوى الاقتصادى لديهم من مصادر دخل أخرى ، أو بسبب اعتماد البعض على مساعدات الضمان الاجتماعى كما أن الاراضى الزراعية لم تعد فى حالة تؤهلها للانتاج الجيد بسبب الاهمال لفترة طويلة مما أفقدها أو ضعف تربتها الجيدة التى كانت صالحة للزراعة .

كانت المنطقة وحتى ما يقرب من عشر سنوات أى فى عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م تصدر أعدادا كبيرة من الماشية الى مدن المملكة ، حيث كانت تكثر بها قطعان الابل والبقر والاغنام ، تفيض عن حاجة السوق المحلى لكن الذى حدث أنه بعد عائدات البترول الكبيرة واشـتغال السـكان بالنشاط التجارى أو التحاقهم بوظائف الدولة بالاضافة الى الاثر الكبير الذى تركته أعداد الهجرة الكثيرة الى خارج المنطقة ٠ وخاصة من سكان البادية الذين كانوا المصدر الرئيسى الاول للماشية ٠ فقد بدأت أعداد الماشية تقل تدريجيا ، وبدأت أسعارها فى الارتفاع المفاجىء ٠ فاذا ألقينا نظرة على أسعار اللحـوم قبل عـام ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م لوجدنا أن سعر الكيلو الواحد من اللحوم على الشكل التالى : ٦ ريالات سعودى ثمن الكيلو جرام الواحـد من الأغنـام ، ٥ ريالات ثمن الكيلو جرام الواحد من البقر ، ٤ ريالات ثمن الكيلو جرام الواحد من الابل ٠ ثم تضاعفت هذه الأرقام فى عام ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م لتصبح عـلى التوالى ١٢ ريالا ، ١٠ ريالات ، ٨ ريالات ٠ فى حين كانت للحوم المطروحة فى الأسواق من الماشية المحلية ٠

وبعد ذلك لسنوات قليلة تضاعفت الأرقام لتصبح ٢٤ ، ٢٠ ، ١٦ ريالا ٠ فتدخلت الدولة بفرض تسـعيرة جبرية للحـوم ، وبـدأت فى استيراد أصناف الماشية من الخارج ، وكذا استيراد اللحوم المجمدة ٠ او المذبوحة فى نفس اليوم وتنقل بالطائرات من تركيا والسـودان ٠ حتى استقر الثمن على ١٨ ريالا بالنسبة للأغنام ، و ١٦ ريالا للبقر ، ١٤ ريالا للابل ، وذلك فى عام ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م ٠ أما فى شهر شوال عام ١٤٠٠ هـ ـ سبتمبر عام ١٩٨٠ ، فكان سعر اللحوم على التوالى : ٢٠ ، ١٨ ، ١٦ ريالا للكيلو جـرام الواحـد ٠ وقـد بدأ السـكان يعتمدون على لحوم الدجاج والأسماك منذ عام ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م بشكل كبير ، عندما لاحظوا الارتفاع الكبير فى أسعار اللحوم ولابـد

أن نشير الى أن اعداد الحجاج الكبيرة التى تفد الى الأراضى المقدسة فى كل عام ، كان أحد العوامل الهامة التى ساعدت على ارتفاع أسعار الماشية ، حيث يستهلك الحجاج فى أيام الحج فقط أكثر من نصف مليون رأس من الماشية ، وهى الاضاحى التى تذبح فى منى فى أول وثانى وثالث أيام العيد .

ولم يكن ذلك بالنسبة لبنى كبير وحدها ، بل عم أرجاء المملكة ، حتى أصبحت المملكة العربية السعودية تستورد ما تحتاجه للاستهلاك المحلى من لحوم الماشية من الخارج ، بعد أن كانت دولة مصدرة . ونتيجة لتقلص أعداد الماشية بمختلف أنواعها فقد بدأت الدولة فى تقديم معونات لرعاة الماشية حيث تقرر أن تدفع الدولة اعانة على كل رأس من الماشية على الشكل التالى :

١ — الابل : ٨٠ ريالا عن كل رأس فى العام اذا تجاوز عدد الابل ٤٠ رأسا .

٢ — الأبقار : ٦٠ ريالا عن كل رأس فى العام اذا تجاوز عدد الابقار ٥٠ رأسا .

٣ — الأغنام : ٣٠ ريالا عن كل رأس فى العام اذا تجاوز عدد الأغنام ١٠٠ رأس [١] .

وبهذه الطريقة عادت بعض الاسر فى بنى كبير البادية الى الاهتمام بتربية الماشية، وبقيت بعض الاسر التى كانت تهتم بالرعى وتربية الماشية متمسكة بهذه المهنة ، لانها تحقق لها عائدا اقتصاديا ممتازا ، فبالاضافة الى الاعانة ، فان هناك ارتفاعا كبيرا فى أسعار الماشية .

---

(١) الارقام المتعلقة باعانة الحبوب والماشية حصلنا عليها من المكتب الزراعى فى (الباحة) مع ملاحظة ان اعانة الابقار خاصة ليست موجودة فى المنطقة لعدم وجود قطعان كبيرة منها .

لكني أعتقد بأن هذا الاسلوب لن يعيد الثروة الحيوانية الى عهـدها السابق لعدة أمور أهمها :

١ ـ أن الغالبية العظمى من سكان البادية قد هاجرت نهائيا الى المدن وألفت هناك أنماطا جديدة للحياة ، بحيث لا يمكنها العودة الى حياة الرعى والترحال .

٢ ـ ان أماكن الرعى قد تقلصت بسبب نضوب المياه فى الأودية التى كانت تتركز حولها مضـارب البـدو ، وأدى ذلك الى جفـاف الأعشاب ، بالاضافة الى كثرة طرق السيارات عبر مناطق البـدو ، وكثرة مرور الأغراب بهذه المناطق ، مما أدى الى الهجرة منهـا الى مناطق نائية ، حتى لا تتعرض الراعية والماشية لمضايقات من السيارات المارة بمن فيها .

٣ ـ بعد مضى سنوات على تقديم هذه الاعانات لرؤوس الماشية اكتشفت الجهات المسؤولة أن هنـاك تزويرا فى الاعداد ، فيحصـل الراعى مثلا على اعانة خمسمائة رأس من الغنم ، بينما لا يزيد عـدد ما يملكه عن مائة رأس فقط ، فالأرقام الخيالية لرؤوس الماشية تغطى الاستهلاك المحلى وتفيض عن الحاجة ، لكن الواقـع خلاف ذلك . فبينما كان المتوقع انخفاض أسعار الماشية نتيجـة لزيادة العرض ، ظلت الأسعار ثابتة بل ارتفعت عما كانت عليه عنـد البدء فى توزيـع الاعانة على الرعاة . فألغيت هذه الاعانة وتوقف صرفها مع مطلـع عام ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م . وبدىء فى صرف الاعلاف والحبوب اللازمـة لغذاء الحيوانات . فأصبح الرعاة يتسلمون مقادير من الأعلاف بدلا من النقود ، على حسب ما يحتـاجه كل رأس من الماشية من غذاء فى الشهر الواحد . وتعتقد وزارة الزراعة والمياه ممثلة فى مكاتبها المختلفة لرعاية الثروة الحيوانية فى البلاد . بأنها بهذا الاسـلوب الجـديد ستقضى على التلاعب بالأرقام ، وفى نفس الوقت تعالج مشـكلة نقص المراعى فى المناطق المختلفة . وتقـدم الغـذاء الجيد لهذه الحيوانات .

كما انتهجت أسلوبا آخر كطريقة مساعدة لحل مشكلة النقص المستمر فى الماشية بأن بدأت منذ ما يقرب من ستة أشهر أى من شهر رجب عام ١٤٠٠ هـ أبريل عام ١٩٨٠ م فى تقديم مساعدات أخرى لكل أسرة فى المنطقة ترغب فى اقتناء الأبقار وتربيتها ، بأن قدمت لمثل هذه الاسرة ٥٠ ٪ من قيمة البقرة الأساسية كمساعدة منها ، وتتحمل الاسرة نصف القيمة الاخرى . وتهدف من وراء ذلك الى احياء الاهتمام بالأبقار التى تنتج « السمن البلدى » الذى لم يعد له وجود فى المنطقة ، وأن وجد فبأسعار مرتفعة جدا حيث وصل سعر الكيلو جرام من السمن البلدى فى شهر شوال عام ١٤٠٠ هـ (٨٠) ريالا ، بينما كان سعره فى عام ١٣٨٠ هـ يتراوح بين ٨ : ١٠ ريالات فقط . كما أنها ترى أنه يمكن تكاثر اعداد الأبقار بطريقة تساهم فى حل أزمة اللحوم والحد من عمليات الاستيراد الكبيرة لرؤوس الأبقار من خارج المملكة بتحقيق الاكتفاء الذاتى المحلى على المدى الطويل .

وقد كانت كل أسرة تسد حاجتها من (الدجاج والبيض) بطريقتها الخاصة ، حيث كان لدى كل أسرة مجموعة من الدجاج لهذا الغرض ، ومع الهجرة . والانتقال الى المنازل الجديدة ، التى لم يعد للدجاج وجود فيها . وانتشار الدجاج المثلج الذى يتم استيراده من الخارج، بالاضافة الى البيض . لم تعد الاسرة تهتم بتربية الدجاج داخل منزلها للاستفادة منه ، واعتمدت على ما يتم استيراده من الخارج أو على ما تنتجه المزارع الخاصة من أصناف الدجاج والبيض ، والتى انتشرت بكثرة فى كل مناطق المملكة .

وهكذا نلاحظ أن عائدات البترول الكبيرة والهجرة الى خارج المنطقة والحراك الاجتماعى فى الداخل ، والذى تمثل فى الانتقال من

المنازل القديمة الى الحديثة ، ومن داخل القرية الى أطرافها ، كانت مجتمعة ، عوامل أساسية فى حدوث تغير كبير فى أنماط الحياة فى مجتمع بنى كبير ، وأدت الى أن تهجر الاسرة نشاطها الاقتصادى التقليدى ، وأن تتحول من أسرة منتجة الى أسرة مستهلكة تعيش على ما تؤمنه الدولة لها من طعام يتم استيراده من خارج البلاد • يكلف ميزانية الدولة أعباء شديدة ، ويؤدى الى تدفق رأس المال القومى الى خارج الحدود •

ثالثا : التكنولوجيا الحديثة :

من العوامل الهامة فى وجود ظاهرة التحضر فى مجتمع بنى كبير التقليدى • الاتصال الخارجى عن طريق وسائل المواصلات والاتصال الحديثه • واستخدام ما قدمته التكنولوجيا الحديثة من وسائل يستخدمها الفرد فى حياته اليومية • وقد ذكرنا فى فصل سابق أن مجتمع بنى كبير لم يعرف الاتصال بالخارج الا عن طريق الراديو ، ثم جاءت بعد ذلك طرق المواصلات لتزيد من هذا الاتصال ، وتسهل حركة الهجرة من والى مجتمع بنى كبير ، ثم جاءت شبكة الهاتف لتدعم هذا الاتصال وتقويه •

أما دخول الكهرباء الى كل منزل فى قرى بنى كبير فقد أحدث تغيرا جذريا فى حياة الناس هناك • خاصة أن دخول الكهرباء ارتبطت به ظاهرة دخول التليفزيون الى كل منزل بحيث أصبح التليفزيون جزءا من حياة الاسرة فى المنطقة •

فالاسرة كانت تمارس نشاطها التقليدى منذ الصباح الباكر وحتى غروب الشمس ثم يعود الأفراد بعد رحلة عمل استغرقت طوال اليوم الى منازلهم طلبا للراحة والنوم ، واستمر الحال كذلك حتى بعد تقلص النشاط الاقتصادى وقلة ساعات العمل لانهم اعتادوا على ذلك وأصبح النمط السائد لحياتهم اليومية ، وما أن دخلت

الكهرباء الى كل منزل حتى أقبل الناس بشكل كبير على اقتناء أجهزة التليفزيون . وبدأت البرامج التى يبثها التليفزيون تشد اليها المشاهدين على اختلاف أعمارهم ، وبدأ النـاس يسهرون مع هـذه البرامج حتى ساعة متأخرة من الليل ، مما أدى الى استغراق فى النوم حتى بعد طلوع الشمس ، وهو أمر لم يكن مألوفا فى المنطقة ، والسهر مع برامج التليفزيون جاء البديل عن اجتمـاع بعض أفراد من أسر الوحدة القرابية ، فبعد أن كان أفراد الوحـدة القرابية يحرصـون على لقاء بعضهم البعض فى حلقات السمر الليلية يتدارسـون بعض أمورهم ومشكلاتهم ويسعون لايجاد الحلول المناسبة لها ، استعاضوا عن ذلك بالاجتماع حول التليفزيون كل فى داره ، وأدى ذلك الى فتور فى العلاقات الاجتماعية بين أفراد الوحدة القرابية الواحدة ، كما أن المرأة قد اكتسبت أنمـاطا جديدة فى حياتهـا عن طريق التليفزيون ، فالمسلسلات اليومية التى تعيش معهـا المرأة قد اكسـبتها معـلومات جديدة لم تكن تعرفها من قبل ، فهى تشـاهد المرأة فى هذه المسلسلات تطالب بحقوقها وتدافع عن رأيها وتقتنى أفخر الملابس وأدوات الزينة وكثيرا ما تكسب قضاياها أمام زوجهـا وأسرته . فبدأت المرأة هنـا تتدخل فى كل شؤون الاسرة وأصبح بامكانها أن تعارض رأى زوجهـا فى موافقته أو رفضه لخاطب تقدم لابنتها بناء على معلوماتهـا عن هذا الخاطب ، وقد أصبح من الامور الطبيعية أن يتقدم أحد الأفراد لخطبة فتاة من أسرة ما ، فيطلب والدها التأجيل لحين أخذ رأى ابنته وامهـا فى هذا الخاطب الجديد ، بعد أن كانت له الكلمة الأولى والأخيرة فى هذا الخصـوص ، كما أن المرأة هناك قد بدأت ترفض الاشراف على ادارة شؤون الماشية كالبقر ورؤوس الأغنام القليلة ، لانها شاهدت المـرأة فى التليفزيون لا تمارس مثل هذا العمل ، فبدأت تضغط على زوجهـا

لتتخلص من هــذه الماشية • وكان ذلك أحــد أســباب تقلص الثروة الحيوانية فى المنطقة • وبوجود الكهرباء اختل النظــام الاقتصــادى التقليدى للاسرة فوجود الثلاجة فى المنزل أدى الى أن تخــزن فيهــا المرأة الكثير من احتياجها للطعام فى الأسبوع أو الشهر الواحد ، وفرض عليها ذلك أن تســتخدم اللحــوم والخضراوات باعتــدال ، وأصبح بالامكان أن تحفظ ما بقى من وجبة الغذاء لتقدمه للاسرة فى طعام العشاء وهكذا •• بعــد أن كانت كل اسرة تلقى بفائض الطعــام أو تقــدمه للحيوانات • واستخدمت المرأة الغسالة الكهربائية عوضا عن يديها فى الغسيل • وكذا المكواة الكهربائية عوضــا عن مكواة الفحم • وعرفت المرأة استخدام سخانات المياه الى غير ذلك من الوســائل التكنولوجية الحديثة • وقد أدى انتشار هذه الوسائل فى المنطقة فى بداية الأمر الى وجود أعباء اقتصادية جديدة على الدخل العام للاسرة ، لسوء استخدام هذه الأجهزة ممايعرضها للعطل أو التلف ، فتضطر الاسرة الى اصلاحها أو تبديلها اذا تعــذر الاصلاح • واختفت نتيجــة لذلك أدوات المطبخ التقليدية وحل محلها (المطبخ الحديث) بكل مستلزماته ، لان المطبخ فى المنزل القروى كمكان متخصص اتاح مجالا واســعا للتوســع فى الاعتماد على آنية المطبخ الحديثة • وتغير نتيجة لذلك الطابع العــام للغذاء فتحول عن الطابع القروى التقليدى واتخذ الطابع الحضرى ، فبعد أن كان الطعام بسيطا أصبح معقدا بكثرة أصنافه وتعــددها • ودخول أنواع من الأطعمة الحديثة واختفاء الأطعمة التقليدية أو على نطــاق محدود •

وعلى سبيل المثال ، فقد كان طعام الافطار فى الســابق يتكون من التمر والقهوة ، وأقراص البر أو الذرة ، مع اللبن أو السمن البــلدى

أو ــ انعصيدة ــ وهى عبارة عن دقيق بر أو ذرة يمزج بالماء ويوضع على النار وتستمر المرأة فى تحريكه بعود سميك يسمى (المسواط) حتى يتماسك ويستوى على النار ، ثم يوضع فى صحن كبير • والى جواره اناء مملوء بالسمن البلدى ، أو ــ المرق ــ والصنف الثالث هو ــ الدغابيس ــ وهو عبارة عن دقيق معجون • تشكله المرأة على هيئة أقراص بقطر يتراوح بين ١٠ : ١٥ سم ثم يوضع فى (الحلة) على النار ، وتضع المرأة فى هذه الحلة كمية من اللحوم ، وتبقى على النار حتى تستوى • والعشاء غالبا ما يكون عبارة عن (أرز ولحم) وقد يكون أحيانا (عصيدة أو دغابيس) اما الآن فقد أصبح طعام الافطار يتكون من البيض والحليب والشاى والجبنة أو القشدة ، وغير ذلك من الأصناف • ودخلت الخضراوات بكل أصنافها فى طعام الغذاء وكذا العشاء ، وبدأت الفواكه ترافق كل وجبة ، كما بدأت المرأة فى صنع أصناف الحلوى والكريمة والمهلبية وغير ذلك • وهكذا نلاحظ أن الطعام قد تحول من الطابع التقليدى الى الطابع الحضرى ومن البساطة الى التعقيد •

ولم يقتصر دور وسائل التكنولوجيا الحديثة على المنزل فى بنى كبير ، بل انه وكما أشرنا من قبل ، قد تم استخدام هذه التكنولوجيا فى مجال الزراعة فالاسر القليلة التى لا تزال تمارس الزراعة استخدمت (المحراث الآلى) بدلا من الثيران ، كما استخدمت الموتورات التى تعمل بوقود الديزل أو البنزين ومؤخرا الكهرباء ، لاستخراج المياه من الآبار اما لغرض الزراعة أو لايصال هذه المياه الى الدور الحديثة • وحلت السيارات الحديثة محل وسائل النقل التقليدية (الجمل والحمار) وفى الآونة الأخيرة بدأ الناس فى التخلص من الحمير • حيث ينقلونها

بواسطة السيارات الى أماكن بعيدة وخاصة الى أراضى بنى كبير البادية ، ويتركونها هناك ، نظرا لانها قد فقدت أهميتها كوسيلة للمواصلات كما كانت فى السابق ، ولم يعد أحد يستخدم الجمل والحمار كوسيلة للركوب أو النقل الا على نطاق محدود جدا ، بينما لا تزال هاتان الوسيلتان تؤديان دورا أكثر أهمية فى البادية عنه فى حاضرة بنى كبير ، وخاصة لدى الاسر البدوية التى لا تمتلك سيارات النقل ، وهكذا نلاحظ التغير الكبير الذى طرأ على كثير من جوانب الحياة الاجتماعية فى مجتمع بنى كبير التقليدى ، نتيجة للتغير فى عناصر الثقافة لدى السكان ، فتغير نمط النشاط التجارى التقليدى ، وتقدم تقدما كبيرا ، كما تغيرت وسائل النقل التقليدية ، واختفت تقريبا الصناعات المحلية ، وتغير نظام ونمط البيت القروى ، وحدث تقدم فى الطابع العام للغذاء وتحول الى الطابع الحضرى ، الى غير ذلك من الامور التى تمس كل جوانب الحياة فى هذا المجتمع .

رابعا : العلاقات الاجتماعية :

بالنظر الى أن المنطقة شهدت فى السنوات العشر الأخيرة ، تغيرات جذرية وكبيرة بطريقة مفاجئة ، حيث لم يسبقها اعداد وتخطيط لهذا التغير ، بدأت بربط المنطقة بالمدن المجاورة وبالتالى بكل أجزاء المملكة عن طريق (الطائف — أبها) الذى يمر بالمنطقة ، ثم بربطها بشبكة للهاتف ووصول البث التليفزيونى اليها ، ودخول الكهرباء الى كل منزل ، وانتشار السيارات بشكل كبير ، كل هذه الأمور المفاجئة أحدثت ردة فعل عميقة لدى سكان هذه المنطقة التقليدية ، فبالاضافة الى الهجرة الداخلية والهجرة المرتدة ، والهجرة من الخارج الى المنطقة على شكل مدرسين ومهندسين وأطباء وممرضين وعمال الى غير ذلك

من الفئات . فقد برز الصراع بين القديم والحديث ، فالتخلى عن عناصر الثقافة القديمة واكتساب الحديثة ليس بالأمر السهل وخاصة لدى كبار السن الذين لا يزالون ينظرون بشك كبير الى ما توصل اليه الطب الحديث فى معالجة الأمراض . ولا يزالون يرون أن الطب العربى والأكلات الشعبية هى خير علاج لبعض هذه الأمراض وقد برزت نتيجة لكل ما تقدم ظاهرة السباق لجمع المال . فبدأ الفرد فى المنطقة يزاول عدة أنشطة . فهو مثلا مزارع وسائق سيارة أجرة ، ولديه محل تجارى اما فى داره واما فى أحد المراكز التجارية ، أو هو يشتغل بالتدريس ويملك محلا لبيع الملابس الجاهزة والعطور ، ولديه سيارة نقل يؤجرها للآخرين لنقل الطوب والرمال الى غير ذلك . هذا التعدد فى النشاط شغل كل وقت الأفراد فى المنطقة ، ولم يعد لديهم فرصة للتفكير فى المشكلات التى تطرأ فى القرية وبالتالى المساهمة فى حلها . بمعنى أن الاهتمام أصبح فرديا ، فلم يعد الفرد يفكر فى مسائل تخص الآخرين وانشغل بمصالحه الخاصة ومتابعتها ، فزادت الخصومات بين الوحدات الاجتماعية وبين الأفراد ، بل بدأ الشقاق يتضح داخل العائلة الواحدة ، لعدم قدرة رب العائلة حاليا فى السيطرة على أفرادها . ونشب صراع من نوع جديد بين الشيوخ والشباب ، فالشيوخ لاتزال لديهم الرغبة فى ممارسة الوظائف التى كانوا يقومون بها وهى التوفيق بين الأفراد وحل المشكلات والخصومات التى تطرأ فى القرية داخليا ، بينما الشباب لم يعد لديهم الوقت الكافى لمتابعة مجلس الجماعة وحضور جلساته والقبول بأنصاف الحلول التى يفرضها الكبار ، ويرون أن الأجهزة الحكومية الرسمية هى الأفضل فى حل هذه المشكلات وانهاء النزاع ؛ خصوصا وأنه قد انشىء فى بنى كبير مركز للامارة مهمته الاطلاع على هذه المشكلات وايجاد الحلول لها بالطرق

الرسمية ، فأدى ذلك الى انشغال الامارة والشرطة والمحاكم ، بقضايا جانبية كانت تحل فى داخل القرى ولا تصل الى هذه الأجهزة الحكومية ، وفى نفس الوقت انتشرت العداوة والبغضاء نتيجة لهـذه النزاعات . وتفككت الروابط الاجتماعية بين الوحدات القرابية وحتى داخل الاسرة الواحدة . واختفت صور التعاون التى كانت قائمـة ، وأصبح الفرد يبنى داره وينتقل اليها دون أن يشعر أحد بذلك . كما اتخذت حفلات الزفاف طابعا جديدا يمتاز بالسرعة ، فبعد أن كانت أيام الفرح ثلاثة أصبحت يوما واحدا ، ولم يعد الجميع يحرصون على حضور هـذه المناسبة وتقديم العـون للعريس ، كما أن العريس من جانبه لم يعد يفضل حضور الجماعة كلها ، وبامكانه اقامة حفل زفافه مقصورا على الأقرباء فقط .

كما لم يعد الفرد فى القبيلة يهتم بمصلحتها ، أو يشـعر بنفس الشعور القوى . الذى كان لديه قبل الآن . بالانتمـاء الى القبيلة ، وتأثر البناء القبلى كله بذلك . فلم تعد العلاقات بين البـدنات كمـا كانت ، وأصبحت كل قرية مسـتقلة برأيها . وطريقتهـا فى معـالجة مشكلاتها الخاصة ، تماما كما هو الحال بالنسبة للوحدات القرابيـة داخل القرية الواحدة .

ذلك مثلا على مستوى الأفـراد . أنه اذا مر أحـدهم (بحمى القبيلة) وهى الأرضى التى أشرنا اليها من قبل والتى تقع فيها مراعى القبيلة والأشجار التى كانوا يستخدمونها فى البناء ، وشـاهد فيهـا أحدا من خارج القبيلة يرعى أغنامه ، أو يقطع منهـا شجرة فان ذلك لم يعد يهمه كثيرا ، فلا يمنع هذا الشخص ولا يبلغ عنه الجمـاعة . وقد كان فى السابق يدخل فى معركة مع هذا الغريب لمجرد أنه انتهـك حمى القبيلة . فقد كان الفرد يحرص على مصلحة القبيلة كما يحرص

على مصلحته الخاصة • ولعله بدأ يشعر بأن هذه الأرض من الأملاك العامة الدولة • فلم تعد ملكا له أو لقبيلته ، وبما أن هذا أحد المواطنين فله الحق فى الاستفادة من هذه الملكية العامة • ويخشى اذا منعه من هذه الاستفادة أن يقع تحت طائلة القانون • على اعتبار أنه لا يجوز له القيام بوظيفة الأجهزة الرسمية •

وقد كان الفرد فى السابق عندما يسمع بخبر وفاة أو حادث يقع فى القبيلة يحضر من مكان اقامته فى الهجرة ، ليشارك فى الأحزان حتى لو كان هذا الحادث لا يخص وحدته القرابية ، أما الآن فلم يعد يهتم بذلك ويمكن أن يبعث بخطاب تعزية مثلا أو برقية يعزى فيها أهل المتوفى ولا يكلف نفسه بالحضور **وعلى مستوى الجماعات** ، فان حادثة الخلاف بين سكان قرية العبادل وشيخ القبيلة حول الطريق الذى أراد الشيخ أن يفتحه أمام السيارات فى وادى بنى كبير والذى أشرنا اليه ، تصور لنا جانبا مهما من جوانب العلاقة بين أفراد البدنة الواحدة • فكان من المتوقع أن يقف سكان قريتى الفلاح والحبيس الى جانب سكان قرية العبادل فى خلال هؤلاء مع الشيخ على اعتبار أن سكان هذه القرى تشكل (بدنة بالحارث) لكن الذى حدث أن قريتى الفلاح والحبيس لم تتدخلا الى جانب قرية العبادل فى هذا الخصوص وحتى عندما احتاجت الدعوى الى مصروفات نقدية ، لم تشارك القريتان بأى مبلغ كمساعدة للقرية الثالثة فى انهاء خصامها مع شيخ القبيلة ، الذى استمر عدة سنوات ولم ينته الا بأمر ملكى ما ذكرنا • وتكبد سكان قرية العبادل خسائر مادية طوال استمرار هذا الخلاف •

ويقول الاخباريون أن معركة نشبت بين سكان قرية العبادل وسكان قرية الحدب وهى احدى قرى (بدنة العلى) فتدخلت قرية

(٨٠ سنة) كما يقول الاخباريون والمشكلة التى وقعت بين الشيخ وبين قرية العبادل قبل (١٤ سنة) فى الأولى دفعت قريتا الفلاح والحبيس بعدد من المحاربين للمشاركة مع العبادل ، وفى الثانية رفضتا المشاركة بمساعدات مالية للعبادل ، وهذا يوضح لنا مدى التغير الذى طرأ على العلاقات الاجتماعية بين أفراد البدنة الواحدة . بل أن قرية الحدب وهى جزء من بدنة بالحارث ، وقفت الى جوار قرية العبادل فى خصامها مع الشيخ . على اعتبار أن لها أراضى تقع على ضفتى الوادى وسيلحق بها الضرر اذا تم افتتاح طريق السيارات هذا . اذا فهناك اتحاد مؤقت قام بين القريتين . وأعنى بهما العبادل والحدب . وهما تنتميان الى بدنتين مختلفتين من أجل تحقيق مصلحة القريتين الخاصة والدفاع عن أراضيهما . فى حين لم تتحد قريتا الفلاح والحبيس مع العبادل من أجل الدفاع عن أراضى الأخيرة ، وهذا يوضح لنا أن كل قرية فى البدنة الواحدة بدأت تهتم بمصالحها الخاصة بصرف النظر عن مصالح القرى الأخرى ، وترك مسؤولية الدفاع عن مصلحة كل قرية تقع على أفرادها وتعالجها بالطريقة التى ترى أنها مناسبة .

وتغير مفهوم ملكية الأرض تبعا لتغير عناصر الثقافة الطارىء على المنطقة . فبعد أن كان لملكية الأرض مفهوم خاص يتضح فى عدم التفريط فيها ، أصبح بالامكان الآن بيع هذه الأرض الى آخرين دون اعتراض من الوحدة القرابية للبائع ، وقد بدأ ذلك منذ ما يقرب من

ست سنوات أى فى عام ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م ، عندما اخترق الطـريق العام بعض الأراضى الزراعية لقرية العبـادل ، وقامت الدولة باعطاء أصحاب الأرض تعويضات مالية لقاء ما أخذ منها لصالح الطريق العام للسيارات ، الذى يربط المنطقة بالطائف وابها • والأجزاء الباقية من الأرض على يمين الطريق ويســار الطريق قام أصحابها ببيعها بمبالغ كبيرة لآخرين من خارج القرية ، على اعتبار أن هذه الأرض لم تعـد صالحة للزراعة ، وأنه قد تم قبول مبدأ البيع بقبـول مبدأ التعويض من الحكومة • والبائع لم يشعر بالحرج نتيجة لبيع الأرض ، كما أن سكان القرية لم ينظروا اليه نفس نظرة الاحتقار التى كانت ســائدة قبل هذا التاريخ عدا كبار السن ••

هذا التغير فى مفهوم الملكية له دلالة كبيرة ، فكما علمنا فى أوائل هذا الفصل ، بأن البناء القبلى نفسه يرتبط ارتباطا كبيرا بنظام الملكية ، كما هو واضح على الرسم التوضيحى للنموذج العام لمجتمع بنى كبير • فان معنى التغير فى هذا المفهوم ، هو تغير فى المفهوم العام للبناء القبلى الكلى • فقد كان الأفراد والجماعات يرتبطون ارتباطا وثيقا بالأرض • وهذا الارتباط هو الصلة بينهم وبين البناء القبلى ، وعندما يفرط الأفراد فى ملكية الأرض• ويتغير مفهومهم لنظام الملكية• فان معنى ذلك انتقالهم الى مرحلة أخرى تجاوزوا بها النظرة الى البناء القبلى والقبيلة التى كانت تؤثر عليهم تأثيرا قويا بفرض مفهومات خاصــة على أفرادها تتعلق بالملكية وتمس كل جوانب الحياة الاجتماعية ، وقياسا على ذلك يمكن أن نقيس المستوى العام للعلاقات الاجتماعية داخل القرية وداخل القبيلة كلها •

ويمكن أن نخلص الى القول بان العلاقات الاجتماعية بين الأفراد بصفة عامة لم تعد بنفس المستوى الذى كانت عليه حتى قبل ســنوات

قليلة وقد أشرنا الى ذلك اشارات متفرقة وأوضحنا الأسباب فى حينها ، واجمالا لابد أن نقول • بأن تدهـور العـلاقات بين الأفراد وبين الوحدات الاجتمـاعية ليست ظاهرة حضرية • ولابد من الاحتفـاظ بعلاقات جيدة تبدأ من الأسرة الى القرية الى القبيلة ، من أجل أن يعيش الجيل الجديد فى جو تسـوده المحبة والود ، وأن يشـعر بانتمائه الى هذه الأرض وأن يرتبط بها ، مما يمهد له بالتالى الانتمـاء والارتبـاط بالوطن الكبير •

قائمــة المراجــع

أولا : المراجع باللغة العربية :

١ — عبد الرحمن بن خلدون — المقدمة — الباب الثانى،الفصل الأول ، تحقيـق الدكتـور / علـى عبد الواحد وافى ، دار الشعب القـاهرة ،

٢ — لنتـون رالف — دراسة الانسان ، ترجمة : عبد الملك الناشف ، منشورات المكتبة العصرية — بيروت ، ١٩٦٢ ،

٣ — جورج بالاندييه — علم الاجتماع ، ترجمـة الدكتور / أحمـد الخشـاب ، المجـلة الدولية للعلوم الاجتماعية — القاهرة مكتب مطبوعات اليونسكو ، العدد (١٣) السنة الرابعـة ١٩٧٣ ،

٤ — ج و ، بييع — الشوب البدائية ، ترجمة : محمود محمد مرسى ، الألف كتاب ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ،

٥ — صـلاح مصطفى الفــوال ، علم الاجتمـاع البدوى ، الكتاب الأول ، مكتبة النهضة العربية، القاهرة ، ط ١ ١٩٧٤

٦ — الدكتـور / عـاطف وصـفى ، الانثروبولوجيا الاجتماعية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٧،

٧ ــ الدكتور / أحمد الخشاب . دراسات انثروبولوجية .
دار المعارف بمصر ١٩٧٠

٨ ــ الدكتور / أحمد ابراهيم الشريف ، مكة المكرمة والمدينة فى
الجاهلية وعهد الرسول .
دار الفكر العربى . القاهرة
١٩٦٥ .

٩ ــ ايفانز برتشارد . الانثوربولوجيا الاجتماعية . ترجمة الدكتور /
أحمد أبو زيد . الهيئة
المصرية العامة للكتاب . ط ٥
١٩٧٥ .

١٠ ــ الدكتور / أحمد أبو زيد . البناء الاجتماعى ، مدخل
لدراسة المجتمع ، الجزء
الثانى . الانساق . الهيئة
المصرية العامة للكتاب ط ٢
١٩٧٢ .

١١ ــ روبرت ردفيلد المجتمع القروى وثقافته . ترجمة الدكتور /
فاروق محمد العادلى الهيئة
المصرية العامة للكتاب . فرع
الاسكندرية ١٩٧٣ .

١٢ ــ الدكتورة / علياء شكرى . الاتجاهات المعاصرة فى دراسة
الاسرة . دار المعارف الطبعة
الأولى ١٩٧٩ .

١٣ ــ الدكتور / محمد عبده محجوب . الانثروبولوجيا السياسية
مقدمة لدراسةالنظم السياسية

في المجتمعات القبلية • الهيئة المصرية العامة للكتاب • ١٩٧٦

١٤ — محمد عبد القادر السويدى • التخطيط والتغير الاجتماعى في مجتمع الطوارق بحث غير منشور • مقدم لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع • كلية الآداب • جامعة القاهرة • ١٩٧٧

١٥ — الدكتور / حامد عبد السلام زهران • علم النفس الاجتماعى • عالم الكتب القاهرة • ط ٣ • ١٩٧٤

١٦ — بنديكت روث • الوان من ثقافة الشعوب • ترجمة محمد الدسوقى وآخرين • لجنة البيان العربى • القاهرة •

١٧ — أبو العباس أحمد القلقشندى • نهاية الارب في معرفة أنساب العرب • تحقيق ابراهيم الابيارى • الشركة العربية للطباعة الطبعة الاولى • القاهرة • ١٩٥٥ •

١٨ — هيرسكوفتيز ، ملفيل ج • عمليات التغير الثقافى • (بحث لنتون رالف) الانثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث ترجمة / عبد الملك الناشف المكتبة العصرية • بيروت • ١٩٦٧ •

١٩ ـ الدكتور / السيد محمد الحسينى . القرية فى الدول النـامية .
تحليـل نقدى بنائى لبعـض
اتجاهات التغير الاجتماعى .
بحث فى كتـاب الدكتور /
السيد الحسينى وآخرين .
دراسات فىالتنمية الاجتماعية
دار المعارف بمصر . القاهرة
١٩٦٧ .

٢٠ ـ الدكتور / محيى الـدين صـابر . التغير الحضـارى وتنميـة
المجتمع . سرس الليان مركز
تنميـة المجتمع فى العـالم
العربى ١٩٦٢ .

٢١ ـ بوتومور . ث . ب . تمهيد فى علم الاجتمـاع ، ترجمة وتعليق
الدكتور / محمـد محمـود
الجوهرى وآخـرين . دار
الكتب الجامعية الاسكندرية
١٩٧٢ .

٢٢ ـ الدكتور / عبد الباسط محمد حسن . التنمية الاجتمـاعية معهد
البحوث والدراسات العربية .
القاهرة . ١٩٧٠ .

٢٣ ـ الدكتور / محيى الـدين صـابر ، ولويس كامل مليكة . البـدو
والبداوة . سرس الليـان .
١٩٦٦ .

٢٤ ـ الدكتور / محيى الـدين صـابر . عوامل التغير الحضـارى فى
نمـط الحيـاة البدوية رعاية

البدو وتحضيرهم وتوطينهم جامعة الـدول العربيــة — القاهرة ، ١٩٧٥ .

٢٥ — الدكتور / أحمـــد أبو زيـــد ، التنمية الاقتصادية والتغـير الاجتماعى . المجلة الاجتماعية القوميــة . المركز القـومى للبحوث الاجتماعية والجنائية. المجلد الأول . العدد الثالث . سبتمبر ١٩٦٤ . القاهرة .

٢٦ — رالف . ل . بيلز . مقدمة فى الانثروبولوجيا العامة . ترجمــة الدكتور / محمد الجوهرى — والسيد الحسينى ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر . الجزء الأول ١٩٧٦ .

٢٧ — الدكتور / محمــد الجــوهرى . بعض مظاهر التغير فى مجتمع غرب أســوان مطبعة جامعــة القاهرة . ١٩٧٥ .

٢٨ — الدكتور / محمــد عاطــف غيث . القــرية المتغــيرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٦٣ .

ثانيا : المراجع باللغة الانجليزية :

1. E. E. Evans-prtichard, The Nuer : A description of the modes of life and political Institutions of a Nilotic people. Oxford 1940.

2. Harold. B. Barclay. A suburban Village in Sudan, Cornell University Press, 1946.

3. J-Clyde. Mitchell, In Michaell Banton. The Social Anthropology of Complex of Societies. 1975.

4. C. G. Seligman, Pagan Tribes of the Nilotic Sudan, 1970.

5. E. E. Evans-prticahrd. Kinship and marriage : The Nuer, Oxford, 1951.

6. Radcliffe-Brown, Structure and Function in primitive Society. London, 1957.

7. Raymond Firth, William, Elements of Social organization, Boston Beacon Press. 1963.

8. Radcliffe-Brown; Introduction to African systems of kinship and marriage. London, 1950.

9. Locy Mair, An Intriduction to sicial anthropology, Oxford University Press, Oxford, 1969.

10. Robert-Redfield. The little community, University of Chicago Press, Chicago, 1953.

قائمة الوثائق والصور

خريطة توضيحية لمنطقة البحث

الخليج العربي

خليج عمان

المملكة العربية السعودية

منطقة البحث (بنو كبير)

قبيلة بني كبير

العرا العليا

العرا السفلى

الزاوية

الظفير

العبادل

الدهامشة

العلاج

بني والبه

الزرقاء

آل سالم

آل سرور

آل نعيم

بلاد خثعم

بيشة

طريق رئيسي

طرق فرعية

وادي

حدود القبيلة

قرى

(شكل رقم ١)

سند واردات

مالية الحكومة العربية الحجازية

عدد

جلد

باره	غروش	نوع النقود	عددها	سعرها

فقط

ورد لصندوق المالية الجليلة ... المبلغ المرقوم اعلاه وقدره ...

عن مبلغ ...

بمناولة ... وذلك ...

وتحرر هذا اعلاما بذلك في ... سنة ١٣

كاتب يومية المحاسبة — امين الصندوق — مدير المحاسبة — ... — رئيس الكتاب — وكيل ...

(شـــكل رقم ٢)

ايصـــــــال النقـــــود

الحمد لله

من عبد الرحمن بن محمد الى الاخ المكرم الفاضل عمر بن عمر [illegible]
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد خطكم الكريم وصل اثابكم
الله رضاه فاما الخطط المستعملة الشبعة بالاقاليم
المعتبرة فهي تلزمهم على قوانين اهل البلاد والممالك
والامراء واما بحكم الشرع فلا يلزمهم الاشاهدان لم
واما اثنان ممن ترضون من الشهداء بدليل القرآن الكريم
فان كان هذا الامر قد وقع فينبغي حضوره عند ما [illegible]
عما ليتبين الحق ويخذل الله صاحب هذه الدعوى
وان كان الامر لمعرفة من تصرف في باب من ابواب
الشريعة الجاءه الله اليه وان توجهنا يوم السبت
تناظرنا فيما يصلح الشأن وبلغ سلامنا الاولاد ومنا
عليكم السلام

خطاب من فقيه الى رجل استفتاه فى مسألة شرعية

(شـــكل رقم ٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب الاخ المكرم سعيد بن سعود بعيد سلمه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ذلك بارك الله فيك لنا فيك بعض اللازم لا بد من رر

المراجعة بيننا وبينكم فانت حالا توكل على الله ان شاء الله وتقبل وتلقي الطايف وتعرفنا

بذلك هذا ما لزم تعريفه والسلام

٢٠ ذي

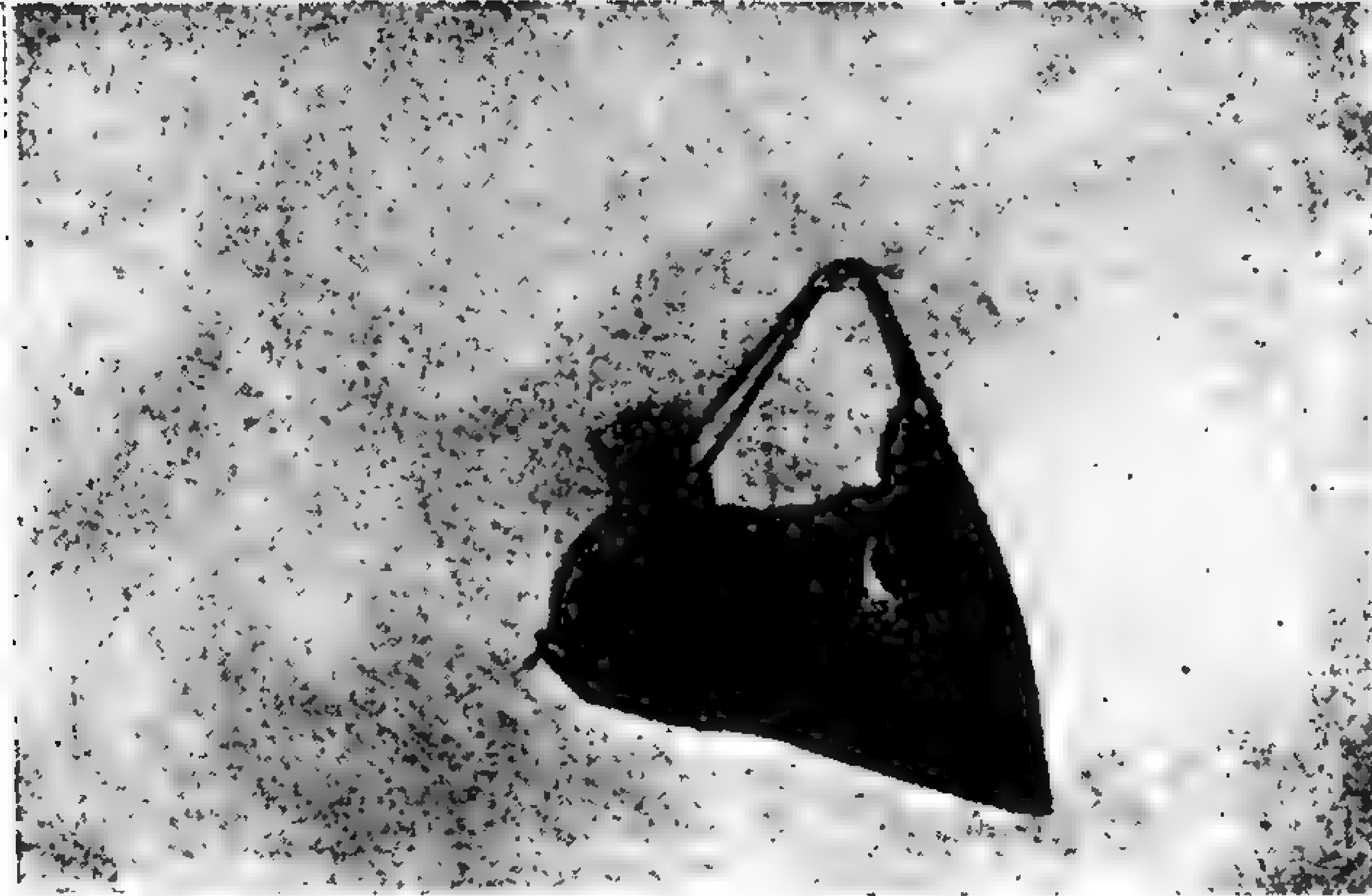
(شـــكل رقم ٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم
٩٠/٢/٢

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب الكرام سعيد ابن سويعد وعبد العزيز بن صقر ومحمد
بن احمد بن مطلع سلمهم الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصل الينا كتابكم المورخ في ٢٧ / ١٠ / ١٣٥٣
واطلعنا على ماذكرتم به من المسائل وانتم لا بد مرسلين لكم مفتشين ان شاء الله وبعد
وصولهم اعرضوا عليهم المسائل التي ذكرتموها لنا وهم يحققون فيها ويخبرونا بنتيجتها
وبعد ذلك ننظر في الامر ويكون مافيه الخير بحول الله هذا مالزم بيانه والسلام
حرر في ٨/١ محرم ١٣٥٤

(شكل رقم ٥)



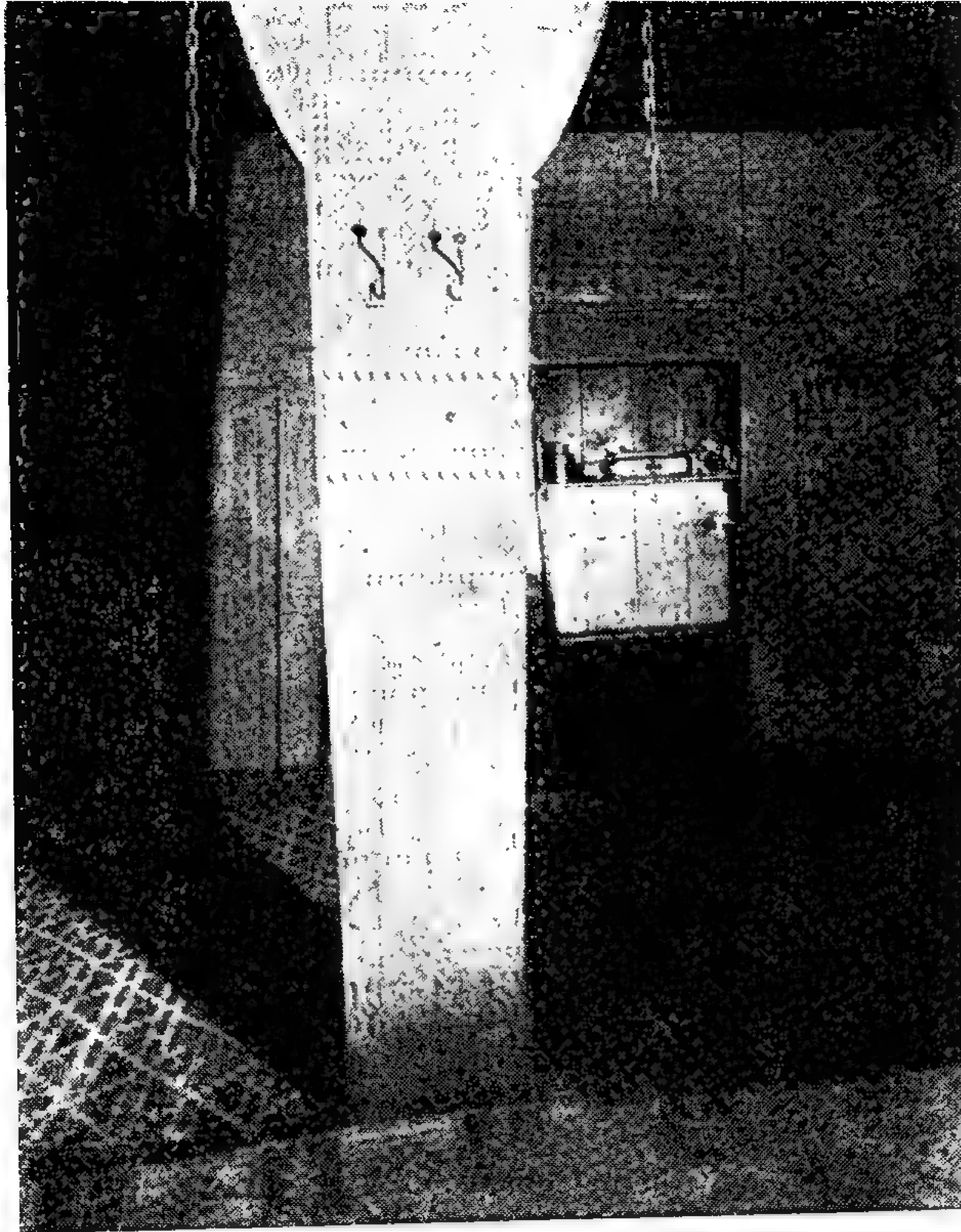
القربة : اناء الماء الوحيد ، لم يعد له وجود الآن الا نادرا ، وخاصة لدى بعض الأسر التي يفضل كبار السن فيها الشرب من ماء القربة ..

(شـــكل رقم ٦)



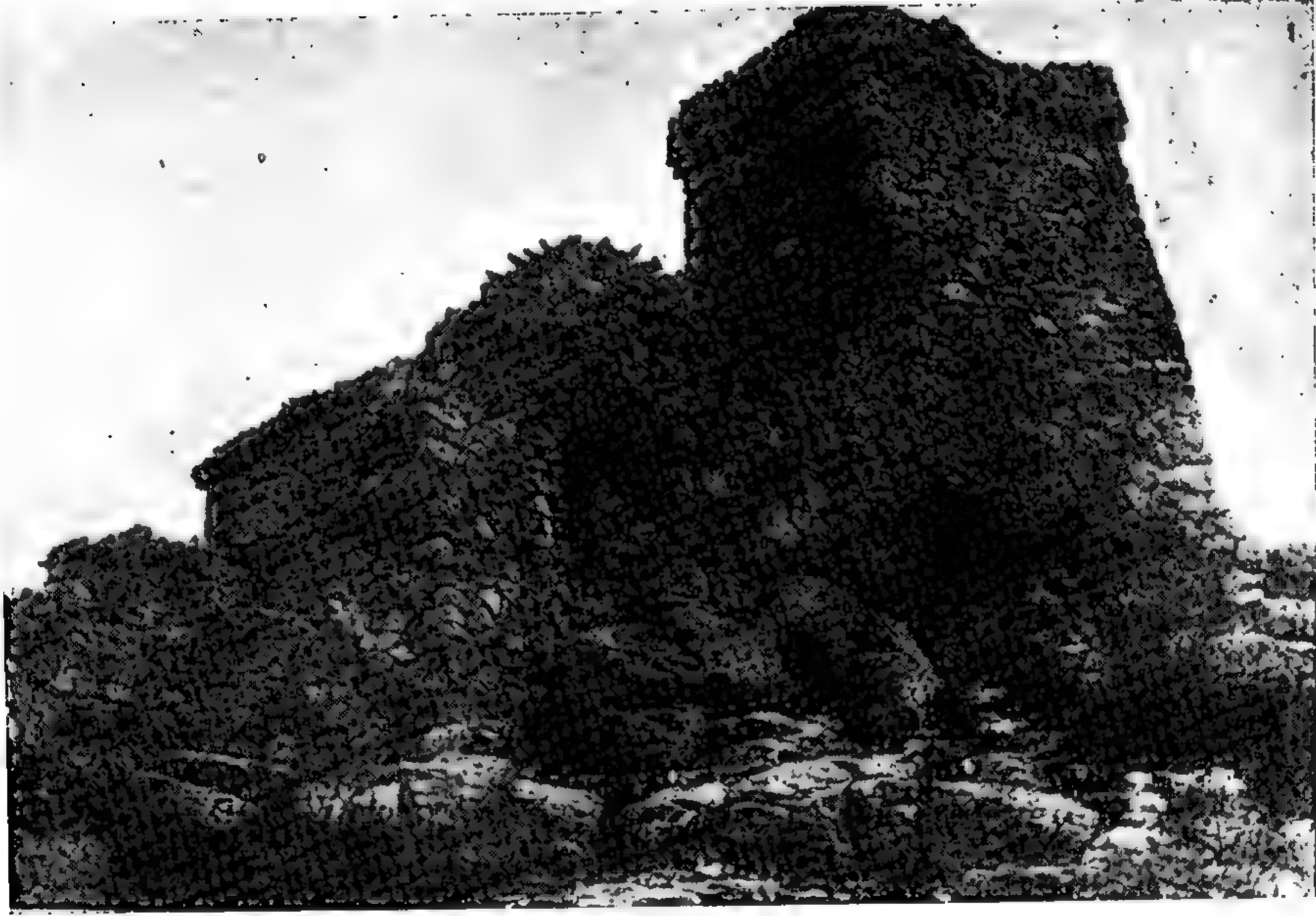
تورتان : الى اليمين ، والجحلان فى الوسط ، والمشهف الى اليسار ، وهى آنية النخار المصنوعة محليا والتى تستخدم لاغراض متعددة ، وكانت هى العناصر الرئيسية والوحيدة لاعداد الطعام فى المنطقة قبل معرفة السكان بالآنية الحديثة ..

(شــكل رقم ٧)



المرزح : الأساس فى المنزل القديم . ولاحظ وجود النقوش عليه ؛ والجزء العلوى هــو « الفلكه » .

(شــكل رقم ٨)



الى اليمين « الحصن » او القلعة التى كانوا يستخدمونها فى الحروب ، والى اليسار . جزء من منزل قديم وقد اصبح خرابا ، ولاتزال بعض حيطانه المبنية من الحجر قائمة ، ويقول الاخباريون أن تاريخ بنائه يعود لاكثر من ٣٠٠ سنة ..

(شـــكل رقم ٩)



مزارع : يمسك « المحراث » بيده اليسرى ، والثوران يسحبان (المحراث) ، هذه الصورة التقطت فى عام ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م ، وقد اختفت الآن نهائيا من المنطقة وحل محلها (الحراث الميكانيكى) ..

(شـــكل رقم ١٠)

حسبنا [illegible] وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم [illegible]

[illegible]

[illegible] عامر ودار [illegible] وما احتوا عليه [illegible] الله تعالى [illegible]

[illegible] لا يبطل ولا [illegible] وقفا مؤبدا [illegible] نسل [illegible] وذكر الوقف على اولاده [illegible]

[illegible] وقد جعل [illegible] والاولاده [illegible]

[illegible] ولا يباع ولا يرهن ولا يوهب حتى يورث الله الارض ومن عليها وهو خير

الوارثين واما البنات [illegible]

[illegible]

[illegible]

محمد [illegible]

[illegible] وانا احمد بن عبد الله [illegible]

[illegible] اول سنة [illegible]

(شكل رقم ١١)
نص الوقف الخاص بالعقار

الحمد لله وحده وهو شهيد على ذلك . لقد اشترى سعد بن أحمد من البايع اليه جائز التصرف عبد الله بن مسفر نايب الوكالة . رابعة من الحصن . بثمن جرى عليه الرضا قدره وعدده اثنا عشر ريالا فضة بيضاء من نقد البلد وأقر البايع بوصول الثمن وابراء ذمة المشترى براءة وفاء .

والبيع بجميع حقوقه الشرعية من احجار واخشاب وسبال (طرق) ومحاوق (ما يكنس حوله) بيعا صحيحا جازم ولازم بت قلاط (لا رجعة فيه) على النص الشرعى . فليعلم ذلك . شهد لله تعالى . جار الله بن مسفر وعلى بن عبيد ومسفر بن أحمد ، وانا عبد الهادى بن احمد أبو زغدين كاتب شاهد ، والله كافى ورقيب حرر يوم النصف من رجب سنة ١٢٨٨ ..

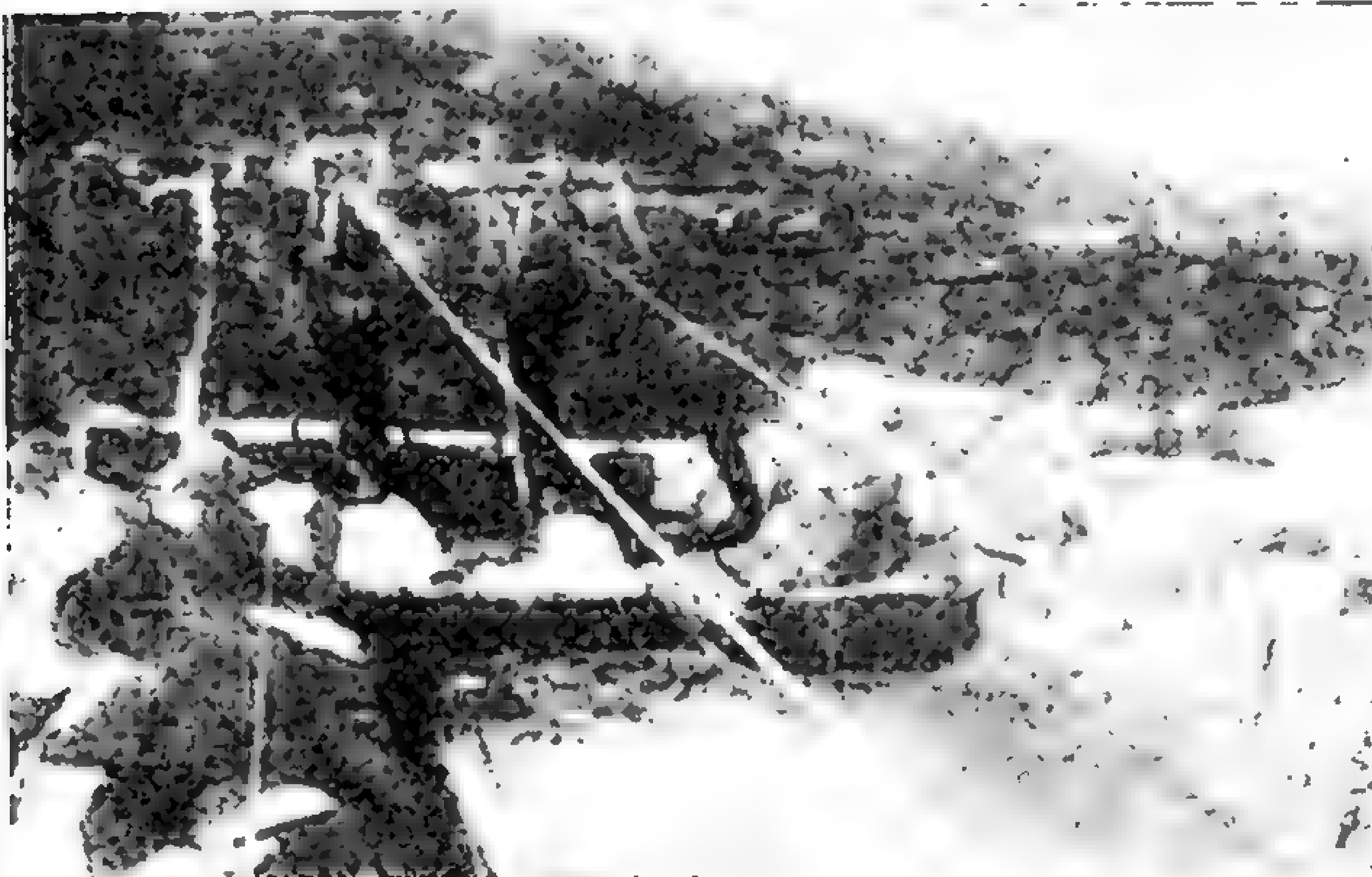
هكذا كانوا يكتبون عقود بيع اجزاء من العقار

(شــكل رقم ١٢)



(شـــكل رقم ١٣ « أ »)

السانيه : الثوران فى الصورة يتجهان الى أسفل (المجره) يسحبان الغربين من البئر .. مملوأين بالمــــاء ..



(شـــكل رقم ١٣ «ب»)

الثوران وقد وصلا الى نهاية المجره . والغربان يصبان الماء فى (قف البئر) ..

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى

آله وصحبه وسلم ~~[illegible]~~

أما بعد :

فلقد اجتمع أهالي قرية الصبارك في يوم الجمعة غرة ربيع الأول لعام ١٣٨٦/٣/١هـ

واتفقوا فيما بينهم [illegible] من قبل [illegible] أحمد عثمان بن فرحان ، [illegible]

بن [illegible] من [illegible] ، ومصطفى بن سعدي ، ونائف بن صالح [illegible]

[illegible] ، وعلي بن سعد الشوحي ، وصالح بن أحمد المسفري من [illegible] وعبد اللطيف

ناصر بن علي ومحمد بن سعد حمران [illegible] بعد [illegible] من الجماعة [illegible]

فيما بينهم على أن [illegible] فيما بينهم جميعاً [illegible]

جميع الحاضر والغائب على أن مهر البنت [illegible] والراجع ٦٠٠

والتابع للبنت [illegible] [illegible] ومسددة [illegible] وشماغ [illegible]

وستة [illegible] وحزام [illegible] [illegible]

[illegible] اتفقنا على ذلك جميعاً ومن زاد على ذلك فيكون غرامة [illegible]

البنت أو ولي أمرها [illegible] [illegible] من بعد ذلك [illegible]

[illegible] [illegible] مقابل خسارته

وعلى ذلك جرى الاتفاق والتوقيع [illegible] أهالي قرية الصبارك

والله على ما نقول وكيل .

ولكن [illegible] [illegible] ويكون [illegible] ممنوع فيما بيننا جماعة

ومن [illegible] فيكون [illegible]

ومن [illegible] [illegible] [illegible] خمسين ريال صالح بن أحمد

شاهد [illegible]

عزيز بن عبد الله

[illegible] صالح اللعيش

[illegible] عبد الله

علي سعد الشوحي ناصر بن علي محمد حمران مصطفى [illegible]

محمد سعد

(شـــكل رقم ١٤)

٢٨٧/٨/٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد فقد حضرت

شيخ النداح بقرية الصبيحي [illegible] قرية لما دله من اهل سوق غانم

فيما بينهم واتفقوا الشيخة ووحدوا سبلا نديم سكن في قرية المبارك

ثم ان مالك القرية اتفقوا جميعا على الذي يكون بينهم

عذري وهذا سبب كتابة هذه الاتفاقية ومن سكن

ن بيت من بيوت ما له يكون كالة حضور قرية

العائلة والقرشية التي اصلحت بينهم النداح والصبيحي على

جميعا ويكون كالة ... بعلم ... ٢٩/٦/١٢٨٦ هـ

تشهيد ... المبارك

تشهيد ... محمد ...

تشهيد ... العائض

تشهيد ... اهل ...

شهود الحال

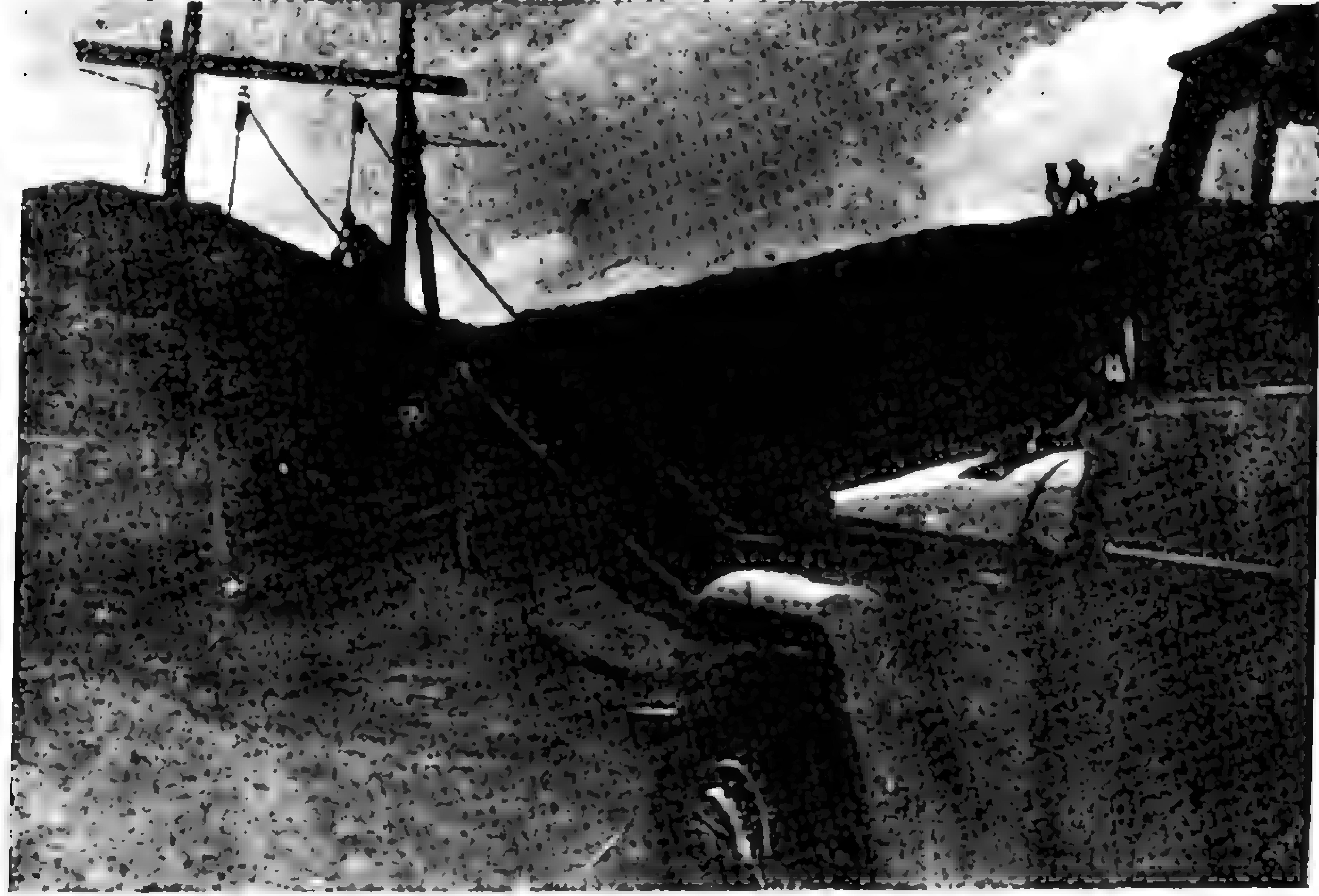
(شـــكل رقم ١٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

(شـــكل رقم ١٦)

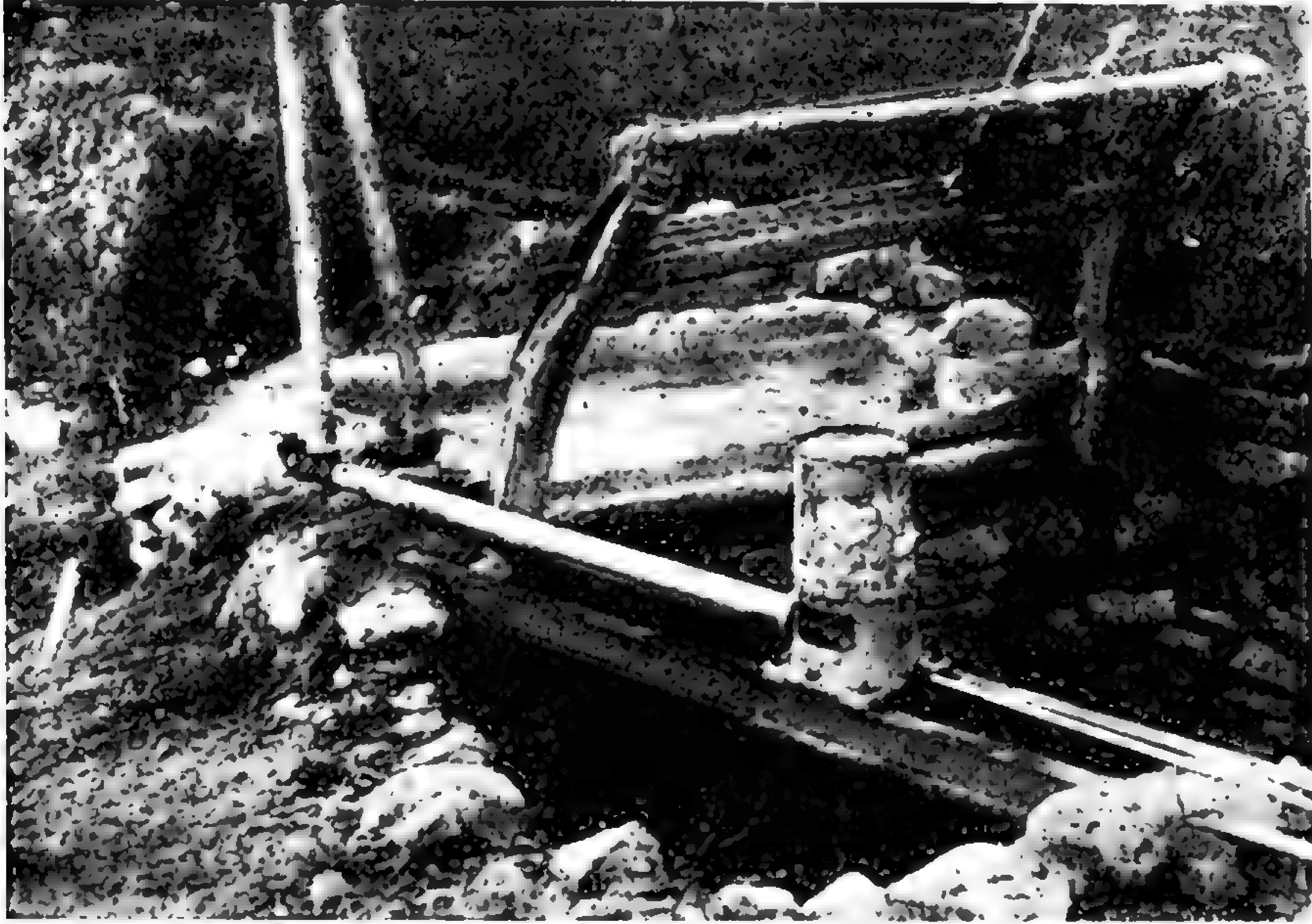


لم يعد البدوى يسوق الاغنام امامه ، كما كان يفعل فى السابق عندما يذهب بها الى اسواق الحاضرة . وفى هذه الصورة بدوى يحمل اغنامه فى السيارة فى طريقه الى السوق ...
(شكل رقم ١٧)



ارادوا تنظيف البئر وتعميقها ، استعدادا لوضع (موتور حديث) عليها وبما ان الثور قد اختفى فالسيارة سوف عنه فى اخراج الاتربة والأحجار من البئر .

(شـــكل رقم ١٨)



(البئر) وعليها موتور بالديزل لاخراج الماء بدلا من الثور . ولاحظ وجود الأنبوب الذى يصب الماء فى (قف البئر) يسار الصورة ..

(شـكل رقم ١٩)



(تلمتان) الى يمين الصورة وتحيط بها منازل قديمة ، بينما تظهر المنازل الحديثة بيسار الصورة ..
(شـــكل رقم ٢٠)



« الحمار » كان الوسيلة الوحيدة للمواصلات . وأحمى موجود السيارات . لاحظ « الخرج » على ظهره ومن فوقه (الفروة) وهى عبارة عن جلد خروف مدبوغ يسمونه (جاعد) ..

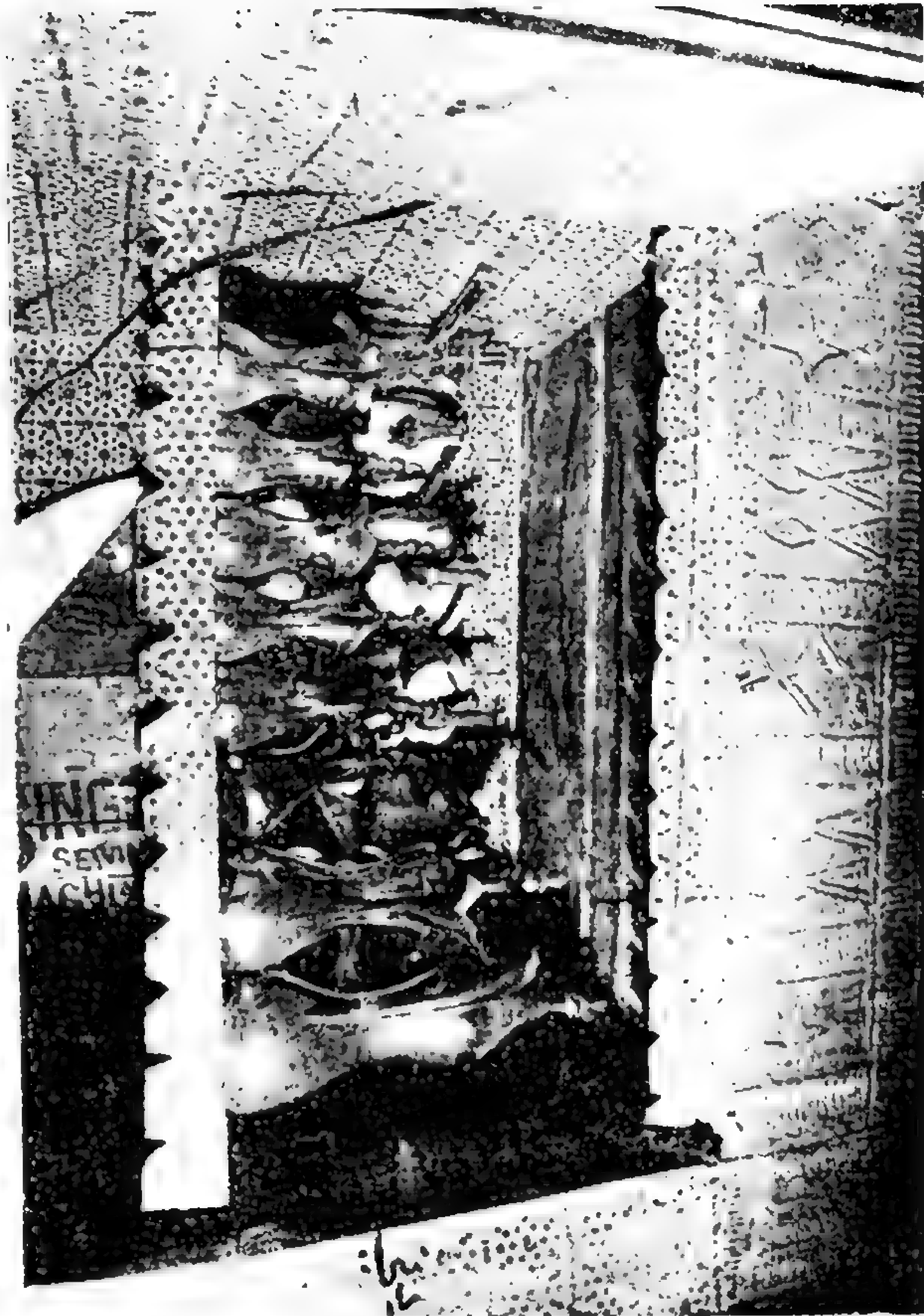
(شـــكل رقم ٢١)



البدوى وابنته ، لايزال الحمار لديهما وسيلة للنقل ، وهو فى الصورة يحمل الحطب وبعض المتاع .
(شكل رقم ٢٢)



خيمة فى البادية . والسيارة تقف الى جوارها بدلا من الجمل ..
(شــكل رقم ٢٣)

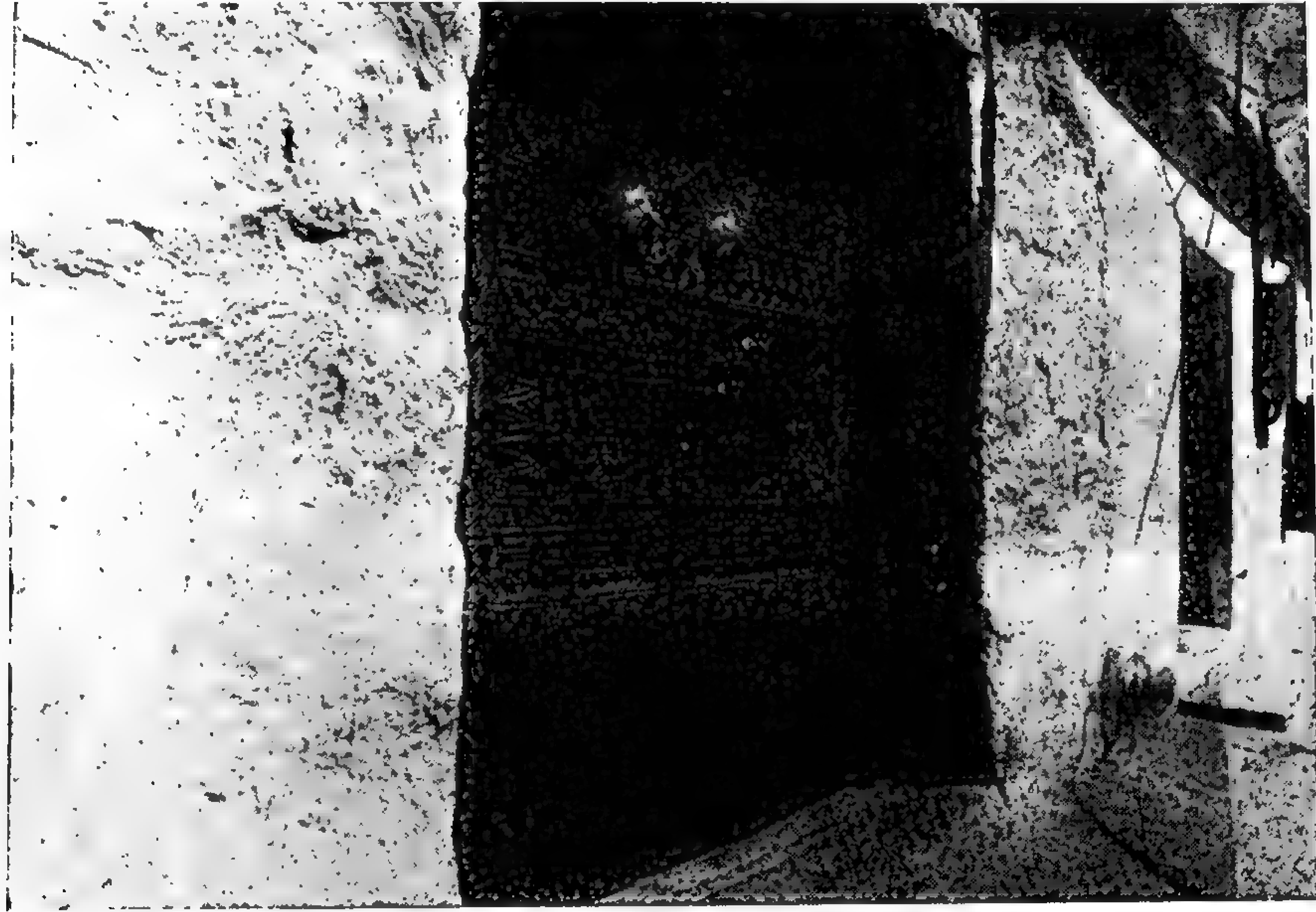


آنية القهوة والشاى ، من الأشياء التى كانوا يعنون بابرازها فى المجالس فى المنازل القديمة ..
(شكل رقم ٢٤)

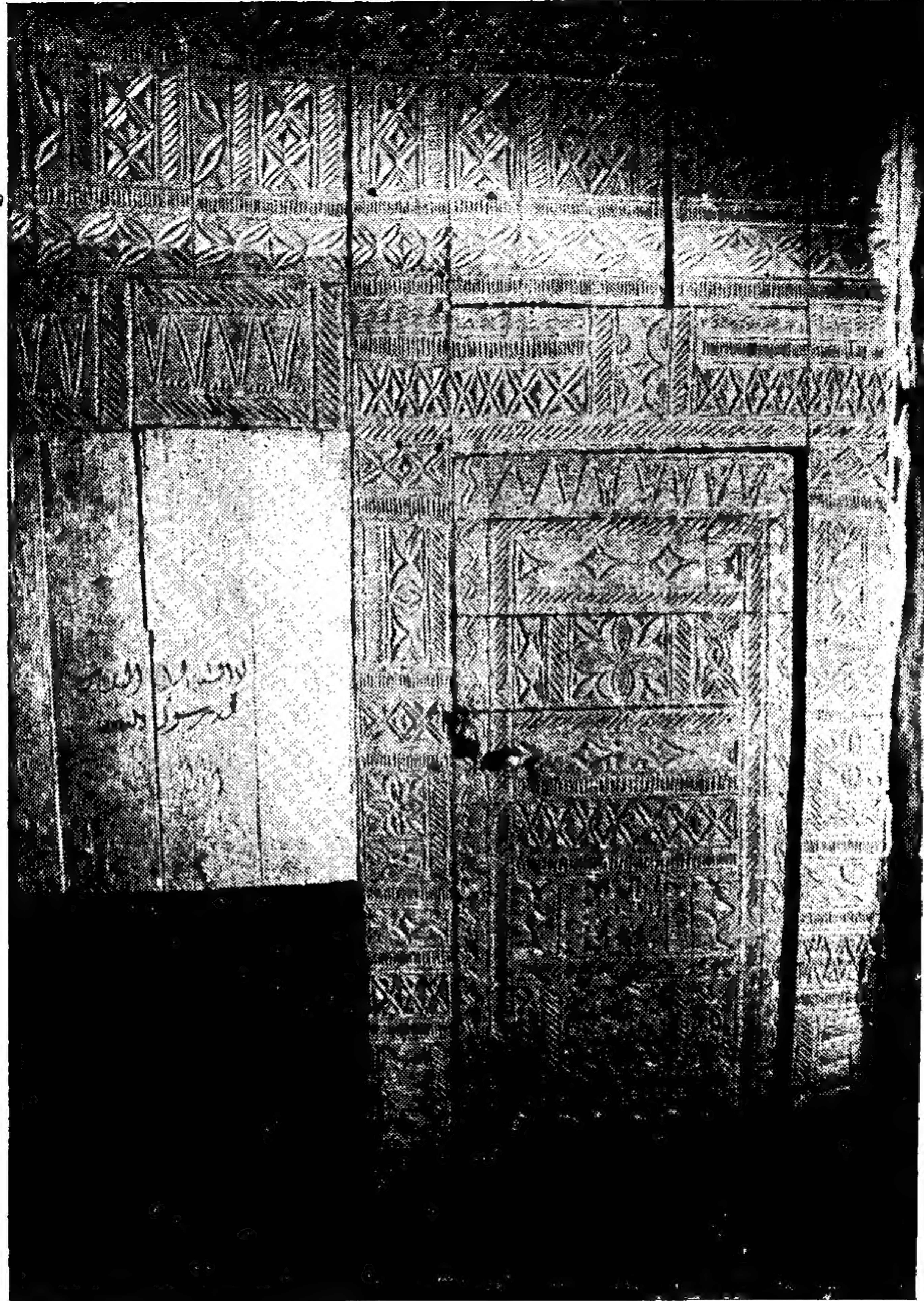


شباك المنزل القديم . لاحظ النقوش عليه . والأعمدة المصنوعة من الحديد . ثم السيارة تقف في الحوش وفي آخر الصورة جانب من منزل حديث لم ينته العمل فيه بعد ..

(شــــكل رقم ٢٥)



باب الحوش فى المنزل القديم المصنوع من الخشب السميك ، ارتفاعه أكثر من ٢٥٠ سم وعرضه ٢٠٠ سم ..
(شـــكل رقم ٢٦)



باب (العلو) فى المنزل القديم ، والتنصيب المكتوب عليه كلمة (لا اله الا الله محمد رسول الله) ويعود تاريخ بناء هذا المنزل الى عام ١٣٤٠هـ — ١٩٢٠م .
(شـــكل رقم ٢٧)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

أما بعد لقد وقع علينا من الله الكريم وقتا عظيما قعدنا في قطاعه
سبع سنين ووصل السعر فيها خمسة امداد وانقطع من البلاد
الطعام ورزق الله الناس من بلاد مصر بطعام [illegible]
وحنطه ثم ان الناس ماتوا من القضا الا ما شا الله ثم ان
الله غاث الناس بالمطر وخرب بلاد وبيار
واستولوا الناس من جور ذالك الرحمه في هذا الزمان
وجاء في يوم الثلوث وليله ويوم الربوع وليله ما فصل
المطر [illegible] من شهر جماد آخره في ١٢٧٧ من الهجره
كتب ذالك القول محمد بن سعد ابن سويعد ابن
الزين الغامدي منسبي والشافعي مذهبي رحمه الله ولوالديه آمين يارب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

أما بعد . لقد وقع علينا من الله الكريم وقتا عظيما . قعدنا فى قطاعه (حلت بنا مجاعة) سبع سنين . ووصل السعر فيها خمسة امداد . وانقطع من البلاد الطعام . ورزق الله الناس من بلاد مصر بطعام (أرز) وحنطه . ثم ان الناس ماتوا من القضاء (المجاعة) الا ما شاء الله ثم ان الله اغاث الناس بالمطر . وخرب بلاد وآبار واستولوا (استهالو الناس من جور ذلك (تلك) الرحمة فى هذا الزمان .

وجاء فى يوم الثلوث (الثلاثاء) وليلة ويوم الربوع (الأربعاء) وليلة ما فصل المطر (ما انقطع) من شهر جماد آخرة فى سنة ١٢٧٧ من الهجرة . كتب ذلك القول . محمد بن سعد بن سويعد ابن الزين ، الغامدى منسبى والشافعى مذهبى . رحمه الله ووالديه .

آمين يا رب العالمين ...

وثيقة تؤرخ حدوث مجاعة فى المنطقة

(شـــكل رقم ٢٨)